



البحار

مجلة فطائية محكمة تصدر عن دار الملك عبد العزيز - الرياض
العدد الأول - محرم ١٤١٨ هـ - السنة الثالثة والعشرون

٥ مدرسة التفسير بالمدينة المنورة خلال القرن الأول الهجري

٥٥ مصانع النورة في مكة المكرمة

٩٩ تعميم الدلالة في ألفاظ الإبل

١٤١ أبو تمام وأبعاد تمثل الفكر الإسلامي في الشعر

١٦٥ نمو الجيش الإسلامي في العهد النبوي

بسم الله الرحمن الرحيم



الفاكر

مجلة فطائية محكمة تصدر عن دائرة الملك عبدالعزيز - الرياض
العدد الأول - محرم ١٤١٨ هـ - السنة الثالثة والعشرون

محتويات العدد

- | | | | |
|-----|--|----------------------------|--------------------------|
| ٥ | مدرسة التفسير بالمدينة المنورة | د. عبدالرزاق إسماعيل هرماس | <input type="checkbox"/> |
| ٥٥ | مصانع النورة في مكة المكرمة | د. عادل محمد نور غباشي | <input type="checkbox"/> |
| ٩٩ | تعميم الدلالة في ألفاظ الإبل | د. عبدالرزاق فراج الصاعدي | <input type="checkbox"/> |
| ١٤١ | أبو تمام وأبعاد تمثل الفكر الإسلامي في الشعر | د. أحمد طلي محمد | <input type="checkbox"/> |
| ١٦٥ | نمو الجيش الإسلامي في العهد النبوي | أ. خالد بن عبدالكريم البكر | <input type="checkbox"/> |
| ١٨٩ | دراسات الكتب | | <input type="checkbox"/> |
| ١٩٧ | مقالات ومؤلفات | | <input type="checkbox"/> |

المشرف العام
سمايل ز.و. خالدين محمد العنقري

وزير التعليم العالي نائب رئيس مجلس إدارة دار الملك عبدالعزيز

المدير العام ورئيس التحرير
و. خديجة عبد الله السماري

ز.و. منور إبراهيم الحازمي
ز. عبد الله بن عبد العزيز بن لوريس
ز.و. عبد الرحمن الرشيد الفاضلي
ز.و. عبد الله الصام والعقيد
ز.و. محمد بن سليمان السديس
ز.و. محمد بن محمد ساعيات
ز.و. محمد بن محمد بن لوريس

هيئة التحرير

مقبل بن تركي والمقبل

سكرتيرة هيئة التحرير

رقم الإيداع ١٤/٠٠٨٢ بتاريخ ١٤١٤/١/٢٢هـ

رصد ٠١٤٨ - ١٣١٩

البحوث ترسل باسم رئيس التحرير

العنوان: ص.ب ٢٩٤٥ الرياض ١١٤٦١ المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٤١ ٢٣١٦ - ٤٤١ ٢٣١٨ فاكس ٤٤١ ٧٠٢٠

السعر

السعودية: ٥ ريالات، الإمارات العربية المتحدة: ٧ دراهم، قطر: ٧ ريالات، مصر: ٧٠ قرشا،
المغرب: ٨ دراهم، تونس: ٧٠٠ مليم، خارج البلاد العربية: ١ دولار أمريكي

الاشتراكات السنوية

٢٠ ريالاً للاشتراك السنوي داخل المملكة العربية السعودية

البلاد العربية ما يعادل ٢٠ ريالاً سعودياً

خارج البلاد العربية ٦ دولارات أمريكية

ترسل الاشتراكات بشيك مصدق باسم دارة الملك عبدالعزيز

على العنوان التالي: ص.ب ٢٩٤٥ الرياض ١١٤٦١ المملكة العربية السعودية

السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع	ص.ب ٦١٤٦٦	الرياض ١١٥٦٥	هاتف: ٤٧٨٢٠٠٠
الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة	ص.ب ٣٧٧٨	دبي	هاتف: ٦٦٥٣٩٤
قطر: دار الثقافة	ص.ب ٣٣٣	الدوحة	هاتف: ٤١٣١٨٠
البحرين: دار الهلال للتوزيع	ص.ب ٢٢٤	المفامة	هاتف: ٢٦٢٠٢٦
المغرب: الشركة الشريفة للتوزيع	ص.ب ٦٨٣	الدار البيضاء 05	هاتف: ٤٠٠٢٣٣
مصر: مؤسسة الأهرام للتوزيع	شارع الجلاء - القاهرة		هاتف: ٥٧٨٦١٠٠

شروط النشر

تعنى مجلة الدارة بنشر البحوث العلمية ذات العلاقة بتاريخ المملكة العربية السعودية وجغرافيتها وآدابها وأثارها الفكرية والعمرانية بخاصة والجزيرة العربية والعالم العربي والإسلامي بعامه.

يشترط في البحث المقدم للمجلة ما يأتي:

أولاً

- ١ - أن يتسم بالأصالة والمنهجية العلمية.
- ٢ - أن يكون صحيح اللغة، سليم الأسلوب.
- ٣ - ألا يكون قد سبق نشره، أو قدم إلى جهة أخرى للنشر.
- ٤ - أن توضع حواشيه مرقمة بالتسلسل في آخر البحث.
- ٥ - أن ترفق نماذج واضحة من الأشكال التوضيحية.
- ٦ - أن تكتب الأسماء الأجنبية باللغة العربية مع لغتها.
- ٧ - أن يكون البحث مطبوعاً أو مكتوباً بخط واضح.
- ٨ - أن يرفق ملخص له باللغتين العربية والإنجليزية في حدود (٢٠٠ كلمة).

لا يُعاد البحث إلى صاحبة سواء نشر أم لم ينشر.

ثانياً

يعطى الباحث عشرين مستلة من بحثه، وخمس نسخ من العدد.

ثالثاً

تخضع البحوث الواردة إلى المجلة للتحكيم.

رابعاً

لا تعبر الآراء الواردة في البحوث بالضرورة عن رأي المجلة.

خامساً

مدرسة التفسير بالمدينة المنورة خلال القرن الأول الهجري

د. عبدالرزاق بن إسماعيل هرماس
كلية الآداب - جامعة القاضي عياض
بني ملال - المغرب

يبحث هذا الموضوع في نشأة مدرسة تفسير القرآن بدار الهجرة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وقد تم حصره زمنياً في القرن الأول الهجري لأن هذه الفترة هي التي شهدت البدايات الأولى لعلم تفسير القرآن الكريم. لقد بدأ نزول القرآن بمكة المكرمة، واكتمل نزوله بدار الهجرة التي تصلّ فيها صاحب الرسالة - عليه الصلاة والسلام - بين لصحابته - رضي الله عنهم - منازل إليهم حتى يصبحوا مؤمنين على تبليغ الدين لمن جاء بعدهم. وأهمية هذه الحقبة من تاريخ التفسير ترجع إلى أنها كانت عصر انتقال أحكام الإسلام لتطبق في حياة البشر، فقد كان الوحي ينزل منجماً على الرسول ﷺ وماكان بالإمكان تطبيق تلك الأحكام في حياة الناس العامة والخاصة حتى تمكّن الإسلام بالمدينة المنورة، فوجب الامتثال، واحتاج الصدر الأول من المهاجرين

والأنصار إلى بيان المجمل من التنزيل ، فقام المعصوم ﷺ يفسر ما أوكل الله إليه بيانه من القرآن ، وظل على هذه الحال مبلغاً ومفسراً حتى اكتملت مهمة بعثته عليه الصلاة والسلام .

وبعد وفاته عليه الصلاة والسلام في مستهل العقد الثاني من القرن الأول ، استقل أصحابه الكرام — بأمانة تعليم الدين لغيرهم ، وكانت هذه الأمانة تقتضي منهم التعامل مع القرآن الكريم تفسيراً واستنباطاً ، ومع هذا الرعيل الإسلامي الأول ظهرت مدارس التفسير .

ومن فضل الله على هذه الأمة أن طائفة من فقهاء الصحابة — رضوان الله عليهم — بُعثوا لتعليم الناس في مختلف البقاع التي أذن الله بفتحها ، فاستقروا معلمين وقضاة وولاة . . . ، وظهرت في مختلف الخواضر التي استقروا بها حلقات علم مالم يثبت أن تطورت إلى مدارس خاصة في عصر التابعين .

ويخصوص علم التفسير ، فالمعروف أن حلقات هذا العلم وجدت حيثما استقر أحد علماء الصحابة وجمع حوله طائفة من التابعين ، وأضحت هذه المجالس في مختلف الأمصار بداية لمدارس التفسير التي ظهرت خلال القرن الأول واشتهرت منها مدارس ثلاث :

■ مدرسة التفسير بالمدينة المنورة .

■ مدرسة التفسير بالعراق (الكوفة) .

■ مدرسة التفسير بمكة المكرمة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ت ٧٢٨ في هذا السياق :

«وأما التفسير فلأن أعلم الناس به أهل مكة ، لأنهم أصحاب ابن عباس كمجاهد ، وعطاء بن أبي رباح وعكرمة مولى ابن عباس ، وغيرهم من أصحاب ابن عباس : كطاووس وأبي الشعثاء وسعيد بن جبير وأمثالهم ، وكذلك أهل الكوفة من أصحاب عبدالله بن مسعود . . . ، وعلماء أهل المدينة في التفسير مثل زيد بن أسلم . . . » (١) .

وتأتي بعد المدارس الثلاث السابقة في الشهرة :

مدرسة التفسير بالشام التي كان من أعلامها معاذ بن جبل * ت ١٨ هـ^(٢) .
ومدرسة التفسير بمصر التي ارتبطت بالصحابيين عقبة بن عامر ت ٥٨ هـ ،
وعبدالله بن عمرو بن العاص ت ٦٥ هـ %^(٣) . . .
وكانت مدرسة التفسير بالمدينة المنورة هي الأصل الذي تفرعت عنه المدارس
الأخرى ، فمؤسسها الأول هو صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام ، وشيوخها
بعده هم جلة الصحابة - الذين تلقوا علم التفسير من مشكاة النبوة . . .
وحتى تعطي هذه الدراسة نظرة متأنية ومتكاملة عن مدرسة دار الهجرة
بالمدينة : نشأتها ، وأعلامها وتطورها . . . خلال القرن الأول فقد تم تقسيمها إلى
ثلاثة فصول :

الفصل الأول : منها خصص للكلام عن أعلام المدرسة من طبقة الصحابة ثم
تلاميذهم من التابعين .

الفصل الثاني : عرض لخصائص مدرسة المدينة النبوية ثم أسباب شهرتها .

الفصل الثالث : موضوعه مكانة هذه المدرسة وأثرها في علم التفسير .

أما غاية الدراسة فهي محاولة جمع مختلف ماتضمنته مصادر التفسير وأمهات
كتب السنة والمصنفات في علوم القرآن عن مدرسة التفسير بدار الهجرة ، وكان من
نتيجة ذلك الجمع أن تم الخروج بهذا الموضوع الذي أفرّد " مدرسة المدينة " بالبحث
ولله الحمد والمنة .

أولاً: أعلام مدرسة التفسير بالمدينة المنورة

خلال القرن الأول

كانت المدينة المنورة أول دار نشأت فيها دولة الإسلام ، فاجتمع فوق ثراها
المهاجرون والأنصار يتلقون من الرسول - ﷺ - التشريعات التي تعبد لهم الله بها ؛
وقد شهدت دار الهجرة مرحلة جديدة من مراحل الدعوة - في عصر النبوة - حمل فيها

الوحي مختلف أحكام العبادات والمعاملات ونظم الحياة؛ والتف الصحابة - -
حول النبي - عليه الصلاة والسلام - يتلقون بيان تلك الأحكام التي نزل بها القرآن،
فكان - ﷺ - يفسر لهم كتاب الله بأقواله وأفعاله . . . وستة الجامعة^(٤).
ثم عظم دور المدينة العلمي بعد أن أصبحت عاصمة الدولة الإسلامية، وحتى
حين غدت دولة الخلافة الراشدة مترامية الأطراف ظلت المدينة المنورة عاصمة علمية
وسياسية، فلما تحولت الإمارة إلى دمشق على عهد الأمويين بقيت دار الهجرة
مركز العلم لبقاء جمهور علماء الصحابة - - بها.
وخلال القرن الأول للهجرة شهدت المدينة المنورة ظهور جيلين من أعلام
المفسرين:

جيل المؤسسين من طبقة الصحابة - - وجيل التابعين الذين أخذوا عنهم،
واشتهرت معهم المدرسة.

المبحث الأول

شيوخ مدرسة المدينة من طبقة الصحابة

هؤلاء تلقوا - - العلم من صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام،
وينقسمون - بدورهم - إلى جيلين: كبار الصحابة الذين هم المؤسسون الفعليون،
وصغارهم الذين أخذوا عنهم كما أخذوا عن النبي - ﷺ.
وبين كبار الصحب اشتهر أبي بن كعب - * - بالعلم بالقراءة والتفسير،
ورغم تقدم وفاته، فقد نقلت مروياته في التفسير عن طريق تلاميذه من كبار
التابعين، وذكرت كتب الآثار أن له صحيفة في التفسير^(٥).

المطلب الأول: المفسرون المؤسسون الذين تلقوا علمهم عن النبي عليه الصلاة
والسلام اشتهر بين شيوخ مدرسة المدينة طائفة من كبار الصحابة - -، وكان
الناس في زمنهم يرجعون إليهم لأنهم أخذوا عن صاحب الدعوة عليه الصلاة
والسلام علماً مباركاً.

ويأتي الخلفاء الراشدون الأربعة في مقدمة الشيوخ، وقد تضمنت كتب الحديث والآثار الكثير من مرويات التفسير المنقولة عنهم مرفوعة أو موقوفة^(٦)، وكان أكثر الأربعة رواية للتفسير علي بن أبي طالب *، أما الرواية عن الخلفاء الثلاثة قبله فهي قليلة لتقدم زمن وفاتهم^(٧).

وإذا كان الخلفاء الراشدون المهديون قد ساهموا بعلمهم في تأسيس مدرسة المدينة، فإن ظهور هذه المدرسة وتميزها ثم استمرارها خلال عصر التابعين يرجع إلى الصحابي الجليل أبي بن كعب *.

كان أبو المنذر أبي بن كعب بن قيس الأنصاري ت ٢١ هـ^(٨) أحد فقهاء الصحابة^(٩) وأقرأهم لكتاب الله^(١٠)، شهد العقبة وندرا وما بعدهما وكان سيدا جليل القدر^(١١).

قال الذهبي ت ٧٤٨ هـ في ترجمته:

«جمع القرآن في حياة النبي ﷺ، وحفظ عنه علماً مباركاً، وكان رأساً في العلم والعمل» *^(١٢).

وقال ابن الجزري ت ٨٣٣ هـ في "غاية النهاية":

«سيد القراء بالاستحقاق، وأقرأ هذه الأمة على الإطلاق، قرأ على النبي ﷺ القرآن العظيم، وقرأ عليه النبي ﷺ بعض القرآن للإرشاد والتعليم»^(١٣).

روى تلميذه أبو العالية:

«كان أبي صاحب عبادة، فلما احتاج الناس إليه ترك العبادة وجلس للقوم»^(١٤).

ولأبي - * - في الكتب الستة نيف وستون حديثاً^(١٥).

واشتهر كذلك بالمدينة طائفة من الصحابة القراء الذين أخذ عنهم التابعون القرآن والتفسير، وكان مصطلح «القراء» يطلق في الصدر الأول على حاملي القرآن العالين بتفسيره، والقادرين على استنباط أحكامه، فكان «القراء» حاملي القرآن ومفسريه أيضاً^(١٦).

قال ابن خلدون ت ٨٠٨ هـ:

«ثم إن الصحابة كلهم لم يكونوا أهل فتيا ولا كان الدين يؤخذ عن جميعهم، وإنما كان ذلك مختصاً بالحاملين للقرآن العارفين بناسخه ومنسوخه، ومتشابهه ومحكمه وسائر دلالاته بما تلقوه من النبي ﷺ أو ممن سمعه منهم أو من عليتهم، وكانوا يسمون لذلك القراء أي الذين يقرؤون الكتاب لأن العرب كانوا أمة، أمية، فاختص من كان منهم قارئاً للكتاب بهذا الاسم لغرابته يومئذ، وبقي الأمر كذلك صدر الملة» (١٧).

وكان القراء لاتصافهم بما سبق أهل فقه وأهل رأي، فكانت الفتيا والحل والعقد يرجع إليهم خاصة على عهد الخلافة الراشدة (١٨).

أخرج ابن سعد. ت ٢٣٠ هـ في الطبقات الكبرى "باب أهل العلم والفتوى من أصحاب الرسول ﷺ" عن عبدالرحمن بن القاسم عن أبيه: "أن أبا بكر الصديق كان إذا نزل به أمر يريد فيه مشاورة أهل الرأي وأهل الفقه ودعا رجالاً من المهاجرين والأنصار، دعا عمر وعثمان وعلياً وعبدالرحمن بن عوف ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت، وكل هؤلاء كان يفتي في خلافة أبي بكر، وإنما تصير فتوى الناس إلى هؤلاء، فمضى أبو بكر على ذلك، ثم ولي عمر فكان يدعو هؤلاء النفر، وكانت الفتوى تصير وهو خليفة إلى عثمان وأبي وزيد» (١٩).

وفي الجامع الصحيح للإمام البخاري. ت ٢٥٦ هـ "باب خذ العفو وأمر بالعرف... عن ابن عباس رضي الله عنهما... وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهؤلاء كانوا أو شبانا..." (٢٠).

ومن مشاهير "القراء" حاملي القرآن العالمين بتفسيره، وأعلام فقهاء المدينة النبوية من طبقة الصحابة :

سعد بن عبيد أبوزيد القارئ الأنصاري - * - أحد الذين جمعوا القرآن على عهد النبوة، قتل بالقادسية سنة ست عشرة (٢١).

صهيب بن سنان بن مالك أبو يحيى كان من الصالحين والقراء توفي بالمدينة ٣٨هـ (٢٢).

زيد بن ثابت بن الضحاك، من فقهاء الصحابة وجلة الأنصار ٤٥هـ (٢٣).
عبد الرحمن بن المنذر أبو حميد الساعدي الخزرجي ت ٦٠هـ (٢٤) كان من صالحى الأنصار وقرائهم (٢٥).

سعد بن مالك بن سنان أبو سعيد الخدري المتوفى بالمدينة ٦٤هـ (٢٦).
خويلد بن عمرو أبو شريح الكعبي، من جلة الصحابة وقرائهم مات بالمدينة ٦٨هـ (٢٧).

عبد الله بن سعد أبو خيثمة الأوسي الأنصاري كان من المعدودين في القراء (٢٨).
عبد الله بن عمر بن الخطاب أبو عبد الرحمن، كان من صالحى الصحابة وقرائهم وزهادهم، توفي وهو حاج بمكة سنة ٧٣هـ (٢٩).
سلمة بن الأكوع أبو عامر من جلة الصحب وعلمائهم، مات بالمدينة ٧٤هـ (٣٠).

جابر بن عبد الله بن عمرو أبو عبد الله المتوفى بالمدينة سنة ٧٨هـ (٣١).
ومن الكثرين من أعلام مدرسة التفسير بالمدينة على عهد الصحابة أيضاً:
عبد الرحمن بن صخر الدوسي أبو هريرة *، أخرج مروياته في التفسير الشيخان وغيرهما من المصنفين في الحديث والآثار (٣٢)، وكماروى أبو هريرة عن النبي ﷺ روى عن السابقين من الصحابة مائى بن كعب (٣٣) وبين نساء بيت النبوة اشتهرت من أمهات المؤمنين:

عائشة بنت أبي بكر الصديق ؓ، ونقلت مروياتها في التفسير من طريق عروة بن الزبير - خاصة - وابنه هشام بن عروة (٣٤).

المطلب الثاني: أبى بن كعب - الله - شيخ مدرسة التفسير بالمدينة المنورة كانت مكانة أبى - * - في مجتمع "يثرب" تؤهله ليحظى بدور هام في دولة الإسلام التي أقامها الرسول (ﷺ) عقب هجرته؛ وقد ورد الكثير من الآثار

الدالة على أنه أول كاتب اتخذ النبي (عليه الصلاة والسلام) بعد استقراره بالمدينة، ولا يزال الكثير من الكتابات التي ترجع إلى عصر النبوة تحمل اسمه (٣٥).

ولم يقتصر أبي - * - على القيام بهذه المهمة التي قلَّ من أسندت إليه في زمنه (٣٦)، بل ازداد تشريفاً بعد أن أمره النبي عليه الصلاة والسلام أن يقرأ عليه القرآن ويعرضه بين يديه، ثم أصبح - * - أحد أربعة صحابة خزرجين جمعوا القرآن في حياته ﷺ، وهذه الميزات كلها أهلته ليكون مرجعاً في القراءة والتفسير، فجلس إليه الصحابة - أنفسهم يأخذون عنه العلمين معاً. أخرج البخاري - واللفظ له - وابن أبي شيبة والنسائي وأحمد وغيرهم عن أنس * :
"قال النبي ﷺ لأبي: إن الله أمرني أن أقرأ عليك (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب) (٣٧)، قال: وسماني؟ قال: نعم، فبكى" (٣٨).

وروي عن عبدالله بن عمر، رضي الله عنهما:

"سمعت النبي - ﷺ - يقول: خذوا القرآن من أربعة - وفي جامع الإمام مسلم استقرئوا القرآن من أربعة - من عبدالله بن مسعود فبدأ به، وسالم مولى أبي حذيفة ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب" (٣٩).

وعند البخاري ومسلم عن أنس * قال:

"جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة كلهم من الأنصار: معاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وأبوزيد" (٤٠).

اعتباراً لما تقدم لم يكن غريباً أن يصبح أبي شيخاً للعلم يتلقى عنه الصحابة عنه الصحابة والتابعون على السواء قراءة القرآن وتفسيره.

قال ابن الجزري ت ٨٣٣ هـ:

"قرأ عليه القرآن من الصحابة ابن عباس وأبوهريرة وعبدالله بن السائب - ومن التابعين عبدالله بن عياش بن أبي ربيعة، وعبدالله بن حبيب وأبو عبد الرحمن السلمي وأبو العالية الرياحي" (٤١).

وذكر ابن كثير الدمشقي ت ٧٧٤هـ في ترجمة سعيد بن العاص أن أياً «كان في جملة الاثني عشر رجلاً الذين يستخرجون القرآن ويعلمونه ويكتبونه»^(٤٢).
وعن روى عنه التفسير من الذين سمعوا منه وحدثوا عنه: «بنوه محمد والطفيل وعبدالله، وأنس بن مالك وابن عباس وسويد بن غفلة وزر بن حبيش وأبو العالية الرياحي...»^(٤٣)، ويعتبر مسند الإمام أحمد من أهم مصادر التفسير المروى عنه حيث تضمن «مسند الأنصار» - بابا خصص لحديث «أبي المنذر أبي بن كعب»^(٤٤).

المبحث الثاني

التفسير المنسوب لأبي - * - ورواته

كثر تلاميذ أبي - من الصحابة والتابعين رغم تقدم وفاته، وقد تناقلت كتب الآثار أخباراً عن «صحيفة التفسير»^(٤٥) التي نقلها مشاهير التابعين الذين أخذوا عنه، وقد انتهت مرويات هذه الصحيفة إلى أبي جعفر الرازي وأخرج بعض أحاديثها الإمام أحمد ومن جاء بعده من أعلام المفسرين الأثرين.

المطلب الأول: أشهر رواة تفسير أبي بن كعب لله

نقلت مرويات أبي في التفسير من قبل الكثير من تلاميذ مدرسة المدينة، سواء أكانوا من طبقة الصحابة - أم من طبقة التابعين كما تقدم ذلك.

- ١- أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي ت ٥٩هـ، وقد تضمن مسند الإمام أحمد وأكثر كتب التفسير الأثرية مرويات هذا الصحابي عن أبي^(٤٦).
- ٢- عبدالله بن عمرو بن العاص ت ٦٣هـ %، وهو من شيوخ ومؤسسي مدرسة التفسير بمصر^(٤٧).

٣- عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب ت ٦٨ هـ ، الذي كان أكثر الصحابة أخذًا عن أبي الطفيل حتى قيل «عامة علم ابن عباس من ثلاثة : عمر وعلي وأبي» (٤٨)؛ وجبر الأمة عبدالله بن عباس هو شيخ ومؤسس مدرسة التفسير بمكة، وقد تضمن مسند الإمام أحمد، والمعجم الكبير للطبراني، وجامع البيان لابن جرير الكثير من مرويات ابن عباس عن أبي في التفسير (٤٩).

٤- سهل بن سعد بن مالك الخزرجي الأنصاري (٥٠)، وقد نقلت طائفة من مروياته ضمن المسند (٥١) وفي بعض التفاسير المتأخرة (٥٢).

٥- أنس بن مالك الأنصاري ت ٩٣ هـ، وقد أخرج بعض مروياته الإمام النسائي والإمام أحمد (٥٣).

٦- الطفيل بن أبي بن كعب (٥٤) روى عن أبيه شيئاً يسيراً في التفسير (٥٥).

٧- أبو سعيد بن المعلبي الأنصاري المدني المتوفى ٧٤ هـ (٥٦).
هذا بالإضافة إلى العديد من التابعين الذين سمعوا من أبي ورووا عنه، وسيتم الكلام عنهم لاحقاً.

المطلب الثاني: صحيفة التفسير المنسوبة إلى أبي بن كعب - * - ذهب بعض المؤرخين والدارسين ممن كتبوا عن أبي الطفيل إلى القول بأن له «نسخة كبيرة يرويها أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عنه» (٥٧). والحق أننا نصادف الكثير من المرويات المنقولة عن أبي بهذا الإسناد؛ فقد تضمن حديثه في مسند الأنصار عند الإمام أحمد باباً خاصاً ترجم له بـ «حديث أبي العالية الرياحي» (٥٨).

وفي جامع البيان نجد ابن جرير يخرج بأسانيده إلى أبي جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية عن أبي بن كعب الأنصاري^(٥٩).

ونجد الشيء نفسه في مستدرک الحاكم وفي تفاسير ابن أبي حاتم والبغوي وابن كثير وغيرهم...^(٦٠).

والذي يبدو - والله أعلم - أن "نسخة تفسير أبي" كانت صحيفة تتضمن تفسير أجزاء من القرآن، جمعها أشهر أعلام مدرسة المدينة من طبقة التابعين: رفيع بن مهران الرياحي أبو العالية تـ ٩٠هـ^(٦١)، لكن هذه النسخة لم تكن تفسيراً شاملاً لجميع آيات القرآن^(٦٢).

وكان أبو العالية راوي الصحيفة عن أبي قد أسلم «في عامين بعد موته»^(٦٣)، وقرأ القرآن على أبي وغيره وسمع من عمر وابن مسعود وعائشة وطائفة^(٦٤).

وروى عن أبي موسى وأبي أيوب وأبي بن كعب وثوبان وحذيفة وابن عباس وابن عمر ورافع بن خديج وأبي سعيد...^(٦٥)، وصح أنه عرض على عمر^(٦٦). قال أبو بكر بن أبي داود: «ليس أحد بعد الصحابة أعلم بالقرآن منه وبعده سعيد بن جبير»^(٦٧).

وقال الداودي في "طبقات المفسرين": «وله تفسير رواه عنه الربيع بن أنس البكري»^(٦٨).

أما راوي التفسير عن أبي العالية الربيع بن أنس الخراساني البكري فقد سمع أنس بن مالك^(٦٩)، وروى عنه وعن أبي العالية والحسن البصري^(٧٠) وأرسل عن أم سلمة.

وروى عنه أبو جعفر الرازي والأعمش وغيرهما^(٧١)...

أما أبو جعفر الذي انتهى إليه تفسير أبي، فهو عيسى بن عبد الله بن ماهان التميمي^(٧٢)، قال البخاري في "التاريخ الصغير": «سمع عطاء والربيع ابن أنس ومنصور وعمر بن دينار، سماع منه وكيع وأبونعيم»^(٧٣).

قال ابن سعد: «أبو جعفر الرازي . . . من أهل مرو من قرية يقال لها بُرْز، وهي القرية التي نزلها الربيع بن أنس أولاً، وبها سمع أبو جعفر من الربيع ابن أنس ثم تحول أبو جعفر بعد ذلك إلى الري فمات بها» (٧٤).

غير أن تفسير أبي الذي رواه أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية لم يخرج منه البخاري ولا مسلم ولا الترمذ - من أصحاب الجوامع - شيئاً، في حين نجد مرويات منه في المسند وكتب التفسير ابتداء من الطبري.

وربما يرجع السبب في ذلك إلى:

آ- ما قيل عن أبي العالية من أنه وإن كان مجمعاً على ثقته «إلا أنه كثير الإرسال عن أدركه» (٧٥).

ب- وما قيل عن الربيع «صدوق له أو هام رُمي بالتشيع» (٧٦).

ج- وقد يرجع سبب رد هذا التفسير من قبل المصنفين في الصحيح إلى تجريح بعض الأئمة لأبي جعفر الرازي.

فقد قال فيه أحمد بن حنبل: «ليس بقوي في الحديث» (٧٧).

وقال ابن حبان البستي في ترجمة الربيع بن أنس: «وكل ما في أخباره من المناكير إنما هي من جهة أبي جعفر الرازي» (٧٨).

المبحث الثالث

شيوخ مدرسة المدينة من طبقة التابعين

الطبقة الثانية من أعلام مدرسة المدينة خلال القرن الأول جل رجالها من تلاميذ أبي * ، سواء الذين رووا عنه سماعاً، أم من كانت روايته مرسلة، ويمكننا أن نميز في هذه الطبقة بين جيلين:

كبار التابعين الذين تحملوا مرويات أبي الطفيل سماعاً.

وصغار التابعين الذين جاؤوا بعد وفاته فأخذوا عن تلاميذه وغيرهم.

المطلب الأول: أعلام مدرسة المدينة من كبار التابعين

فضلاً عن أبي العالية - الذي سبق الكلام عنه - فإن أشهر التابعين الذين سمعوا من أبي * :

١- ابنه محمد بن أبي الأنصاري المدني أبو معاذ، وردت مروياته عند الإمام أحمد وفي كتب التفسير التي أخذت عن المسند^(٧٩).

٢- عبدالله بن رباح المدني الأنصاري المتوفى في حدود ٩٠هـ^(٨٠).

٣- أبوسعيد مولى عامر بن كُرَيْز، قال ابن عبد البر: «وهو تابعي معدود في أهل المدينة، لا يوقف له على اسم»^(٨١)، وقد سمع من أبي سعيد - هذا - مالك بن العلاء شيخ الإمام مالك بن أنس^(٨٢).

٤- مسروق بن عبد الرحمن الهمداني ت ٦٢هـ^(٨٣).

(أما التابعون الذين أرسلوا عن أبي بن كعب - * - فمنهم):

٥- عمرو بن سالم أبو عثمان المدني الأنصاري «رأى ابن عباس وابن عمرو وأرسل على أبي بن كعب»...^(٨٤).

٦- أبو عبدالله مكحول المتوفى بدمشق ١١٢هـ^(٨٥)...

المطلب الثاني: أعلام مدرسة التفسير بالمدينة من صغار التابعين

اشتهر إلى جانب الأعلام السابقين مجموعة من صغار التابعين عرف عنهم علمهم بتفسير القرآن، وكان لهم أثر في مدرسة المدينة آخر القرن الأول للهجرة، وأبرزهم:

١- محمد بن كعب بن سليم القرظي، أبو حمزة المدني ت ١٠٨هـ^(٨٦)، أحد مشاهير علماء التابعين بالمدينة^(٨٧)، قال عنه العجلي: «مدني تابعي ثقة... عالم بالقرآن»^(٨٨)؛ وقد جمع ابن كثير في «البداية والنهاية» جملة من الآثار الشاهدة لعلمه بالتفسير وحفظه^(٨٩).

قال ابن حجر في ترجمته:

«... روى عن العباس بن عبدالمطلب وعلي بن أبي طالب وابن مسعود وعمر بن العاص وأبي ذر وأبي الدرداء، يقال إن الجميع مرسل .
وعن فضالة بن عبيد والمغيرة بن شعبة ومعاوية وكعب بن عجرة وأبي هريرة وزيد بن أرقم وابن عباس وابن عمر وعبدالله بن يزيد الخطمي، وعبدالله بن جعفر بن أبي طالب والبراء وجابر وأنس وغيرهم .» (٩٠).
وقد ذكر د. محمد فؤاد سزكين في "تاريخ التراث العربي" التابعي محمد بن كعب القرظي مع الذين كتبوا التفسير في عصر بني أمية (٩١).
٢- يزيد بن القعقاع مولى عبدالله بن عياش بن أبي ربيعة المشهور بأبي جعفر القارئ، وقد ترجم له ابن حبان البستي مع مشاهير التابعين بالمدينة، وذكر أنه «من كان قد عني بعلم القرآن مع النسك والورع مات سنة ١٣٣هـ» (٩٢).
٣- زيد بن أسلم العدوي أبو عبدالله المدني مولى عمر بن الخطاب (٩٣) المتوفى عام ١٣٩هـ (٩٤).

قال ابن عبدالبر النمري:

«كان أسلم من جلة الموالى علماً وديناً وثقة .
وزيد بن أسلم أحد ثقات أهل المدينة، كان من العلماء العباد الفضلاء، وزعموا أنه كان أعلم أهل المدينة بتأويل القرآن بعد محمد بن كعب القرظي» (٩٥).
وفي "طبقات المفسرين" للداودي:
«يروي عن مولاه عبدالله بن عمر وسلمة بن الأكوع وجابر بن عبدالله وأنس بن مالك وعطاء بن يسار وعلي بن الحسين وعلة...؛ وعنه مالك وهشام بن سعد والسفيان...، وكانت له حلقة للعلم في مسجد النبي ﷺ» (٩٦).
قال عنه يعقوب بن شيبة "ثقة من أهل الفقه والعلم، وكان عالماً بتفسير القرآن» (٩٧).
وقال الذهبي:

«قلت: ولزيد تفسير يرويه عنه ولده عبدالرحمن وكان من العلماء الأبرار» (٩٨).
وعبدالرحمن بن زيد ت ١٨٢ هـ (٩٩) هو ناقل هذا التفسير الذي دَوَّن منه عدد من علماء القرن الثاني تفاسيرهم، وقد اشتهر تفسير التابعي زيد بن أسلم بمصر بعد أن نقله إليها عبدالرحمن بن وهب عن عبدالرحمن بن زيد عن أبيه . . .

ثانياً: مدرسة التفسير بالمدينة المنورة: أسباب شهرتها وخصائصها
كانت المدينة المنورة هي الوسط الذي اختارته الحكمة الإلهية ليكون موطن الشرع ودار الإسلام الأولى، اعتباراً لذلك كانت بيئة هذا البلد هي المهد الذي احتضن أحكام الإسلام، قبل أن تنطلق منه لتنتشر في ربوع العالم.
وقد اجتمعت في ذلك الوسط عدة عوامل كان لها أثر بارز في شهرة هذه المدرسة، وفي شهرة أعلامها من مفسري الصدر الأول.
كما امتازت هذه المدرسة بعدة خصائص جعلت لها مكانة في تاريخ تفسير القرآن.

المبحث الأول

أسباب شهرة مدرسة المدينة

درج العديد من مؤرخي التفسير ودارسيه قديماً وحديثاً على اعتبار مدرسة التفسير بمكة التي كان شيخها عبدالله بن عباس - % هي أهم وأشهر مدارس تفسير القرآن خلال القرن الأول، والحق أن مدرسة المدينة هي أقدم المدارس وأكثرها أعلاماً، إذ هي التي جمعت علم السابقين من المهاجرين والأنصار، ولم تكن مدرسة مكة ولا مدارس التفسير غيرها إلا روافد تفرعت من دار العلم الأولى التي هي المدينة.

ويمكن إجمال أهم الأسباب التي أدت إلى ظهور ثم اشتها هذه المدرسة في الآتي:
أولاً: استقراره عليه الصلاة والسلام بالمدينة، ونزول الكثير من أحكام الإسلام بين أهلها.

ثانياً: ارتباط المدينة بكونها دار هجرة واستيطان غالبية الصدر الأول فيها.
ثالثاً: اعتبار المدينة من قبل المسلمين "دار علم".

المطلب الأول: استقراره ﷺ بالمدينة المنورة

قضت حكمة الله تعالى أن يهاجر النبي عليه الصلاة والسلام والصحابة الأوائل - من مكة إلى المدينة حيث أظهر الله دينه . . ، وكانت هجرته إيذاناً بيلاد أرض الإسلام الأولى .

فاستقر عليه الصلاة والسلام بالمدينة مبلغاً عن ربه مكماً للناس دينهم، وكان أكثر ما نزل من القرآن بالمدينة يعرض للتشريع، وقد جاء أسلوب القرآن في خطابه للناس مجملاً وعماماً ومطلقاً وغير ذلك، ومعرفة ما يلزم المكلف تتوقف على البيان بتفصيل للمجمل، وتخصيص العام وتقييد المطلق وتعيين الناسخ والمنسوخ . . ، فكان عليه الصلاة والسلام يفسر لصحابته ما أنزل إليهم بسنته الجامعة .

وكان تفسيره - ﷺ - لأحكام القرآن في بيئته المدينة عاملاً ممهداً لظهور مدرسة التفسير بموطن الهجرة . . ، حيث إن الرويات المتصلة بهذا العلم اشتهرت في هذه البيئته، وتناقلها ورواها الأنصار والمهاجرون ومن سكن بينهم .

المطلب الثاني: ارتباط المدينة المنورة بكونها دار هجرة

وهذا أحد عوامل شهرة مدرسة التفسير بالمدينة المنورة، فقد سكنها أوائل الصحب الذين جاؤوا مهاجرين من مكة، فأخى النبي - ﷺ - بينهم وبين أهلها من الأنصار، وبحكم كونها دار الإسلام الأولى فقد لزمته الهجرة إليها بالنسبة للصحابة قبل عام الفتح .

وبعد وفاته عليه الصلاة والسلام، ظل فيها جمهور الصحب - - لفضل الهجرة، وعقب تولي الفاروق - * - الخلافة حرص على استبقائهم معه، لفضل إخلاصهم لدينهم ولغزير علمهم^(١٠٠)، وبعد عصر الخلافة الراشدة ظل

عامة السابقين في الإسلام بالمدينة، فكانت بيئة هذا البلد على عهد الصحابة ثم التابعين من تلاميذهم بيئة نموذجية علماً وعملاً.

وكان ماسمع منه - ﷺ - في فضل المدينة وسكانها حافظاً أبقى جمهور المهاجرين والأنصار يرغبون عن غيرها إلا من خرج منهم مجاهداً أو والياً أو معلماً، فاجتمع بذلك في دار الهجرة مالم يجتمع غيرها من فقهاء وعلماء الصدر الأول من السلف الصالح.

ففي جامع الإمام مسلم عن سفيان بن أبي زهير، قال: قال رسول الله ﷺ «يفتح الشام فيخرج من المدينة قوم بأهليهم ييسون، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون. ثم يفتح اليمن فيخرج من المدينة قوم بأهليهم ييسون والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون. ثم يفتح العراق فيخرج من المدينة قوم بأهليهم ييسون والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون»^(١٠١).

وأخرج الإمام مسلم في "فضل المدينة" أيضاً عن عامر بن سعد عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ «... المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، لا يدعها أحد، رغبة عنها إلا أبدل الله فيها من هو خير منه»^(١٠٢).

وقدّر الله سبحانه ماضٍ - إلى يوم القيامة - كما أخبر بذلك المعصوم ﷺ، فلم تخل المدينة المنورة على عهد الصدر الأول من أهل العلم والفضل، بل ظلت موطن جلة السلف ومارحل عنها أحد إلا عوضه الله بأفضل منه.

وبقيت دار الهجرة - بسبب ذلك - موطن الشرع، وظل ساكنوها أعلم الناس بهدي النبوة، وحرص أهلها من الصحابة والتابعين وتابعيهم على هذا الميراث الذي خصهم الله به، لسابق نصرة الأوس والخرج لنبه دون سائر قبائل العرب؛ وظل فيهم هذا الميراث - دون غيرهم - طيلة عصر السلف الصالح. سئل شيخ الإسلام ابن تيمية ت ٧٢٨هـ عن "صحّة مذهب أهل المدينة" من الصدر الأول فقال رحمه الله:

«... مذهب أهل المدينة النبوية - دار السنة ودار الهجرة ودار النصرة إذ فيها سن الله لرسوله محمد - ﷺ - سن الإسلام وشرائعه، وإليها هاجر المهاجرون

إلى الله ورسوله، وبها كان الانتصار (الذين تيوأوا الدار والإيمان من قبلهم) (١٠٣) -
مذهبهم في زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم أصبح مذاهب أهل المذاهب الإسلامية
شرقاً وغرباً في الأصول والفروع» (١٠٤).

المطلب الثالث: اعتبار المدينة المنورة - من قبل المسلمين - دار علم

كانت دار الهجرة على عهد السلف الصالح من الصحابة والتابعين موطن العلم
الشرعي - ومستوطن جلة فقهاء الأمة وخيرة رجالها.

أخرج الإمام البخاري في الجامع الصحيح عن ابن عباس أنه رفع إلى عمر بن
الخطاب * في آخر حجة حجها كلام رجل من المسلمين في بيعة أبي بكر وعمر
٪، فغضب عمر وأراد أن يقوم خطيباً في الناس . فَصَرَفَهُ عَنْ ذَلِكَ عبدالرحمن
بن عوف حتى يقدم المدينة . . .

«قال عبدالرحمن: فقلت يا أمير المؤمنين لاتفضل، فإن الموسم يجمع رعا
الناس وغوغاءهم، فإنهم هم الذين يغلبون على قريك حين تقوم في الناس، وأنا
أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطيرها عنك كل مطير، وأن لايعوها وأن لا يضعهوها
على مواضعها، فأمهل حتى تقدم المدينة فإنها دار الهجرة والسنة، فتخلص بأهل
الفقه وأشراف الناس، فتقول ماقلت متمكناً، فيعي أهل العلم مقاتلتك . ويضعوها
على مواضعها.

فقال عمر: أما والله - إن شاء الله - لأقومن بذلك أول مقام أقومه
بالمدينة . . » (١٠٥).

ورغم انقضاء القرن الأول الذي عاش فيه جمهور الصدر الأول، احتفظت دار
الهجرة بهذه المكانة العلمية، فكان الأئمة والعلماء يرون لأهل المدينة من السلف
فضلاً في العلم والفقه .

ففي رسالة الإمام مالك ت ١٧٩ هـ إلى الليث بن سعد فقيه مصر وإمامها:

« . . فإنما الناس تبع لأهل المدينة إليها كانت الهجرة وبها نزل القرآن وأحل الحلال وحرم الحرام ، إذ رسول الله ﷺ بين أظهرهم يَحْضُرُونَ الوحي والتزيل ، يأمرهم فيطيعون ، ويسن لهم فيتبعون ، حتى توفاه الله » (١٠٦) .
وفي جواب الليث بن سعد رحمه الله :

« . . وإن الناس تبع لأهل المدينة التي إليها كانت الهجرة وبها نزل القرآن ، وقد أصبت بالذي كتبت به من ذلك إن شاء الله تعالى ، ووقع مني بالموقع الذي تحب ، وما أجد أحداً ينسب إليه العلم أكره لشواذ الفتيا ولا أشد تفضيلاً لعلماء أهل المدينة الذين مضوا ولا أخذاً لفتياهم فيما اتفقوا عليه مني ، والحمد لله رب العالمين لا شريك له ، وأما ما ذكرت من مقام رسول الله ﷺ بالمدينة ونزول القرآن بها عليه بين ظهري أصحابه وما علمهم الله منه وأن الناس صاروا به تبعاً لهم فيه فكما ذكرت . . » (١٠٧) .

وقد شهد بهذه المكانة العلمية للمدينة أولو الأمر من الخلفاء ؛ فبعد نقل الخلافة إلى العراق وتولى أبي جعفر المنصور للحكم ؛ رأى لأهل المدينة النبوية فضلاً في العلم - على سائر المدائن - « فطلب أبو جعفر علماء الحجاز أن يذهبوا إلى العراق ، وينشروا العلم فيه ، فقدم عليهم هشام بن عروة ومحمد بن إسحاق ويحيى بن سعيد الأنصاري وربيع بن أبي عبد الرحمن وحنظلة بن أبي سفيان الجمحي وعبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون وغير هؤلاء . . » (١٠٨) .

وذكر القاضي عياض في " ترتيب المدارك " أن أبا نعيم سأل مالكا عن شيء ؛ فقال له مالك : « إن أردت العلم فأقم - يعني بالمدينة - فإِنَّ القرآن لم ينزل على القُرأت » (١٠٩) .

وتبعاً لاعتبار المدينة - على عهد الصدر الأول - دار علم فإن سائر أمصار المسلمين - غير الكوفة - كانوا منقادين لعلم أهل المدينة لا يعدون أنفسهم أكفاءهم في العلم كأهل الشام ومصر . . (١١٠) .

المبحث الثاني

خصائص مدرسة التفسير بالمدينة المنورة

انطبعت مدرسة التفسير بالمدينة بخصائص انفردت بها عن سائر المدارس التي شهدها القرن الأول الهجري .

وكانت هذه الخصائص نابعة بالأساس مما امتازت به المدينة المنورة ، حيث إنها أوت الرسول - ﷺ - بعد هجرته ، وعاش فيها أعلام صحابته الذين نقلوا هديهُ لمن جاء بعدهم .

ويمكن لإجمال خصائص هذه المدرسة في ثلاثة أمور رئيسة :

الخاصية الأولى : كونها مدرسة نبوة .

الخاصية الثانية : اعتمادها على الأثر وترجيحه على الأخذ بالرأي .

الخاصية الثالثة : كونها مدرسة رواية .

وسيتم التعرض لهذه الخصائص في ثلاثة مطالب .

المطلب الأول : مدرسة التفسير بالمدينة هي مدرسة نبوة

فقد توارث أهلها من الصدر الأول هدي الرسول ﷺ ، وحكموه في جميع أمور حياتهم ، حتى أضحى " القول بالرأي " في شيء من العلم بالنسبة لهم إنما يعني ترجيح ماكان عليه الصحابة الذين أدركوا الوحي .

وكان المتقدمون من علماء المدينة حينما يتكلمون في العلم برأيهم إنما يقصدون " بالرأي " ما أدركوا عليه أسلافهم من علماء التابعين والصحابة حتى عصر النبوة .

سئل الإمام مالك ١٧٩هـ عما تضمنه الموطأ من استنباطات فقال :

« . . . أما أكثر ما في الكتاب برأيي ، فلعمري ما هو برأيي ؛ ولكن سماع من غير واحد من أهل العلم والفضل والأئمة المهتدى بهم الذين أخذت عنهم ، وهم الذين كانوا يتقون الله تعالى ، فكثرت علي ، فقلت رأيي ، وذلك رأيي إذ كان رأيهم رأيي

الصحابه الذين أدركوهم عليه ، وأدركتهم أنا على ذلك ، فهذا وراثه ، توارثوها قرنا عن قرن إلى زماننا» (١١١) .

وفي نفس المعنى قال سعدون الوجيهي نظماً :

«أقول لمن يروي الحديث ويكتب

ويسلك سبل العلم فيه ويطلب

إن أحببت أن تدعى لدى الحق عالماً

فلا تعد ما يحوى من العلم يشرب» (١١٢)

أتترك داراً كان بين بيوتها

يروح ويفقدو جبرئيل المقرب

ومات رسول الله فيها ويعدده

بسنته أصحابه قد تأدبوا» (١١٣)

وقد كان لاختصاص دار الهجرة به -عليه الصلاة والسلام- أثر في استمرار إشعاعها الرسالي حتى بعد وفاته ﷺ ، فقد كان الصحابة والذين خلفوا من بعدهم من هذه الأمة يرون المدينة دار نبوة ويرون أهلها من الصدر الأول وارثي هدي النبوة . . .

فعلى عهد الصحابة - رضوان الله عليهم - كان ابن مسعود ت ٣٢هـ يسأل عن شيء فيقول فيه ، ثم يقدم المدينة ، فيسأل فيجد الأمر على خلاف ما قال ؛ فإذا رجع لم يحط رحله ولم يدخل بيته حتى يرجع إلى ذلك الرجل فيخبره بذلك» (١١٤) . وبعد انصرام القرن الأول كان الأئمة للمجتهدون يرون في علم السلف من أهل المدينة ميراث نبوة .

قال الإمام مالك في رسالته إلى الإمام الليث بن سعد :

«... فإذا كان الأمر بالمدينة ظاهراً معمولاً به لم أرَ لأحد خلافه للذي في أيديهم من تلك الوراثة التي لا يجوز لأحد انتحالها ولا ادعاؤها»^(١١٥).
 «... ولهذا لم يذهب أحد من علماء المسلمين إلى أن إجماع أهل مدينة من المدائن حجة يجب اتباعها غير المدينة، لافي تلك الأعصار ولا فيما بعدها، ولا إجماع أهل مكة، ولا الشام والعراق ولا غير ذلك من أمصار المسلمين»^(١١٦).

المطلب الثاني: مدرسة المدينة مدرسة أثر

فقد اتجه مشاهير فقهاء دار الهجرة وأعلام المفسرين فيها إلى الاعتناء بالأثر وترك مجرد التعويل على الرأي، وكان لتوجههم إلى الأثر انعكاس على استنباطاتهم. الفقيه وعلى منهجهم في تفسير القرآن وتبني أحكامه. أخرج الطبري بسنده إلى عبيد الله بن عمر - * - قال: «لقد أدركت فقهاء المدينة وإنهم يعظمون القول في التفسير منهم سالم بن عبد الله والقاسم بن محمد وسعيد بن المسيب ونافع»^(١١٧).
 وأخرج أبو عبيد عن هشام بن عروة قال: «ما سمعت أبي يتأول آية من كتاب الله قط»^(١١٨).

وأخرج ابن أبي شيبة عن عمرو بن مرة قال: «سأل رجل سعيد بن المسيب عن آية من القرآن؛ فقال: لا تسألني عن القرآن، وسل عنه من يزعم أنه لا يخفي عليه منه شيء - يعني عكرمة»^(١١٩)...

ولاعتني هذه الأقوال الماثورة عن مشاهير التابعين بالمدينة النبوية أنهم يحرمون التفسير أو يتمرجعون منه، بل أقوالهم تدل على احتياطهم ثم حرصهم على تفسير القرآن بما بلغهم من سنة المصطفى ﷺ، فهم حين يعظمون القول في كتاب الله، إنما يعظمون الكلام فيه من غير نقل أو دليل لاشاهد له من كتاب وسنة^(١٢٠).

وكان من نتيجة تمسك علماء المدينة بالأثر وترك تعويلهم على الرأي الذي لا يرجع إلى نص من الوحي أن انعكس في بيئتهم أهل الأهواء الذين استغلوا

بيئة الرأي بالعراق وغيرها من المداخن، وكان أهل الرأي المذموم مقموعين إذا اظهروا بدعهم بالمدينة، والقليل منهم ممن استوطنها زمناً ظل مستخفياً مقهوراً^(١٢١).

قال ابن تيمية في وصف أقليات أهل الأهواء من دعاة الرأي بالمدينة المنورة زمن السلف الصالح من الصحابة والتابعين.

«... وأما المدينة النبوية فكانت سليمة من ظهور هذه البدع، وإن كان بها من هو مضمهر لذلك فكان عندهم مهاناً مذموماً، إذ كان بها قوم من القدرية وغيرهم، لكن كانوا مذمومين مقهورين، بخلاف التشيع والإرجاء بالكوفة والاعتزال وبدع النساك بالبصرة والنصب بالشام فإنه كان ظاهراً»^(١٢٢).

المطلب الثالث: مدرسة المدينة مدرسة رواية

تصدى الصدر الأول من أهل مدينة الرسول عليه السلام لرواية الحديث فاهتموا بحمله وأدائه، وتناقلوه جيلاً بعد جيل سواء تعلق الأمر بأحاديث التفسير أو الأحكام أو السير...

ولما اتجهت الهمة إلى تدوين الحديث النبوي على عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز آخر القرن الأول الهجري كانت مرويات أهل المدينة أصبح الأحاديث، فابتدأ الخليفة بتدوين السنن التي تناقلها أهل دار الهجرة، وكان ابن عبدالعزيز يعلم عنايتهم وضبطهم خاصة وقد ساكنهم أرض الرسالة أيام كان والياً على الحجاز. أخرج الخطيب البغدادي بسنده إلى عبدالله بن دينار أن عمر بن عبدالعزيز كتب إلى أبي بكر بن حزم - عامله على المدينة -: «انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ أو سنة أو حديث عمرة فاكتبه، فإنني قد خشيت دروس العلم وذهاب العلماء»^(١٢٣).

وأخرج ابن عبدالبر بسنده عن ابن وهب قال: سمعت مالكا يقول «كان عمر بن عبدالعزيز يكتب إلى الأمصار يعلمهم السنن والفقه، ويكتب إلى المدينة يسألهم عما مضى وأن يعملوا بما عندهم»^(١٢٤).

لقد كانت مدرسة المدينة المنورة مدرسة رواية ومدرسة حديث، ولم تبلغ أي من مدائن الإسلام مكائنها خصيصاً من الله لئلا جعل هجرة رسوله إليها، واختارها مهبطاً للوحي وداراً لنصرة دينه.

وكان من استقراره - عليه السلام - بين أهلها مبلغاً عن ربه مبيّناً لكتابه تعالى أن انتشرت في بيئتها سنته وحملها ورواها من سكن المدينة من صحابته، فعُرقت دار الهجرة بين الأئمة والعلماء - خاصة بعد انتهاء القرن الأول - بأنها دار حديث ودار إسناد ودار رواية . . .

روي عن سفيان بن عيينة أنه قال: «من أراد الإسناد والحديث المعروف الذي تسكن إليه القلوب فعليه بحديث أهل المدينة» (١٢٥).

وقال ابن تيمية في نفس الموضوع:
«إن العلم: إما رواية وإما رأي».

وأهل المدينة أصبح أهل المدن رواية ورأيًا؛ فأما حديثهم فأصبح الأحاديث، وقد اتفق أهل العلم بالحديث على أن أصبح الأحاديث أحاديث أهل المدينة» (١٢٦).

وإذا كان تفسير القرآن منذ عصر الصحابة قد درج في اتجاهين وسلك به المفسرون سبيلين، ففسر القرآن بالمنقول كما فسر بالرأي، فإن أعلام مدرسة التفسير بدار الهجرة استندوا في فهمهم للقرآن على المنقول عنه ﷺ الذي كانت تزخر به بيئتهم، فكان تفسير الصدر الأول منهم - كما نقل عنهم ذلك في كتب الحديث والآثار - تفسيراً بالرواية بالدرجة الأولى خلافاً لذلك نجد مدارس التفسير الأخرى بمختلف الأمصار - لبعد الناس عن دار السنة - اعتمدت المنقول الذي بلغها كما أعملت الرأي، وفي مدرسة التفسير بمكة - الأقرب إلى المدينة - نجد ابن عباس شيخ المدرسة بفسر القرآن بالمأثور كما يرجع إلى الرأي اعتماداً على مطلق اللغة أو مقتضي معنى الكلام، واشتهر عنه في هذا المجال الرجوع إلى الشعر والاستفادة منه في معرفة الغريب من ألفاظ التنزيل (١٢٧).

وببقى أن أخص ماميز مدرسة التفسير بدار الهجرة - فضلاً عن الخصائص السالفة - حرص أعلامها من مفسري الصحابة ثم الذين خلّفوا من بعدهم على التوقف في التفسير عند ما لا يتعلق به عمل .

أخرج ابن جرير الطبري عن محمد بن سيرين قال :
«جاء رجل إلى عمر فسأله عن آية فكره ذلك وضربه بالدرة . فسأله آخر عن هذه الآية ﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً﴾^(١٢٨) ، فقال عن مثل هذا فاسألوا»^(١٢٩) .

فقد كان من منهج مفسري دار الهجرة أن علم التفسير مطلوب فيما يتوقف عليه فهم المراد من الخطاب ، فإذا كان المراد معلوماً فالزيادة على ذلك تكلف^(١٣٠) .
أخرج الطبري في "بيان ما كان يعده الصحابة تكلفاً" عن أنس بن مالك -
* - قال : قرأ عمر بن الخطاب - * - ﴿عبس وتولى﴾ ، فلما أتى على هذه الآية ﴿وفاكهة وأبا﴾^(١٣١) .

قال : «قد عرفنا الفاكهة فما الأب؟ قال : لعمر ك يابن الخطاب إن هذا لهو التكلف»^(١٣٢) .

فقد كان يدين أعلام مفسري دار الهجرة التوقف عند ما لا يتعلق به عمل ، معرضين عما لا يفيد عملاً مكلفاً به^(١٣٣) .
قال الشاطبي - رحمه الله - (ت ٧٩٠) في تعليقه على حادثة السؤال عن "الأب" :

«... ويتبين ذلك في مسألة عمر ، وذلك أنه لما قرأ ﴿وفاكهة وأبا﴾ توقف في معنى الأب ، وهو معنى إفرادي لا يقدح عدم العلم به في علم المعنى التركيبي للآية ، إذ هو مفهوم من حيث أخبر الله في شأن طعام الإنسان أنه أنزل من السماء ماء فأخرج به أصنافاً كثيرة مما هو من طعام الإنسان مباشرة . . . ، ومما هو من طعامه بواسطة . . . فبقي التفصيل في كل فرد من تلك الأفراد فضلاً ، فلا على الإنسان أن لا يعرفه ؛ فمن هذا الوجه - والله أعلم - عمد البحث عن معنى الأب من

التكلف . . . ولما كان السؤال في محافل الناس عن معنى ﴿والنازعات غرقا . . . والسابحات سبحا﴾^(١٣٤) مما يشوش على العامة من غير بناء عمل عليه، أدب عمر صبيغاً بما هو مشهور^(١٣٥).

ثالثاً: مكانة مدرسة المدينة وأثرها في علم التفسير

لا ريب أن هذه المدرسة اختصت بمكانة فريدة بين سائر مدارس التفسير في القرن الأول، وارتبطت هذه المكانة بالدور الذي كان للمدينة المنورة على عهد الصدر الأول باعتبارها مأخذ العلم الشرعي.

وقد تبوأ هذه المرتبة بالنسبة لتقدمي هذه الأمة والمتأخرين من علمائها بفضل مايسره الله تعالى لمشاهير المفسرين والمحدثين والفقهاء من السلف الذين استوطنوا دار الهجرة؛ حيث كان هؤلاء الأئمة أعلام هدى اقتدى بهم من خلف من بعدهم، وأخذ عنهم من أقام بينهم من أهل المدائن الأخرى.

وعما لاشك فيه أيضاً أنه كان للمدرسة التفسير بالمدينة النبوية أثر في توجيه علم تفسير القرآن خلال القرون التالية لعصر السلف، ظهر ذلك الأثر من خلال ماأخرجه أصحاب الجوامع الحديثية عن أئمة العلم من أهل المدينة، كما ظهر أيضاً من خلال ماتضمنته أمهات التفاسير عن هؤلاء المتقدمين.

المبحث الأول

مكانة مدرسة المدينة بين مختلف المدارس الأخرى

شهد القرن الأول - كما سلف - ظهور عدد من مدارس التفسير ارتبطت كل واحدة منها ببعض مفسري الصحابة، واشتهرت مدرسة الكوفة ومدرسة مكة ثم مدرسة الشام فمدرسة مصر . . . ورغم تعدد هذه المدارس، فقد كانت مدرسة التفسير بالمدينة المنورة أم المدارس. ظهرت هذه الميزة من خلال:

- ١- كون مدرسة المدينة -- تاريخياً - أصل المدارس جميعها .
- ٢- وأيضاً لخروج أحاديث التفسير منها .
- ٣- وأخيراً لأسبقيتها الزمنية .

المطلب الأول: مكانة هذه المدرسة باعتبارها أصل مدارس التفسير

يبدو ذلك جلياً إذا نظرنا إلى تاريخ نشأتها، فمؤسس مدرسة المدينة الأول والفعلية هو الرسول - ﷺ - الذي تولى بيان القرآن لطبقة الصحابة الكرام ويعد عصر النبوة تعلم الصحابة من بعضهم قبل أن ينفرد أعلام مفسريهم بمدارس نسبت إليهم فيما بعد؛ فابن مسعود * خرج إلى الكوفة في خلافة الفاروق *، وكان يتردد على المدينة ويسأل عما خفي عنه من تفسير القرآن حتى توفي بها سنة ٣٢هـ؛ وكان الفاروق قد أرسله إلى الكوفة معلماً ووالياً لبيت المال فاجتمع حوله طائفة من التابعين... (١٣٦).

أما علي بن أبي طالب - * - الذي أخذ عنه أهل الكوفة أيضاً، فقد كان أحد أعلام مفسري مدرسة المدينة قبل أن يلتحق بالعراق.

أما حَبْرُ الأمة عبدالله بن العباس شيخ مدرسة التفسير بمكة، فقد كان يتوسد رداءه على أبواب كبار الصحابة طلباً للحديث بعد وفاته عليه الصلاة والسلام، وروي عنه - * - (وجدت عامة علم رسول الله - ﷺ - عند هذا الحبي من الأنصار، وإن كنت لأقيل بباب أحدهم...) وفي رواية أخرى عنه - * - قال: (كنت أزم الأكارب من أصحاب رسول الله - ﷺ - من المهاجرين والأنصار فأسألهم عن مغازي رسول الله - ﷺ، وما نزل من القرآن في ذلك...، فجعلت أسأل أبي بن كعب يوماً - وكان من الراسخين في العلم - عما نزل من القرآن بالمدينة... (١٣٧).

وكان شأن شيوخ مدرسة الشام ومدرسة مصر كذلك، فقد كان عبدالله بن عمرو وعقبة بن عامر - % - من صغار الصحابة الذين أخذوا العلم بالمدينة ونقلوه إلى مصر؛ وكان معاذ بن جبل وأبو الدرداء وغيرهما من كبار الصحب

الذين انتقلوا من المدينة إلى الشام وتوفوا هناك فحلف كل واحد منهم طائفة من التابعين ممن حملوا علم التفسير . . .

نخلص مما سبق إلى أن مدرسة التفسير بالمدينة المنورة هي أصل جميع المدارس التي ظهرت في المذاهب والحواضر الإسلامية، وقد كانت هذه المدرسة بحق هي المشكاة التي صدر منها علم التفسير ثم انتشر في مختلف البقاع الإسلامية.

المطلب الثاني: خروج أحاديث التفسير من المدينة النبوية

كانت دار الهجرة هي البقعة الأولى التي شهدت التطبيق العملي لمختلف الأحكام التي جاء بها القرآن، ومن هذه البقعة المشرفة خرجت أحكام الإسلام للناس كافة، وخرجت العلوم الشرعية كذلك.

فمن المدينة النبوية خرج علم التفسير وعلوم السنة وخرج الفقه، وبها كان الرعيل الأول من هذه الأمة الذين أوثمنوا على هدي الرسول وميراث النبوة...

وحين نرجع إلى هذا الرعيّل الأول الذي شكله جيل الصحابة - نجد منهم من آثر دار الهجرة عما سواها من المداين، فاستوطنها حتى توفي بها تاركاً ماحفظه من العلم في صدور أهل المدينة من التابعين، أو حملّه من رحلٍ من مختلف الأمصار لطلب الحديث بمدينة الرسول عليه الصلاة والسلام ، ومن سكن دار الهجرة وتوفي بها من علماء الصحابة أبو بكر بن أبي قحافة وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وجابر بن عبدالله وأبي بن كعب وأبوسعيد الخدري وأبوهريرة وعبدالله بن عمر بن الخطاب^(١٣٨) وأبوحميد الساعدي وسلمة بن الأكوع والحسن بن علي بن أبي طالب وغيرهم من صحابة النبي - عليه الصلاة والسلام - الذين روا عنه أحاديث التفسير .

وتفرق علم هؤلاء في الأمصار حين خرج تلاميذهم من طبقة التابعين إلى بلدانهم أو إلى تعليم الناس بالنسبة لمن كان منهم من أهل المدينة، فأخرجوا معهم مختلف أحاديث التفسير التي سمعوها بدار الهجرة ورووها حيث استقروا في مختلف المدائن الإسلامية ..

والى جانب الذين آثروا جوار النبي - عليه السلام - بمدينته، وجدت طائفة أخرى من كبار الصحب ممن خرجوا من دار الهجرة بعد وفاته - ﷺ - ليكونوا ولاية على الأمصار المفتوحة ومُجاهدين وقضاة ومعلمين وأمناء . . . خاصة على عهد الخلافة الراشدة، فاستقر هؤلاء بمختلف بقاع دولة الإسلام وحملوا معهم إليها مختلف ماسمعه في تفسير القرآن من النبي ﷺ، حيث سمعه منهم من جلس إليهم من التابعين، ومن مشاهير مفسري الصحابة الذين استقروا خارج المدينة المنورة عبدالله بن مسعود^(١٣٩) ومعاذ بن جبل وعلي بن أبي طالب^(١٤١) وأبو الدرداء وعبدالله بن عمرو وأنس بن مالك^(١٤١) وعقبة بن عامر وأبوموسى الأشعري وعمار بن ياسر وأبو جحيفة السوائي، وحذيفة بن اليمان . . . وغيرهم من الصحابة - - - الذين استقروا خارج المدينة ونقلوا مروياتهم في التفسير إلى التابعين في مختلف المدائن والأمصار.

فكان خروج أحاديث التفسير من المدينة المنورة إما عن طريق التابعين الذين حملوا مروياتهم عن شيوخ التفسير بدار الهجرة فأدوها في البلدان التي انتقلوا إليها أو وفدوا منها.

وإما عن الطريق الثاني الذي خرجت منه أحاديث التفسير وهو طريق مشاهير مفسري الصحابة الذين خرجوا مع الفتح الإسلامي على عهد الخلافة الراشدة . وتبقى الإشارة إلى أن أحاديث التفسير التي تناقلها أهل المدينة طبقة عن طبقة طيلة عصر السلف الصالح هي أصح أحاديث التفسير المسندة، وقد تضمن كتاب التفسير من جامع الإمام مسلم جملة صالحة منها.

المطلب الثالث: أسبقية مدرسة التفسير بالمدينة زمنياً

نمايرز جلياً مكانة هذه المدرسة أننا نجد أقدام مدارس التفسير خلال القرن الأول الهجري، كان مؤسسها هو صاحب الدعوة - ﷺ - كما سبق - وكان

شيوخها هم كبار الصحابة وأعلامهم من السابقين في الإسلام. وتظهر أسبقية مدرسة المدينة زمنياً بالنظر إلى المراحل التاريخية التي ظهر فيها غيرها من المدارس. فمدرسة التفسير بالعراق، إنما قامت على جهود عبدالله بن مسعود كماً سيّره عمر بن الخطاب إلى الكوفة، ثم على جهود علي بن أبي طالب *؛ ونحن نعلم من معطيات التاريخ أن مدرسة التفسير بالمدينة وجدت نواتها في عصر النبوة وقبل فتح العراق، بل إن الكوفة التي استقر فيها ابن مسعود لما ولي عليها عمار بن ياسر * إنما خططت سنة سبع عشرة هجرية، وجل من نزل فيها من جيوش الفتح الذين اجتمعوا بالمدائن^(١٤٢) فنخلص مما سبق إلى أن مدرسة التفسير بالعراق إنما هي وليدة العقد الثالث من القرن الأول الهجري.

أما مدرسة التفسير بمكة المكرمة، فقد تأخرت عن مدرسة العراق كثيراً، وكان شيخها حَبْرُ الأمة عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب - % - واحداً من تلاميذ مدرسة التفسير بالمدينة النبوية؛ روى عنه عكرمة موله «لما قبض رسول الله ﷺ قلت لرجل من الأنصار: هلم فلنسأل أصحاب رسول الله فيإنهم اليوم كثير...»^(١٤٣)؛ وظل ابن عباس - % - بالمدينة حتى آلت الخلافة إلى علي بن أبي طالب - * - فخرج معه إلى العراق، وشهد معه الجمل وصفين، واستنابه علي - * - على البصرة...؛ وهذه الأحداث التاريخية كلها تشهد على أن استقرار ابن عباس - % - بمكة كان بعد انتهاء عصر الخلافة الراشدة حيث آل الحكم إلى بني أمية، وهذا يعني أن مدرسة التفسير بمكة لم تظهر إلا في عصر الأمويين خاصة وأنه يبدو أن ابن عباس - % - اعتزل الحياة السياسية بعد مقتل ابن عمه علي بن أبي طالب - * - وتفرغ كلية للعلم وصادف ذلك تقدمه في العمر^(١٤٥). فكانت مدرسة مكة آخر مدرسة للتفسير تظهر على عهد الصحابة رضوان الله عليهم وقد أضحت فيما بعد أشهر المدارس^(١٤٦).

المبحث الثاني

موارد تفسير مدرسة المدينة

توزعت مرويات أعلام مدرسة المدينة بين مختلف مراجع التفسير، فطائفة منها أخرجها الإمامان البخاري ومسلم كما تضمنها مسند الإمام أحمد ومعاجم الطبراني وغيرها من كتب السنة المشرفة...، والكثير من هذه المرويات تناقلتها أمهات التفاسير واعتمد عليه المتقدمون والمتأخرون من المفسرين بالمأثور.

وليبيان أثر مدرسة المدينة في علم التفسير سيتم تقسيم هذا إلى مطلبين: الأول يعرض لمرويات هذه المدرسة في أمهات كتب الحديث النبوي الشريف.

والمطلب الثاني مخصص للكلام عن مرويات المدرسة في كتب التفسير والآثار.

المطلب الأول: مرويات أعلام مفسري مدرسة المدينة في كتب السنة النبوية تعتبر أحاديث التفسير المروية عن أهل المدينة أصح الأحاديث، وأهم كتب السنة المشرفة التي أخرجت فيها هذه الأحاديث:

١- الجامع الصحيح للإمام البخاري: وقد تضمن «كتاب التفسير» من الجامع الشيء الكثير من مرويات شيوخ الصحابة - من أهل المدينة^(١٤٧) وأكثر الصحابة حديثاً في كتاب التفسير ضمن جامع البخاري: عائشة بنت أبي بكر الصديق^(١٤٨) ثم عبدالله بن عمر بن الخطاب^(١٤٩) وأبو هريرة^(١٥٠) وأبوسعيد الخدري^(١٥١) وجابر بن عبدالله^(١٥٢) وأبي بن كعب^(١٥٣) وعمر بن الخطاب^(١٥٤) وعثمان بن عفان^(١٥٥) وأسامة بن زيد^(١٥٦) والحر بن قيس^(١٥٧) أجمعين.

٢- الجامع الصحيح للإمام مسلم^(١٥٨): مجموع أحاديث التفسير في جامع الإمام مسلم بالمكرر أربعة وثلاثون حديثاً وبحذف المكرر ثلاثة وعشرون حديثاً، وعدد الأحاديث المروية عن مفسري الصحابة بالمدينة اثنا عشر حديثاً، أخرج الإمام مسلم عن عائشة بنت أبي بكر خمسة أحاديث مرفوعة وثلاثة في حكم الموقوف،

وأخرج عن أبي هريرة حديثاً واحداً مسنداً، وعن جابر بن عبد الله حديثاً واحداً مرفوعاً، وعن عمر بن الخطاب مثل ذلك وعن عبد الله بن عمر حديثاً واحداً في حكم الموقوف.

٣- وفي جامع الإمام الترمذي - كتاب التفسير - ورد العديد من مرويات مشاهير الصحابة بالمدينة كعائشة بنت أبي بكر^(١٥٩) وأبي هريرة^(١٦٠) وعبد الله بن عمر^(١٦١) وجابر بن عبد الله^(١٦٢) وعمر بن الخطاب^(١٦٣) وكعب بن عجرة^(١٦٤) وأبو سعيد الخدري^(١٦٥) - أجمعين.

٤- أما مسند الإمام أحمد فقد تضمن الكثير من مرويات أعلام الصحابة بالمدينة كعبد الله بن عمر^(١٦٦) وعائشة^(١٦٧) وأبي هريرة^(١٦٨) وغيرهم كثير وقد سبقت الإشارة إلى نماذج من ذلك^(١٦٩).

٥- كما تضمن "المعجم الكبير" للطبراني أكثر مرويات أهل المدينة في التفسير، "والمعجم الكبير" بأجزائه أوسع كتب السنة وأكثرها تتبعاً لمختلف مرويات التفسير المنقولة عن مشاهير الصحابة بدار الهجرة^(١٧٠).

هذا وقد أخرجت هذه المرويات في كتب السنة النبوية الأخرى سواء تعلق الأمر بالجوامع الحديثية أو بالكتب المصنفة على الأسماء أو غيرها.

المطلب الثاني: مرويات أعلام مدرسة المدينة في كتب التفسير والآثار

أخرج المصنفون الأوائل في التفسير مختلف ما روي عن مفسري أهل المدينة من طبقة الصحابة والتابعين، ومن هؤلاء المصنفين من جمع أشهر مرويات هؤلاء كعبدالرزاق بن همام الحميري الصنعاني ت ٢١١هـ في تفسيره^(١٧١)، ومنهم من سعى إلى الاستيعاب كابن جرير الطبري ت ٣١٠هـ؛ وعبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي ت ٣٢٧هـ "تفسير القرآن العظيم مسنداً عن الرسول والصحابة والتابعين" وغيرهما من المصنفين الأوائل^(١٧٢).

وقد أخذ عن هذه الطبقة التي استوعبت المرويات العديد من المتأخرين كأبي عبد الله محمد بن النقيب ت ٦٩٨هـ في "التحرير والتحجير لأقوال أئمة التفسير"^(١٧٣)

وابن كثير الدمشقي ت ٧٧٤هـ في " تفسير القرآن العظيم ، وعبدالرحمن السيوطي ت ٩٦١هـ في " الدر المنثور في التفسير بالمأثور " . . .

أ- المرويات المسندة عن مشاهير الصحابة من أهل التفسير في المدينة
أهم أمهات التفاسير التي جمعتها كتاب ابن جرير الطبري " جامع البيان " فقد
ضمنه أبو جعفر ما أخرجه بسنده إلى أبي بن كعب^(١٧٤) وأبي هريرة^(١٧٥)
وعائشة^(١٧٦) وعبدالله بن عمر^(١٧٧) وغيرهم أجمعين .
كما تضمن " جامع البيان " مرويات من " صحيفة التفسير " المنسوبة إلى أبي
والتي رواها أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية^(١٧٨) ، ويعتبر تفسير
ابن جرير من المصادر التي احتفظت لنا بهذه " الصحيفة " حيث أخرج المصنف
مروياتها موزعة على تفسيره بسنده إلى أبي جعفر .
ومن أخرج مرويات مشاهير مفسري الصحابة بالمدينة مسندة الإمام محمد بن
إدريس الشافعي ت ٢٠٤هـ .
فقد أخرج أحاديث أبي سعيد الخدري^(١٧٩) وعائشة^(١٨٠) وجابر^(١٨١) وعبدالله
بن عمر^(١٨٢) وأبي هريرة^(١٨٣) وكعب بن عجرة^(١٨٤) . . . كما احتج بمرويات
غيرهم من الصحابة محذوفة الإسناد .

ب- حذف أسانيد مرويات مفسري أهل المدينة من الصحابة في كتب الآثار
درج بعض المفسرين من أهل الأثر خلال القرن الثاني وما بعده على حذف
أسانيد مرويات التفسير عامة ، وتضمنت تفاسيرهم العديد من الآثار المنسوبة إلى
أحد أعلام مدرسة المدينة .
فمن الأثرين الذين نقلوا مرويات أهل المدينة محذوفة السند نجد مقاتل بن
سليمان البلخي ت ١٥٠هـ ، فقد عمد مقاتل إلى ذكر أسماء الذين أخذ عنهم مروياته

في مقدمة تفسيره، ثم كان المنهج الذي سار عليه في التفسير كله هو إيراد الآية تعقيباً الآثار التي تفسرها محذوفة الأسانيد.

وقد ذكر في مقدمة تفسيره أنه يروي عن ثلاثين رجلاً، منهم اثنا عشر رجلاً من التابعين... منهم عطاء بن أبي رباح والضحاك بن مزاحم ونافع مولى ابن عمر (١٨٥) والزبير، وابن شهاب الزهري (١٨٦) ومحمد بن سيرين وابن مليكة... (١٨٧)، وبحكم أن مقاتلاً حذَفَ الإسناد فلا يمكن تمييز مرويات مدرسة المدينة عن غيرها.

ومن الأثرين الذين نقلوا مرويات مفسري أهل المدينة محذوفة الإسناد الشيخ هود بن محكم الهواري الإباضي المتوفي ٢٨٠هـ - تقريباً - فقد تضمن تفسيره الموسوم بـ "تفسير كتاب الله العزيز" أثراً عن أعلام الصحابة بالمدينة كعمر بن الخطاب (١٨٨) وابنه عبد الله (١٨٩) وعائشة (١٩٠) وجابر (١٩١) وأبو هريرة (١٩٣) وأبي بن كعب (١٩٣)... على أنه تنبغي الإشارة إلى أن الشيخ هود لم يرحل لسماع التفسير، بل اكتفى بما نقله يحيى بن سلام التميمي البصري التونسي ٢٠٠هـ حين استقر بالقيروان (١٩٤).

هذا وقد تضمنت كتب الآثار الأخرى الكثير من هذه المرويات، فنجدها عند أبي الليث السمرقندي ٣٧٣هـ في تفسيره "بحر العلوم"، وعند أبي إسحاق الثعلبي ٤٢٧هـ في "الكشف والبيان عن تفسير القرآن"؛ وعند أبي الفرج بن الجوزي ٩٧هـ في "زاد المسير في علم التفسير"...، لكن هذه التفسيرات الأخيرة لم يحترز مصنفوها - رحمهم الله - من الآثار الواهية.

خاتمة الدراسة

عني هذا الموضوع بتقديم عرض تاريخي عن مدرسة التفسير بدار الهجرة، وما لاشك فيه أن أي محاولة لكتابة تاريخ تفسير القرآن الكريم لابد أن تطلق من دراسة هذه المدرسة التي شهدت ظهور علم التفسير لأول مرة على عهد النبوة.

أما أهم الاستنتاجات التي يمكن الخروج بها من هذا الموضوع فهي:
أولاً: إن مدرسة المدينة هي أول مدارس التفسير نشأة، وجميع المدارس
الأخرى لا تعدو - في الحقيقة - أن تكون فرعاً لها.

ولعله مما يبرز هذه الميزة جلياً أن المدينة النبوية ظلت دار علم حتى بعد
ظهور حواضر علمية أخرى في مختلف الأمصار، فكانت مقصد أهل التفسير
وأهل الحديث والفقهاء الوافدين إليها لطلب العلم من أصقاع العالم الإسلامي؛
وحين تحولت عنها الإمارة إلى دمشق ثم بغداد ظلت للمدينة النبوية مكانتها العلمية
مما جعل النفوس تهفو إليها يستوى في ذلك العلماء والخلفاء والأمراء . .

ثانياً: ومن الاستنتاجات التي انتهت إليها هذه الدراسة أن علم تفسير القرآن
أصوله وقواعده وآدابه هو وليد بيئة المدينة المنورة؛ فأما علم التفسير بحد ذاته
باعتباره يهتم ببيان ألفاظ القرآن وجمله، ودلالة تلك الألفاظ والجمل على المباني،
فإن هذا العلم خرج من المدينة، ففيها تلقى الصحابة - منه عليه الصلاة
والسلام - تفصيل المجمال وتخصيص العام وتقييد المطلق وبيان الناسخ والمنسوخ
وغير ذلك مما اتصل بعلم التفسير .

وأما ما يتعلق بأصول التفسير وقواعده وآدابه، فقد تعلم الصحب -
ذلك من هديه عليه الصلاة والسلام وطريقته في البيان، كما تعلموا ذلك من
توجيه القرآن لهم إلى استقراغ جهدهم في استنباط ما يتعلق به عمل من الآيات،
وحين نرجع اليوم إلى أبواب "فضائل القرآن وآدابه" في مصنفات الحديث
النبوي نصادف أن أهم قواعد وأصول التفسير بالمتقول أو بالرأي والاجتهاد
تضمنتها مختلف الروايات عن أهل العلم من طبقة الصحابة بالمدينة النبوية . . .

ثالثاً: ومن الاستنتاجات التي خرجت بها هذه الدراسة أنه اجتمع لمدرسة
التفسير بالمدينة من شيوخ الصحابة وعلمائهم ومتقدميهم ما لم يجتمع لغيرها من
المدارس الأخرى، ولا شك أن ارتباط المدينة بكونها دار هجرة ثم تفضيل الله لهما
حين جعلها دار نصرة لدينه وجازى على الهجرة إليها قبل عام فتح مكة . . . ذلك

كله ترتب عنه إن ميراث النبوة بقي فيها بقاء جمهور الصحب فيها رغبة عن غيرها من المدائن.

هذا وقد سعت هذه الدراسة إلي تقديم عرض متكامل غايته الوصول إلى أمرين:

الأول: جمع أشتات هذا الموضوع من مختلف المصادر والمراجع.
الأمر الثاني: إعطاء نظرة متأنية ومستفيضة - إلى حد ما - عن هذه المدرسة.

وختاماً، نسأل الله التوفيق والسداد في القول والعمل، وأن يرشدنا إلى العلم النافع والعمل الصالح، والله تعالى أعلم وأحكم.

الهوامش والإحالات

- ١- ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير ص ٦١، الطبعة الأولى دار القرآن، الكويت ١٣٩١هـ، بتحقيق د. عدنان زرزور.
- ٢- ومن أعلامها أيضاً: أبو الوليد عبادة بن الصامت أول من تولى قضاء فلسطين تـ ٣٤هـ، وأيضاً وإثله بن الأسقع تـ ٨٣هـ أجمعين.
- ٣- انظر بخصوص هذه المدرسة: د، عبدالله خورشيد البري، القرآن وعلومه في مصر، الباب الرابع ص ٢٧٠ وما بعدها، طبعة دار المعارف القاهرة ١٩٧٠م.
- ٤- اقتضت حكمة الباري تعالى أن تكون جُلّ التشريعات التي تضمنها القرآن المكي مجملة، على أن تفصيلها وبيان مختلف أحكامها بعد نشوء دولة الإسلام بالمدينة المنورة، وهذا أمر جلي بالنسبة للكثير من أحكام الشريعة الإسلامية.
- ومن هذا الباب ما أشار إليه ابن العربي المعافري تـ ٥٤٣هـ عند تفسير الآية ١٤١ من سورة الأنعام - المكية - (...). كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده) قال - رحمه الله - محتجاً لرأي أبي حنيفة: «إن الله أوجب الزكاة بها إيجاباً مجملاً فتعين فرض اعتقادها، ووقف العمل بها على بيان الجنس والقدر والوقت، فلم تكن بمكة حتى تمهد الإسلام بالمدينة، فوقع البيان، فتعين الامتثال، وهذا لا يفقهه إلا العلماء بالأصول»، انظر أحكام القرآن ج ٢ ص ٧٦١ دار المعرفة بيروت بتحقيق علي محمد البجاوي...

- ٥- لم يدرك أبي - * - عصر التدوين ، فكان كغيره من كبار الصحب - رضوان الله عليهم - الذين تقدمت وفاتهم يتخذون "صحفاً" للعلم كما اتخذها الرسول ﷺ في رواية جابر بن عبدالله - * - التي أخرجها الإمام مسلم في الجامع الصحيح ضمن كتاب العقاب تحريم تولي العتيق غير مواليه ؛ وسيأتي الكلام عن صحيفة أبي * .
- ٦- المرفوع في التفسير ما انتهى سنه إلى الصحابي مما اتصل بأسباب النزول ، أما الموقوف فهو ما فسره الصحابي من غير أن يرفعه أو يسنده إليه ﷺ ، انظر : ابن حجر شرح النخبة ص ١١١ طبعة دار الخير دمشق بتحقيق د. نور الدين عتر . . .
- ٧- قال السيوطي " أما الخلفاء فأكثر من روي عنه منهم علي بن أبي طالب ، والرواية عن الثلاثة نزرة جداً وكان السبب في ذلك تقدم وفاتهم . . . الإتيان ج ٢ ص ١٨٧ طبعة مصورة بدار الفكر بهامشها إعجاز القرآن للباقلاني .
- ٨- ذكر ابن الأثير أن وفاته - * - كانت سنة ٣٠هـ ، انظر أسد الغابة في معرفة الصحابة ج ١ ص ٦٣ طبعة دار الفكر ، ورجح ابن عبدالبر في " الاستيعاب " أنه مات في خلافة عمر بن عبدالخطاب ، انظر : الاستيعاب بهامش الإصابة ج ١ ص ٥٢ مصورة عن طبعة القاهرة ١٣٢٨هـ .
- ٩- ابن حبان البستي ، مشاهير علماء الأمصار ص ١٢ ، دار الكتب العلمية بيروت ، مصورة عن طبعة القاهرة ١٩٥٩م بتصحيح المستشرق م. فلايشهر .
- ١٠- ابن عبدالبر ، الاستيعاب بهامش الإصابة ج ١ ص ٤٨-٤٩ .
- ١١- ابن كثير ، البداية والنهاية ج ٨ ص ٩٧ دار الفكر بيروت ١٣٩٨هـ .
- ١٢- الذهبي ، سير أعلام النبلاء ج ١ ص ٣٩٠ مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٥هـ .
- ١٣- ابن الجزري ، غاية النهاية في طبقات القراء ج ١ ص ٣١ مصورة عن نشرة براجستراسر دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٢هـ .
- ١٤- سير أعلام النبلاء ج ١ ص ٣٩٩ .
- ١٥- المصدر السابق ج ١ ص ٤٠٢ .
- ١٦- وفي " فتح الباري " قال ابن حجر العسقلاني : « . . . المراد بهم العلماء بالقرآن والسنة » . انظر ج ١٣ ص ٢٥٧ طبعة المكتبة السلفية بإشراف الشيخ محب الدين الخطيب رحمه الله .
- ١٧- ابن خلدون ، المقدمة ، فصل : علم الفقه وما يتبعه ص ٤٩٤ ، طبعة دار الجيل بيروت .
- ١٨- انظر : فتح الباري ج ١٣ ص ٢٥٨ .
- ١٩- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٤٢٦ نشر دار إحياء التراث العربي بيروت ، أعد فهارسها رياض عبدالله عبدالهادي ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ .

- ٢٠- الإمام البخاري، الجامع الصحيح كتاب التفسير - تفسير سورة الأعراف - باب خذ العفو .. حديث ٤٦٤٢، وكتاب الاعتصام باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ حديث ٧٢٨٦.
- ٢١- انظر ترجمته عند ابن سعد في الطبقات الكبرى ج ٣ ص ٢٤١، وقد ذكره ابن حبان في مشاهير علماء الأمصار ص ١٠- ١١ ضمن الصحابة الذين استوطنوا المدينة المنورة.
- ٢٢- مشاهير علماء الأمصار ص ٢٠.
- ٢٣- المصدر السابق ص ١٠؛ وابن سعد، الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٤٣١.
- ٢٤- ترجمته في أسد الغابة لابن الأثير ج ٣ ص ٣٤٩ - ٣٥٠ وج ٥ ص ٧٨ طبعة دار الفكر بيروت وفي شذرات الذهب لابن العماد ج ١ ص ٦٥ الطبعة الثانية دار المسيرة ١٣٩٩ بيروت . . .
- ٢٥- مشاهير علماء الأمصار ص ٢٠.
- ٢٦- مشاهير علماء الأمصار ص ١١.
- ٢٧- من الصحابة الذين استوطنوا المدينة، انظر المصدر السابق ص ٢٧.
- ٢٨- المصدر السابق ص ٢٦، وانظر: أسد الغابة ج ٣ ص ١٥٤- ١٥٥؛ الاستيعاب لابن عبد البر ج ٣ ص ٩١٧ نشر دار نهضة مصر بتحقيق محمد علي البجاوي . .
- ٢٩- مشاهير علماء الأمصار ص ١٦- ١٧ . .
- ٣٠- المصدر السابق ص ٢٠ . . .
- ٣١- المصدر السابق ص ١١ . . .
- ٣٢- انظر كتاب التفسير من جامع الإمام البخاري ضمن فتح الباري أحاديث رقم ٤٤٧٥، ٤٤٧٩، ٤٤٨٥ . . . وكذلك كتاب التفسير آخر جامع الإمام مسلم . .
- ٣٣- انظر الإمام أحمد بن حنبل، المسند، مسند الأنصار، حديث أبي بن كعب، حديث أبي هريرة الدوسي عنه ج ٥ ص ١١٤، طبعة دار الفكر بيروت بهامشها كنز العمال .
- ٣٤- انظر على سبيل المثال كتاب التفسير ضمن جامع الإمام مسلم .
- ٣٥- أورد د، محمد حميد الله في " الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة" خمس عشرة وثيقة تحمل اسم أبي بن كعب رضي الله عنه، وانظر في نفس الموضوع د. الأعظمي، كُتُب النبي ﷺ ص ٥٦- ٥٨، الطبعة الثالثة ١٤٠١ هـ المكتب الإسلامي بيروت .
- ٣٦- انظر: كُتُب النبي ﷺ ص ٦- ٨.
- ٣٧- سورة البينة الآية ١ .
- ٣٨- الإمام البخاري، الجامع الصحيح، كتاب مناقب الأنصار باب مناقب أبي؛ الإمام مسلم - الجامع الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي #؛ ابن أبي شيبه، المصنف

في الأحاديث والآثار، كتاب فضائل القرآن، باب في قراءة النبي ﷺ على غيره ج ٦ ص ١٥٥، الطبعة الأولى دار الناج ١٤٠٩ هـ بتقدريم كمال يوسف الحوت؛ الإمام أحمد المسند ج ٥ ص ١٢٢ حديث عبد الرحمن بن أبيزى؛ النسائي، فضائل الصحابة ص ١٣٣ الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ دار الثقافة الدار البيضاء بتحقيق أستاذنا د. فاروق حمادة؛ أبو عبيد فضائل القرآن ومعالمه وآدابه باب عرض القراء للقرآن؛ قال أبو عبيد في معنى الحديث أن رسول الله ﷺ إنما أراد بذلك العرض على أبي أن يتعلم منه أبي القراءة ويستثبت فيها، وليكون عرض القرآن سنة، وليس هذا على أن يستذكر النبي ﷺ منه شيئاً بذلك العرض. انظر فضائل القرآن ج ٢ ص ١٨٩ - ١٩٠، طبعة وزارة الأوقاف الرباط ١٤١٥ هـ بتحقيق أحمد الخطاطي.

٣٩- الجامع الصحيح للإمام البخاري، كتاب مناقب الأنصار باب مناقب أبي؛ الجامع الصحيح للإمام مسلم كتاب فضائل الصحابة باب فضائل ابن مسعود؛ المصنف لابن أبي شيبة كتاب فضائل القرآن باب عن يؤخذ القرآن ج ٦ ص ١٣٨؛ فضائل القرآن للإمام النسائي باب ذكر قراء القرآن بتحقيق أستاذنا د. فاروق حمادة طبعة دار الثقافة الدار البيضاء ١٤٠٠ هـ؛ وانظر توجيه الحديث في شرح النووي لجامع الإمام مسلم ج ١٦ ص ١٨، دار الفكر بيروت ١٤٠١ هـ.

٤٠- الجامع الصحيح للإمام البخاري، كتاب مناقب الأنصار باب مناقب زيد بن ثابت؛ الجامع الصحيح للإمام مسلم، كتاب فضائل الصحابة باب فضائل أبي بن كعب * . وأبو زيد المذكور في الحديث هو سعد ابن عبيد القارئ الذي تقدم ذكره * .

قال النووي - رحمه الله - في شرح حديث أنس عن الأربعة الذين جمعوا القرآن " . . . قال المازري هذا الحديث مما تعلق به بعض الملاحدة في تواتر القرآن، وجوابه . . . أنه ليس فيه تصريح بأن غير الأربعة لم يجمعه، فقد يكون مراده الذين علمهم من الأنصار أربعة، أما غيرهم من المهاجرين والأنصار الذين لا يعلمهم فلم ينفعهم" انظر شرح النووي لجامع الإمام مسلم ج ١٦ ص ١٩ وما بعدها.

٤١- ابن الجزري - غاية النهاية ج ١ ص ٣١.

٤٢- البداية والنهاية ج ٨ ص ٨٤.

٤٣- الذهبي، سير أعلام النبلاء ج ١ ص ٣٩٠.

٤٤- الإمام أحمد، المسند ج ٥ ص ١١٣-١٤٤؛ كما تضمن الجزء الأول من المعجم الكبير للإمام الطبراني ت- ٣٦٠ الكثير مما روي عن أبي * في التفسير.

٤٥- والصحيفة هي الكتاب والجمع صحف، والأخبار التي ستاتي في المطلب الثاني من هذا المبحث تشهد بأن أبيًا * كان يكتب التفسير، لكن لا يوجد لدينا دليل على أن أحداً من

- أعلام مدرسة المدينة المنورة - خلال هذه الفترة - جمع مدونة في تفسير القرآن كله، بل اقتصر عملهم على كتابة أجزاء من التفسير في صحفهم ...
- ٤٦- انظر مسند الإمام أحمد ج ٥ ص ١١٤؛ أبو عبيد فضائل القرآن ج ٣ ص ٢٣ ...
- ٤٧- انظر طائفة من مروياته عنه في المسند ج ٥ ص ١١٦ ...
- ٤٨- الذهبي، سير أعلام النبلاء ج ١ ص ٣٩٨.
- ٤٩- الإمام أحمد، المسند ج ٥ ص ١١٦؛ الطبراني، المعجم الكبير ج ١ ص ١٩٩، نشر مكتبة ابن تيمية القاهرة بتحقيق حمدي السلفي؛ الطبري، جامع البيان ج ١٥ ص ١٧٧ و ١٨١، ج ١٦ ص ١٠ ... طبعة دار المعرفة بيروت مصورة عن طبعة بولاق القاهرة؛ تفسير النسائي ج ١ ص ٢١٤؛ ج ٣ ص ١٢؛ ١٧؛ ٢٠؛ ٢٢ أحاديث رقم ١٨٠، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، نشر مكتبة السنة القاهرة ١٤١٠هـ.
- ٥٠- ترجمته في أسد الغابة ج ٢ ص ٣٢٠؛ الإصابة ج ٢ ص ١٣٢.
- ٥١- المسند ج ٥ ص ١١٥-١١٦.
- ٥٢- انظر على سبيل المثال تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٢ ص ٣٨٩ ... طبعة دار المعرفة بيروت ١٤٠٠هـ.
- ٥٣- المسند ج ٥ ص ١٢٢؛ فضائل القرآن للنسائي ص ٥٤ ...
- ٥٤- نقل ابن حجر عن العجلي أن الطفيل تابعي، تهذيب التهذيب ج ٥ ص ١٤ طبعة مصورة عن الهندية ١٣٢٥هـ؛ وذكر ابن عبد البر في الاستيعاب بهامش الإصابة ج ٢ ص ٢٣٥ أنه ولد على عهد الرسول ﷺ.
- ٥٥- المسند ج ٥ ص ١٣٦-١٣٩ حديث الطفيل بن أبي %، وأيضاً تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٣ ص ٥٥ ...
- ٥٦- ترجمته في أسد الغابة ج ١ ص ٤١٥ وج ٢ ص ٤٨؛ تهذيب التهذيب ج ١٢ ص ١٠٧
- ٥٧- ١٠٨، وانظر روايته عن أبي * في مقدمة تفسير الفاتحة عند ابن كثير ج ١ ص ٩ ...
- ٥٨- انظر : حاجي خليفة، كشف الظنون ج ١ عمود ٤٢٩ طبعة دار الفكر بيروت ١٤٠٢هـ؛ والذهبي التفسير والمفسرون ج ٢ ص ٩٣ و ١١٥ الطبعة الثانية ١٣٩٦هـ، دار الكتب الحديثة القاهرة وقد نسب هذا التفسير إلى ابن العالية في طبقات المفسرين للداودي ج ١ ص ١٧٩ طبعة دار الكتب العلمية بيروت، كما نسب إلى أبي العالية د. محمد فؤاد سزكين في ترجمة الربيع بن أنس ضمن تاريخ التراث العربي ج ١ ص ٥٦، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٧٧م.
- ٥٨- مسند الإمام أحمد ج ٥ ص ١٣٣-١٣٥.

- ٥٩- الطبري، جامع البيان ج ٢٣ ص ٦٧ . . كما أفاد من هذا التفسير الثعلبي الذي يصطلح عليه في تفسيره "الكشف والبيان" بـ "تفسير أبي العالية والربيع" . .
- ٦٠- انظر على سبيل المثال تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٥٩٢، ج ٤ ص ٢٢، ٢٥٩ . . .
- ٦١- ترجمة في البداية والنهاية ج ٩ ص ٨٠؛ تهذيب ج ٣ ص ٢٨٤؛ طبقات المفسرين للداودي ج ١ ص ١٧٨-١٧٩ . . .
- ٦٢- مر نقل التفسير من مراحل ثلاثة - مثل باقي العلوم الإسلامية - الأولى مرحلة الكتابة وكانت حقبة تقييد لهذا العلم في "الصحيفة"، ويعني ذلك تسجيل مرويات التفسير حتى لا تضيع، وقد تطافرت الصحيفة مع الذاكرة في حفظ مرويات التفسير، كما اتخذ علماء وفقهاء الصحابة صحفاً سجلوا فيها التفسير والحديث . . . لكن صحف الصحابة رضوان الله عليهم ماكانت تتبع تفسير القرآن، بل كانت تقتصر على بعضه ومن هذه الصحف "صحيفة أبي" و"صحيفة علي بن أبي طالب" - المذكورة في باب كتابة العلم من كتاب العلم ضمن جامع البخاري- والمرحلة الثانية مرحلة تدوين التفسير وأول المدونات فيما نعلم "تفسير مجاهد بن جبر" و"تفسير سعيد بن جبير" . . .؛ أما المرحلة الثالثة فهي مرحلة التصنيف التي ابتدأت في آخر القرن الثاني الهجري.
- وانظر في ذلك: د. عبدالرزاق هرماس، "لمحات عن المدونات الأولى في التفسير خلال النصف الثاني من القرن الأول الهجري" ضمن "مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية" جامعة الكويت العدد السابع والعشرون ص ١٧-٨٦.
- ٦٣- البخاري، التاريخ الصغير ج ١ ص ٤٥٩ دار المعرفة بيروت ١٤٠٦هـ.
- ٦٤- الذهبي، تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٦١ دار إحياء التراث العربي بيروت مصورة عن الطبعة الهندية؛ الداودي طبقات المفسرين ج ١ ص ١٧٨.
- ٦٥- ابن حجر، تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٢٨٤.
- ٦٦- ابن الجزري، غاية النهاية ج ١ ص ٢٨٤.
- ٦٧- نفس المصدر ج ١ ص ٢٨٤.
- ٦٨- طبقات المفسرين ج ١ ص ١٧٩.
- قال د. محمد فؤاد سزكين في آثار الربيع أن له: «التفسير، ويرجع أكثر هذا التفسير إلى أبي العالية» تاريخ التراث العربي ج ١ ص ٥٦.
- ٦٩- ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار ص ١٢٦.
- ٧٠- ابن أبي حاتم الرازي، الجرح والتعديل ج ٣ ص ٤٥٤ دار الكتب العلمية بيروت طبعة مصورة عن الهندية.

وفي فضائل القرآن للنسائي ص ٦٥-٦٦، قال الربيع: «قرأت القرآن على أبي العالية، وقرأ أبو العالية على أبي». قال: وقال أبي قال لي رسول الله ﷺ أمرت أن أقرئك القرآن».

- ٧١- ابن حجر، تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٢٣٨-٢٣٩.
- ٧٢- ابن أبي حاتم - الجرح والتعديل ج ٦ ص ٢٨٠-٢٨١.
- ٧٣- التاريخ الصغير ج ٢ ص ٩٧-٩٨.
- ٧٤- ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٧ ص ١٨١.
- ٧٥- ابن حجر، فتح الباري ج ١٤ ص ٤٠٢.
- ٧٦- المباركفوري، تحفة الأحوذى شرح جامع الإمام الترمذي ج ٣ ص ٣٦٩ دار الكتاب اللبناني مصورة عن الطبعة الهندية.
- ٧٧- ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل ج ٦ ص ٢٨٠-٢٨١.
- ٧٨- ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار ص ١٢٦.
- ٧٩- انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى ج ٣ ص ٢٥٩، ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل ج ٧ ص ٢٠٨؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب ج ٩ ص ١٩، وانظر روايته عن أبيه في التفسير ضمن المسند ج ٥ ص ١٣٩ وفي غيره.
- ٨٠- ترجمته في تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٢٠٦-٢٠٧.
- ٨١- انظر: تنوير الحوالك شرح موطأ الإمام مالك للسيوطي ج ١ ص ١٠٥ طبعة البابي الحلبي القاهرة.
- ٨٢- ترجمته في تهذيب ج ١٢ ص ١١١، وروايته عن أبي في الموطأ- برواية يحيى بن يحيى الليثي - باب ما جاء في أم القرآن.
- ٨٣- ترجمته في مشاهير علماء الأمصار ص ١٠١ وفي غيره، وكان من عباد الكوفة وقرائهم.
- ٨٤- ترجمته في تهذيب التهذيب ج ١٢ ص ١٦٢؛ وروايته في جامع البيان للطبري ج ٢٨ ص ٩١...، وتفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٨١.
- ٨٥- ترجمته في مشاهير علماء الأمصار ص ١١٤؛ الجرح والتعديل ج ٨ ص ٤٠٧؛ البداية والنهاية ج ٩ ص ٣٠٥.
- ٨٦- البخاري، التاريخ الصغير ج ١ ص ٢٧٨.
- ٨٧- مشاهير علماء الأمصار ص ٦٥.
- ٨٨- تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٤٢١.
- ٨٩- البداية والنهاية ج ٦ ص ٢٤٠.
- ٩٠- تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٤٢١.

- ٩١- تاريخ التراث العربي ج ١ ص ٥٣.
- ٩٢- ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار ص ٧٦.
- ٩٣- المصدر السابق ص ٨٠.
- ٩٤- البخاري، التاريخ الصغير ج ٢ ص ٣٨؛ ابن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ج ٣ ص ٢٤١ نشر وزارة الأوقاف الرباط، الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ.
- ٩٥- ابن عبد البر، التمهيد ج ٣ ص ٢٤٠-٢٤١.
- ٩٦- طبقات المفسرين ج ١ ص ١٨١-١٨٢.
- ٩٧- ابن حجر، تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٣٩٦.
- ٩٨- الذهبي، تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٣٣.
- ٩٩- التواتري، طبقات المفسرين ج ١ ص ٢٧١.
- ١٠٠- محمد أبو زهرة، مالك: حياته وعصره وأراؤه وفقه ص ٨٤، دار الكتاب العربي القاهرة.
- ١٠١- الحديث أخرجه الإمام مسلم في جامعه ضمن كتاب الحج باب ترغيب الناس في سكنى المدينة، وقوله عليه الصلاة والسلام «يَسْتَوْنَ» أي يتحملون بأهلهم إلى غيرها من بلاد الرخاء.
- ١٠٢- أخرجه الإمام مسلم في جامعه ضمن كتاب الحج باب فضل المدينة ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم فيها بالبركة، وقد تضمنت أمهات كتب السنة الكثير من الأحاديث في فضل المدينة النبوية وسكنائها والصبر على جهنمها ولأولائها، وفي جامع الإمام البخاري تضمن كتاب فضائل المدينة ستة وعشرين حديثاً بالمرور.
- ١٠٣- سورة الحشرة الآية ٩.
- ١٠٤- ابن تيمية، مجموع الفتاوى ج ٢٠ ص ٢٩٤ نشر دار المعارف الرباط.
- وقد أثر عن الإمام الشافعي في وصيته لتلميذه يونس بن عبد الأعلى قوله: «ما أريد إلا نُصْحَكَ، ما وجدت عليه متقدماً أهل المدينة فلا يدخل قلبك شك أنه الحق» انظر: آداب الشافعي ومناقبه لابن أبي حاتم ص ١٩٦، دار الكتب العلمية بيروت بتحقيق الشيخ عبد الغنى عبد الحاقق؛ وانظر أيضاً التمهيد لابن عبد البر ج ١ ص ٧٩.
- ١٠٥- الحديث أخرجه الإمام البخاري كاملاً في الجامع الصحيح ضمن كتاب الحدود باب رجم الحبل من الزنا إذا أحصت، وأخرج اطرافاً منه في كتاب مناقب الانتصار باب مقدم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه المدينة حديث ٣٩٢٨، وفي كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب ما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وحض على اتفاق أهل العلم وما اجتمع عليه الحرمان.

- ١٠٦- القاضي عياض السبتي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ج ١، ص ٤٢، نشر وزارة المعارف المغرب.
- ١٠٧- جواب الليث أورده القاضي عياض مختصراً في ترتيب المدارك ج ١ ص ٤٣-٤٤: وانظر رسالته إلى مالك كاملة في أعلام الموقعين لابن القيم ج ٣ ص ٩٥ وما بعدها، الطبعة الثانية ١٣٩٧ هـ دار الفكر بيروت.
- ١٠٨- ابن تيمية، مجموع الفتاوى ج ٢٠ ص ٣٠٧-٣٠٨: وقيل أبي جعفر العباسي ت ١٥٨ هـ كتب الخليفة عمر بن عبدالعزيز ت ١٠١ هـ إلى المدينة «انظروا ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتبوه...» تقييد العلم للخطيب البغدادي ص ١٠٦ الطبعة الثانية ١٩٧٤ م دار إحياء السنة بتحقيق يوسف العش: وفي مقدمة ابن خلدون وصفت المدينة المنورة على هذا العهد بأنها «يومئذ دار علم ومنها خرج إلى العراق» المقدمة ص ٤٩٧.
- ١٠٩- عياض، ترتيب المدارك ج ١ ص ٤٠.
- ١١٠- ابن تيمية، مجموع الفتاوى ج ٢٠ ص ٣١٤، واستثنت الكوفة لأنها أصبحت في منتصف القرن الأول الهجري موطن أهل التشيع والإرجاء.
- ١١١- ابن فرحون، الديباج المذهب ج ١ ص ١١٩ دار التراث القاهرة بتعليق محمد الأحمد أبو النور.
- ١١٢- ماضمته الورجيني الشطر الثاني من هذا البيت لا يصح، لأن المدينة لم تجمع هدي النبوة كله باطلاق، ولذلك لما أراد أبو جعفر فرض الموطأ على الأمة رفض الإمام مالك معللاً بقوله: «... فإن الناس قد سبقت لهم أقاويل، وسمعوا أحاديث ورووا روايات، وأخذ كل قوم بما... إليهم وعملها به» انظر ترتيب المدارك ج ٢ ص ٧٣، وفي الديباج المذهب لابن فرحون ج ١ ص ١١٨، قال مالك للمنصور: «إن أصحاب رسول الله ﷺ تفرقوا في البلاد، فأفتى كل في مصره بما رأى...».
- ١١٣- انظر الآيات في التمهيد لابن عبد البر ج ١ ص ٨٢ ومقدمة تنوير الحوالك للسيوطي ص ٨.
- ١١٤- عياض، ترتيب المدارك ج ١ ص ٣٩.
- ١١٥- المصدر السابق ج ٣ ص ٤٣.
- ١١٦- ابن تيمية، مجموع الفتاوى ج ٢٠ ص ٢٢٩-٣٠٠.
- ١١٧- الطبري، جامع البيان ج ١ ص ٢٩.
- ١١٨- أبو عبيد، فضائل القرآن ج ٢ ص ٢١٤.
- ١١٩- ابن أبي شبة، المصنف، كتاب فضائل القرآن باب من كره أن يفسر القرآن ج ٦ ص ١٣٦.
- ١٢٠- انظر فضائل القرآن للنسائي تحقيق وتعليق أستاذنا د. فاروق حمادة ص ١١٤ وما بعدها.

- ١٢١- وقد صح عن عبدالله بن عمر - % - أنه كان يكفر القدرية - انظر الحديث الذي أخرجه مسلم في ذلك ضمن الجامع الصحيح كتاب الإيمان باب إثبات القدر؛ وعند أبي داود في السنن، كتاب السنة باب القدر حديث رقم ٤٦٩٥ .
- وقد كان لموقف الصدر الأول من البدع وكراهيتهم للمحدثات أثر في علماء المدينة المنورة من بعدهم، حيث كان الجدال والمراء ومخاصمة أهل الأهواء : مرفوضة عندهم، روى ابن وهب : «سمعت مالكا يقول إذا جاءه أحد من أهل الأهواء : أما أنا فعلى بينة من ربي، وأما أنت فشاك، فاذهب إلى شاك مثلك فخاصمه» . النبیاج المذهب ج ١ ص ١١٥ .
- ١٢٢- ابن تيمية، مجموع الفتاوى ج ٢٠ ص ٣٠٢ .
- ١٢٣- البغدادي، تقييد العلم ص ١٠٦ .
- ١٢٤- ابن عبدالبر، التمهيد ج ١ ص ٨٠-٨١ .
- ١٢٥- المصدر السابق ج ١ ص ٧٩ .
- ١٢٦- ابن تيمية، مجموع الفتاوى ج ٢٠ ص ٣١٦ .
- ١٢٧- انظر : أبو عبيد، فضائل القرآن وأدابه ج ٢ ص ١٧٣ .
- أما ما يروى عن ابن عباس في مسائل نافع بن الأزرق فإن سنده لا يصح، وقد أخرج هذه المسائل الإمام الطبراني في المعجم الكبير ج ١٠ ص ٣٠٤-٣١٢ من رواية الضحاك بن مزاحم، وفي سند الطبراني جوير بن سعيد وهو متروك عند جمهور علماء الحديث النبوي؛ وعدد هذه المسائل في المعجم ٣١ مسألة لكن السيوطي في الإتقان ج ١ ص ١٢٣ أورد فيها ١٨٩ مسألة، ثم إن في شواهد المسائل من الشعر كلاماً مخصص، نسبها إلى قائلها .
- ١٢٨- سورة النساء الآية ١٢٨ .
- ١٢٩- الطبري، جامع البيان ج ٥ ص ١٩٧ .
- ١٣٠- انظر في ذلك الشاطبي، الموافقات ج ١ ص ٢٥، طبعة دار الفكر بيروت بتعليق محمد الحضر حسين التونسي .
- ١٣١- سورة عبس الآية ٣١ .
- ١٣٢- الطبري، جامع البيان ج ٣٠ ص ٣٨؛ ابن أبي شيبه، المصنف، كتاب فضائل القرآن باب من كره أن يفسر القرآن ج ٦ ص ١٣٥ .
- ١٣٣- وهذا ما نذهب إليه انطلاقاً من الآية ١٨٩ من سورة البقرة (يسألونك عن الأهلة) الآية : وانظر ما أورده الطبري في سياق تفسيرها ضمن جامع البيان ج ٢ ص ١٠٨ .
- ١٣٤- سورة النزاعات الآيات ١-٣ .
- ١٣٥- الشاطبي، الموافقات ج ١ ص ٢٥-٢٦ .

- ١٣٦- انظر: مشاهير علماء الأمصار ص ١٠؛ البداية والنهاية ج ٢ ص ١٢٦.
- ١٣٧- ابن كثير، البداية والنهاية ج ٧ ص ٢٩٨.
- ١٣٨- سكن المدينة، وتوفي بمكة حيث خرج للحج، انظر: مشاهير علماء الأمصار ص ١٧.
- ١٣٩- توفي بالمدينة، وكان يتردد على الحرمين في موسم الحج، انظر: البداية والنهاية ج ٧ ص ١٦٣، وقدروي عن ابن مسعود - * - قوله: «والذي لا إله غيره، ما نزلت آية في كتاب الله، إلا وأنا أعلم فيم نزلت وأين نزلت، ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته» أخرجه الطبري في جامع البيان ج ١ ص ٢٨،
- ١٤٠- قال الزركشي «وصدور المفسرين من الصحابة: علي ثم ابن عباس - وهو تجرد لهذا الشأن، والمحفوظ عنه أكثر من المحفوظ عن علي، إلا أن ابن عباس كان أخذ عن علي» البرهان في علوم القرآن ج ٢ ص ١٥٧، الطبعة الثالثة ١٤٠٠ هـ دار الفكر بيروت بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.
- ١٤١- خادم النبي ﷺ، ذكر أنه توفي ٩١ هـ، وليس هو أنس بن مالك الكعبي أبو أمية، وقد سكن الصحابيان معاً البصرة.
- ١٤٢- انظر في ذلك: الطبري، تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٤٧٨، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ دار الكتب العلمية بيروت، ابن كثير، البداية والنهاية ج ٧ ص ٧٤.
- ١٤٣- البداية والنهاية ج ٨ ص ٢٩٨.
- ١٤٤- طيلة خلافة عثمان - * - الذي استنابه للحج بالناس عام ٣٥ هـ الذي قتل فيه الخليفة - * - انظر: البداية والنهاية ج ٨ ص ٣٠٤.
- ١٤٥- وقد ظل ابن عباس - * - بمكة حتى تنازع الخلافة ابن الزبير وعبد الملك بن مروان فخرج من مكة إلى الطائف التي أقام بها سنتين وتوفي ٦٨ هـ انظر البداية والنهاية ج ٨ ص ٣٠٥ - ٣٠٦.
- ١٤٦- وقد كان من شأن مدرسة التفسير بالشام أنها ظهرت بعد أن استوطن هذه البلاد من أحل إليها من كبار الصحابة الذين خرجوا من المدينة، فشأنها كمدرسة الكوفة بالعراق؛ أما مدرسة مصر فقد قامت على جهود صغار الصحابة الذين استوطنوا القسطنطينية - فنشأة هذه المدرسة كانت متقاربة مع ظهور مدرسة مكة . . .
- ١٤٧- تضمن كتاب التفسير من جامع الإمام البخاري حسب إحصاء ابن حجر ٥٤٨ حديثاً بالمرور، وفي إحصاء محمد فؤاد عبد الباقي ٥٠٣ حديث بالمرور قال ابن حجر: «الخالص منها - بعد حذف المكرر - مائة حديث وحديث . . . والكثير منها من تفاسير ابن عباس - % - وهي ستة وستون حديثاً . . .» ابن حجر، فتح الباري ج ٨ ص ٧٤٣.

- ١٤٨- انظر كتاب التفسير من الجامع الصحيح للإمام البخاري أحاديث رقم: ٤٥٧٣، ٤٥٧٤، ٤٥٧٥، ٤٥٨٣، ٤٦١٢، ٤٦١٣، ٤٦١٤، ٤٧٢٣، ٤٧٥٥.
- ١٤٩- انظر المصدر السابق أحاديث رقم: ٤٥٠٦، ٤٥٢٦، ٤٥٢٧، ٤٥٤٥، ٤٥٤٦، ٤٦١٦، ٤٦٧٠، ٤٦٧١.
- ١٥٠- المصدر السابق أحاديث رقم: ٤٥٥٧، ٤٥٦٠، ٤٥٦٥، ٤٥٩٨، ٤٦٠٤، ٤٦٣١، ٤٦٣٥، ٤٤٧٩، ٤٤٧٥.
- ١٥١- انظر أحاديث رقم: ٤٥٦٧، ٤٥٨١، ٤٤٨٧، ٤٦٤٨، ٤٧٣٠، ٤٧٤١، ٤٧٩٨.
- ١٥٢- انظر أحاديث رقم: ٤٥٢٨، ٤٥٥٨، ٤٥٧٧، ٤٦١٨، ٤٦٢٨، ٤٦٣٣، ٤٧١٠، ٤٧١٩.
- ١٥٣- انظر ٤٩٧٧، ٤٩٧٦.
- ١٥٤- أحاديث رقم ٤٤٨٣، ٤٦٠٦، ٤٧٩٠، ٤٨٨٥، ٤٩١٥، ٤٩١٦، ٤٩٦٩.
- ١٥٥- انظر: ٤٥٤٦، ٤٥٣٠.
- ١٥٦- انظر: ٤٥٦٦.
- ١٥٧- انظر: ٤٦٤٢.
- ١٥٨- هناك من المتأخرين من لا يعتبر مصنف الإمام مسلم جامعاً، ومنهم عبدالعزيز الدهلوي في "العجالة النافعة"، فقد نقل عنه القنوجي قوله في رسالته "العجالة النافعة": "وأما صحيح مسلم وإن كانت فيه أحاديث من تلك الفنون لكن ليس فيه ما يتعلق بالتفسير، ولهذا لا يقال له الجامع.. انظر: القنوجي، الحطة في ذكر الصحاح الستة ص ١٢٣، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ دار الجليل بيروت.
- ١٥٩- انظر: جامع الإمام الترمذي، كتاب التفسير، تفسير قوله تعالى ﴿إن الصفا والمروة﴾؛ وقوله أيضاً ﴿إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه﴾...
- ١٦٠- المصدر السابق، تفسير قوله تعالى ﴿ادخلوا الباب سجداً﴾، وأيضاً قوله عز وجل ﴿... كلوا من طيبات ما رزقناكم...﴾.
- ١٦١- المصدر السابق، تفسير قوله تعالى ﴿فلنولينك قبلة ترضاها﴾...
- ١٦٢- نفس المصدر تفسير قوله تعالى ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلی﴾؛ وقوله سبحانه ﴿فأتوا حرثكم...﴾.
- ١٦٣- المصدر السابق تفسير قوله عز وجل ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلی﴾...
- ١٦٤- المصدر السابق تفسير قول الله ﴿فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه﴾...
- ١٦٥- نفسه تفسير ﴿وكنلک جعلناک أمة وسطاً﴾...

- ١٨٥- أبو عبد الله نافع مولى عبد الله بن عمر من طبقة التابعين بالمدينة ت ١١٩ هـ، انظر: ابن حبان مشاهير علماء الأمصار ص ٨٠.
- ١٨٦- محمد بن شهاب الزهري ت ١٢٤ هـ كان من جلة علماء التابعين بالمدينة المنورة .
- ١٨٧- انظر: تفسير مقاتل بن سليمان البليخي ت ١٥٠ هـ ج ١ ص ٣-٤ طبعة دار الشروق القاهرة ١٩٦٩ م بتحقيق د. عبد الله محمود شحاته.

- ١٨٨- هود بن محكم الهواري، تفسير كتاب الله العزيز ج ١ ص ١٢٨؛ ١٩؛ ١٩٣؛ ٢٠٧؛
 ٢١٥. . الطبعة الأولى ١٩٩٠م دار الغرب الإسلامي بيروت بتحقيق بلحاج شريقي .
 ١٨٩- المصدر السابق ج ١ ص ١٣٢؛ ١٧٤؛ ١٩٤؛ ٢١٢؛ ٢١٤. . .
 ١٩٠- المصدر السابق ج ١ ص ١٧٦؛ ١٨٧؛ ٢١٠. . .
 ١٩١- المصدر السابق ج ١ ص ١٤٦؛ ١٦١؛ ١٨٦؛ ١٨٨؛ ٢٠٨؛ ٢١١. . .
 ١٩٢- المصدر السابق ج ١ ص ٢١٠. . .
 ١٩٣- نفس المصدر ج ١ ص ٧٥؛ ٦٣. . .
 ١٩٤- انظر مقدمة محقق التفسير ضمن الجزء الأول ص ١٤-١٥؛ والشيخ هود من منطقة
 الأوراس شرق الجزائر ولم تعرف له رحلة إلى الشرق والله أعلم.

مصانع النورة بمكة المكرمة طرازها المعماري ونتائجها الصناعي حتى نهاية العصر العثماني

د. عادل محمد نور غباشي
قسم الحضارة والنظم الإسلامية
جامعة أم القرى - مكة المكرمة

ملخص البحث

لاتزال مكة المكرمة - بمشيتة الله - تحتفظ بعدد من مصانع النورة، التي أسهمت بدور كبير في إثراء حركة العمران في البلد الحرام، إلا أنها مع الأسف الشديد بدأت في الاندثار التدريجي، لتوقف نتاجها حالياً؛ للاستغناء عنه في مجال البناء بالأسمنت؛ ولامتداد الأحياء السكنية إلى بعض مراكزها، ومن هنا تظهر أهمية هذه الدراسة في التعريف بمادة النورة واستخداماتها، وإبراز دور معاوية بن أبي سفيان - * - في تأسيس أول مصنع للنورة بمكة المكرمة، واستقصاء مراكزها الصناعية والكشف عن تاريخها وطرازها المعماري، وتسجيل أحد مصانعها تسجيلاً علمياً مشفوعاً بالخرائط والرسوم والأشكال، وإضافة إلى تتبع طريقة الصناعة ابتداءً من الحصول على المادة الخام وانتهاء بتحميلها وبيعها مسحوقاً في أكياس.

أولاً: النورة واستخدماتها:

قيل إن النورة ليست عربية في الأصل واشتقاقها يُشابه اشتقاق العربي^(١)، وتعد أحجار الكلس مادتها الأساسية، وهي ما يعرف بالصاروج، والجير، والجص، والقص، والكلس، والجبس، وسيوضح ذلك بذكر التعريفات التالية: النورة: " من الحجر الذي يحرق ويُسوى منه الكلس " (٢).

الصاروج: هو " النورة وأخلطها تطلّى بها الحياض والحمامات وهو بالفارسية جاروف، عُرّب ف قيل: صاروج، وربما قيل شاروق، وصرجها به: طلاها، وربما قالوا: شَرَقَه " (٣).

الجير: " الجيار الصاروج. قال الأخطل يصف بيتاً:

كأنها برج رومي يشيّدُه

لُرْ بطين واجسر وجيار " (٤)

الجص: الجصُّ والجَصُّ: معروف الذي تطلّى به وهو معرب.

ولغة أهل الحجاز في الجص: القصُّ، ورجل جصاص: صانع للجصاص، والجصاصمة الموضع الذي يعمل به الجص. وجصص الحائط وغيره طلاه بالجص " (٥).

القصة: القَصَّة والقَصُّ: الجص، لغة حجازية، وقيل الحجارة من الجص، وقد قصَّص داره أي جصَّصها. ومدينة مُقَصَّصة: مطلية بالقص والتقصيص: هو التجصيص، وذلك أن الجص يقال له القصة. بقا قصصت البيت وغيره أي جصَّصته. (٦).

الكلس: " مثل الصاروج يبنى به وقيل الكلس الصاروج، وقيل الكلس ما طلي به حائط أو باطن قصر شبه الجص من غير آجر " (٧) قال الجوهري: الكلس الصاروج يبنى به وقال عدي بن زيد:

شأده مرمروجلله كل

سافللطير في ذرة وكُور^(٨)

الجبس: " الذي يبنى ^(٩) به " وعرف عند الفيروز آبادي: " الجص: أجباس وجبوس ^(١٠) "

أما عن استخدامات النورة فهي عديدة وتشمل البناء وما يرتبط به من أعمال زخرفية^(١١)، وتبييض غزل الكتان، وصناعة النفط^(١٢)، وتجليد الكتب لعمل زخرفة اللاكية^(١٣) وإزالة الشعر^(١٤) والمشهور عند أهل مكة في استخدام النورة هو البناء وما يرتبط به من أعمال زخرفية وقد استخدمت النورة مع التراب والماء في تكوين خليط المونة التي قد يضاف إليها دبس^(١٥) التمر أو تراب القرن للصق أحجار البناء ومافي حكمها كالآجر^(١٦)، وفي تخصيص المباني وعمل الطبطاب^(١٧) وتكحيل الدرج وطلاء المباني^(١٨)، وتزينها بالعناصر الزخرفية المختلفة^(١٩) وتتفاوت النسبة في إعداد خليط المونة، فهناك من يرى أنها تتكون بنسبة اثنين تراب إلى واحد نورة وورد أن الخلطة الجيدة بنسبة ثلاث إلى واحد نورة وورد أن الخلطة الجيدة مانسبته ثلاثة تراب إلى واحد نورة. وقد تستخدم النورة بمفردها في التلييس الخارجي أما في حالة الترميمات والتشطيبات فلا بد من خلط التراب مع النورة، وأحياناً في المناطق التي يسكنها البدو يستعملون النورة بعد أن تدمج جيداً ثم يضاف إليها التراب، وتستخدم بعد خلطها جيداً لعمل البرك والطبطاب^(٢٠). ويرجح أن أهل مكة استخدموا النورة في البناء من قبل الإسلام؛ ويؤيد ذلك: نهي رسول الله ﷺ عن تخصيص القبور^(٢١) وهو بناؤها بالقصة^(٢٢)؛ مما يجعلنا نحتمل أن المومنين منهم استخدموا النورة في بناء مساكنهم قبل الإسلام، لأن الأولى لهم استخداماً في مساكنهم قبل قبورهم. أما في بداية العصر الإسلامي فليس لدينا - على حد علمنا - نصوص محدودة لاستخدام المكيين للنورة في البناء، وخاصة في عصر الرسول ﷺ وعصر خلفائه الراشدين؛ إلا أنه استناداً إلى ما سبق ذكره عن

نهى رسول الله ﷺ عن تقصيص القبور، وماورد عن استخدام المسلمين للنورة في إزالة شعر العانة^(٢٣) يمكن القول بأن الموسرين من أهل مكة استخدموا النورة في بناء مساكنهم كما كان الحال عليه قبل الإسلام. أما في العصر الأموي فقد وردت دلائل لاستخدام النورة في البناء؛ حيث كان لمعاوية بن أبي سفيان - * - بمكة (٤٠ - ٦٠ هـ / ٦٦٠ - ٦٨٠) ست دور متوالية منها: دار الرقطاء وسميت بذلك لأنها بنيت بالأجر الأحمر والجص، فكانت رقطاء، والدار البيضاء وسميت بذلك لأنها بنيت بالجص ثم طليت به، فكانت بيضاء كلها^(٢٤)، وعند بناء عبد الله بن الزبير للكعبة عام ٤٦ هـ / ٦٧٩م أشير عليه بنائها بالقصة، ومن المرجح أنه بعد ذلك شاع استخدام النورة في البناء بمكة؛ ويؤيد مذهبنا إليه تتبعنا لأخبار عمارة المسجد الحرام وبعض البيوت المشهور بمكة في العصرين الأموي والعباسي، وقد استمر ذلك إلى نهاية العصر العثماني وبداية العهد السعودي ففي عمارة المسجد الحرام في عهد كل من الوليد بن عبد الملك عام ٨٨ هـ / ٦٠٧ م، وأبي جعفر المنصور عام ١٤٠ - ١٤٧ هـ / ٧٥٤ - ٧٥٧ م، ورد أنهما أزرأ المسجد بالرخام من داخله^(٢٥)؛ وطبعي فإن ذلك لا يتم إلا باستخدام النورة في خليط المونة للصق الرخام على المباني الداخلية للمسجد الحرام، كما استخدمت النورة في تكوين خليط المونة لبناء أساسيات أعمدة المسجد الحرام التي أمر بها المهدي لما حج عام^(٢٦) ١٦٠ هـ / ٧٧٦ م وفي خلافة المأمون (١٩٨ - ٢١٨ هـ / ٨١٣ - ٨٣٣ م)^(٢٧) كحلّ درج الصفا والمروة بالنورة^(٢٨)، وفي سنة ٢٥٤ هـ / ٨٦٨ م بنى عيسى بن محمد المخزومي - أمير مكة - داراً بالحجر المنقوش والأجر والجص^(٢٩). وذكر ابن بطوطة في وصفه للمسجد الحرام - أثناء قدومه للحج عام ٧٢٨ هـ / ١٣٢٧ م - أن: "على باب إبراهيم قبة عظيمة مفرطة السمو، قد صنع في داخلها من غرائب صنع الجص ما يعجز عنه الوصف"^(٣٠) وهذا يشير إلى استخدام النورة لصنع الزخارف، وفي عام ٨٠١ هـ / ١٣٩٨ م تم كشط النورة من سطح الكعبة الشريفة والتي عملت عام ٧٨١ هـ / ١٣٧٩ م^(٣١) وفي عام ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م عمر القائد علاء الدين علي بن محمد بأمر

من المؤيد صاحب مصر بركتي المعلاة عمارة حسنة باستخدام النورة، ثم استكمل عمله عام ٨٢٢ هـ / ١٤٣٤م بعمارة ظلّة المؤذنين التي فوق بشر زمزم وكان البناء بالنورة، وفي عام ٨٢٣ هـ / ١٤٣٤م أعيد بناء سقف الكعبة وأصلحت عدة شقوق في جدران الكعبة الخارجية باستخدام النورة^(٣٣)، وعند بناء الكعبة عام ١٠٠١ هـ / ١٣٦٠م حضر الشريف عبد الله - أمير مكة - وحمل مكتلا فيه نورة وفعل فعله جماعة من الحاضرين^(٣٤)؛ وهذا يشير إلى استخدام النورة مادة إنشائية في بناء الكعبة، ولا غرابة في ذلك فهي المادة الأساسية لتكوين المونة اللاصقة لأحجار البناء، وفي عام ١٠٧٤ هـ / ١٦٦٣م تم طلاء جميع قباب المسجد الحرام بالنورة ظاهراً وباطناً^(٣٥). كما استخدمت النورة في خليط المونة؛ لبناء وتجهيز البرك والقنوات والسدود في مكة المكرمة؛ حيث نلاحظ من أعمال العثمانيين (١٥١٦/٩٢٣ - ١٥١٧م - ١٣٣٤ هـ / ١٩١٥م) بمكة المكرمة أن المعمار عمل في بنائه للقناة في المناطق على سطح الأرض، والمناطق قليلة المياه تحت سطح الأرض، على بناء أساس للقناة، ثم بنى جانبي القناة بالحجر والمونة، ثم جصص أرضية القناة، وقد بلغ سمكها في بعض المواضع ٢٥ سم، كما جصص جانبي القناة من الداخل أما من الخارج فتظهر في شكل مداميك تلتصق أحجارها بالمونة دون ترك تجويفات بين أحجار القناة، لمنع تسرب المياه من القناة، أو دخول الحشرات إليها. كمل لجأ المعمار في حال تصدع القناة إلى علاجها بملئها بعجينة مكونة من الجير الحي والقطن والزيت، تكون مخمرة لفترة طويلة؛ لتشكل طبقة عازلة تحول دون تسرب المياه، وظهر من أساليب المحافظة على بناء القناة وعلى المياه المناسبة عبرها، تغطية سطحها بطبقة من الملاط على شكل محدب، كما ظهر أسلوب تغطية سطح السد بطبقة من الملاط أيضاً، لحمايته من تأثير المياه إذا علته^(٣٦). وقد استمر استخدام المكيين للنورة في البناء إلى أن حل محلها الإسمنت عنصراً إنشائياً ابتداء من عام ١٣٧٠ هـ / ١٩٥٠م^(٣٧).

ثانيا - عوامل ظهور صناعة النورة بمكة المكرمة

لاشك أن توافر أحجار الكلس في مكة المكرمة^(٣٨) وهي المادة الخام الأساسية لصناعة النورة - تعد من أهم أسباب ظهور هذه الصناعة في مكة المكرمة ، حيث إنها تسهم بشكل كبير في خفض تكاليفها مقارنة بجلبها من الخارج ، وإضافة إلى ذلك فقد ساهم انتقال المسلمين إلى مكة للحج أو العمرة في نقل الخبرات الصناعية إليها ؛ فالحج ركن من أركان الإسلام ، فرض عين على كل مسلم قادر كما قال تعالى : ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ﴾^(٣٩) والعمرة مختلف في وجوبها ، حيث إن المشهور عن مذهب الشافعي وابن حنبل وجوبها ، أما عند أبي حنيفة ومالك فإنها ليست واجبة ، وهما القول الراجح عند ابن تيمية^(٤٠) . وقد دفعت هذه الأحكام الشرعية المسلمين للتوجه إلى مكة تلبية نداء ربهم ؛ وطبعي أن يكون من بين هؤلاء الصناع المسلمون القادمون إلى مكة من مختلف أقطار العالم حاملين معهم مختلف خبراتهم الصناعية^(٤١) ؛ مما يجعلنا نرجح أن يكون هذا أحد السبل التي أسهمت في تبادل الخبرات في صناعة النورة بين بلدان العالم الإسلامي ومكة لمواجهة متطلباتها من هذه المادة ، وإضافة إلى ذلك فإن نمو عمران مكة تطلب ظهور صناعة النورة بها لمواكبة مسيراتها الحضارية فقد شهدت مكة المكرمة بعد ظهور الإسلام تطوراً عمرانياً ، وخير شاهد على ذلك التوسعات المختلفة في المسجد الحرام ، والتي كانت تعني زيادة في بناء المساكن وغيرها من المباني لتعويض النقص الحاصل من هدم الدور وإضافة أرضها للمسجد الحرام^(٤٢) ، علاوة على بناء السدود والأسبلة والحمامات وغيرها من المرافق العامة التي تعود بالنفع على المسلمين في البلد الحرام^(٤٣) ويمكننا التعرف على ملامح ذلك التطور في عصر معاوية بن أبي سفيان - * - من خلال حديثه مع عائشة - \$ - حين قالت له : " أنت الذي عمدت إلى مكة فبنيتها مدائن وقصوراً وقد أباحها الله عز وجل للمسلمين وليس أحد أحق بها من أحد قال يأثم المؤمنون ، إن مكة كداء ولا يجدون ما يكتنهم من الشمس والمطر وأنا أشهدك أنها صدقة عليهم^(٤٤) " ولعائشة بن أبي

سفيان - # - أعمال عمارية عديدة في مكة؛ منها تسهيله طريق الحجون^(٤٥)، وعنايته بأمر الشرب في مكة، فأنشأ لها نحو عشر عيون^(٤٦)، وأمر بتجديد أنصاب الحرم^(٤٧)، وأقام سداً فيما كان يُعرف بالسوق الصغير^(٤٨) وأمتلك دوراً مشهورة منها الدار الرقطاء التي بنيت بالأجر الأحمر والجص، والدار البيضاء التي بنيت بالجص ثم طليت به، ودار سعد التي بنيت بالحجارة المنقوشة^(٤٩). وقد تعددت أخبار استخدام المكين للحجر المنقوش في بناء مساكنهم وغير ذلك من المرافق بما يعود بالنفع عليهم فمن ذلك دار جعفر بن يحيى بأجياد عمرها بالحجر المنقوش والساج، وكان قد اشتراها من أم السائب بنت جميع الأموية فيما ذكر بثمانين ألف دينار^(٥٠)، وبركة القسري أو السروي بقم الثقبه التي أمر ببنائها سليمان بن عبد الملك، وورد أنها بنيت بحجارة منقوشة طوال^(٥١). وورد أن سعيداً الهذلي كان ينقش الحجارة التي يقطعها من جبل أبي قبيس في مكة^(٥٢).

وتدل إشارات المؤرخين لاستخدام المكين للأحجار المنقوشة في البناء على تأنيقهم واهتمامهم بمتانة ومظهر منشآتهم؛ ومن المرجح أن بناء تزداد كلفته بصقل أحجاره أن يعهد صاحبه إلى اختيار المونة الجيدة للصق أحجاره؛ وهذا يؤكد القول بأن المكين كانوا بحاجة للنورة لمواجهة نمو مدينتهم المقدسة وتطور عمرانها.

ثالثاً: نشأة مصانع النورة بمكة:

أطلق على مصانع النورة عدد من المصطلحات وهي: الجصاصمة^(٥٣)/مصنع^(٥٤)، فرن الجير، جيارة^(٥٥)، كلاسة^(٥٦) مجيرة^(٥٧)، كوشة^(٥٨)، محرق^(٥٩)، جباسة^(٦٠)، والمشهور عند أهل مكة مصطلح "مصنع". ولنا أن نتساءل هل أنشأ أهل مكة مصانع للنورة قبل الإسلام أم لا؟. وإذا كانت الإجابة بالنفي فمتى تم لهم ذلك في الإسلام؟ وفي الإجابة عن ذلك نجد أن جواد علي ذكر بأنه: "على مسافة اثني عشر ميلاً من مكة جبل يقال له جبل النورة، حيث تحرق حجارة الكلس المكونة له لاستخراج النورة واستعمالها في البناء"^(٦١). وبما أنه

يتحدث عن تاريخ العرب قبل الإسلام فإن الذي يفهم من ذلك هو أن أهل مكة أنشأوا مصانع للنورة قبل الإسلام، ولم يشر المؤلف إلى المصادر التي اعتمد عليها، ومن هنا أرى أن هذا القول مجانب للصواب لما يلي:

١- لم نثر في المصادر التي اطلعنا عليها على نص صريح أو ما يستدل منه على أن أهل مكة أنشأوا مصانع للنورة بمكة قبل الإسلام، وطبيعي فإن هذا لا ينفي استخدامهم للنورة قبل ذلك، لأنهم ربما جلبوها من خارج مكة.

٢- إن مسمى جبل النورة الوارد في النص يعود إلى تسمية المنطقة التي يقع فيها الجبل والمعروفة إلى الوقت الحاضر باسم النوارية^(٦٢) - تبعد ١٦ كم شمال المسجد الحرام - وهي تسمية وردت في مصادر تاريخ مكة سنة ٩٠٣هـ / ١٤٩٧م، وقبلها كانت تُعرف بوادي سرف؛ ويدل على ذلك تتبع بعض الأحداث التي وقعت بها في عصر الرسول ﷺ وبعده: ففي سنة سبع للهجرة تزوج الرسول ﷺ بميمونة: " وأعرس بها يسرف وتوفيت^(٦٤) بسرف "، كما ورد اسم سرف للدلالة على المنطقة التي توقف بها حسن بن حسن الأفطس^(٦٥) سنة ١٩٩هـ / ٨١٤م، والمنطقة التي خلف فيها محمّل الحاج العراقي سنة ٨٧٧هـ / ١٤٧٢١م، مما يعني أن اسم النوارية لم يكن معروفا في ذلك الوقت.

٣- ذكر الفاكهي أن " أول من عمل الجص والأجر بمكة وبنى به: معاوية^(٦٧) " وهذا يؤكد أن بداية ظهور صناعة النورة بمكة المكرمة كانت في عهد معاوية بن أبي سفيان * (٤٠ - ٦٠ هـ / ٦٦٠ - ٦٨٠ م)، ولم تظهر قبل الإسلام.

رابعاً: مراكز الصناعة:

يمكن تتبعها بما يلي:

١- مصانع النورة في عهد معاوية بن أبي سفيان * (٤٠ - ٦٠ هـ / ٦٦٠ م، يرجح أنها كانت تقع غرب المسجد الحرام، حيث أورد الفاكهي عن ذلك

مناصبه: " وحمام في سوق الدجاج عند أصحاب النورة^(٦٨)؛ وبما أن سوق الدجاج كان يقع وسط التجمع السكاني غرب المسجد الحرام^(٦٩)؛ فمن المرجح تصنيع النورة وبيعها عند ذلك الموضع؛ ويؤيد ذلك أن نقل النورة في شكل أحجار خام غير مصنعة من مناجمها^(٧٠) إلى مراكز التصنيع قريباً من التجمع السكاني أسهل من نقلها مصنعة؛ لأنها في الحالة الثانية تكون في صورة مسحوق يحتاج إلى أوعية جيدة للحفاظ عليه، وهذا كان معمولاً به في العصر العثماني، فقد ورد أن النورة كانت تنقل عبارة عن قطع من الأحجار إلى موضع البناء، أو تطفأ في مصنعها وتنقل على شكل مسحوق إلى موضع البناء^(٧١).

٢- أشار محمد بن علي الصديقي (ت ١٠٥٧هـ / ١٦٤٧م) إلى أنه كان يوجد مصنع سلطاني لطحن الجبس عند بركة الشامي^(٧٢)، وبما أنها كانت تقع في المعلاة^(٧٣)؛ فهذا يشير إلى أن المصنع كان يقع شمال المسجد الحرام (خارطة رقم ١)، وقد استمر وجوده إلى النصف الثاني من القرن الرابع عشر للهجرة^(٧٤).

٣- مصانع ذكرها الطبري (ت ١٠٧٠هـ / ١٦٥٩م) في سياق حديثه عن الأريطة في مكة فقال: " منها رباط النساء وهو خلف البستان المعروف ببستان شيخ الحرم بالقرب من مصانع النورة. وبما أن بستان شيخ الحرم كان يقع على يسار الصاعد إلى مقبرة المعلاة^(٧٥)، فهذا يشير إلى أن المصانع كانت تقع شمال المسجد الحرام بالقرب من المصنع السابق (خارطة رقم ١).

٤- مصانع حارة الباب: أشار إليها الغزاوي بقوله: مصانع مكة المكرمة فلا يزال مكانها وأثرها باقياً حتى الآن - عصر المؤلف ١٣١٨ - ١٤٠١هـ / ١٩٠٠ - ١٩٨١م - بمحلة الباب... في سفح قعيقان... يسار الداخل إليها من ريع الرسام... وماهي إلا لإطفاء النورة: ^(٧٦) وحالياً ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م - اختفت المصانع وحل محلها عمائر حديثة، وقد أفاد محمد عبدالرحمن بسبيس، بأن والده ورث مهنة صناعة النورة عن جده الذي كان له مصنع بحارة الباب منذ القرن الثالث عشر الهجري، وتمت إزالة المصنع فيما بين عامي ١٤٠١ - ١٤٠٢هـ / ١٩٨٠ - ١٩٨٨م، وأقيمت مكانه عمارة حديثة^(٧٧) (خارطة ١).

٥- مصانع جرول: لقد كانت جرول آخر حدود العمران من مكة في نهاية القرن الثالث عشر الهجري تقريباً، وبها مصانع للنورة^(٧٨) لم يبق منها في الوقت الحاضر ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م سوى بقايا مصنع واحد، يظهر منه القسم العلوي للمدخل في شكل عقد موتور، والجزء العلوي الدائري من بناء حجرة التصنيع، وبقياء سور من المحتمل أنه كان يحيط بالمصنع. وبالنظر إلى ارتفاع منسوب الأرض المجاورة للمصنع فإننا نعتقد أن معظم أجزاء المصنع لا تزال مطمورة تحت مستوى الأرض المحيطة به، والتي علت نتيجة لما تجلبه السيول من مخلفات (خارطة رقم ١ و لوحة رقم ١).

٦- مصانع وردت في وثيقة: لقد ورد في وثيقة مؤرخة عام ١١٢٤هـ/ ١٧١٢م أنه تم في هذه السنة تجديد جدار حوش السلطنة الموقوف لعمل النورة، وتجديد مصنعين لحرق النورة فيهما، وقد كان الحوش مربعا طول ضلعه ٢٠٥ ذراع (١٠٣م) تقريبا وارتفاعه أربعة أذرع (٢م) تقريبا وعرضه ذراع واحد (٠٥، ٠م) تقريبا ولم نشر على ما يدلنا على موقع هذا الحوش والمصنعين، ويظهر مما سبق حرص الدولة العثمانية على تنمية الموارد المحلية لمواد البناء المساعدة في إنجاز مشاريعها العمرانية بمكة المكرمة.

٧- أشار المكّي إلى أن بمكة سبعة عشر مصنعا للنورة^(٨٠)، وأيد ذلك إبراهيم رفعت^(٨١) إلا أنهما لم يحددا مواقع المصانع. ومن المحتمل أن تكون داخل حرم مكة قريبة من موضع التجمع السكاني حول المسجد الحرام وربما أنه أحصى عدد المصانع في المواقع التي توجد فيها المصانع بمكة المكرمة وفي الأودية القريبة منها مثل النوارية والحراب وغيرها.

٨- مصانع النورة بالنوارية: تقع مصانع النورة بجوار مناجم أحجار الكلس، فيما يُعرف بوادي سرف أو النوارية على يسار الذهاب إلى المدينة من مكة، قبل مدينة الجموم، وعلى بعد ١٦ كم من المسجد الحرام^(٨٢) (خارطة رقم ٢).

وقد أشار إلى هذا الموقع عدد من الرحالة والمؤرخين أمثال سنوك هورخرونية عندما زار مكة في نهاية القرن الثالث عشر الهجري فذكر أنه كان يطلق عليه تاريخياً النوارية^(٨٣): وذكر الكردي أنه "يوجد بمكة المكرمة منجم عظيم للنورة البلدية يبدأ من بعد عمرة التنعيم بمسافة طويلة، أي يبدأ أول منجم من نحو خمسة عشر كيلو متراً من المسجد الحرام أي بعد قبر أم المؤمنين ميمونة رضي الله تعالى عنها، ويمتد في باطن الأرض بوضع كيلو مترات من جهة الشمال الغربي على اليسار"^(٨٤). كما أشار محمد عمر رفيع إلى أن النورة كانت تستخرج من مناجمها "بالنوارية" على مقربة من قبر السيدة ميمونة بوادي سرف، خارج مكة من الطريق إلى المدينة^(٨٥)، وذكر الغزاوي عن ذلك مايلي: "جبل إلى يسار الذهاب من التنعيم إلى "سرف" ووادي مر أو مر الظهران المسمى بوادي فاطمة منطقة من الجبال... كانت ولا تزال مصدراً للكلس أو النورة البلدية - ومنها بنيت بيوت مكة من عهود بعيدة ويطلق عليها (النورية)^(٨٦)

وبناء على ماسبق فإن النوارية كانت مناجم لاستخراج أحجار الكلس، ويؤيد هذا وجود عدد كبير من الشواهد الأثرية، إلا أنها مع الأسف بدأت تخفي عاماً بعد عام، ومن ذلك أثار القطع الصخري وحفر الأنفاق لاستخراج أحجار الكلس (اللوحات أرقام ٢، ٣، ٤) ووجود عدد من المصانع التي كنت اتبناها منذ عام ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م إلا أن معظمها اختفى حالياً وحل محله مباني حديثة ولم يبق منها سوى اثني عشر مصنعا في الوقت الحاضر (١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م) (اللوحتان رقما ٥، ٦) ولم نجد فيما اطلعنا عليه من مصادر على حد علمنا - ما يحدد فترة زمنية لظهور مصانع النورة في النوارية، إلا أنه استناداً إلى ورود مسمى "النوارية" في سياق حديث العصامي عن أحداث عام ٩٠٣ هـ / ١٤٩٧ م؛ قد تكون وجدت مصانع النورة في أواخر العصر المملوكي^(٨٧).

ومن خلال زيارة لأحد صناعات النورة المسنين في تاريخ ١/٣/١٤١٢ هـ^(٨٨) أفاد بأنه من الصعب تحديد تاريخ نشأة مصانع النورة بالنوارية؛ لأن معظم العمال

والصناع في النوارية قليلو الاهتمام بالعلم، مما أثر على عدم تمكنهم من تسجيل تاريخ هذه المصانع علاوة على أن مصانع النورة يمكن إعادة بنائها في أى وقت تتصدع فيه أو يحدث لها أى ضرر، واستطرد قائلًا: إنه يعمل في مصانع النورة بالنوارية منذ أكثر من أربعين سنة وسمع عن هم أكبر منه سنًا أن هذه المصانع لم يطرأ عليها إعادة بناء منذ نهاية القرن الثالث عشر للهجرة.

وقد حاولت البحث عن نقوش كتابية في الموقع للاستفادة منها في معرفة تاريخ المصانع فلم أجد؛ وعليه فإن احتمال وجود مصانع النورة في النوارية منذ نهاية العصر المملوكي لا يزال قائمًا، والمرجح أن البناء الحالي للمصانع المتبقية بالنوارية يرجع إلى القرن الثالث عشر الهجري.

٩ - مصانع النورة في الحراب: تقع مصانع النورة مجاورة لمناجم أحجار الكلس عند جبل الحرابي على بعد ٥, ٢١ كم من المسجد الحرام مروراً بالشبيكة فحارة الباب فالزاهر فأم الجود فمقر رابطة العالم الإسلامي التي تقدر المسافة من عندها إلى المصانع ب ٨, ١٣ كم مروراً بطريق الرحا. (خارطة رقم ٢ و لوحة رقم ١٠).

ولم نعرف فيما اطلعنا عليه من مصادر - على حد علمنا - ما يشير إلى تاريخ هذه المصانع؛ إلا أننا تعرفنا على ذلك بعد مقابلة الشريف نصير ابن عبد الله بن ناصر^(٨٩) الذي أفاد بأن الشريف ناصر بن بخيت المتوفي سنة ١٢٩٣هـ / ١٨٧٦م هو مؤسس المصانع عند جبل الحرابي في النصف الثاني من القرن الثالث عشر للهجرة. وقد أكد ذلك الشريف هزاع بن عبد الله بن ناصر^(٩٠)، وأضاف بأن المصانع أجريت لها أعمال ترميم عام ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م تقريباً، إلا أن ذلك لم يغير من معالمها القديمة.

وبالوقوف على الموقع وجد أن به تسعة مصانع بحالة جيدة لم يطرأ عليها تغيير أو تبديل، ويجاورها جبل الحرابي، أما المنجم فقد أخذ شكل طريق تم قطعه من الجبل، وتظهر به المياه على مستوى مختلف في العمق بين ٤ - ١٠ سم. وتجدر

الإشارة إلى أن مصانع النورة في الحراب في حالة عمارة أفضل من مصانع النوارية التي تعرض معظمها للإزالة، وأقيم بدلاً منها مبان حديثة، وربما يعود سلامة مصانع الحراب من الخراب والإزالة إلى عدم امتداد عمران مكة إليها حتى الوقت الحاضر (١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م).

وبناءً على ماسبق فإن النوارية والحراب كانتا مركزين مهمين لإنتاج الأحجار الخام للنورة واستمرت في عطاءهما إلى أن حل الأسمنت محل النورة ابتداء من عام ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م؛ مما يعني أنه يمكن الاستفادة مجدداً مما ينتجه هذان المركزان في صنع النورة للاستفادة منها في الأعمال العمرية المختلفة.

خامساً: طراز عمارة المصانع

ظهر من الزيارات الميدانية لمراكز التصنيع أن مصانع حارة الباب اختفت ولم يبق منها أثر وكذلك مصانع جرول اختفت باستثناء أجزاء من أحد مصانعها فإنها لا تزال باقية إلى الآن (١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م) وبمقارنة طراز المصانع في الحراب والنوارية والأجزاء الباقية لأحد مصانع جرول؛ وجد أنها متفقة في الشكل العام مع اختلاف يسير في الأبعاد، مما يعني أنه بتقديم وصف لأحد هذه المصانع، فإنه يمكن أن يكون طرازاً عاماً لمصانع النورة بمكة في الحراب والنوارية وجرول؛ ولذلك فقد اخترنا أحد مصانع النوارية لرفعه عمارياً، ثم وصفه على الوجه التالي:

الموقع: النوارية على مسافة ٨٠٠ م تقريباً غرب الشارع العام المؤدى إلى المدينة المنورة (خارطة رقم ٢).

(١) الوصف العماري

يأخذ المصنع شكلاً دائرياً يتقدمه مدخل مستطيل يمثل واجهة المصنع، أبعاده الخارجية كما يلي: من الشرق إلى الغرب ٣,٩٠ م ومن الشمال إلى الجنوب ٢,٦٠ م، ويبرز عن السمت الجدار الدائري المؤدى إلى الداخل ١,٧٠ وسعة

المدخل ١, ٨٥ يعلوه عقد موتور يرتفع ٢, ٨٠ م عن مستوى الأرض الحالية ومن هذا المدخل يمكن الوصول إلى الحجرة الدائرية للتصنيع عبر مدخل الواجهة ومرتداً عنه من الجانبين ب ٦٠, ٠ م ومرتفعاً عن الأرض الحالية بدرجة ارتفعها حوالي ٣٠ سم وسعة هذا المدخل ٦٥, ٠ م يعلوه عقد موتور يرتفع عن مستوى درجة المدخل ٩, ١ م (الشكلان رقما ١, ٢ واللوحات ارقام ٦, ٧, ٩) ومن هذا المدخل يمكن الوصول إلى حجرة التصنيع لحرق أحجار الكلس، وهي على شكل دائري قطرها الداخلي ٣, ٢٠ م وارتفاعها عن مستوى الأرض الحالية ٣, ٦٠ م وقد أنشئ في أسفلها بناء يبرز ٤٠, ٠ م عن مستوى الأرض الحالية لحجرة التصنيع (الشكلان رقما ١, ٢ واللوحتان رقما ٧, ٨) ويكتنف فتحة الدخول من داخل حجرة التصنيع كتلة بنائية تأخذ شكلاً مستطيلاً متتهياً في جانبه بشكل شبه مثلث (شكل رقم ٢).

(٢) أسلوب البناء والمواد المستعملة

اختار المعمار سفوح الجبال موقعا لبناء مصانع النورة في جردول والحراب والنورية، وذلك ليحقق هدفين؛ أحدهما حماية المصانع من عوادي السيول التي ستؤثر على المصانع فيما لو بنيت في بطن الوادي أما الهدف الآخر فهو الإفادة من ارتفاع منسوب سفح الجبل عن الوادي؛ ليكون عاملاً مساعداً في إحاطة المصنع بالتراب من جميع جوانبه تقريباً باستثناء الواجهة؛ للمحافظة على عدم تسرب حرارة النار الموقدة داخل المصنع. كما أفاد من معطيات البيئة المحلية باستخدام أحجار البازلت غير المهذبة وألصقها ببعض بخليط المونة المكونة من التراب والنورة، وجعل جدار حجرة التصنيع الدائرية سميكاً (١٠, ١ م) ليساهم في حفظ الحرارة وتحمل دفع أحجار الكلس بعد رصها للتصنيع. أما البناء المنشأ في أسفل دائر جدار حجرة التصنيع ببرز ٤٠, ٠ م وارتفاع ٦٠, ٠ م فقد جعله لحمل أحجار الكلس المراد تصنيعها وجعل المنطقة الواقعة تحتها فراغاً، للإفادة منه في وضع الحطب وإشعال النار. وجعل لمدخل المصنع كتلة بنائية تبرز ١, ٧٠ م عن سمت

جدار حجرة التصنيع؛ ليتمكن الصانع من الوقوف عندها، وإدخال الحطب لزيادة إشعال النار إذا لزم الأمر في حجرة التصنيع، كما يمكنه الاحتماء من لهب النار بالوقوف عند الفراغ الناتج بين المدخلين (شكل رقم ١ ولوحة رقم ٩) ويسمى عند أهل الصنعة الكتف^(٩٢).

سادساً: طرق الصناعة

لقد أمكن الكشف عن ذلك بإجراء مقابلة مع اثنين من المسنين عملا في صناعة النورة، كانت المقابلة الأولى مع أحد الصانع في النوارية بتاريخ ١٤١٢/٣/١هـ، أما المقابلة الثانية فكانت مع الشريف هزاع بن عبد الله بن ناصر في الحراب بتاريخ ١٤١٦/٦/٢٩هـ، ومقارنة المعلومات المقدمة منهما ظهر اتفاقهما على أن صناعة النورة بمكة كانت تتم وفق مايلي:

(١) استخراج أحجار الكلس

يقوم العمال باستخراج أحجار الكلس من الجبال المحيطة بالمصانع، وذلك بتكسير الصخور للحصول منها على أحجار الكلس التي يعرف بعضها بالسوادي وبعضها بالبياضي ثم ينقل الدمار والأحجار عديدة الفائدة إلى منطقة بعيدة بعض الشيء عن موقع التكسير، وقد يأخذ ذلك أشكالا عدة تبعا لموقع أحجار الكلس، فقد يكون ذلك بقطع الجبل من أعلاه إلى أسفله كما هو الحال في منطقة الحراب (لوحة رقم ١١) وقد يكون بنقب الجبل على شكل نفق كما هو الحال في النوارية (اللوحتان رقمي ٣، ٤) ولا يزال إلى الوقت الحاضر (١٤١٦هـ/١٩٩٦م) نفق محفور في الجبل قطره حوالي ٢,٥م وعمقه يزيد عن ١٥م. وأثناء ذلك قد يضطرون إلى استخدام أساليب التفجير، حيث يعملون نوبا في أحد مواضع الجبل قطره حوالي عشرة سنتيمترات وطوله نحو المتر ثم يملؤون مايقرب من ثلثي الفتحة بالبارود، ثم يغطون مايحيط بالفتحة ويدقون عليه برفق حتى يتم تجميعه بشكل

متكامل، ويضعون فتيلاً طويلاً لربط البارود بأخر الفتحة ثم يشعلون الفتيل ويتعدون، وبذا تتم عملية التفجير ويحصلون على طلبهم من أحجار الكلس لصناعة النورة.

(٢) التصنيع

تنقل المادة الخام للنورة في شكل أحجار مختلفة الأحجام، يمكن حملها باليد العادية إلى المصنع، ثم ترص بتدرج إلى أن يتم بناؤها على شكل قبة أو على شكل هرمي ثم تغطي من الأعلى بالأحجار الصغيرة ثم بالرماد أو النورة لمنع تسرب حرارة النار إلى الخارج، ثم تشعل النار داخل المصنع تحت القبة المكونة من رص الأحجار الخام للنورة، ويستمر إشعال النار داخل المصنع لمدة ثلاثة أيام دون توقف، ويتناوب العمال خلالها على مراقبة اشتعال النار؛ فيزيدونها خطباً كلما بدأت تكل ثم ينتظرون بعد ذلك مدة قد تصل إلى يوم كامل كي تنطفئ النار تماماً وتبرد الأحجار، فيبدأون في استخراجها من المصنع، وقد تحول لونها من السمرة إلى البياض بفعل النار، ثم يرشونها بالماء فتفتت ويتم سحقها وغربلتها حتى تصبح كالرمل، وبذا تكون جاهزة للاستعمال.

وقد أضاف لنا الأستاذ صالح عبد الله مسلم اللحياني^(٩٣) معلومات عن أسماء الأحجار الخام المستخدمة في التصنيع وعن أسماء الأخشاب المستخدمة في الحرق وهي:

أ- حشو: وهو حجر الكلس صغير الحجم حوالي ١٥ سم تقريباً، ويظهر من اسمه أنه يستخدم في ملء الفراغات الناتجة من رص أحجار الكلس الخام.

ب- كردوس: وهو حجر الكلس الذي يرص ليكون شكل قبة داخل المصنع وتكون أبعاده حوالي ٨ × ١٢ × ٥ سم تقريباً.

ج- نقل: وهو حجر الكلس الذي يوص مع كردوس لبناء قبة داخل المصنع، وتكون أبعاده حوالي ٣٠ - ٤٠ - ٦٠ طولاً وعرضها حوالي ١٠ - ١٥ سم وسمكاً حوالي ٦ - ٧ سم.

أما عن أسماء الأخشاب المستخدمة في الحرق داخل المصنع فهي

- أ - أثل : كانوا يجلبونه من نبع ودسم باللحيانية .
- ب - بشام : كانوا يجلبونه من نبع ودسم باللحيانية .
- ج - الحمض : كانوا يجلبونه من طريق مكة - جدة .
- د - السرح : كانوا يجلبونه من الكامل ووادي سرف .
- هـ - السلم : كانوا يجلبونه من طريق مكة - جدة .
- و - السمر : كانوا يجلبونه من نبع ودسم باللحيانية .
- ز - العشر : كان موجوداً في النوارية .

وبمقارنة ماسبق عرضه عن صنْع النورة بما تقوم به المصانع الحديثة؛ ظهر اتفاقهما في الأسلوب مع اختلاف في أداة التنفيذ، ويمكن إيضاح ذلك بما قدمه لنا مشكوراً المهندس أحمد زكريا السيد وهبه حيث أفاد:

بأن الأحجار الجيرية تتكون بصفة عامة من الخام الأساسي كربونات الكالسيوم ومعها بعض الأكاسيد المعدنية مثل: أكسيد المغنسيوم وأكسيد الحديد وأكاسيد الألمنيوم إضافة إلى مادة السليكون (الرمل). ويمكن الحصول على المادة الخام للنورة عن طريق الحفارات وعمليات التفجير، وتكسير الأحجار الخام إلى قطع صغيرة حوالي ٢ × ١٢ × ١٢ سم. يتم بعدها إدخال أحجار الكلس (كربونات الكالسيوم) إلى الفرن وتعرض لدرجة حرارة تصل من ١١٠٠° - ١٢٠٠° لمدة ثماني ساعات، ونتيجة للحرارة العالية فإن أحجار الكلس (كربونات الكالسيوم) تتحول إلى عنصرين هما: أكسيد الكالسيوم (الجير الحي) وغاز ثاني أكسيد الكربون الذي

يتطاير على هيئة غاز ويأضافة الماء إلى أكسيد الكالسيوم (الجير الحي) يتحول إلى جير مغطاً، وهو ما يسمى بالنورة حيث يتم طحنه وتحويله إلى بودرة.

(٣) تطور جودة الإنتاج في مصانع النورة

طبيعي أن يتجه الموسرون ومن لديهم إمكانيات مادية إلى ماتنتجه مصانع النورة بمكة منذ عهد معاوية بن أبي سفيان - * - ، للاستفادة من ذلك في بناء منشآتهم المختلفة، إلا أننا نلاحظ أنه في عهد عبد الله بن الزبير - * - عند إعادة بنائه للكعبة المشرفة عام ٦٤هـ / ٦٧٩م كان هناك من يشير عليه ببنائها بالقصة " فسأل عن القصة فأخبر أن قصة صنعاء هي أجود القصة فأرسل إلى صنعاء بأربع مائة دينار يشتري له بها قصة ويكتري عليها، وأمر بتنجيح ذلك " (٩٥) ويمكن أن نستدل من ذلك على أن صناعة النورة بمكة عام ٦٤هـ / ٦٧٩م لم تصل إلى الحد الذي تتساوى فيه مع ماتنتجه اليمن في ذلك الوقت لقلة خبرة القائمين عليها، فالمدة الزمنية قصيرة جداً بين بداية ظهور الصناعة في عهد معاوية بن أبي سفيان - * - (٤٠ - ٦٠هـ / ٦٦٠ - ٦٨٠م) وإعادة عبد الله بن الزبير لبناء الكعبة عام ٦٤هـ / ٦٧٩م) ونرجح تفوق الصناعة بعد ذلك، وخاصة في عمارة المهدي للمسجد الحرام عام ١٦٠هـ / ٧٧٦م، والتي أكد فيها الأزرقى على استخدام النورة في بناء أساسات أعمدة المسجد الحرام (٩٦) فلو كانت النورة بمكة غير جيدة في ذلك الوقت، لكان من الأولى أن يجلبوها من الخارج كما جلبوا أعمدة الرخام (٩٧)، كما يبدو أنه أصبح لما تنتجه مصانع النورة بمكة مكان معروف تباع فيه، وذلك استناداً إلى ما ذكره الفاكهي عن ذلك في سياق حديثه عن حمامات مكة فذكر مانصبه " وحمام في سوق الدجاج عند أصحاب النورة " (٩٨).

كما يظهر استمرار جودة ماتنتجه المصانع إلى العصر العثماني بالنظر إلى مواد البناء التي جلبت إلى مكة عام ١٠٤٠هـ / ١٦٣٠م لإعادة بناء الكعبة، حيث ورد تفصيل لجميع المواد المطلوبة ولم تكن النورة من بينها (٩٩) ومعروف أن بناء الكعبة

هو أهم بناء عند المسلمين، والواجب في ذلك أن تختار مواد البناء الجيدة، فلو كان نتاج النورة بمكة في ذلك الوقت غير جيد، لكان من الأولى لهم أن يجلبوها من الخارج، كما فعل عبد الله بن الزبير -* عند بنائه للكعبة عام ٦٧٩م/١٠٠٠.

(٤) نقل النورة

كان نقل النورة يتم بوضعها في أكياس من الخيش وتحميلها على ظهور الحمير، حيث يعملون لكل حمار من أخشاب الأشجار القوية أربعة مثلثات متساويات الساقين، ثم يجعلون كل مثلثين متقابلين بينهما نحو نصف متر، ثم يوصلون رأسهما بخشبة أيضاً ثم يجعلون بين ساقيهما خشبتين أيضاً، فيكون كل مثلثين بمثابة قطعة واحدة وسطهما خال، ثم يضعون كل مثلثين في جانبي الحمار من فوق البردعة بعد ربط أطراف ساقيهما ببعض بحبل غليظ قوي، ثم يجعلون قطع الأحجار المكسرة من الجبال في داخل المثلثين من الجانبين، أو يضعون بهما النورة بعد تعبئتها في كيس من الخيش^(١٠١).

سابعاً: أشهر النوارين في مكة وألقابهم المهنية

أ - عبد الرحمن محمد سبيس، وقد ورث مهنة صناعة النورة عن أبيه الذي كان له مصنع بحارة الباب منذ القرن الثالث عشر للهجرة، وقد تابع عبد الرحمن سبيس العمل في صناعة النورة، ويعد مع أسرة غندورة من أشهر صناع النورة بحارة الباب، وهما الممولان لتجار النورة، وقد كان عبد الرحمن محمد سبيس يبيع النورة على الشيخ محمد بن لادن في بداية العصر السعودي بما يقارب نصف ريال للصفحة الكاملة من النورة^(١٠٢).

وقدم الأستاذ صالح عبد الله مسلم اللحيني الأسماء التالية لمن اشتروا بصناعة النورة في منتصف القرن الرابع عشر للهجرة في مكة وهم: ^(١٠٣)

ب - محمد سعيد جان.

ج - السنوسي.

د - سمس.

هـ - أحمد كوير.

و - عبد الله أحمد كوير.

ز - غربوزة، وقد عاش نحو مائة عام، وتخصص في ترميم مصانع النورة توفي نهاية القرن الرابع عشر للهجرة تقريباً.

ح - عبد الله بن مسلم البطحي اللحياني شيخ النورة في النوارية في النصف الثاني من القرن الرابع عشر للهجرة، عاش نحو مائة عام وتوفي عام ١٣٩٥ هـ، بدأ حياته بجمع الحطب مع إخوانه عبيد الله وجميلة وريشة ويبيعه على أصحاب المصانع ثم اشترى مصنعاً للنورة وترقى إلى أن أصبح شيخاً على أصحاب مصانع النورة في النوارية، وقد كلف بجمع الضرائب وتقديرها للحكومة في الفترة السابقة على العصر السعودي.

ط - عاتق بن عالي بن علي اللحياني توفي قبل عام ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م، وورث الصناعة عن أبيه الذي كان يملك مصنعاً للنورة.

ي - سعد بن عايش بن سعد اللحياني.

ك - زين بن عايش بن سعد اللحياني، وقد امتلك مع أخيه سعد مصانع في النوارية.

ل - سلمان بن سالم اللحائي، وهو ابن عم شيخ النوارين في النوارية .

م - عبيد الله بن مغيث عبد الحلي اللحائي.

أما عن ألقاب الصنع فهي كما يلي :

أ - نوار: مختص بطلاء الجدران من الداخل والخارج، ويفرق بينه وبين المعلم البناء بأن يدعى الأول معلم نوار والثاني معلم بناء، والمعلم هو اللقب الذي يسبغ على رئيس العمال، وهو أشبه بمتعهد توريدهم^(١٠٤) وقد ورد في تحديد مهنة عبد الرحمن محمد بسييس صاحب مصنع النورة بحارة الباب لقب نوار^(١٠٥) مما يعني أن لقب نوار ممكن أن يطلق أيضا على أصحاب المصانع .

ب - صنايعي: يطلق على المعلمين الأقل درجة من معلم نوار فيقال صنايعي نوار.^(١٠٦)

ج - الخفلاط: وهو الذي يخلط التراب بالنورة والماء ليكون صالحاً للبناء .^(١٠٧)

د - لغمجي: وهو الذي يقوم بدق اللغم لاستخراج أحجار الكلس من الجبال ويكسر الأحجار^(١٠٨) .

هـ - قرأش: الذي يقطع الحطب ويجهزه لاستخدامه لإشعال النار داخل المصنع.^(١٠٩)

و - جوار: الذي يجلب الحطب .

ز - رمائي: الذي يرمي الحطب داخل المصنع، ويشترط فيه أن يكون ذا مهارة عالية في إدخال الحطب داخل المصنع، بحيث يوزع الحطب والنار مشتعلة، ولا يترك جزءاً دون إيصال النار إليه، والمهارة تكون في رميته للحطب دون المساس بأحجار الكلس المرصوفة، لأن أعواد الحطب لو اصطدمت بأحجار الكلس المرصوفة، فإن ذلك قد يؤدي إلى انهيارها مما يعني بذل جهد جديد لإعادة رصها بعد أن تبرد، ولذلك لا يكلف بهذا إلا متخصص، ويروي الأستاذ صالح بن عبد الله بن مسلم اللحستاني ابن شيخ صناع النورة في النوارية بأنه طلب من والده السماح له برمي الحطب داخل المصنع - أثناء عملية التصنيع - فرفض والده خوفاً من أن يسبب ذلك انهيار أحجار الكلس^(١١٠) المرصوفة.

نتائج البحث

نظراً لتنوع استخدام النورة وأهميتها في تلبية حاجة مكة لنموها العمراني، فلقد ظهرت صناعتها بمكة منذ عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه (٤٠ هـ - ٦٠ هـ / ٦٦٠ - ٦٨٠ م) واستمر استخدامها وتصنيعها بمكة إلى عام ١٣٧٠ هـ / ١٩٥٠ م. وتعددت مراكز صنعها، فمنها ما اندثر ولم يبق له أثر، ومنها ما احتفظ ببعض المصانع أو أجزاء منها كالتوارية والحراب وجرول، وقد يكون بداية ظهور مصانع النورة في النوارية يرجع إلى أواخر العصر المملوكي، والمرجح أن البناء الحالي لمصانع النوارية يرجع إلى القرن الثالث عشر الهجري، أما مصانع الحراب فإنها ترجع إلى منتصف القرن الثالث عشر الهجري، ولم نعر فيها اطلعنا عليه من مصادر - على حد علمنا - على ما يدلنا على تحديد مدة زمنية لظهور مصانع جرول وبالنظر إلى طراز عمارة المصانع وجد أنها تتفق في الشكل العام مع اختلاف يسير في الأبعاد، وعلى هذا فإننا بعرضنا لوصف أحد المصانع فإنه يكون طرازاً عاماً لكل المصانع التي عثرنا عليها، ويأخذ المصنع شكل حجرة دائرية قطرها الداخلي ٢٠، ٣م يتقدمها كتلة المدخل، ويمكن رص أحجار الكلس بشكل قبة أو

هرمي داخل حجرة التصنيع وكبسها؛ لمنع تسرب النار التي يمكن إشعالها داخل حجرة التصنيع أسفل أحجار الكلس لمدة ثلاثة أيام دون توقف، فيتحول لون الكلس إلى اللون الأبيض، وتكون جاهزة للاستخدام بعد رشها بالماء. وقد تعرفنا على أسر عديدة ساهمت في إنتاج النورة في البلد الحرام، منها أسرة بسبيس وجان وسمسم وكوير وعدد من لحيان، كما تعرفنا على ألقاب الصناع المرتبطة بصناعة النورة، ومنها لقب نوار وصناعي وخلاط ولغمجي وقراش وجرار ورمي، ونظراً لأهمية الصناعة ومكانتها في تاريخ مكة أوصينا بما نراه محافظاً على هذه الصناعة ومحتفظاً لتاريخ مكة بمعلم من أهم معالمه التي ساهمت في تطوره ونهوضه.

توصيات

من واقع هذه الدراسة تبرز التوصيات الآتية:

١- بما أن مكة المكرمة عاشت مايقرب من أربعة عشر قرناً من الزمان معتمدة - بعد عون الله - على مانتتجه مصانع النورة بها، للحصول على المادة الخام الأساسية في البناء؛ فإنه يمكن الاستفادة مجدداً ما كانت تنتجه المناجم قديماً لإمداد المصانع بالمادة الخام الأساسية لصناعة النورة، وهذا لا يتم إلا بالمحافظة على مواقع المناجم القديمة والبحث عن مناجم حديثة.

٢- نظراً لتوافق طرق التصنيع القديمة مع الطرق الحديثة في الأسلوب مع الاختلاف في أداة التنفيذ؛ فإنه يمكن للمستثمرين غير القادرين على تكلفة إنشاء مصانع للنورة وفق التقنيات الحديثة أن يعودوا إلى طراز المصانع القديمة مع دراسة الجدوى الاقتصادية من المشروع.

٣- نتيجة لاختفاء مصانع النورة تدريجياً، فإن من الضرورة توجيه أصحاب المصانع إلى المحافظة على ماتبقى منها، واتخاذ كافة الإجراءات لحفظها، فهي سجل مادي لتطور الحركة العمرانية بمكة.

الهوامش والتعليقات

- ١ - الجواليقي، أبو منصور. موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر، المغرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، ط ٢ (مطبعة دار الكتب ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م) ص ٣٨٩.
- ٢ - ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم، لسان العرب (بيروت، دار صادر، د. ت) ج ٥، ص ٢٤٤.
- ٣ - ابن منظور لسان العرب، ج ٢، ص ٣١٠، الجواليقي، المغرب، ص ٢٦١.
- ٤ - الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط ٢ (د. م، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م) ج ٢، ص ٦١٩، ابن منظور لسان العرب، ج ٤، ص ١٥٦، ١٥٧.
- ٥ - ابن منظور، لسان العرب، ج ٧، ص ١٠.
- ٦ - ابن منظور، لسان العرب، ج ٧، ص ٦٧.
- ٧ - ابن منظور، لسان العرب، ج ٦، ص ١٩٧.
- ٨ - الجوهري، تاج اللغة، ج ٢، ص ٩٧١.
- ٩ - ابن منظور لسان العرب، ج ٦، ص ٣٤.
- ١٠ - الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ط ١، (بيروت مؤسسة الرسالة: ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م) ص ٦٨٩.
- ١١ - رفيع، محمد عمر، مكة في القرن الرابع عشر الهجري، ط ١، (مكة المكرمة، منشورات نادي مكة الثقافي ١٤٠١هـ / ١٩٨١م) ص ٢١، ٢٢، ١٤٤، ١٤٥) مغربي، محمد علي، ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة، ط ٢ (جدة، دار العلم للطباعة والنشر ١٤٠٥هـ / ٢٩٨٤م) ص ٦٥، ٧٠، ١٨٠.
- ١٢ - يتم تبييض غزل الكتان باستخدام ماء مغلي أذيب فيه نحو متساو نظرون وجير حي. انظر ب. س جيرار، موسوعة الحياة الاقتصادية في مصر في القرن الثامن عشر، ترجمة زهير الشاب، ط ١ (القاهرة: مكتبة الخانجي د. ت) ج ١، ص ١٧٢، ١٨٠.
- ١٣ - زكار، سهيل، المدفعية عند العرب، دراسات في التاريخ والعقيدة القتالية، ط ١ (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) ص ٣٣٧، ٣٣٨.
- ١٤ - مرزوق، محمد عبد العزيز، الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م) ص ٢١٤، حاشية ٧.

- ١٥ - ورد عن أم سلمة * أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا اطللى بدأ بعورته فطلاها بالنورة وسائر جسده أهله * وكلمة اطللى الواردة في الحديث بمعنى افتعل من طلى يقال : طليته بنورة أو غير ، لطحته ، واطليت إذا فعلته بنفسك (وسائر جسده أهله) أى وطلى سائر جسده أهله ، فهو من عطف معمولي عامل واحد ، انظر ابن ماجه ، سنن ابن ماجه ، ج ٢ ، ص ١٢٣٤ .
- ١٦ - مقابلة مع الشريف هزاع بن عبد الله بن ناصر بن بخيت في ٢٩/٨/١٤١٦هـ ، وهو من المسنين الذين عملوا في البناء بالنورة وشاهد عيان لهذا الأسلوب .
- ١٧ - مقابلة مع المعلم عبد الحميد أحمد حسين قاسم في ١٢/٨/١٤١٦هـ ، وهو من المسنين الذين عملوا في البناء بالنورة .
- ١٨ - الطبطاب يُعمل تسوية أرض الغرف أو المداخل أو الأسطح ، ويتكون بفرش المونة ثم تلميسها وتسوية سطحها إذا كان العمل في الغرف أو مافي حكمها ، أما إذا كان عمل الطبطاب في السطح فيكون مع ميل لجهة الميزاب ليسرب مايتجمع من ماء المطر أو أثناء غسل السطح ، انظر رفيع ، مكة ص ص ٢١ ، ٢٢ ، ١٤٤ ، ١٤٥ .
- ١٩ - الأزرقى ، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد ، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، تحقيق رشدي الصالح ملحق ، ط ٤ (مكة المكرمة : مطابع دار الثقافة ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) ، ج ٢ ، ص ١٣٠ .
- ٢٠ - العصامي ، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك ، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ، (المطبعة السلفية ومكتبتها د . ت) ج ٤ ، ص ٤٧١ .
- ٢١ - مغربي ، ملامح الحياة الاجتماعية ، ص ١٨٠ .
- ٢٢ - السيد حجازي ، ثروت ، " البناء في مكة قديما دراسة ميدانية ، الحرفة ، الخامة والأسلوب " المأثورات الشعبية السنة الرابعة ، العدد الخامس عشر ، ذو القعدة ١٤٠٩هـ - يولية ١٩٨٩م ص ٤٢ .
- ٢٣ - ابن ماجه ، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، سنن ابن ماجه ، حقق نصوصه ورقم كتبه وأحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي (القاهرة : دار الحديث ، د . ت) ج ١ ، ص ٤٩٨ .
- ٢٤ - ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٧ ، ص ٧٦ .
- ٢٥ - انظر حاشية رقم ١٥ عن استخدام النورة في إزالة شعر العانة .
- ٢٦ - الفاكهي ، أبو عبد الله محمد بن إسحاق ، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه ، دراسة وتحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ، ط ١ (مكة المكرمة : مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م) ج ٣ ، ص ٢٨٧ .

- ٢٧- الفاكهي، أخبار مكة، ج ٢، ص ص ١٦١، ١٦٢، ١٦٤.
- ٢٨- الأزرق، أخبار مكة، ج ٢، ص ص ٧٤، ٧٦.
- ٢٩- حسن، حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط ٧ (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٤م) ج ٢، ص ٦٦.
- ٣٠- الأزرق، أخبار مكة، ج ٢، ص ١٢٠.
- ٣١- ابن فهد، عز الدين بن عبد العزيز بن عمر بن محمد، غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، تحقيق فهد محمد شلتوت، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، الكتاب السابع والأربعون، ط ١، (جدة: دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م) ج ١، ص ٤٣٩.
- ٣٢- ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي، رحلة ابن بطوطة، (بيروت: دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م) ص ١٥٣.
- ٣٣- ابن فهد، نجم الدين عمر بن محمد، إنحاف الوري بأخبار أم القرى، تحقيق فهد محمد شلتوت، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، الكتاب العشرون، ط ١ (القاهرة: مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) ج ٣، ص ٤٠٢.
- ٣٤- ابن فهد، إنحاف الوري، ج ٣، ص ص ٥٥٥، ٥٦٠، ٥٦٢، ٥٦٦.
- ٣٥- ابن فهد، النجم عمر بن محمد، إنحاف الوري بأخبار أم القرى تحقيق وتقديم عبد الكريم علي باز، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، ط ١ (مكة المكرمة: شركة مكة للطباعة والنشر، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) ج ٤، ص ٤٧١.
- ٣٦- العصامي، سمط النجوم، ج ٤، ص ٤٣٥.
- ٣٧- العصامي، سمط النجوم، ج ٤، ص ٤٧١.
- ٣٨- غباشي، عادل محمد نور: " المنشآت المائية لخدمة مكة المكرمة والمشاعر المقدسة في العصر العثماني، دراسة حضارية " رسالة دكتوراه غير منشورة (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) ص ص ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨٣، ٤٨٥، ٤٨٨، ٤٩٠.
- ٣٩- الكردي، محمد طاهر، كتاب التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ط ١ (مكة المكرمة: مكتبة النهضة الحديثة، ١٣٨٥هـ) ج ٢، ص ٢٦٦.
- ٤٠- الكردي، التاريخ القويم، ج ٢، ص ٢٦٥.
- ٤١- القرآن الكريم، من آية ٩٧ سورة آل عمران.
- ٤٢- ابن تيمية، أحمد، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية جمع، وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العصامي النجدي الحنبلي وابنه محمد (طبع بأمر خادم

- الحرمين الشريفين (د. ن)، ج ١٦، ص ٥ - ٩.
- ٤٣ - الأنصاري، عبد القدوس، موسوعة تاريخ مدينة جدة، ط ٣ (القاهرة: دار مصر للطباعة، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م) ص ٤٦٦، الحارثي، ناصر بن علي، " أعمال الخشب المعمارية في الحجاز في العصر العثماني: دراسة حضارية "، رسالة ماجستير غير منشورة (مكة المكرمة: جامعة أم القرى ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م) ص ٤.
- ٤٤ - السرياني، محمد محمود، مكة المكرمة دراسة في تطور النمو الحضري (الكويت: إصدار قسم الجغرافيا بجامعة الكويت، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م) ص ١٦.
- ٤٥ - غباشي، المنشآت المائية، ص ١٠ - ١٢١.
- ٤٦ - الفاكهي، أخبار مكة، ج ٣، ص ٢٩٠.
- ٤٧ - غباشي، عادل محمد نور، الحجون بمكة موقعه وإصلاح طريقه. (بحث تحت الطبع بمجلة دراسات في علم الآثار والتراث) العدد الأول، إصدار الجمعية السعودية للدراسات الأثرية.
- ٤٨ - الأزرق، أخبار مكة، ج ٢، ص ٢٢٧ - ٢٣٠.
- ٤٩ - الفاكهي، أخبار مكة، ج ٢، ص ٢٧٥.
- ٥٠ - الأزرق، أخبار مكة، ج ٢، ص ١٦٩، وحاشية المحقق رقم ٦ ص ٢٣٢، الفاكهي، أخبار مكة ج ٣، ص ١١٤، الفاسي، أبو الطيب تقي الدين محمد بن أحمد، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، حقق أصوله وعلق على حواشيه لجنة من كبار العلماء والأدباء، (بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت) ج ٢، ص ٢٦٢.
- ٥١ - الفاكهي، أخبار مكة، ج ٣، ص ٢٨٧ - ٢٩٠.
- ٥٢ - الفاكهي، أخبار مكة، ج ٣، ص ٢٧٩ - ٢٨٠.
- ٥٣ - الفاكهي، أخبار مكة، ج ٣، ص ١٤٩.
- ٥٤ - الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني (بيروت: دار الثقافة، ١٩٥٦م) ج ٥، ص ٥٦.
- ٥٥ - ابن منظور، لسان العرب، ج ٧، ص ١٠.
- ٥٦ - البكري، محمد بن علي بن بلال الصديقي، أنباء الجليل المؤيد مراد خان ببناء بيت الوهاب الجواد، مخطوط مصور بالميكروفلوم من دار الكتب الظاهرية برقم ٨٤٢، (مكة المكرمة: مركز البحث العلمي وأحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى) ورقة ٢٣، الطبري، علي بن عبد القادر، الأراج المسكي في التاريخ المكي، تحقيق وتقديم أشرف أحمد الجمال، إشراف سعيد عبد الفتاح عاشور، ط ١ (مكة المكرمة: المكتبة التجارية، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م) ص ٥٧٥، الغامدي، عبدالعزيز صقر، محمد محمود السرياني ومعراج نواب

- مرزا، مكة المكرمة في شذرات الذهب للغزاوي (مكة المكرمة: مطبوعات نادي مكة الثقافي، ١٤٠٥هـ) ص ١٤٣، ١٥٥ مغربي، ملامح الحياة الاجتماعية، ص ٦٥.
- ٥٧ - جبرار، موسوعة الحياة الاقتصادية، ج ١، ص ١٧٢.
- ٥٨ - مصطفى، إبراهيم، وأحمد حسن الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد علي النجار، المعجم الوسيط، (دار إحياء التراث العربي، د. ت)، ج ٢، ص ٨٠١.
- ٥٩ - رفعت، إبراهيم، مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية (بيروت: دار المعرفة، د. ت) ج ١، ص ١٨٤.
- ٦٠ - رفعت، مرآة، ج ١، ص ١٨٤.
- ٦١ - رفيع، مكة، ص ١٤٤ - ١٤٥.
- ٦٢ - أحمد، أحمد محمد، المنشآت الصناعية في العصر المملوكي من خلال الوثائق، رسالة ماجستير غير منشورة (جمهورية مصر العربية: جامعة أسيوط، كلية الآداب بسوهاج، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) ص ٢٧٢.
- ٦٣ - علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط ١ (بيروت: دار العلم للملايين، مكتبة النهضة بغداد، مايو ١٩٨٦) ج ١، ص ١٨٩.
- ٦٤ - يأخذ وادي سرف أعلى روافده من جبل أظلم المشرف على بحر الجعرانة من الشمال الشرقي ومن جبل ستار المشرف على علمي نجد من الشمال، ويسمى أعلاه وادي جعرانه ثم يستمر إلى أن يصل بستانا فيه نخل يسمى (زاوية السنوسي) على بعد ٥ كم غربا من جعرانة فيسمى (سرف) وادي (الزاوية) فإذا تجاوزها يسمى وادي الوسيلة) فإذا اقترب من طريق (مكة - المدينة) يسمى (سرف) ويمر على بعد ١٠ كم شمال مسجد التنعيم. انظر البلادي، عاتق بن غيث، أودية مكة المكرمة، ط ١ (مكة المكرمة: دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) ص ١٢، ١٣.
- ٦٥ - العصامي، سمط النجوم، ج ٤، ص ٢٧٩، ابن فهد، غاية المرام، ج ٢، ص ٥٩٦، ٥٩٩.
- ٦٦ - ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري، الطبقات الكبرى، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا، ط ١ (بيروت: لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م) ج ٨، ص ١٠٤، ١٠٥.
- ٦٧ - الحسين بن حسن المعروف بالأفطس من أحفاد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو الذي قاد ثورة العلويين الثالثة، وتوفي في سرف، انظر: ابن فهد، إتحاف الوري، ج ٢، ص ٢٦٤. السباعي، أحمد، تاريخ مكة، ط ٦ (مكة المكرمة: مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م) ص ١٤٣.

- ٦٨ - ابن فهد، تخاف الوري، ج ٤، ص ص ٥٤٧، ٥٥٨.
- ٦٩ - الفاكهي، أخبار مكة، ج ٣، ص ٢٢٦.
- ٧٠ - الفاكه، أخبار مكة، ج ٣، ص ١٠٠.
- ٧١ - الفاكهي، أخبار مكة، ج ٥ ن خارطة رقم ٢.
- ٧٢ - عن مواقع المناجم، انظر ماسياني عن مصانع النورة في النوارية.
- ٧٣ - البكري، أنباء الجليل المؤيد، ورقة ٢٣.
- ٧٤ - البكري، أنباء الجليل المؤيد، ورقة ٢٣.
- ٧٥ - غباشي، المنشآت المائية، ص ٤١٧.
- ٧٦ - مقابلة مع الأستاذ صالح عبد الله مسلم اللحياني في ٢٠/١/١٤١٧هـ، وقد أكد أنه سمع ذلك من أحد المسنين.
- ٧٧ - الطبري، الأرج المسكي، ص ص ٧٥، ٩٧.
- ٧٨ - الغامدي، شلوات الذهب، ص ١٤٣.
- ٧٩ - محادثة مع الأستاذ محمد عبد الرحمن بسبيس في شهر شوال عام ١٤١٦هـ، فله خالص الشكر والتقدير.
- ٨٠ - الغامدي، شلوات الذهب، ص ص ٢١، ٨٣.
- ٨١ - وثيقة رقم ٦١٧٦ (m AD) بأرشف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول.
- ٨٢ - المكي، محمد أمين، خلفاي عظام عثمانية حضرتهك حرمين شريفيندي آثار مبرورة ومشكورة هما يونلرندن، ترجمة غير منشورة من اللغة التركية إلى العربية سعد الدين أونال، (الطبعة العثمانية، ١٣١٨هـ) ص ٧٥ من الترجمة.
- ٨٤ - تعد النوارية في الوقت الحاضر (١٤١٧هـ) من أحياء مكة المكرمة بعد أن حُطّطت وامتد إليها العمران الحديث.
- ٨٥ - هور خرونيه، سنوك، مكة المكرمة في نهاية القرن الثالث عشر الهجري، ترجمة محمد بن محمود السرياني ومعراج نواب مرزا، ط ١ (مكة المكرمة: مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م) ج ٢، ص ١١٨.
- ٨٦ - الكردي، التاريخ القويم، ج، ص ٢٦٦.
- ٨٧ - رفيع، مكة، ص ص ١٤٤ - ١٤٥.
- ٨٨ - الغامدي، شلوات الذهب، ص ١٥٥.
- ٨٩ - انتهى عصر الممالك في الحجاز باستيلاء السلطان سليم الأول على الشام ومصر ثم دخول الحجاز في حكمه سلماً عام ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م انظر المحامي، محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: إحسان حقي، ط ٢ (بيروت: دار النفاذ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) ص ص ١٩٢ - ١٩٤.

- ٩٠ - فانتني تدوين اسمه، وقد بحثت عنه بعدها فلم أجده إلا أن الخير الذي أوردته تأكد لي بعد مقابلة أجريتها مع الأستاذ صالح عبد الله اللحاني في ١٤١٧/١/٢٠ هـ.
- ٩١ - الشريف نصير بن عبد الله بن ناصر أحد المسنين من أحفاد مؤسس المصانع، أجريت معه مقابلة وقام مشكوراً باصطحابي لزيارة موقع المصانع عام ١٤١٥ هـ.
- ٩٢ - الشريف هزاع بن عبد الله بن ناصر أحد المسنين من أحفاد مؤسس المصانع أجريت معه مقابلة واصطحبني مشكوراً إلى موقع المصانع في ١٤١٦/٦/٢٩ هـ.
- ٩٣ - الكردي، التاريخ القويم، ج ٢، ص ٢٢٦.
- ٩٤ - مقابلة مع الشريف هزاع بن عبد الله بن ناصر في ١٤١٦/٦/٢٩ هـ.
- ٩٥ - الأستاذ صالح بن عبد الله اللحاني هو ابن شيخ طائفة النوارين بالنوارية، وقد أجريت مقابلة معه في ١٤١٧/١/٢٠ هـ فله خالص الشكر والتقدير على معاونته.
- ٩٦ - المهندس أحمد زكريا السيد وهبه يعمل في الشركة السعودية للطوب الرمي الجيري ومواد البناء بالرياض، وله خبرة في هذا العمل تقرب من اثنين وعشرين عاماً، وقد جرى هذا الحديث معه عام ١٤١٤ هـ فله خالص الشكر والتقدير.
- ٩٧ - الأزرق، أخبار مكة، ج ١، ص ص ٢٠٤، ٢٠٥.
- ٩٨ - الأزرق، أخبار مكة، ج ٢، ص ص ٧٤، ٧٦.
- ٩٩ - الأزرق، أخبار مكة، ج ٢، ص ٧٦.
- ١٠٠ - الفاكهي، أخبار مكة، ج ٣، ص ١٠٠.
- ١٠١ - الأزرق، أخبار مكة، ج ١، الملاحق ص ص ٣٥٧ - ٣٦١.
- ١٠٢ - الأزرق، أخبار مكة، ج ١، ص ص ٢٠٤، ٢٠٥.
- ١٠٣ - الكردي، التاريخ القديم، ج ٢، ص ٢٦٣.
- ١٠٤ - محادثة مع الأستاذ محمد عبد الرحمن بسيس في شهر شوال عام ١٤١٦ هـ.
- ١٠٥ - مقابلة مع الأستاذ صالح بن عبد الله اللحاني، ١٤١٧/١/٢٠ هـ.
- ١٠٦ - مغربي، ملامح الحياة الاجتماعية، ص ٦٥.
- ١٠٧ - محادثة مع الأستاذ محمد عبد الرحمن بسيس في شهر شوال عام ١٤١٦ هـ.
- ١٠٨ - مغربي، ملامح الحياة الاجتماعية، ص ٦٥.
- ١٠٩ - الكردي، التاريخ القويم، ج ٢، ص ٢٦٢.
- ١١٠ - مقابلة مع الأستاذ صالح بن عبد الله اللحاني في ١٤١٧/١/٢٠ هـ.
- ١١١ - مقابلة مع الأستاذ صالح بن عبد الله اللحاني في ١٤١٧/١/٢٠ هـ.
- ١١٢ - مقابلة مع الأستاذ صالح بن عبد الله اللحاني في ١٤١٧/١/٢٠ هـ.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

- ١ - القرآن الكريم.
- ٢ - ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي، رحلة ابن بطوطة، (بيروت: دار صار ودار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٧٩ هـ / ١٩٦٠ م).
- ٣ - ابن تيمية، أحمد، مجموع فتاوي شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم العصامي النجدي الحنبلي وابنه محمد، (طبع بأمر خادماً الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود، إشراف الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين، د. ن).
- ٤ - ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري، الطبقات الكبرى، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا، ط ١ (بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م).
- ٥ - ابن فهد، عز الدين عبد العزيز بن عمر بن محمد، غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، تحقيق فهد محمد شلتوت، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، الكتاب السابع والأربعون، ط ١ (جدة: دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٦ هـ / ١٩٩٠ م).
- ٦ - ابن فهد، نجم الدين عمر بن محمد، إتحاف الوري بأخبار أم القرى، تحقيق فهد محمد شلتوت، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، الكتاب العشرون، ط ١ (القاهرة: مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م) ثلاثة أجزاء.
- ٧ - ابن فهد، نجم الدين عمر بن محمد، إتحاف الوري بأخبار أم القرى، تحقيق وتقديم عبد الكريم علي باز، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، ط ١ (مكة المكرمة، شركة مكة للطباعة والنشر، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م) ج ٤.

- ٨ - ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجة، حقق نصوصه ورقم كتبه وأحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي (القاهرة: دار الحديث، د. ت).
- ٩ - ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم، لسان العرب (بيروت: دار صادر، د. ت).
- ١٠ - الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق رشدي الصالح ملخص، ط ٤ (مكة المكرمة: مطابع دار الثقافة، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م).
- ١١ - الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني (بيروت: دار الثقافة، ١٩٥٦ م).
- ١٢ - البكري، محمد بن علي بن بلال الصديقي، أنباء الجليل المؤيد مراد خان ببناء بيت الوهاب الجواد، مخطوط مصور بالميكرو فيلم من دار الكتب الظاهرية برقم ٨٤٢)، مكة المكرمة: مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى).
- ١٣ - الجواليقي، أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر، المغرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط ٢ (مطبعة دار الكتب ١٩٨٣ هـ / ١٩٦٩ م).
- ١٤ - الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط ٢ (د. م، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م).
- ١٥ - الطبري، علي بن عبد القادر، الأرج المسكي في التاريخ المكي، تحقيق وتقديم، أشرف أحمد الجمال، إشراف سعيد عبد الفتاح عاشور، ط ١، (مكة المكرمة: المكتبة التجارية، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م).
- ١٦ - العصامي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك، سمط النجوم العوالي في أنباء الأراذل والتوالي (المطبعة السلفية ومكتبتها، د. ت).

- ١٧ - الفاسي، أبو الطيب تقي الدين محمد بن أحمد، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، حقق أصوله وعلق على حواشيه لجنة من كبار العلماء والأدباء (بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت.)
- ١٨ - الفاكهي، أبو عبد الله محمد بن إسحاق، أخبار مكة في قديم الزهر وحديثه، دراسة وتحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ط ١، (مكة المكرمة، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، ١٧٠٤هـ / ١٩٨٦م).
- ١٩ - الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ط ١ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م).
- ٢٠ - مصطفى، إبراهيم، وأحمد حسن الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد علي النجار، المعجم الوسيط (دار إحياء التراث العربي، د. ت.).
- ٢١ - وثيقة رقم ٦١٧٦ (MAD) بأرشفة رئاسة الوزراء العثماني باستانبول.

ثانياً: المراجع:

- ٢٢ - أحمد، أحمد محمد، المنشآت الصناعية في العصر المملوكي من خلال الوثائق، رسالة ماجستير غير منشورة (جمهورية مصر العربية، جامعة أسيوط، كلية الآداب بسوهاج، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).
- ٢٣ - الأنصاري، عبد القدوس، موسوعة تاريخ مدينة جدة، ط ٣ (القاهرة، دار مصر للطباعة، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م).
- ٢٤ - ب. س. جبرار، موسوعة الحياة الاقتصادية في مصر في القرن الثامن عشر، ترجمة زهير الشايب، ط ١ (القاهرة: مكتبة الخانجي، د. ت.).
- ٢٥ - البلادي، عاتق بن غيث، أودية مكة المكرمة، ط ١ (مكة المكرمة: دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).
- ٢٦ - الحارثي، ناصر بن علي، " أعمال الخشب المعمارية في الحجاز في العصر العثماني دراسة حضارية " رسالة ماجستير غير منشورة (مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م).

- ٢٧ - حسن، حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط ٧ (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٤ م).
- ٢٨ - رفعت، ابراهيم، مرآة الحرمين والرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية (بيروت: دار المعرفة، د. ت).
- ٢٩ - رفيع، محمد عمر، مكة في القرن الرابع عشر الهجري، ط ١ (مكة المكرمة: منشورات نادى مكة الثقافي ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م).
- ٣٠ - زكار، سهيل، المدفعية عند العرب، دراسات في التاريخ والعقيدة القتالية، ط ١ (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٣ هـ، ١٩٨٣ م).
- ٣١ - السباعي، أحمد، تاريخ مكة، ط ٦، (مكة المكرمة: مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م).
- ٣٢ - السرياني، محمد محمود، مكة المكرمة دراسة في تطور النمو الحضري (الكويت: إصدار قسم الجغرافيا بجامعة الكويت، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م).
- ٣٣ - السيد حجازي، ثروت، البناء في مكة قديماً دراسة ميدانية " الحرفة، الخامة، الأسلوب " المأثورات الشعبية السنة الرابعة، العدد الخامس عشر، ذو القعدة ١٤٠٩ هـ يولييه ١٩٨٩ م.
- ٣٤ - علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط ١ (بيروت: دار العلم للملايين، مكتبة النهضة، بغداد، مايو ١٩٨٦ م).
- ٣٥ - الغامدي، عبد العزيز صقر، ومحمد محمود السرياني، ومعارض نواب مرزا، مكة المكرمة في شذرات الذهب للغزاوي (مكة المكرمة: مطبوعات نادي مكة الثقافي، ١٤٠٥ هـ).
- ٣٦ - غباشي، عادل محمد نور، الحجون بمكة موقعه وإصلاح طريقه (بحث تحت الطبع بمجلة دراسات في علم الآثار والتراث) العدد الأول، إصدار الجمعية السعودية للدراسات الأثرية.

- ٣٧ - غباشي، عادل نور، " المنشآت المائية لخدمة مكة المكرمة والمشاعر المقدسة في العصر العثماني دراسة دراسة حضارية " رسالة دكتوراه غير منشورة (مكة المكرمة : جامعة أم القرى ، ١٤٠١هـ / ١٩٩٠م).
- ٣٨ - الكردي، محمد طاهر، كتاب التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ط ١، (مكة المكرمة : مكتبة النهضة الحديثة، ١٣٨٥هـ).
- ٣٩ - المحامي، محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، ط ٢، بيروت : دار النفائس، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م).
- ٤٠ - مرزوق، محمد عبد العزيز، الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م).
- ٤١ - مغربي، محمد علي، ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة، ط ٢ (جدة : دار العلم للطباعة والنشر، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م).
- ٤٢ - المكي، محمد أمين، خلفاي عظام عثمانية حضرتك حرمين شريفيند كي آثار مبرورة ومشكورة هما بونلرنندن، ترجمة غير منشورة من اللغة التركية إلى العربية، سعد الدين أونال (الطبعة العثمانية، ١٣١٨هـ).
- ٤٣ - هورخرونية، سنوك، مكة المكرمة في نهاية القرن الثالث عشر الهجري، ترجمة محمد بن محمود السرياني ومعراج نواب مرزا، ط ١ (مكة المكرمة : مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م).

ثالثاً: المقابلات والحادثات

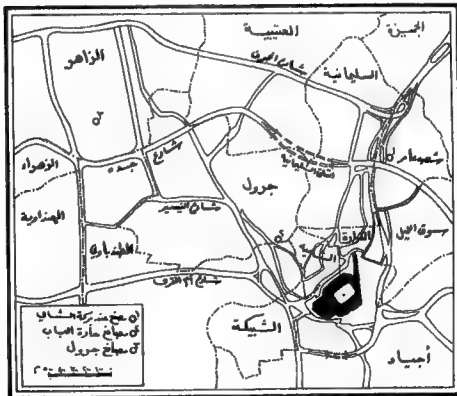
- ٤٤ - بسبيس، محمد عبد الرحمن، حفيد مؤسس مصانع النورة بحارة الباب، أجريت معه محادثة في شهر شوال عام ١٤١٦هـ فله خالص الشكر .
- ٤٥ - السيد وهبه، أحمد زكريا، مهندس يعمل في الشركة السعودية للطوب الرملي الجيري ومواد البناء بالرياض، وله خبرة في هذا العمل تقرب من

اثنين وعشرين عاماً، وقد أجريت محادثة معه في عام ١٤١٤هـ. فله خالص الشكر.

٤٦- الشريف، نصير بن عبد الله بن ناصر، من المسنين وهو أحد أحفاد مؤسس مصانع النورة في الحراب، أجريت مقابلة معه عام ١٤٠٥ هـ. فله خالص الشكر.

٤٧ - الشريف، هزاع بن عبد الله بن ناصر بن بخيت، من المسنين وهو أحد أحفاد مؤسس مصانع النورة في الحراب، أجريت مقابلة معه في ١٤١٦/٦/٢٩هـ. فله خالص الشكر.

٤٨ - قاسم، عبد الحميد أحمد حسين، معلم بناء من المسنين الذين عملوا في البناء بالنورة، أجريت مقابلة معه في ٢٠/١/١٤١٧هـ. فله خالص الشكر.



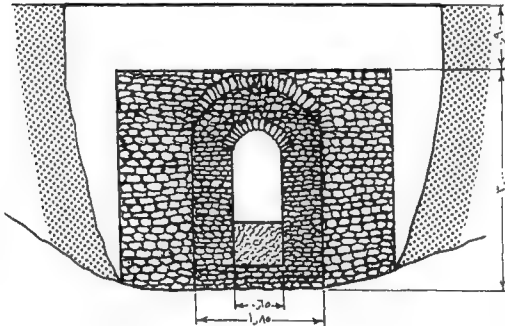
خارطة رقم (١)



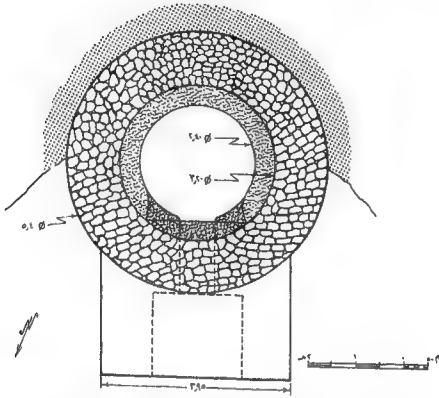
خارطة رقم (٤) حقل مصانع النورية والحرايب

(٤) مصانع النورة بالحرايب

(١٢) مصانع النورة بالنورية



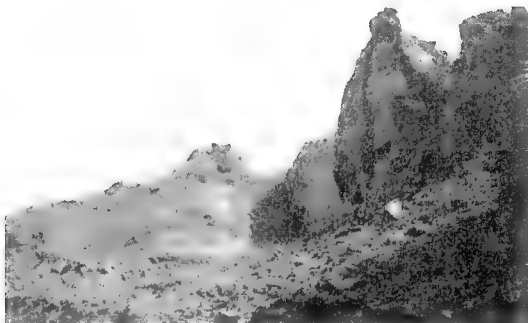
شكل رقم (١١) واجهة مصنع النورة بالنورية



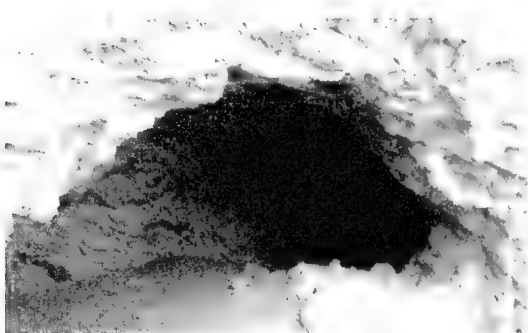
شكل رقم (٢) المقطع الأمامي لمصنع النورة بالنوارية



لوحة رقم (١): بقايا أحد مصانع النورة بجرول.



لوحة رقم (٢): تكسير الصخور لاستخراج الأحجار الخام للنورة بالنورية.



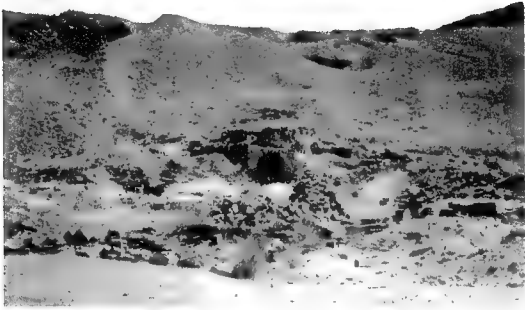
لوحة رقم (٣): حفر الأنفاق لاستخراج الأحجار الخام للنورة بالنورية.



لوحة رقم (٤): أساليب الحفر لاستخراج
أحجار النورة الحام بالنوارية.



لوحة رقم (٥): مصنعان للنورة بالنوارية



لوحة رقم (٦): مصنع للنورة بالنوارية



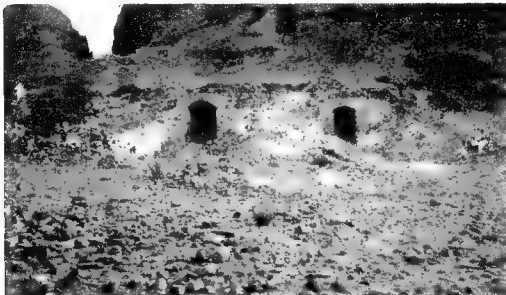
لوحة رقم (٧): حجرة التصنيع من الأعلى لمصنع للنورة بالنوارية.



لوحة رقم (٨): مدخل مجر الصنيع لمصنع
للنورة بالنوارية



لوحة رقم (٩): «الكثف» لمصنع للنورة بالنوارية.



لوحة رقم (١٠): مصانع النورة في الحراب.



لوحة رقم (١١): أساليب الحفر لاستخراج
أحجار النورة الخام
بالحراب.

تعميم الدلالة في ألفاظ الإبل

د. عبدالرزاق فراج الصاعدي

قسم اللغويات - كلية اللغة العربية

الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة

ليس بمقدور التمدّن والتحضّر أن يجتثّا جذور البداوة الكامنة في نفوس عامة العرب، بخصائصها وسماتها المتميزة، التي تنتقل في أعقابهم جيلاً بعد جيل. ومن أكثر الأمور إبانة عن بداوتهم اللغة؛ فهي مرآة الشعوب، تعكس ملامحها بكل وضوح وصفاء.

ولاجرم أن تعكس مرآة الشعر العربي القديم - وهو ديوان العرب - ملامح حياتهم البدوية بكل صدق. وقديماً وقف شاعرهم الجاهلي على الأطلال؛ فبكأها واستبكأها، ووصف مابدا له من بقايا بيت الشعر أو الخيمة، والأطناب والأوتاد، والأثافي ومعاطن الإبل، ومرابط الخيل مما عفت عليه السنون ولم تبق منه إلا رسماً.

ولا يلبث شاعرهم أن ينطلق بك طاوياً الفيافي والقفار، واصفاً راحلته، وهي الناقة أو الجمل أو الفرس، وأنت تطلع معه على ما يمرّ به من مفردات تلك البيئة،

من نبات وحيوان وطير، وما في هوائها من ريح وسحاب وبرق ورعد ومطر، وما وراء ذلك من النجوم والكواكب والأفلاك.

ولم تكن عناصر البداوة ومفرداتها غائبة في غير الشعر، وهو الوجه الثقافي البارز في حياتهم، بل إنك تلمسها في لغة الخطاب المنشور، والكلام الفني المسجوع، والأمثال السافرة، وتلمسها في حياتهم الاجتماعية والاقتصادية وفي دينهم الخفيف.

ولقد تصرمت الأيام وتعاقبت السنين، وتبدلت الأحوال، فهجر كثير من العرب الصحراء وخيامها، وعرفوا المدينة وقصورها، واختلطوا بسكانها، وتأثروا بالحضارات المختلفة والثقافات المتباينة، ففقدوا أشياء من خصائصهم الصحراوية البدوية، ومزاياهم الفطرية، ولكن لغتهم العربية في ذاتها لم تفقد ذلك، فلم تزل تحتزن تاريخهم القديم، وظلوا على الرغم مما بلغوه من السلطان وال عمران والمدينة والعلم والأدب والفن يستعملون أمثال البدوي وصوره وأخيلته ومجازاته وتشبيهاته وكنائياته فيقولون مثلاً: جاءوا على بكرة أبيهم، وضرب إليه أكباد الإبل، وركب إليه أكتاف الشدائد، وقلب له ظهر المجن، وهو شديد الشكيمة، واقتعد ظهور المكاره.

ويؤكد الباحثون أن البداوة كانت الطابع المميز للعربية في بادئ الأمر، ثم تمكنت اللغة من نقل كثير من الأصول البدوية القديمة إلى معان جديدة عن طريق الاستعارة أو المجاز، فحملت الكلمة الواحدة في طياتها عبر العصور عدداً من المعاني حسية أو معنوية، إلا أن هذه المعاني المختلفة التي تحملها الكلمة تبقى كامنة فيها يظهر أحدها الاستعمال في نص معين، ويخفي المعاني الأخرى^(١).

ولما كانت جوانب البداوة في حياة العربي القديم متعددة ومتنوعة؛ يحتاج درس أثرها في اللغة العربية إلى وقت وجهد كبيرين قد لا يتيسر لباحث واحد فقد اخترت جانباً واحداً من تلك الجوانب المتعددة ولعلّه من أهمها فيما يتصل باللغة، لالتصاقه بحياة العربي القديم في الصحراء؛ إنه «الإبل»

لقد كانت الإبل عنصراً فعالاً في حياة العربي في صحرائه، عرف فيها صفات خارقة تناسب حياة الصّحراء القاسية كالسرعة وقوة التحمل والصبر على العطش والجوع، ومعرفة الطرق، وعلى ظهورها حمل متاعه وماءه وعتاده، ومن جلودها ووبرها صنع بيته وأكسيته، ومن لبنها ولحمها شرب واغتذى وأكرم الضيفان، وكانت رفيقة دربه في السلم والحرب، فأثارت خياله، وأذكت عواطفه، وألهمته شعراً غزيراً^(٢)، وأثرت لغته بالمفردات والتراكيب والمعاني الكثيرة.

وقد أدرك علماء العربية القدامى منذ القرن الثاني الهجري شيوع الألفاظ المتصلة بالإبل في لغة العرب وكثرتها فأفردوا لها معاجم خاصة تعنى بشرح معانيها وتقريب مدلولاتها، وذكر منها ابن النديم في «الفهرست» في مواضع مختلفة ما يزيد عن العشرين لجماعة من العلماء كالأصمعي، والنضر بن شميل، وأبي عبيدة معمر بن المثنى، وأبي زيد الأنصاري، والكسائي، والرياشي، وأبي حاتم السجستاني، وابن قتيبة، وابن حبيب، والقالبي، وغيرهم.

وأفراد العلماء للإبل أبواباً مستقلة في معاجم المعاني والموضوعات. ثم فُرِغَت تلك الألفاظ المختلفة وفُرِغَت في بطون المعاجم الكبيرة كالعين، والجمهرة، والتهذيب، واللسان، والقاموس، والتاج.

وعُني بعض المعاصرين بجمع ألفاظ الإبل، كالمستشرق دي هامر (De Hammer) الذي جمع قدراً صالحاً من ذلك^(٣)، والدكتور أنور أبو سويلم في دراسته الأدبية الفنية التي جمع في ذيلها المعجم الشعري لألفاظ الإبل، فأتى على قدر وافر منها^(٤).

نعم، وبقي شطر من ألفاظ الإبل محافظاً على دلالاته القديمة، ولم يصبه شيء من التطور، وفي المقابل تطورت - مع الأيام - دلالة كثير من تلك الألفاظ، وارتقت إلى دلالات معنوية أرحب، وتحررت رويداً رويداً من دلالاتها الحسية، فابتعدت كثيراً عن أصلها الحيواني القديم، على أنه يمكن إعادة كثير منها إلى ذلك الأصل القديم بشيء من التدقيق والتأمل في اللغة، والاستئناس بأقوال بعض

العلماء ، وإشاراتهم المتناثرة في كتب اللغة ؛ التي من الممكن أن يهتدي بها الباحث اللغوي.

ومثال ذلك «الفصاحة» وهي البيان وخلو اللفظ من التعقيد اللفظي أو المعنوي هي من ألفاظ الإبل فهي من قولهم : فَصَحَ لَبَنُ النَّاقَةِ ، إذا أخذت عنه الرغوة ، و«الحنين» وهو الشوق ، والحنين في أصل اللغة ترجيع الناقة صوتها إثر ولدها ، أو اشتياقها إلى وطنها ، و«المخضرم» الذي مضى نصف عمره في الجاهلية ونصفه الآخر في الإسلام ، وهو من قولهم : ناقة مخضرمة ؛ أي " جُدع نصف أذنّها ، و«الجلبة» وهي اختلاط الأصوات والصياح ، أصلها من قولهم : جَلَبَ البدوي الأبل ؛ إذا ساقها إلى مكان البيع ، و«الرأوية» وهو ناقل الخبر اشتقاقه من البعير الذي يستقي عليه الماء .

ويلحق بذلك مجموعة من التراكيب تجري مجرى الأمثال ؛ كقولهم : فلان ضيقُ العطن ، وألقى حبله على غاربه ، وألقى الليل عليه بجراحه ، ويخبط خبط عشواء ، وأخذ الشيء برمته ، ونحوه .

ومثل هذه الألفاظ أو التراكيب كثير في العربية «مما تحول إلى المعاني المجردة المعنوية حتى كأن أصولها الحسية قد هجرت في الاستعمال فنسبت العلاقة بين ماهو معنوي وماهو محسوس في اللفظ الواحد»^(٥) .

وقد استطاع علماء اللغة - بعد طول النظر - فيما يطرأ على المعاني من تغييرات - أن يحصروا هذه التغييرات في أنواع ؛ هي^(٦) :

١- تغيير مجال الدلالة : بانتقال اللفظ من مجال دلالاته إلى مجال دلالة أخرى ، لتشابه بين الدالتين ، أو قرب بينهما ، أو مناسبة ، نحو كلمة «تَعَالَى» أصلها تفاعل من العلو ؛ أي : ارتفع ، ثم أكثروا استعمالها حتى جعلوها بمنزلة : أقبل ؛ فصار الرجل يقول - وهو في الموضع المنخفض - للذي هو على المكان المرتفع : تعال ؛ يريد : أقبل^(٧) .

٢- تغيير نحو تخصيص المعنى : من نحو كلمة «البهيم» وهو في أصل اللغة اللون

الخالص الذي لا يخالطه لون آخر، سواء أكان أبيض أم أسود أم غيرهما ثم أصبح يدل على اللون الأسود^(٨).

٣- تغيير نحو تعميم المعنى: من نحو كلمة «الرَّحْل» وهو السرج في أصل اللغة كما ذكر الحريري^(٩)، ثم صارت تعني متاع الرجل وما يستصعبه من الأثاث^(١٠).

٤- تغيير انحطاطي: من نحو كلمة «المستهتر» أصلها: المولع بالشيء، ومنه المستهترون: المولعون بالذكر والتسبيح؛ فصارت تعني: المولع بالأفعال السيئة، غير المبالي بغيره.

٥- تغيير متسام: من نحو كلمة «الشَّاطِر» هي في الأصل اللغوي: مَنْ أعيا أهله ومؤدبه خبثاً، ثم ارتقت فصارت تطلق على اللص ذي الحيلة، ثم صارت تعني: الفتى الذكي المثابر^(١١).

٦- تغيير نحو الضدية: من نحو كلمة «النَّاهِل» في الأصل للريان، ثم أصبحت تدل على الريان والعطشان معاً، وإنما قيل للعطشان: ناهل من باب التفاؤل^(١٢).

وقد ذكر علماء اللغة أنه لا بد من وجود علاقة بين المعنيين، الأصلي والجديد، ولكنهم لم يشترطوا في هذه العلاقة المطابقة التامة، بل اكتفوا بأدنى علاقة.

ويتصل هذا البحث بالنوع الثالث من هذه التغييرات التي تطرأ على معنى الكلمة، أعني «تعميم الدلالة» وهو المصطلح الذي شاع عند بعض المعاصرين^(١٣)، ويسميه بعضهم «توسيع المعنى» (Widening) أو امتداده (extension)^(١٤).

وتعميم المعنى هو انتقال بالكلمة من معنى ضيق إلى معنى أو معان أوسع. يقول الدكتور أحمد مختار عمر "ويعنى توسيع المعنى أن يصبح عدد ماتشير إليه الكلمة أكثر من السابق، أو يصبح مجال استعمالها أوسع من قبل"^(١٥).

ويعلمه علماء اللغة بكثرة الاستعمال؛ لأن كثرة استخدام الخاص في معان عامة عن طريق التوسع تزيل مع تقادم العهد خصوص معناه وتكسبه العموم كما يقول الدكتور علي عبدالواحد وافي^(١٦).

ومما يلفت الانتباه أن كثيراً من ألفاظ الإبل أصابها هذا النوع من التغيير الدلالي، أي «تعميم الدلالة» أو توسيعها، كالحشو والحاشية والجلبة والجران والركب والحنين والانحياز والخبجل والخديج والمخضرم والإرقال والترويض والزعم والزميل والسائبة والمشوار والعشواء والافتحام والتفحم والقطار والكوم والمجد والمنحة والنتيجة والرغاء والهدير والرزم و، الرائد والذود وتسّم الشيء ونحو ذلك.

وقد أردت في هذا البحث أن أجمع طائفة من هذه الألفاظ أو الأساليب العربية التي اتسعت دلالتها، وارتقت معانيها في سُلّم الفكر والحضارة، فابتعدت عن أصولها القديمة التي تتصل بالإبل بسبب وثيق عن طريق اللفظ، من غير حصر واستقصاء، فليس الجمع في هذا البحث من هدفي، وحسبي فيه نماذج يُستدل بها على غيرها.

ومنهجي فيما أعرضه من ألفاظ في هذا البحث أن أورد المعنى الفرعي المستعمل للكلمة، ثم أعيده إلى أصله القديم مسترشداً في ذلك بقول لعالم من علماء اللغة، أو مستشهداً بشاهد من شواهد العربية، من القرآن الكريم، أو الحديث النبوي الشريف، أو الشعر العربي، أو معتمداً على استنباط أستنبطه وفق قاعدة لغوية معينة.

ولا يخلو هذا البحث من مصاعب، ومن أبرزها كثرة المعاني الواردة للكلمة في معاجم اللغة من غير تمييز للمعنى الأصلي من المعاني المتفرعة منه، وثمة معانٍ من هذا النوع يقف أمامها الباحث موقف التردد حينار والحيرة حيناً دون أن يجد ما يقطع به في شأنها أو يهديه إلى أصلها الاشتقاقي.

والقاعدة التي يمكن أن يركن إليها الباحث في تأصيل المعاني وتتبع تطورها هي أن المعاني الحسية أسبق من المعاني المعنوية، كما قرره علماء اللغة المتأخرون^(١٧)، ويعني هذا أنه إذا اشترك معنيان في لفظ واحد أو جذر واحد ووجدت بينهما علاقة واضحة وأحدهما حسي والآخر معنوي، فالحسي هو الأصل، كقولهم «تسّم ذروة

المجد» فهذا مأخوذ من سنام البعير، وقولهم «نهل من مناهل العلم والعرفان» فهذا مأخوذ من أصل حسي، وهو المنهل الذي كان يدلّ على عين ماء ترده الربل في المرعى.

وهكذا فإن كثيراً من الألفاظ التي تعبر عن دلالات مجردة انحدرت إلينا من دلالات محسوسة، كالحقد والمدح والقلق والنفاق والشجاعة والكره والضعينة والمداينة والأمن والمجد^(١٨).

وليست هذه القاعدة مطردة في كل الألفاظ فينبغي الحيلة والحذر والاعتدال في الربط بين الدلالات، ففي الصفات مثلاً قد يكون العكس أحياناً، فلا يمكن الزعم أن «النجاة» مأخوذة من «الناجية» وهي صفة للناقة، لأنها تنجوا بصاحبها من الهلاك في المهامه والقفار، وتبلغ به هدفه، فالأظهر هنا أن الناجية صفة للناقة مشتقة من النجاء تفاولاً بالفوز والظفر في رحلة مجهولة المصير.

وكذلك لا يمكن القطع بأن «الأمن» وهو ضد الخوف مأخوذة من قولهم: ناقة أمون؛ أي: وثيقة الخلق قد أمنت أن تكون ضعيفة أو هي التي أمنت العشار والإعياء، بل الأظهر أنها سميت بذلك اشتقاقاً من الأمن، لأن الخوف والأمن مما ينبغي أن يكون قديماً في الاستعمال؛ لأنهما من لوازم الحياة الإنسانية، فلا بد من استعمال لفظ لكل منهما.

ولأقول إن «البَدانة» وهي السَّمَن مأخوذة من «البَدَنَة» من الإبل، وهي كالأضحية تُهْدَى فتنحر، وإنما سُمِّيت بدنة، لأنهم كانوا يسمّونها، كما يقول ابن فارس^(١٩).

وليس التطور الدلالي و«النقل بين الدلالات مقصوراً على ما تقدم من نقل الدلالة للمجردة إلى مجال المحسوسات أو العكس، بل قد يتم بين المحسوسات بعضها مع بعض لصلة بين الدالتين في المكانية أو الزمانية، أو اشتراك في جزء كبير من الدلالة، فهناك ألفاظ كثيرة لوحظ تطورها في الدلالة، فانتقل كل منها من دلالة إلى دلالة أخرى تشترك معها في المكان مثل الذقن حين تستعمل في خطاب

الناس بمعنى اللحية، ومثل الشنب حين يطلقونه على الشارب مع أنه بريق الأسنان، ومثل السماء التي تروي المعاجم أن من معانيها السحاب والمطر»^(٢٠).

ولا يخلو تطبيق هذا المنهج أو القاعدة من عوائق، ومن أبرزها كثرة المعاني لبعض الكلمات التي أتيت عليها في هذا البحث، مع خفاء الأصل أحياناً، وورودها في معاجم اللغة بطرق لا يتبين منها الأصل من الفرع، فبعضهم يبدأ بالمعاني الفرعية، ثم ينتهي إلى المعنى الأصلي موهماً بأن الفرع هو الأصل، وبعضهم يعكس ذلك من غير التزام بمنهج، ويذكر أكثرهم معاني المادة بطريقة لا يحكمها ضابط، خلا اجتهدات فردية موقفة لبعض العلماء كابن فارس (٣٩٥هـ) في «مقاييس اللغة» إذ حاول أن يرد المعاني المتعددة لفروع الجذر الواحد إلى أصلها أو أصولها فوق في ذلك إلى حد كبير، وانفرد بين اللغويين القدامى بهذا التأليف، يليه في ذلك الزمخشري (٥٣٨هـ) في معجمه «أساس البلاغة» الذي أشار فيه إلى كثير من المعاني المجازية للكلمات بعد أن يذكر معانيها الحقيقية.

ومن الكتّابين أفدت، وبعض مافيهما استنرت.

وقد اجتهدت في تأمل المعاني والبحث عن أصولها القديمة لاختيار ما أراه أصلاً وترك ما عده، وربما رأى غيري أن ماتركت أقرب إلى أصل الوضع؛ لأن ردّ المعاني إلى أصولها من موضوعات اللغة التي لا يحكمها ضابط دقيق، فإن رأى القارئ الكريم شيئاً من هذا فليلمس لي العذر، وحسبي أنني لم أدخر جهداً.

نعم، وفيما يلي طائفة من ألفاظ الإبل طرأ عليها تعميم في الدلالة، مرتبة على حروف المعجم بالنظر إلى الكلمة من أولها إلى آخرها، بتجريدها من الزوائد، ليسهل الاطلاع عليها.

(أ ف ن) المافون:

الأفن: نقص العقل أو الحُقم، ورجل مافون: أحمق ناقص العقل، ضعيف الرأي.

والأفنين الضعيف الرأي والعقل المتمدّح بما ليس عنده، وقالوا في المثل: كثرة الرُّقْن تُعْفَى على أفْن الأفين؛ أي: الزينة الظاهرة تستر حمق الأحق. وأصل ذلك كله قلة اللبن في ضرع الناقة، يقولون: أفن الفصيل ما في ضرع أمه، إذا شربه كله، وأفن الحالب الناقة؛ إذا لم يدع في ضرعها شيئاً^(٢١). والأفْن: الحلب، خلاف التَّحْنين، وهو أن تحلبها أنى شئت من غير وقت معلوم.

وأفنت الناقة: قلّ لبنها، فهي أفنة.
ثم استعاروا هذه المعاني، فقالوا لمن نقص عقله: مأفون.

(ب ر ك) البركة:

البركة: النماء والزيادة، والسعادة وثبوت الخير الإلهي في الشيء ودوامه. والتبريك: أن تدعو للإنسان بالبركة. وتبارك الله: تمجيد وتجليل وتقديس. ويقول المسلم في الصلاة على النبي: «وبارك على محمد وعلى آل محمد». واشتقاق البركة من قولهم: برك البعير إذا أناخ في موضع فلزمه. قال ابن الأثير في تفسيره معنى «وبارك على محمد»: «أي أثبت له وأدم ما أعطيته من التشريف والكرامة، وهو من: برك البعير، إذا أناخ في موضع فلزمه»^(٢٢). والبركة بمعنى الثبات المقترن بالنماء مشتقة من مبرك الإبل، أو من بروه في ثباتها وكثرتها وتزايدها.

ومن هذا الاشتقاق استقر في كلمة «البركة» بمعناها المألوف لنا عنصران متلازمان، وهما: الثبات والكثرة القابلة للزيادة.

ويتصل بهذه المادة من ناحية أخرى كلمة «الرُّكبة» فهي - فيما يبدو - مأخوذة من قولهم: برك البعير على بُركته، ثم قلبت كلمة «البركة» بتأخير الباء وهي فاء الكلمة، ومجيئها بعد الكاف، فقالوا: ركبته، فيكون أصل الركبة: البركة. وليس

ببعيد أن يكون العكس هو الصحيح؛ أي: أن البروك مأخوذ من الركبة، فيكون الأصل: الركوب، ثم قلبت الكلمة فقالوا البروك، خوفاً من التباسه بالركوب، من قولهم: ركب فلان على دابته ركوباً.

(ج ر ن) الجران:

يقولون في المثل: «ألقى عليه بجِرانه» و«عاش ضارباً بجِرانه»^(٢٣) و«ضرب الليل عليه بجِرانه».

وهذا مستعار من جران البعير، إذا برّك واستراح. والجران هو باطن عنق البعير، وقيل: مقدّم العنق من مذبح البعير إلى منحره، فإذا برّك البعير ومدّ عنقه على الأرض، قيل: ألقى جِرانه بالأرض^(٢٤). وقيل: الجران هي جلدة تضطرب على باطن العنق من ثغرة النحر إلى منتهى العنق في الرأس.

(ج س ر) الجاسر والجسور:

من صفات المدح للإنسان: الجاسر والجسور؛ وهو الشجاع الجريء الماضي المقسام، والأنثى جَسُورة وجَسُورة. ويقال: إن فلاناً لِيَجْسُرَ فلاناً؛ أي يشجعه^(٢٥)، ولا أجسُرُ على مقابلته، أي: لا أجرو.

وأصل هذا المعنى منقول من صفات الإبل، يقال: «الجَسُرة: الناقة القوية، ويقال هي الجريئة على السير»^(٢٦) وناقاة جَسُرة ومتجاسرة: قوية ماضية، وقيل: طويلة ضخمة، وقيل: هي العظيمة، قال الشاعر:

وَحَرَجَتْ مَائِلَةً التَّجَامُسُرَ^(٢٧)

والجَسُر: العظيم من الإبل، والجمل الماضي.

ومن هذه المعاني اشتقت الجَسارة، وهي الإقدام، واشتقت جَسُر، وهي قبيلة^(٢٨).

(ج ل ب) الجَلْبَة:

الجَلْبَة والجَلْب: اختلاط الأصوات والصياح.

وهذا مشتق من قولهم: جَلَبَ الإبل أو الخيل أو الغنم، وساقها إلى مكان البيع.

والجَلْبَة: ما يُجلب للبيع، نحو النَّاب والفَحْل والقلوص، والجمع الجلائب، ويقال لصاحب الإبل: هل لك في إيلك جَلْبَة؟ يعني شيئاً جلبته للبيع. والجلائب الإبل التي تُجلب إلى الرجل النازل على الماء ليس له ما يحتمل عليه، فيحملونه عليها. والجَلْبَة الإبل التي يحمل عليها متاع القوم، وجَلْبَة الإبل ذكورها. وأجْلَبَ الرجل: رذا تُنبت إبله ذكوراً؛ لأنه تُجلب أولادها فتباع^(٣٩).

ولما ارتبط جَلَبُ الإبل إلى الأسواق في جماعات بإحداث بعض الأصوات المختلفة، تطور معنى كلمة «الجَلْبَة» فأطلق على كل صوت مختلط بغيره.

(ح د و) يحدوه الأمل:

يقول الطالب: ذهبت إلى الجامعة يحدوني الأمل في الظفر بالقبول، وتقول:

اشتركت في المسابقة والأمل يحدوني في نيلها. فما أصل هذا الاستعمال؟

إنه من الحدو، وهو سَوَقُ الإبل والغناء لها، يقال: حَدَّ الإبل حَدّاً بها يحدوها حَدّاً وحذاء: ساقها مغنياً لها، والرجل حاد وحذاء^(٤٠).

ومن هذا المعنى قالوا للشَّمال حَدّاء؛ لأنها تحدو السحاب؛ أي تسوقه. وقالوا للسَّهم إذا مرَّ: حَدّاه ريشه، وهذه نصلة، وطلع حادي النجم؛ أي: الدبران.

ثم تطور هذا المعنى فاشتقوا منه «التَّحدّي» قالوا: فلان يتحدّى فلاناً، إذا كان يُباريه ويُنازعه الغلبة. قال ابن فارس: «هو من هذا الأصل؛ لأنه إذا فعل ذلك فكأنه يحدوه على الأمر، يقال: أنا حُدْيَك لهذا الأمر؛ أي: أبرّز لي فيه»^(٤١).

وتحدّى رسول الله - ﷺ - العرب بالقرآن. وتحدّى الرجل صاحبه القراءة لينظر أيهما أقرأ، قال الزمخشري: «وأصله من الحداء يتبارى فيه الحاديان ويتعارضان،

فيتحدّى كل واحد منهما صاحبه، كما تقول توقّاه بمعنى استوفاه، وأنا حُديّك؛ أي: معارضُك»^(٣٧).

(ح ش و) الحشّو والحاشية:

الحشّو من النَّاس الذين لا يعتدّ بهم ولا يعتمد عليهم، والحشّو من الكلام: الفضل الذي لا خير فيه، وحاشية الرجل: أهل الرجل وخاصّته^(٣٨).

وأصل ذلك أنَّ الحشّو هو صغار الإبل، وكذلك حواشيها صغارها؛ وأحدثها حاشية^(٣٩). وقيل: صغارها التي لا كبار فيها.

والحاشيتان: ابن المخاض وابن اللبّون، يقال: أرسل فلان رائداً، فانتهى إلى أرض قد شبّعت حاشيتها.

وفي حديث عمر: «أن يؤخذ من حواشي أموالهم»^(٤٠). قال ابن الأثير «هي صغار الإبل، كابن المخاض وابن اللبّون، وأحدثها حاشية»^(٤١).

(ح ن ن) الحنين:

الحنين: الشّوق وتوقّان النفس، المتضمّن للإشفاق والتّألم من شدّة الشّوق، وشدّة البكاء. تقول منه: حَنَّ الأبُّ إلى ابنه حنيناً، فهو حان. والإشفاق لا ينفكّ من الرّحمة، لذلك عبّر عن الرّحمة به؛ فالحنان: الرّحمة، يقال: حَنَّ عليه يحنّ حناناً، ومنه قوله تعالى: ﴿وحناناً من لدنّا﴾^(٤٢).

وأصل الحنين في اللّغة: ترجيع النّاقة صوتها إثر ولدها، أو اشتياقها إلى وطنها، بقا: حنّت الإبل، نَزَعَتْ إلى أوطانها، أو أولادها، والنّاقة تحنّ في إثر ولدها حنيناً: تَطَرَّب مع صوت، وتَحَنَّنَتْ على ولدها: تعطف^(٤٣).

قال الأزهري: «حين النّاقة على معنيين: حنينها: صوتها إذا اشتاقت إلى ولدها، وحنينها نزاعها إلى ولدها من غير صوت»^(٤٤).

قال ابن سيده: «والأكثر أنَّ الحنين بالصوت»^(٤٥).

وقال شمر: «الحنين بمعنى النزاع والشوق من غير صوت، ويكون الصوت مع النزاع والشوق، يقال: حن قلبي إليه، فهذا نزاع واشتياق من غير صوت، وحنّت الناقة إلى ألفتها، فهذا صوت مع نزاع، وكذلك حنّت إلى ولدها، وقال الشاعر:

يُعَارِضُنْ مِلْوَاحاً كَأَنَّ حَنِينَهَا

قُبَيْلَ انْفِتَاقِ الصَّبْحِ تُرْجِعُ زَاكِرِ» (٤١)

وعلى هذا فإن أصل الحنين في اللغة هو ترجيع الناقة صوتها إثر ولدها، ثم توسع ذلك، واستعير للإنسان.

واستعير ذلك - أيضاً - للرياح والسحاب، قال ابن سيدة: «الحنون من الرياح: التي لها حنين كحنين الإبل، أي: صوت يشبه صوتها عند الحنين، وقد حنّت وامتحنت، وأنشد سيويه:

مُسْتَحِنٌ بِهَا الرِّيحُ فَمَا يَجْتَابُهَا

فِي الظَّلَامِ كُلُّ هَجُودٍ

وسحاب حنان، كذلك، قوله:

فَاسْتَقْبَلَتْ لَيْلَةً خَمْسٍ حَنَانٌ

جعل الحنان للخمس، وإنما هو في الحقيقة للناقة لكن لما بُعد عليه أمد الورد فحنّت تسبب ذلك إلى الخمس حيث كان من أجله» (٤٢).

(ح وز) الانحياز:

انحاز مطاوع حازه؛ أي: انضم واجتمع. ويقال انحاز إليه، وتجاوزوا في الحرب: انحاز كل فريق عن الآخر، والانحياز: الانضمام، وسياسة عدم الانحياز في الاصطلاح الحديث: عدم الانضمام إلى فريق دون غيره.

لعلَّ الأصل في هذه المعاني قولهم: حازَ الإبلُ؛ أي: ساقها سَوْقاً رُويداً رويداً إلى الماء، وليلة الحَوَر: أولُ ليلة توجَّهُ فيها الإبلُ إلى الماء إذا كانت بعيدة منه. والحَوْزِي: المتوحد من الإبل، وهو الفحلُ منها، وناقَة حَوْزِيَة: مُتَحَاذَة عن الإبل لا تخالطها^(٤٣).

(خ ج ل) الخَجَلُ:

الخَجَلُ: الاستحياء، يقال: خَجَلَ الرجل يَخْجَلُ خَجَلًا: استحيا واضطرب ودهش من الاستحياء، وبقي ساكتاً لا يتكلم، ولا يتحرك، فهو خَجَلَان وخَجَلٌ^(٤٤).

وهذا مشتقٌّ من قولهم: خَجَلَ البعير خَجَلًا: سار في الطين فبقي كالمتحير، وخَجَلَ البعير، إذا ارتطم في الوحل، وخَجَلَ البعير بالحمل: ثقل عليه واضطرب^(٤٥).

(خ د ج) خَدِيجَة:

من الأسماء الشائعة عند العرب: خديجة، وبه سميت أم المؤمنين خديجة بنت خويلد - رضي الله عنها - ولم يزل العرب يسمون به بناتهم، وأكثرهم لا يعرف معناه ولا اشتقاقه.

قال ابن دريد: «اشتقاق خديجة من قولهم: خدجت الناقة وأخدجت، إذا ألقت ولدها ناقص الخلق... وفرق الأصمعي بين خَدَجَتْ وأَخْدَجَتْ، فقال: خَدَجَتْ الناقة إذا ألقت ولدها قبل تمام أيامه، وإن كان تام الخلق، وأخذجت إذا ألقت ناقصاً وإن كان تام الأيام، فالولد من ذلك خديج، والناقة خادج، والولد من هذا مُخْدَج والناقة مُخْدَج»^(٤٦).

ومن هذا المعنى قيل لكل ذي نقص إنه مُخْدَج، فقيل لذي الثدية صاحب يوم النهران إنه مُخْدَج اليد، وقالوا: أخذج فلان عطاء فلان، إذا بخسه، ويقال: أخذج الرجل صلته فهو مُخْدَج، وهي مُخْدَجَة.

وجاء في الحديث: «من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج» (٤٧).
ويسمي الأطباء في عصرنا الأطفال الذين لم يكتمل نموهم: خُدَج، على زنة
(فُعِل) والواحد خَدِيج وهو (فَعِيل) بمعنى (مُقْعِل) مُخْدَج.

(خ ض ر م) الْمُخَضَّرَم:

المُخَضَّرَم من مضى نصف عمره في الجاهلية، ونصفه في الإسلام، أو أدرك
الجاهلية والإسلام، أو هو شاعر أدركهما كلييد العامري وحسان بن ثابت - * .
وأصل ذلك في اللغة من قولهم ناقة مخضرمة، وهي التي جُدِع نصف أذنها.
قال الزمخشري: «ناقة مخضرمة: جُدِع نصف أذنها، ومنه المُخَضَّرَم: الذي أدرك
الجاهلية والإسلام، كأنما قُطِع نصفه حيث كان في الجاهلية» (٤٨) أو كأن مذهب من
عمره في الجاهلية ساقط لا يعتد به.

وقال ابن الأثير: «ناقة مخضرمة: هي التي قُطِع طرف أذنها، وكان أهل
الجاهلية يخضرمون نَعَمَهُم، فلما جاء الإسلام أمرهم النبي - ﷺ - أن يخضرموا في
غير الموضع الذي يخضرم فيه أهل الجاهلية، وأصل الخضرم أن يُجعل الشيء بين
بين، فإذا قطع بعض الأذن فهي بين الوافرة والناقصة، وقيل: هي المتوجة بين
النجائب والعكاظيات، ومنه قيل لكل من أدرك الجاهلية والإسلام: مخضرم؛ لأنه
أدرك الخضرميتين» (٤٩).

وفرق بعض علماء اللغة بين مخضرم - بفتح الراء - ومخضرم - بكسرهما -
في الدلالة؛ قال ابن بري: «أكثر أهل اللغة على أنه مُخَضَّرَم - بكسر الراء - لأنَّ
الجاهلية لما دخلوا في الإسلام خضرموا أذان إبلهم ليكون علامة لإسلامهم إن أُغِيرَ
عليهم أو حُورِبوا، ويقال لمن أدرك الجاهلية: مخضرم» (٥٠) وأما من قال: مخضرم
- بفتح الراء - فتأويله - عنده - أنه قطع عن الكفر إلى الإسلام، كما تقطع أذن
الناقة.

(رق ل) الإرقال:

أرقل الرجل: أسرع، وهو ضرب من العدو فوق الخشب، وأرقل القوم إلى الموت: أسرعوا إليه، وفلان يرقل في الأمور، وهو مرقال في النوازل^(٥١).
وأصل هذا في الاشتقاق قولهم: أرقلت الناقة: أسرع، والمرقات: الإبل المسرعة الكثيرة الإرقال. والإرقال والإجدام والإجماز: سرعة سير الإبل^(٥٢). قال النابغة^(٥٣):

إِذَا اسْتَنْزِلُوا عَنْهُمْ لِلطَّعْنِ أَرْقَلُوا
إِلَى الْمَوْتِ إِرْقَالِ الْجِمَالِ الْمَصَابِ

(رك ب) الركب:

الراكب: اسم فاعل، وهو خلاف الماشي، من الفعل ركب ركوباً، وهو راكب الدابة أو السيارة أو الطائرة، والجمع ركاب. والركب والركبان اسم للجمع، قيل: هو العشرة فما فوقهم.

وهذا في أصله من ألفاظ الإبل، قال ابن السكيت: «والركب جمع راكب، وهو صاحب البعير خاصة، ولا يكون الركب إلا أصحاب الإبل»^(٥٤).

وتقول: مربنا راكب، إذا كان على البعير خاصة؛ فإذا كان الركب على فرس أو حمار أو بغل قلن: مربنا فارس على حمار، أو مربنا فارس على بغل^(٥٥).
والركاب: الإبل التي تحمل القوم، وهي ركاب القوم إذا حملت أو أريد الحمل عليها.

وقال ابن الأثير: «الراكب في الأصل هو راكب الإبل خاصة، ثم اتسع فيه فأطلق على كل من ركب دابة»^(٥٦).

(رم م) أخذ الشيء برمته:

يقال: أخذ فلان الشيء برمته؛ أي: أخذه تاماً كاملاً لم ينقص منه شيء. والرمّة: قطعة من الحبل بالية، أو الحبل يقلد به البعير.

وأصل قولهم: أخذه برمته - فيما حكاه الجوهري: أن رجلاً دفع إلى رجل بعيراً يحبل في عنقه، فقبل ذلك لكل من دفع شيئاً بجملته^(٥٧).

فقولهم: «أخذ فلان الشيء برمته» مثل قولهم «ادفع إليه كما هو، دون أخذ شيء منه»^(٥٨).

(روض الترويض:

يقال: رَوْضُ نفسك بالتَّقْوَى، أي: ذلّلها واجعلها مسخرةً مطيعة، وأراض الشاعر القوافي الصعبة فار تاضت له: انقادت وسهّلت.

وأصل هذا المعنى من قولهم: رُضت الناقة أروضها رياضة^(٥٩).

قال صاحب «اللسان»: «راض الدابة يروضها روضاً ورياضةً: وطلّأها أو علّمها السير . . . وناقة مروضة، وقد ارتاضت، وكذلك: روضته؛ شدّد للمبالغة، وناقة رِيض: أول ما رِيضت، وهي صعبة بعد، وكذلك العَروض والعسير والقضيب من الإبل كلّ»^(٦٠).

والريّض - أيضاً - الذي لم يقبل الرياضة من الدواب، وهو من الإبل ضدّ الذلول، الذّكر والأنثى في ذلك سواء^(٦١).

(روى الراوية:

الرواية: نقل الخبر جيلاً عن جيل، وهي من علوم الحديث، والرجل راو أو راوية، والتاء للمبالغة في اسم الفاعل.

والأصل في اللغة أن الرواية هو البعير الذي يسقى عليه الماء، والجمع روايا^(٦٢)، قال أبو النجم^(٦٣):

تَمْشِي مِنَ الرَّدَّةِ مَشْيَ الْخِفْلِ
مَشْيَ الرُّوَايَا بِالْمَزَادِ الْأَثْقَلِ
وقال أبو طالب (٦٤):

وَيَنْهَضُ قَوْمٌ فِي الْحَلِيدِ إِلَيْكُمْ
نُهُوضَ الرُّوَايَا تَحْتَ ذَاتِ الصَّلَاحِلِ
فالروايات جمع رواية للبعير، ثم استعير هذا المعنى لمن ينقل الخبر أو العلم،
فسمي: رواية.

(ز ع م) الزَّعْمُ:
زعم فلان أن الأمر كيت وكيت زعماً؛ إذا شككت أنه حق أو باطل، وأكثر
ما يستعمل الزعم في القول، يكون حقاً ويكون باطلاً.
ولعل هذا مشتق من قولهم: أزعمت القلوص أو الناقة. إذا ظن أن في سنامها
شحماً، وليست كذلك، والزَّعْمُ التي يشك في سمنها من الإبل أو الغنم، فتغبط
بالأيدي، قال الشاعر:

وإِنَّا مِنْ مَّوَدَّةِ آلِ سَعْدٍ
كَمَنْ طَلَبَ الْإِهَالَةَ فِي الزَّعْمِ (٦٥)
وقيل الزَّعْمُ من الإبل والغنم التي لا يُنْزَى أبها شحم أم لا، قال الأزهري:
ومنه قيل: مَزَامِع، وهو الذي لا يوثق به (٦٦).

(ز م ل) الزَّمِيلُ:
للزَّمِيل معان، منها: الرفيق في العمل أو المهنة، تقول: أغمرت الزَّمِيل
بالجميل، تريد به الرفق على الإطلاق، ومنه الزَّمَالَةُ والمزاملة.

والزَّمِيل في أصل اللغة: هو الرَّدِيف على البعير، أو الذي يعمل مع صاحبه على البعير، يحمل المتاع والطعام، وقيل هو مطلق الرَّدِيف على الذَّابَّة، قال ابن دريد: الزَّمَل من قولهم: زَمَلْتُ الرجل على البعير وغيره، فهو زميل ومزمو، إذا أردفته أو عادلته^(٦٧).

والزَّامِلَة هي التي يحمل عليها طعام الرجل ومتاعه في سفره من الإبل وغيرها، وهي من الزَّمَل الحمل، والزَّوْمَلَة سوق الإبل التي عليها أحمالها. وقيل: إذا عمل الرجلان على بعيرهما فهما زميلان، فإذا كانا بلا عمل فهما رقيقان^(٦٨).

(س ن م) تَسَنَّمَت ذُرْوَةُ الشَّرَفِ:

يقولون: تَسَنَّم فلان ذروة الشرف والمجد، أو تَسَنَّم أعلى المناصب، أي تقلد منصباً وبأشره واعتلاه، ورجل سَنِيم: عالي القدر^(٦٩).

وهم - في هذا الاستعمال - يستعIRON فعل «تَسَنَّم» من بعض أعضاء الإبل، وهي: سنام البعير أو الناقة، أعلى ظهرها.

وقد قالوا قديماً: تَسَنَّم الفحل الناقة، أي: ركبها وقاعها، ثم استعاره الشاعر في وصف السحاب، الذي يعلو رؤوس الجبال، التي تشبه أسمنة الإبل، وقال:

مُسَنَّمًا سَنَمَاتِهَا مُتَفَجَّسًا

بِالْهَذَرِ يَمَلُّ أَنْفُسًا وَعُيُونًا^(٧٠)

ومنه قالوا: تَسَنَّم الرجل المرأة؛ أي: تغشأها، قال الشاعر:

تَسَنَّمْتُهَا غَضَبِي فَجَاءَ مُسَهَّدًا

وَأَفْضَلَ أَوْلَادِ الرُّجَالِ الْمُسَهَّدُ^(٧١)

ثم استعير في أشياء معنوية، فقالوا: تَسَنَّم فلان ذروة الشرف أو المجد، وتَسَنَّم المراتب العالية.

(س و ق) السُّوقُ:

يسمّون مكان البيع والشراء وحومته: سُوقاً؛ وهو - في الأصل - الموضع الذي تساق إليه الإبل أو الغنم للبيع، اشتقّ من سَوَّقَهَا - بفتح السين - ثم توسّعوا فيه؛ فشمل كل البيوع. ولعلّ هذا الاشتقاق يدلّ على سيطرة المواشي على حركة البيع والشراء لدى العرب الأوائل، وتفضيلهم إيّاها على غيرها، ولذلك عدّوها هي المال عند إطلاق كلمة «مال» كما سيأتي في مادة (م و ل).

ويعضد هذا الاشتقاق ما ذكره ابن الأثير في تفسيره تسمية «سوقة» وهي قرية في الجنوب الغربي من نواحي المدينة، قال «وهي تصغير السُّوق، سمّيت بها؛ لأن التجارة تجلب إليها، وتساق المبيعات نحوها» (٧٢).

ورب قائل يقول: إن كلمة «السُّوق» مصدر ساق الماشية يسوقها سوقاً وهي مفتوحة السين، في حين أن «السُّوق» مضموم السين؛ فكيف يكون هذا من ذاك؟ فأقول: لعلهم أرادوا التفريق بين المصدر - وهو السُّوق - والمكان الذي يتسوّقون فيه؛ فعدلوا عن الفتحة إلى الضمة.

(س ي ب) السَّائِبَةُ:

جاء في الحديث: «السَّائِبَةُ يضع ماله حيث شاء» (٧٣) أي: العبد الذي يعتق سائبة، ولا يكون لواءه لمعتقه ولا وارث له، فيضع ماله حيث شاء، وهو الذي ورد النّهي عنه.

واشتقاق هذا من قولهم سيّب الناقة؛ أي: تركها تسير حيث شاءت، وكلّ دابة تركتها وسوّقها فهي سائبة.

قال ابن الأثير: «قد تكرّر في الحديث ذكر السَّائِبَةِ والسَّوَائِبِ؛ كان الرّجل إذا نذر لقدم من سفر أو بُرء من مرض، أو غير ذلك، قال: ناقتي سائبة، فلا تمنع من ماء ولا مرعى ولا تحلب ولا تتركب، وكان الرّجل إذا أعتق عبداً فقال: هو سائبة، فلا عقل بينهما ولا ميراث. وأصله من تسييب الدّواب، وهو إرسالها تذهب وتجيء كيف شاءت» (٧٤).

وقيل: السائبة هي أمّ البهيمة، كانت الناقة في الجاهلية إذا ولدت عشرة أبطن كلهن إناث سيّبت، فلم تركب، ولم يشرب لبنها إلا ولدها أو الضيف حتى تموت، فإذا ماتت أكلها الرجال والنساء جميعاً، ويُحرّت أذن بنتها الأخيرة، فتسمّى: البهيمة، بمنزلة أمّها في أنها سائبة^(٧٥).

(ش و ر) المشوار:

هو المسافة التي يقطعها الإنسان، وجمعه مشاوير، وفي المثل: الخطبُ مشوار كثير العثار^(٧٦).

والمشوار مشتق من قولهم: شُرت الدابة، إذا رضتها أو ركبتها عند العرض على مشترئها، فأقبلت بها وأدبرت ليعرف المشتري قوتها من ضعفها، وأكثر ما يقال هذا في الإبل والحيل^(٧٧).

ومن هذا قيل للمكان الذي تشوّر فيه الدواب وتعرض: المشوار، ثم استعير هذا المعنى للخطب فقول في المثل: الخطبُ مشوار كثير العثار؛ لأن الخطيب يعرض عقله وبلاغته، وهو عرضة للعثار في ذلك المضمار. ومن هذا قيل للمسافة التي يقطعها الإنسان: مشوار، وجمعه مشاوير.

(ص ع ر) تصغير الحدة:

صعّر الرجل وجهه: مال إلى أحد الشقيين تهاوناً من كبر، ومنه قوله عز وجل: ﴿ولا تصعّر خنك للناس﴾^(٧٨) أي: لا تملّه عنهم.

قال ابن فارس في تفسيره لهذه الآية: «وهو من الصّيعرية، وهو اعتراض البعير في سيره، والصّيعرية: سمة من سمات النوق في أعناقها، ولعل فيها اعتراضاً، قال المسيّب:

بناج عليها الصّيعرية مكدّم»^(٧٩)

وقيل: الصَّعَرُ: داء يأخذ البعير فيلوي منه عُنْقَه ويُمِيلُه، صَعَرَ صَعْرًا، وهو أَصْعَرُ، ويقال: أصاب البعير صَعَرَ وصِيدَ؛ أي: أصابه داء يلوي منه عُنْقَه^(٨٠).

(ع ش و) العشواء:

من أمثالهم السائرة: «يخبط خبط عشواء» وهو يطلق على السَّادر الذي يركب رأسه ولا يهتم لعاقبته. قال زهير:

رَزَيْتُ الْمَنَايَا خَبَطَ عَشْوَاءَ مِنْ تُصَبِّ

تُمْنُهُ وَمَنْ تُخْطِيءَ يُعْمَرُ فَيَهْرَمُ^(٨١)

وربما اختصروه فقالوا: فلان عشوائي، والأصل في ذلك الناقة العشواء؛ لأنها لا تبصر ما أمامها فهي تخبط بيديها كل شيء تمر به، وذلك أنها ترفع رأسها فلا تتعمد مواضع أخفافها^(٨٢).

(ع ق ل) فلان عاقل:

العقل بمعنى الحجر والنهي: ضد الحمق؛ وهو التمييز الذي به يتميز الإنسان من سائر الكائنات الحية؛ وهو تاج الإنسان وقائده وقوته الحقيقية. والعقل مصدر قولك: عَقَلْتُ البعير أعقله عقلاً، وهو مشتق من أصل حسِّي هو عقال البعير الذي تشد به بعض قوائمه؛ لتقييد حركته ولضبطها؛ أو تثني به يد البعير إلى ركبته فتشد به.

وقد استعير منه العقل للإنسان؛ لأنه يعقل صاحبه، ويرده عن هواه، ويصده عن السقوط في الرذيلة، ويحجسه عن ذميمة القول والفعل. ويلحق بهذا أنهم سموا الدية عقلاً؛ لأن الإبل التي كانت تؤخذ في الديات كانت تجمع فنقل بفناء المقتول؛ فسميت الدية عقلاً، وإن كانت دراهم أو دنانير أو ريات. وقيل: سميت عقلاً؛ لأنها تمسك الدم^(٨٣).

(غ رب) ألقى جبله على غاريبه:

يقال: «ألقيت جبله على غاريبه»^(٨٤) أي: تركته يذهب حيث يريد، أو يعمل مايشاء. والأصل في هذا أن يلقى جبل الناقة على غاريها، وهو كاهلها ما بين السنام إلى العنق؛ وذلك أن الناقة إذا رعت ورأت الحبل «الخطام» لم يهنها المرعى، فيلقى على غاريها لكي لا تراه^(٨٥).

ثم ارتقى هذا المعنى فاستعمل في الطلاق في الجاهلية؛ فكانت العرب يطلقون نساءهم بهذا الكلام؛ أي: بقولهم: حبلك على غاريك، ومعناه: خليت سبيلك وأمرك في يديك، فقد انقطع سبيلك من سبي^(٨٦).
ثم استعير هذا اللفظ لكل من ترك يعمل مايشاء.

(ف ص ح) الفصاحة:

يقال لمن يبين عمّا في نفسه ويخلو لفظه من التعقيد: إنه فصيح، ويوصف بها المتكلم والكلمة والكلام، يقال: رجل فصيح، وكلمة فصيحة، وكلام فصيح. والفعل من ذلك فَصَحَ، يقال: فَصَحَ الرَّجُلُ فصاحة، فهو فصيح من قوم فُصِّحَاء وفصاح وفُصِّحَ، وَفَصَحَ الأعجمي فصاحة: تكلم بالفصاحة، يقال: أفصح الصبي في منطقهِ إفصاحاً، إذا فهمت مايقول في أول مايتكلم، وأفصح عن الشيء إفصاحاً، إذا بيّنه وكشفه.

وأصل ذلك كله لبِن الناقة الفصيح الذي أخذت عنه الرغوة، يقال: فَصَحَ اللبن إذا أخذت عنه الرغوة، قال نضلة السلمي^(٨٧):

رَأَوْهُ فَـأَزْدَرَوْهُ وَهُوَ خَرَقٌ

وَيَنْفَعُ أَهْلَهُ الرَّجُلُ الْقَبِيحُ

فَلَمْ يَخْشَوْا مَصَالَتَهُ عَلَيْهِم

وَتَحْتَ الرِّغْوَةِ اللَّبَنِ الْفَصِيحُ

وأفصح اللَّبَنُ: ذهب اللَّبَأُ عنه، والمفصح من اللَّبَنِ كذلك، وأفصحَتِ النَّاقَةُ أو الشَّاةُ: خلصَ لبنها.

قال الرَّاعِبُ في «المفردات»: «الفَصْحُ خُلُوصُ الشَّيْءِ مما يشوبه، وأصله في اللَّبَنِ، يقال: فَصَحَ اللَّبَنُ وأفصح فهو مُفَصَّحٌ وفَصِيحٌ إذا نَعَرَى من الرِّغْوَةِ، ومنه اسْتَعِيرَ: فَصَحَ الرَّجُلُ: جادت لُغَتُهُ، وأفصح: تكلَّم بالعربية» (٨٨).

(ق ح م) الانْتِحَامُ وَالتَّجَمُّعُ:

تقول: أتجم فلانٌ نَفْسَهُ فيما لايعنيه، أو فيما لايحسنه. وهو يتجَمَّعُ في الأمور، أي يدخل فيها بغير تثبت ولا روية.

واشتقاق هذا من قولهم: تَجَمَّعَتِ النَّاقَةُ بصاحبها؛ إذا نَدَّتْ به فلم يضبط رأسها وربما طوحت به في وَهْدَةٍ أو وَقَصَتْ به، وكذلك تَجَمَّعَ البعير (٨٩).

وقالوا: اقتحم الفحلُ الشَّوْلَ: اهتمجها من غير أن يرسل فيها، والمقاحيم من الإبل التي تقتحم الشَّوْلَ من غير إرسال فيها، والإقحام الإرسال في عجلة، ويعبر مُقْتَحِمٌ: يذهب في المغازة من غير سائق (٩٠).

ومن ذلك قُحْمَةُ الأعراب: سميت «قحمة» لأنهم إذا أجذبوا تركوا البادية ودخلوا الريف، كأنهم اقتحموه.

(ق ط ر) القطار:

القطار والقاطرة في عرفنا اليوم: وسيلة حديثة من وسائل النقل، وهي مجموعة من مركبات تسير على قضبان من حديد تحرها قاطرة.

ومن المجاز اللغوي قولهم: تقاطر القوم؛ أي: جاءوا أرسالا، وتقاطرت كُتُبُ فلان؛ أي: تتابعت (٩١).

والقطار في أصل اللغة عند العرب أن تشدَّ الإبل على نسق، واحداً خلف واحد، ومنه قالوا: قَطَرَ الإبل يقطُرُها قَطْرًا وقَطَرُها. وجاءت الإبل قِطَارًا أي: مقطورة (٩٢).

قال ابن فارس: «وتقاطر القوم؛ إذا جاءوا أرسالاً، مأخوذ من قطار الإبل، ومن أمثالهم: (الإنفاض يُقطر الجَلْب) يقول: إذا أنفض القوم؛ أي: قلت أزوادهم ومانعدهم قطروا الإبل فجليبوها للبيع»^(٩٣).
ثم توسعوا في ذلك فقالوا: قطار النمل، قال أبو النجم المعجلي^(٩٤):
وأقبل النمل قطاراً تنقله

(ك و م) الكوم:

كوم الشيء كوماً: عَظُمَ، وكوم الشيء: جمعه وألقى بعضه على بعض. ولعل الأصل في ذلك سنام البعير، فقد ذكر علماء اللغة أن استعمال الكوم غلب على السنام^(٩٥)، فالكوم: عَظُمَ السنام، والأكوم: البعير الضخم السنام، وناقاة كوماً: عظيمة السنام طويته. والكوم - بضم الكاف - القطعة من الإبل.
ثم توسعوا في ذلك فسمي كل ما فيه تجمع وارتفاع: كوماً، وأطلقوا «الكوم» على كل ما اجتمع وارتفع له رأس من تراب أو رمل أو قمح، تشبيهاً بسنام البعير.

(م ج د) المجد:

المجد: التبل والرفعة ونيل الشرف الواسع والمروءة والسّمَاء، وهو السعة في الكرم والجلال. وهو الأخذ من الشرف والسؤدد ما يكفي. وقيل المجد: المكارم الماثورة عن الآباء خاصة. وقد مجدَ يَمجدُ مجداً، فهو ماجد، ومجد - بالضم - مَجادة، فهو مَجيد.
والتمجيد لله الثناء الجميل، يقال: سبّح لله عز وجل ومجده؛ أي: ذكر آلاؤه.

ورجل ماجد: مفضل كثير الخير شريف. والمجيد فعيل منه للمبالغة، وقيل، هو الكريم الشرف المفضل، وقيل: إذا قارن شرف الذات حسن الفَعَال سمي مجداً.

وهذه معان معنوية عليها اكتسبتها كلمة «مجد» من معناها القديم، وهو معنى حسنيّ، فالمجد في أصل اللّغة: امتلاء بطون الإبل أو الغنم، يقال: مجدت الغنم مجوداً: أكلت البقل حتى هجع غرثها، وراحت الماشية مُجَداً ومواجد؛ أي: شباعاً^(٩٦). ومجدت الإبل تمجد مجوداً، وهي مواجد ومُجد ومُجد، وأمجدت؛ إذا شبعت أو نالت من الكلال قريباً من الشَّبْع، وعرف ذلك في أجسامها.

وأمجد القوم إيلهم؛ أي: أحسنوا رعيها، ويكون ذلك في أول الربيع، ومجدت الإبل؛ إذا وقعت في مرعى كثير واسع^(٩٧).

ويقال: رأيت أرضاً قد مَجَدَ بغيرها وشاتها؛ أي: خصبة مليئة بالمرعى. وأهل العالية يقولون: مَجَدَتِ النَّاقَةُ؛ إذا علفتها ملء بطنها، وأهل نجد يقولون: مَجَدَتِهَا - بالتشديد - إذا علفتها نصف بطنها^(٩٨).

وقد فطن ابن دريد إلى هذا الاشتقاق فقال: «المجد من قولهم: رجل ماجد. وأصل المجد أن تأكل الماشية حتى تمتلئ بطونها»^(٩٩).

وقال في كتاب «الاشتقاق»: «واشتقاق ماجد من قولهم: أمجدت الماشية؛ إذا امتلأت من المرعى، فهي مُمَجِد، ثم صار كلّ تمتلئ خيراً واثلاً شرفاً ماجداً ومجيداً»^(١٠٠).

وفي المثل: «وفي كلّ شجر نار، واستمجد المرخ والعقار»^(١٠١) أي: استكثروا من النار، وأخذوا منها ما هو حسبهما، فهما قد تناهيا في ذلك، حتى إنه يقبس منهما.

(م ن ح) المنحة:

المنح: العطاء، والمنحة العطية، وامتنح فلان: أخذ العطاء، واستمنح: طلب العطاء.

ويقولون في الاستعمال الحديث في الأروقة العلمية: منحت الجامعة منحة علمية للأجانب، ويقول أصحاب العقار: منحت الأرض لأصحابها، وهذه منحة فلان.

وأصل المنح في اللغة هو إعاره الناقة أو الشاة ليستفاد من لبنها، ثم تعاد بعد حين .

قال الفيومي: «المنحة - بالكسر - في الأصل الشاة أو الناقة يعطيها صاحبها رجلاً يشرب لبنها، ثم يردها إذا انقطع اللبن، ثم كثر استعماله حتى أطلق على كل عطاء» (١٠٢).

وفي «اللسان»: «الأصل في المنحة أن يجعل الرجل لبناً شاة أو ناقة لآخر مئة، ثم جعلت كل عطية منيحة» (١٠٣).

(م ول) المال:

المال ما يملكه الإنسان من كل شيء، وأكثر ما يكون في الذهب والفضة والنقد، ومال يمول مولاً: صار ذا مال، وكثر ماله.

والمال عند أهل البادية النعم بعامة، وفي الحديث: «نهى عن إضاعة المال» قيل أراد به الحيوان؛ أي: يحسن إليه ولا يهمل، وقيل: إضاعته إنفاقه في الحرام. قال ابن الأثير: «وأكثر ما يطلق المال عند العرب على الإبل؛ لأنها كانت أكثر أموالهم» (١٠٤).

وقال أبو سهل الهروي: «المال عند العرب هو الإبل والغنم، وغير ذلك مما يتناسل» (١٠٥).

(ن ت ج) النتيجة:

النتيجة: الثمرة أو العاقبة أو الخاتمة، ومنها الاستنتاج بمعنى استنباط النتيجة من المقدمة، أو استخراج المجهول من المعلوم، والنتائج ثمرة الشيء.

وقد صاغ المعاصرون كلمة «الإنتاج» وأكثروا من استخدامها، فقالوا: الإنتاج العلمي، والصناعي، والفني وقالوا: إنتاج الأديب أو العامل، كما قالوا: النتاج والمنتجات والمنتجات (١٠٦).

والنتاج هو الأصح في الاستعمال اللغوي.

واشتقاق هذه المعاني من قولهم: تُنَجَّت النّاقة فهي مَنُتَوَجّة، وأنشَجَتْ فهي مُنْتَجّة: إذا وضعت، ونوق مَنَاتِيج؛ أي: كثيرة الولاد، ونَتَج النّاقة صَاحِبُهَا وأنشَجَهَا: وكيَهَا حَتَّى وَضَعَتْ فهو نَاجِع ومُنْتِج^(١٠٧)، والنّاتِج للإبل كالقابلة للنّساء^(١٠٨).

والنّاتِج اسم يجمع وضع جميع البهائم، وقال بعضهم: هو في النّاقة والفرس وهو فيما سوى ذلك: نَتِج.

ومن هذا المعنى قالوا: الرّيح تنتِج السّحاب؛ أي: تُمِريه حَتَّى يخرجَ قطره، وفي المثل: إنّ العجز والتّواني تزاجا فانتِج الفجر^(١٠٩).

ثم استعاروا من ذلك النّتِيجة وهي العاقبة والثّمرة، والامتِناج وهو استنباط النّتِيجة.

(ن د) نَدَّت الكلمة:

نَدَّت الكلمة: شَدَّتْ عن القاعدة، ونَدَّت الفكرة عَنِّي: غابت عن ذاكرتي. وهذه كلمة عريقة في ألفاظ الإبل، وهي من قولهم: نَدَّ البعير يَنْدُ نَدُوداً، إذا شرد، ونَدَّت الإبل تَنْدُ نَدّاً ونَدِيداً ونَدَاداً ونَدُوداً، وتَنَادَّت: نفرت وذهبت شروداً، فمضت على وجوهها، وناقة نَدود: شروود. وفي الأثر: «فندَّ بعير منها» أي: شرد وذهب على وجهه^(١١٠).

ثم استعير ذلك للكلمة تشدُّ عن القاعدة، أو الفكرة تغيب عن صاحبها.

(ن ش د) نشدت بمعني سألت:

ناشدت فلاناً الأمر، وناشدته فيه مناشدة ونشاداً: طالبته، والناشد: الطالب والسائل عن أمر، وناشدته الله، وبه: سألته به مقسماً عليه. وتنشد الأخبار: طلبها ليعلمها من حيث لا يعلم النّاس.

وتقول العامة في أيامنا: نشدته عن الأمر؛ أي: سألته مستفهماً عنه، وهي عريّة فصيحة.

واشتقاق هذه المعاني من قولهم: تَشَدَّتِ الضَّالَّةُ من ناقة أو نحوها؛ إذا ناديت وسألت، أو طلبتها وعرفتها، قال الشاعر:

وَيَصِيخُ أَحْيَانًا كَمَا اسْتَمَعَ الْمُضِلُّ لَصَوْتِ نَاشِدٍ

والناشد الطالب والمعرف جميعاً^(١١١). والتشادون - بصيغة المبالغة - من احترقوا تشدان الضوال، واتخذوها مهنة، ثم نشأت فئة أخرى سموهم «الناشدين» - وهم غير النشادين - اغتنموا مصائب الناس في إبلهم، فاحترفوا طلب الضوال منها تطوعاً دون أن يكلفهم أحد، ولكنهم كانوا يحتجزونها لأنفسهم إذا وجدوها^(١١٢) وربما ساوموا عليها.

ثم نشأ من معنى إنشاد الضوال معنى أدبي مشهور وهو قولهم: أنشد القصيدة، بمعنى: ألقاها بصوت مسموع منغم. ويقال: سمعت منهم نشيداً مليحاً، وهو الشعر المتناشد بين القوم، ينشده بعضهم.

(ن هـ ل) التَّهْلُ:

التَّهْلُ أول الشُّرْب، والتَّهْلُ: المؤرد والشُّرْب، واستعاروه للعلم؛ فقالوا: ينهل طلاب العلم من مناهل العلم والمعرفة، ومناهل العلم هي المدارس والمعاهد والجامعات، وهي الكتب - أيضاً.

والتَّهْلُ في أصل اللغة: المؤرد، وهو عين ماء ترده الإبل في المرعى. والتَّهْلُ أول الشُّرْب، تقول: أنهلت الإبل؛ أي: سقيتها في أول الورد فترد إلى العطن، ثم تسقي الثانية وهي العلل فترد إلى المرعى.

قال الأصمعي: إذا أورد الراعي إبله الماء؛ فالسقية الأولى التَّهْلُ، والثانية العَلْلُ^(١١٣).

ثم تَوَسَّعُوا في معنى النهل فسمّوا المنازل التي في المفاوز على طريق السفار: مناهل؛ لأنّ فيها ماء.

وقد شَقَّتْ هذه الكلمة البدويّة القديمة طريقها إلى التطور، فتخلّصت رويداً رويداً من رائحة الإبل، فقالوا: أسل ناهل ونهال، وأنهلوا القنا، قال شاعرهم:

نَهَلْنَا مِنْ دِمَاءِ بَنِي لُؤَيٍّ
وَأَنهَلْنَا الْقَنَا حَتَّى رَوَيْنَا (١١٤)

ثم ارتقت الكلمة في سلم العلم والأدب فغدت من الكلمات المفضّلة عند الأدباء والفصحاء، الرّفيعة المعنى لديهم، فقالوا: فلان ينهل من مناهل العلم والأدب.

(ن و ق) الأناقة:

هل تعرف النساء أنهن يلتقين في أناقتهن مع تلك البهيمة الصّحراوية الغليظة «النّاقة» وأنهن يدنّ لها بلفظ «الأناقة» تلك اللفظة الجميلة التي غدت شغلن الشّاغل، وإن كانت أناقتهن تُكَبِّدُ الرّجالَ ماتكِبْدُهُمْ من المال، إلا أنّها تعوّضهم ماتعوّضهم من لذة وجمال (١١٥).

إن التنقيب في اللّغة والحفر في معجماتها يكشف عن العلاقة الوثيقة بين النّاقة والأناقة، فالنّاقة عند العرب ممّا يُتَحَسَّنُ به ويُزْدَانُ بملكه - كما يقول ابن جنّي (١١٦)، ولذلك اشتقوا المذكّر لها لفظاً مناسبة مشتقة من الجمال، فقالوا الجمّل.

وقالت العرب للجمّل إذا دُكِّلَ وأحسنت رياضته: تَوَقَّتَ البعير؛ أي: أذهبت شدّة ذكوره، وجعلته كالنّاقة الطّيعة المروّضة المنقادة (١١٧).

وفي الحديث أنّ رجلاً سار معه - - على جمل قد نوقه (١١٨).

ودرجت العرب على هذا المعنى حيناً، ثم قالت قياساً على ترويض البعير وترقيق طبعه:

تَوَقَّتَ الشَّيْءَ، بمعنى رَوَّضَهُ وأصلحته وصَفَّقْتَهُ، والتَّوَقُّقُ من الرِّجَالِ الذي يروِّضُ الأمورَ ويصلحها.

ثم توسَّعوا في هذا المعنى فقالوا: تَتَوَقَّقُ فلان في ملبسه ومسكنه ومنطقه وأموره؛ إذا تجوَّدَ وبالغ^(١١٩).

وصاحب ذلك أن أحدثوا قلباً مكانياً في الكلمة، فقالوا: تَوَقَّقَ، على وزن (تَعَلَّفَ) ثم أبدلوا الواو همزة فقالوا: تَأَنَّقَ، ولهذا سوى العلماء بين اللفظين «تَوَقَّقَ» وتَأَنَّقَ» وقالوا: تَتَوَقَّقُ في أموره تجوَّدَ وبالغ، مثل تأنَّقَ؛ قال ذو الرمة:

كَأَنَّ عَلَيْهَا سَحَقٌ لَفَقٌ تَتَوَقَّقُ

به حَضَرٌ مَيَّاتُ الْأَكْفُ الْحَوَائِكِ

قال ابن فارس: «وقولهم: تَتَوَقَّقُ في الأمر، إذا بالغ فيه، فعندنا أنه منه [أي من مادة توق] وهم يُشَبِّهُونَ الشَّيْءَ بما يستحسنون، وكأن تَتَوَقَّقُ مقيس على اسم الناقة، وهي عندهم من أحسن أموالهم»^(١٢٠).

وهكذا جاءت «الأناقة» من لفظة «تَأَنَّقَ» وهذه من لفظة: «تَوَقَّقَ» وأصولهما في «الأناقة».

على أنه لا يمكن القطع بهذا الاشتقاق؛ لاحتمال أن تكون (أنق) مادة مستقلة في الأصل القديم وليست مقلوبة من (ن وق) فيجوز - حيثئذ - أن تكون «الأناقة» من تلك المادة وليست من مادة (ن وق) فيكون في كلمة «الأناقة» تداخل أصول.

(هـ د ر) هَدَرَ فلان:

يقولون: هَدَرَ فلان؛ إذا بالغ في الهدير، أي في الجلبة والصياح، وفي المثل:

«كَالْمُهْدَرِّ فِي الْعَنَّةِ»^(١٢١) يضرب لمن يصيح وتجلب ولا ينفذ قوله ولا فعله.

ولعل هذا - أيضاً - من ألفاظ الإبل التي تطورت بتوسيع دلالتها، وهو من أصواتها على وجه التحديد، وهو «الهدير» صوت البعير، وصوت الحمام - أيضاً.

قال الجوهري: «هَنَرَ البعير هَدِيرًا؛ أي: ردّد صوته في حنجرتة، وإبل هوادر وكذلك هَنَرَ تهديرًا» (١٢٢).

ومن هذا الصوت اشتقوا معنى المثل عر طريق تعميم الدلالة، قال أبو هلال العسكري: «قولهم: (كالهَنَرَ في العَنَّة) يضرب مثلاً للرجل يتهدّد ولا يضرب. وأصله البعير يُحبس عن أَلَفِهِ في العَنَّة، فيأسف ويَهْدِر، ولا ينفعه ذلك شيئاً. والعَنَّة حظيرة تعمل من الشجر يُحبس فيها البعير، وقال الوليد بن عُبَيْة:

قَطَعْتَ الدَّهْرَ كَالسَّدَمِ الْمُعْنَى

تُهَهِّلُ فِي دَمَشَقٍ وَلَا تَرِي

والمُعْنَى: يعني المحبوس في العَنَّة، وأصله المُعْنَن، فقال: المُعْنَى، كما قيل في المتظنّ: المتظنّي» (١٢٣).

الخاتمة

هذه أربعون كلمة من ألفاظ الإبل أو الأساليب العربية، التي تطورت دلالتها، وارتقت معانيها في سلم الفكر والحضارة، فابتعدت كثيراً عن أصولها القديمة، التي تتصل بالإبل بسبب وثيق عن طريق اللفظ، كأسمائها، وأسماء أعضائها، وصفاتها، وسماتها، وأصواتها، ومأكليها، ومشربها، وأمراضها، وأدائها، ونحو ذلك، درستها في هذا البحث المجمل دراسة لغوية معجمية دلالية بمنهج تاريخي، وأعدتها إلى أصولها الحيوانية القديمة، فثبت تطورها الدلالي عن طريق تعميم المعنى وتوسيعه.

وقد قدمت لها بتمهيد تطرقت فيه لما يخدم فكرة البحث ويكشف عن أغراضه، ومنهج، وأشارت إلى أهمية الإبل في حياة العربي القديم وكثرة ألفاظها في العربية وتفرقها في معاجم اللغة وعناية اللغويين القدامى بتلك الألفاظ وإفرادهم إياها برسائل لغوية خاصة يهدفون فيها إلى جمع ألفاظ، وليس دراستها، وقد ضاع أكثر تلك الرسائل بعد أن فرغ ما فيها في بطون المعاجم الكبيرة.

وبقي شطر من ألفاظ الإبل محافظاً على دلالاته القديمة، ولم يصبه شيء من التطور، وفي المقابل انتقلت - مع الأيام - دلالة كثير من تلك الألفاظ، وارتقت إلى دلالات معنوية أرحب، وتحررت من دلالاتها الحسية، فابتعدت عن أصلها الحيواني القديم.

ثم ذكرت ما يطرأ على معاني الألفاظ من تغييرات كتغيير مجال الدلالة، أو تخصيصها، أو تعميمها، أو انحطاطها، أو تسامحها، أو انتقالها إلى الضدية. وأشارت إلى أن هذا البحث خاص بالنوع الثالث من هذه التغييرات، وهو «تعميم الدلالة»

ونتهت إلى بعض المصاعب التي قد تعترض من يبحث في مجال الدلالة في معاجم اللغة، وأعقبت ذلك بذكر القاعدة التي يمكن للباحث أن يستند إليها في تأصيل المعاني مشيراً إلى أنه ينبغي التزام الحيطه والاعتدال في الربط بين الدلالات.

وقد خرجت من هذا البحث المجلد بنتائج منها:

- ١- أن ألفاظ الإبل كغيرها من الألفاظ العربية البدوية قابلة للتطور الدلالي، وصالحة للتعبير عن مدلولاتها الجديدة. وهي مصدر ثري من الممكن أن يستفاد منها في تنمية اللغة العربية وإثرائها في كل زمان ومكان.
- ٢- أن المعنى الوضعي للكلمة في العربية قابل للتغيير والتطور بتعميم دلالاته أو تضيقها أو تغييرها، وأن ذلك مرهون بالحاجة وكثرة الاستعمال مع تقادم العهد أحياناً.
- ٣- أن تعميم الدلالة في بعض ألفاظ الإبل وانتقال كثير منها من المحسوسات إلى المعقولات يدل على سعة العربية وقدرتها على الرقي، ومواكبة التطور الفكري، الذي استجد بظهور الإسلام، وما صاحبه من تطور حضاري كبير، بلغ ذروته في عصر الدولة العباسية، فقد استطاعت هذه الألفاظ الصحراوية

البدوية أن تؤدي مايريد المتكلم منها في عصور الحضارة، دون أن يعلم كثير من المتكلمين أن في كلامهم شيئاً غير قليل من بقايا الإبل.

وهكذا تغلغل هذا الحيوان الصحراوي عن طريق ألفاظه إلى وجدان العربي، فأصبح جزءاً من لفظه الراقي من غير أن يحس بشيء من ذلك.

٤- أن التطور في هذه الكلمات أو الأساليب المتصلة بالإبل التي انتقلت دلالتها وعُمِّمت - فيما درسته في هذا البحث - يتجه - في مجمله - من جهة المحسوسات إلى المعنويات، كالحنين والترويض والافتحام والتحمم والمجد والمنحة والخضمة وتصغير الحذّ وتسّم ذرى المراتب، وغير ذلك، وهو تطور إيجابي واكب الرقي الفكري والحضاري لدى العربي الذي يزداد تطلعه إلى المعقولات والمجردات كلما توغل في الحضارة.

٥- أن لبعض هذه الكلمات - وغيرها قيمة أثرية قد تساعد في الكشف عن أحوال العرب الغابرين، وتفهم شؤون حياتهم المعيشية والاقتصادية والاجتماعية، وهي لا تقل في قيمتها العلمية عن القطع الأثرية التي يعني بها علماء الحفريات والأثار.

نعم؛ وأرجو - في الختام - أن يكون هذا الموضوع المجلل حلقة في دراسات دلالية متعددة يدرس فيها التطور اللغوي في ألفاظ باقي الحيوانات الصحراوية كالخيل والبغال والحمير والغنم وغيرها من عناصر حياة العربي في صحرائه كالحياض والآبار والدلاء والأسقية والجبال والحجارة والسلاح والرماح والدروع وبيوت الشعر والأوتاد والأثاث والأمراض والأعراض والشجر والنبات والأنواء والمطر والسحاب والرياح ونحو ذلك لنظفر في النهاية بدراسة متكاملة يستفيد منها صنّاع المعجم التاريخي للعربية الذي ينادي اللغويون - اليوم - بضرورة وضعه لحاجة أبناء العربية إليه.



الإحالات

- ١- ينظر: فقه اللغة وخصائص العربية ٢١١.
- ٢- ينظر: الإيمل في الشعر الجاهلي ١٥ / ١.
- ٣- ينظر: دراسات في فقه اللغة ٢٩٣.
- ٤- ينظر: الإيمل في الشعر الجاهلي ١٠ / ٢.
- ٥- العربية تاريخ وتطور ١٩٧.
- ٦- ينظر: في أصول الكلمات ٤٦، ٤٧، ودلالة الألفاظ ١٥٢-١٦٠، وعلم اللغة للسعران ٢٨٠-٢٨٨، ودور الكلمة في اللغة ١٦٢-١٦٣.
- ٧- الزاهر ٢ / ٢٦٥.
- ٨- ينظر: القاموس المحيط (بهم) ١٣٩٨، والتاج (بهم) ٢٠٧ / ٨.
- ٩- درة النواص ١١٦.
- ١٠- ينظر: شرح درة النواص للمخفاجي ١١٦.
- ١١- ينظر: في أصول الكلمات ٤٦.
- ١٢- ينظر: الأضداد لأبي الطيب اللغوي ١١٦.
- ١٣- ينظر: دلالة الألفاظ ١٥٤.
- ١٤- ينظر: علم الدلالة ٣٤٣.
- ١٥- نفسه ٣٤٣.
- ١٦- ينظر: علم اللغة لوافي ٢٩٢، ٢٩٣.
- ١٧- ينظر: دلالة الألفاظ ١٦٤، واللغة والنحو ٧١، والفلسفة اللغوية ٩٧.
- ١٨- ينظر: دلالة الألفاظ ١٦٤.
- ١٩- ينظر: المقاييس ١ / ٢١١.
- ٢٠- دلالة الألفاظ ١٦٥.
- ٢١- المقاييس ١ / ١٢٠.
- ٢٢- النهاية ١ / ١٢٠.
- ٢٣- مجمع الأمثال ٢ / ٣٧٥.
- ٢٤- ينظر: اللسان (جرن) ٨٦ / ٣.
- ٢٥- ينظر: العين ٦ / ٥٠، ومختصر العين ٢ / ٦٣.
- ٢٦- المقاييس ١ / ٤٥٧.
- ٢٧- ينظر: اللسان (جسر) ١ / ١٣٦.

- ٢٨- ينظر: المقاييس ١/٤٥٨ .
 ٢٩- اللسان (جلب) ١/٢٦٨ .
 ٣٠- نفسه (حدا) ١٤/١٦٨ .
 ٣١- المقاييس ٢/٣٥ .
 ٣٢- الأساس (حدا) ٧٧ .
 ٣٣- ينظر: المعجم الوسيط ١/١٧٧ .
 ٣٤- ينظر: التهذيب ٥/١٣٧ .
 ٣٥- صحيح البخاري (فضائل الصحابة) ج ٥/ص ٢١ .
 ٣٦- النهاية ١/٣٩٢ .
 ٣٧- سورة مريم: الآية ١٣ .
 ٣٨- اللسان (حنن) ١٣/١٢٩ .
 ٣٩- التهذيب ٣/٤٤٥ .
 ٤٠- للمحكم ٢/٣٧٣ .
 ٤١- التهذيب ٣/٤٤٥ .
 ٤٢- للمحكم ٢/٣٧٣ .
 ٤٣- ينظر: اللسان (حوز) ٥/٣٤٠ .
 ٤٤- ينظر: محيط المحيط (خجل) ٢١٨ .
 ٤٥- ينظر: اللسان (خجل) ١١/٢٠٠ .
 ٤٦- الاشتقاق ١٦٣ .
 ٤٧- صحيح مسلم (كتاب الصلاة ٣٨) ج ٢ ص ٩ .
 ٤٨- الأساس (خضرم) ١١٣ .
 ٤٩- النهاية ٢/٤٢ .
 ٥٠- اللسان (خضرم) ١٢/١٨٥ .
 ٥١- الأساس (رقل) ١٧٤ .
 ٥٢- اللسان (رقل) ١١/٢٩٣ .
 ٥٣- ديوان النابغة ٤٤ .
 ٥٤- إصلاح المنطق ٤٠ .
 ٥٥- ينظر: اللسان (ركب) ١/٤٢٩ .
 ٥٦- النهاية ٢/٢٥٦ .
 ٥٧- الصحاح (رم) ٥/١٩٣٧ .

- ٥٨- ينظر : في أصول الكلمات ٢٦٢ .
 ٥٩- ينظر : المقاييس ٢/٤٥٩ .
 ٦٠- اللسان (روض) ٧/١٦٤ .
 ٦١- ينظر : التاج (روض) ٥/٣٩ .
 ٦٢- اللسان (روي) ١٤/٣٤٦ .
 ٦٣- ديوان أبي النجم العجلي ٢٠٦، ٢٠٧ .
 ٦٤- ديوان أبي طالب ٦٦ .
 ٦٥- اللسان (زعم) ١٢/٢٦٦ .
 ٦٦- التهذيب ٢/١٥٧ .
 ٦٧- الجمهرة ٢/٨٢٦ .
 ٦٨- ينظر : التاج (زمل) ٧/٣٦٠ .
 ٦٩- ينظر : الأساس (سنم) ٢٢١ .
 ٧٠- ينظر : اللسان (سنم) ١٢/٣٠٢ .
 ٧١- ينظر : الأساس (سنم) ٢٢١ .
 ٧٢- النهاية ٢/٤٢٤ .
 ٧٣- سنن الدارمي (فرائض ٤٦) ج ٢ ص ٣٩١ .
 ٧٤- النهاية ٣/٤٣١ .
 ٧٥- ينظر : اللسان (سبب) ١/٤٧٨ .
 ٧٦- مجمع الأمثال ١/٤٣٢ .
 ٧٧- ينظر : اللسان (شور) ٤/٤٣٦ .
 ٧٨- سورة لقمان : الآية ١٨ .
 ٧٩- المقاييس ٣/٢٨٨ .
 ٨٠- اللسان (صعر) ٤/٧ .
 ٨١- ديوان زهير ٢٥ .
 ٨٢- اللسان (عشو) ١٥/٥٧ .
 ٨٣- ينظر : المقاييس ٤/٧١ .
 ٨٤- جمهرة الأمثال ١/٣٨٢ .
 ٨٥- ينظر : اللسان (غرب) ١/٦٤٤ .
 ٨٦- ينظر : الزاهر ٢/٢٤٥ .
 ٨٧- ينظر : اللسان (فصح) ٢/٥٤٤ .

- ٨٨- المفردات (فصح) ٦٣٧.
- ٨٩- ينظر: الزاهر ٢/٢١١، ٢١٢.
- ٩٠- ينظر: اللسان (قحم) ١٢/٤٦٣.
- ٩١- ينظر: الأساس (قطر) ٣٧٠.
- ٩٢- اللسان (قطر) ٥/١٠٨.
- ٩٣- المقاييس ٥/١٠٨.
- ٩٤- ديوان أبي النجم العجلي ١٥٩.
- ٩٥- ينظر: اللسان (كوم) ١٢/٥٢٩.
- ٩٦- ينظر: الأساس (مجد) ٤٢٠.
- ٩٧- ينظر: اللسان (مجد) ٣/٣٩٦.
- ٩٨- ينظر: المحيط ٧/٥٥.
- ٩٩- الجوهرة ١/٤٥٠.
- ١٠٠- الاشتقاق ٥٠٦.
- ١٠١- ينظر: فصل المقال ٢٠٢.
- ١٠٢- المصباح (منع) ٥٨٠.
- ١٠٣- اللسان (منع) ٢/٦٠٧.
- ١٠٤- النهاية ٤/٣٧٣.
- ١٠٥- ينظر: إسفار الفصح ١٣.
- ١٠٦- ينظر: مغامرات لغوية ٤٢.
- ١٠٧- ينظر: الأساس (نتج) ٤٤٥.
- ١٠٨- ينظر: اللسان (نتج) ٢/٣٧٣.
- ١٠٩- ينظر: الأساس (نتج) ٤٤٥.
- ١١٠- ينظر: اللسان (نلد) ٣/٤١٩، ٤٢٠، والنهاية ٥/٣٥.
- ١١١- ينظر: اللسان (نشد) ٣/٤٢١.
- ١١٢- ينظر: مغامرات لغوية ٥٨.
- ١١٣- ينظر: اللسان (نهل) ١١/٦٨٢.
- ١١٤- ينظر: الأساس (نهل) ٤٧٥.
- ١١٥- ينظر: مغامرات لغوية ٥٩.
- ١١٦- ينظر: الخصائص ١/١٢٢.
- ١١٧- ينظر: المحكم ٦/٣٥٣.

- ١١٨- ينظر: الفائق في غريب الحديث ٣٠/٤، والنهاية ١٢٩/٥.
 ١١٩- اللسان (نوق) ٣٦٣/١٠.
 ١٢٠- المقاييس ٣٧١/٥.
 ١٢١- ينظر: المستقصى ٢/٢١٠.
 ١٢٢- الصحاح (مدر) ٨٥٣/٢.
 ١٢٣- جمهرة الأمثال ١٦٧/٢.

المصادر والمراجع

- الإبل في الشعر الجاهلي، دراسة في علم الميثولوجيا والنقد الحديث، للدكتور أنور عليان أبوسويلم، دار العلوم، الرياض، ١٤٠٣هـ.
- أساس البلاغة للزمخشري، بتحقيق عبدالرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٢هـ.
- إسفار الفصح، لأبي سهل الهروي، مصورة الدكتور أحمد سعيد قشاش عن نسخة خطية أصلية محفوظة في مكتبة مجلة المنهل بجلدة بدون رقم.
- الاشتقاق، لابن السكيت، بتحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، بدون تاريخ.
- إصلاح المنطق، لابن السكيت، بتحقيق أحمد شاكرو عبدالسلام هارون، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٤٩.
- الأضداد، لأبي الطيب اللغوي، بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت ١٤٠٧هـ.
- تاج العروس، للزبيدي، المطبعة الخيرية، القاهرة، ١٣٠٦هـ.
- تهذيب اللغة، للأزهري، بتحقيق عبدالسلام هارون وآخرين، المؤسسة المصرية العامة للتأليف، القاهرة، ١٣٨٤هـ.
- الجمهرة لابن دريد، بتحقيق الدكتور رمزي منير بلعبيكي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.
- جمهرة الأمثال، لأبي هلال العسكري، بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم وعبدالمجيد قطامش، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة، ١٣٨٤هـ.
- دراسات في فقه اللغة، للدكتور صبحي الصالح، دار العلم للملايين، الطبعة العاشرة، ١٩٨٣م.
- درة الغواص في أوهام الخواص، للحريري، بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٥م.

- دلالة الألفاظ، للدكتور إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو، الطبعة السادسة، ١٩٨٦م.
- ديوان زهير، صنعة الأعلام الششمري، بتحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، دار الأفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠هـ.
- ديوان أبي طالب، جمعه وشرحه الدكتور محمد التونجي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٢هـ.
- ديوان النابغة، بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعارف، الطبعة الثانية، بدون تاريخ.
- ديوان أبي النجم العجلي، صنعه وشرحه علا الدين آغا، النادي الأدبي، الرياض، ١٤٠١هـ.
- الزاهر في معاني كلمات الناس، لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، بتحقيق الدكتور حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢هـ.
- سنن الدارمي، بعناية محمد دهمان، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.
- شرح درة الغواص، للخفاجي، مطبعة الجوائب ١٢٩٩هـ.
- الصحاح، للجوهري، بتحقيق أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت.
- صحيح مسلم، دار الأفاق الجديدة، بيروت، بدون تاريخ.
- العربية تاريخ وتطور، للدكتور إبراهيم السامرائي، مكتبة المعارف، بيروت، ١٤١٣هـ.
- علم اللغة، للدكتور محمود السعران، دار النهضة العربية، بيروت، بدون تاريخ.
- العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، بتحقيق الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤٠٨هـ.
- الفائق في غريب الحديث، للزمخشري، بتحقيق محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت ١٣٩٩هـ.
- فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، للبكري، بتحقيق الدكتور إحسان عباس، وعبدالمجيد عابدين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٣هـ.
- فقه اللغة وخصائص العربية، لمحمد المبارك، دار الفكر الطبعة السابعة، ١٤٠١هـ.
- الفلسفة اللغوية، لجورجي زيدان، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٢م.
- في أصول الكلمات، للدكتور محمد يعقوب تركستاني، بيروت ١٤١٢هـ.
- القاموس المحيط، للفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٧هـ.
- لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت، ١٤١٠هـ.
- اللغة والنحو، للدكتور حسن عون، مطبعة رويال، الإسكندرية، ١٩٥٢م.
- مجمع الأمثال، للميداني، بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٧هـ.

- المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، لابن سيده، بتحقيق جماعة من العلماء، القاهرة، ١٣٧٧هـ.
- المحيط في اللغة، للصاحب بن عباد، بتحقيق محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٤هـ.
- محيط المحيط، لبطرس البستاني، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٣م.
- مختصر العين، للزبيدي، بتحقيق الدكتور نور حامد الشاذلي، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٧هـ.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للفيومي بتحقيق الدكتور عبدالعظيم الشناوي، المكتبة العلمية، بيروت، بدون تاريخ.
- المعجم الوسيط، للدكتور إبراهيم أنيس ورفاقه، دار الفكر، بيروت.
- المفردات (مفردات ألفاظ القرآن) للراغب الأصفهاني، بتحقيق صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق، ١٤١٢هـ.
- مغامرات لغوية، لعبدالحق فاضل، دار العلم للملايين، بيروت، بدون تاريخ.
- المقاييس (مقاييس اللغة) لابن فارس، بتحقيق عبدالسلام هارون دار الكتب العلمية، قم، إيران.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، بتحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناجي، المكتبة العلمية، بيروت.

أبو تمام وأبعاد تمثل الفكر الإسلامي في الشعر

د. أحمد علي محمد

قسم اللغة العربية - كلية الآداب

جامعة البعث - حمص - سورية

ملخص البحث

هل بوسع الشعر أن يكون عقلياً؟ وبمعنى آخر هل نستطيع توسيع نظرتنا إلى الشعر متجاوزين بعض المفهومات التي تصفه بأنه لا يصلح إلا لإذاعة العواطف والتغني بما يختلج في الوجدان من مشاعر، أو أنه إذا اتصل بالأفكار فإنه لا يحمل منها سوى المجل والمعام، لذا جعل بنأى عن الأفكار العميقة المحددة للمامح ثقافة ما؟

هل هناك زاوية تمكن من النظر إلى الشعر والعقل معاً؟ إذا وجدت مثل هذه فإن المرء يجد مجالاً للقول: إن من الشعر ما هو جدير بتطويع الأفكار العميقة لصالح موضوعه الفني، وهو الطور الذي يتعدى التأثير بمجموعة الأفكار السائدة، إنه التمثل الحقيقي الذي يبلغه الشعر فيدل على موقف فكري شامل، ويدل في الوقت ذاته على أن الشاعر قد قطع شوطاً في التفكير، وأوجد صلة بين الفكر

والشعر. وهذا الأمر هو ما نريد الوقوف عنده مع شاعر كأيي تمام، محاولين رصد أبعاد المؤثر الإسلامي في شعره.

المقدمة

لا شك أن تمثل الفكر العميقة التي تميز ثقافة أمة من الأمم في الشعر، ضرب من التطور يبلغه الأدب إذا استطاع تطويعها لخدمة موضوعه الفني، وإخضاعها لطبيعته الخاصة، وهي الحال التي تعدى طور النقل العفوي للألفاظ والمصطلحات العلمية التي يكثر دورانها على ألسنة المفكرين والعلماء في عصر من العصور.

فالتمثل المراد هنا شبيه بالرؤية المتكاملة المستندة إلى مخزون فكري ثري يمكن الشاعر من التبصر بحقائق الكون ونظم الحياة، ويجعل منه قوة مؤثرة تشارك في إنتاج الفكرة، لا أن يكون عمله محصوراً في ترديدها أو نقلها نقلاً آلياً، حيث يغدو الشعر وسيلة معرفية إضافة لكونه وسيلة إمتاعية.

فمن هذه الجهة غلب على الشعر الجاهلي ضعف الصلة بالأفكار العميقة والتأملات الدقيقة التي تكشف عن محاولات واسعة في التفكير، والأمثلة التي حملها لنا الشعر الجاهلي إزاء من تأمل أو تأله أو تعف^(١) في شعره لا تكفي للدلالة على طور مهم قطعته الأمة في التفكير، لذا جاءت معظم الأفكار والمعاني الجاهلية مطوقة بالחס، وهذا إنما يعود إلى ظروف حياة الجاهليين التي توزعت بين الحل والارتحال، وقامت على التصارع لامتلاك الماء والمرعى فافتقرت إلى الثبات والاستقرار، فلم يكن في ظل تلك الحياة المضطربة ما يسعف على إيجاد مناخ ينمو فيه الفكر العميق. ولهذا دلت أغلب المعاني في الشعر الجاهلي أن أصحابها تناولوها على عجل، ولا تبعد أن تكون صدق لواقع محسوس نُقل بصورة عفوية.

أما في صدر الإسلام فكان من المتوقع أن يصيب الشعر حظاً من التطور من جهة الأفكار، في ضوء ما كشفه القرآن الكريم من عوالم كانت خافية لكن مآعاقه عن بلوغ ذلك عدة أمور منها:

موقف الإسلام من الشعر

لقد ذم الإسلام الشعراء والشعر لما زعم المشركون في بدء الدعوة أن الرسول ﷺ شاعرٌ، ولهذا نفى القرآن عنه الشعر وجاء قوله تعالى: ﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكرٌ وقرآن مبين﴾^(٢). غير أن حقيقة موقف الإسلام اتضحت في سورة الشعراء فقال تعالى: ﴿والشعراء يتبعهم الغاؤون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي مققلب يتقلبون﴾^(٣).

وفي الآيات خلاصة رأي الإسلام في الشعر والشعراء إذ إنه نهى عن الشعر الذي يجانب الحق والصواب ويشيع الباطل والشرك. واستثنى من الشعر مادعا فيه أصحابه إلى الخير والخلق، وليس ذلك فحسب وإنما اتخذ الإسلام بعد ذلك الشعر سلاحاً ضد المشركين، فقد شجع الرسول ﷺ حسان بن ثابت لينافح عن المسلمين ويهجو شعراء المشركين.

ومع وضوح موقف الإسلام من الشعر؛ إلا أن بعض الشعراء أمثال لبيد وهو من كبار الشعراء الجاهلية، قد أثار ترك الشعر بعد إسلامه، واستغنى عنه بما حفظ من القرآن.

وقد يكون السبب في ذلك إحساس لبيد وغيره من الشعراء الذين امتلكوا خصلة البيان أن الشعر داخل في فكرة النظم التي ارتكزت عليها قضية التحدي، يقول أحد الباحثين: "لقد ترك معظم الشعراء تلك الأعمال التي تجود الشعر وتنشط القرائح لأنها تدخل في باب النظم، فأبطلت أهم الدوافع التي جعلت شعراء الجاهلية فحولاً"^(٤).

وهذا ربما كان من الأسباب الفاعلة في قصور الشعر في هذه المرحلة عن الاتصال المباشر بالقيم الجديدة وما تحمله من مظاهر التغيير في السلوك والأخلاق والقيم الاجتماعية والروحية^(٥).

ولم يكن من اليسير على من بقي ينظم الشعر من المسلمين أن يتخذ لنفسه أسلوباً جديداً وروحاً جديدة تستلهم تلك المبادئ التي جاء بها الدين الجديد.

الانصراف إلى العبادة والجهاد

لقد كان انشغال العرب المسلمين بأمور العبادة من عقيدة وتشريع ثم انصرافهم إلى الجهاد والغزو من الأسباب المهمة التي أعاقت الشعر الإسلامي عن تمثيل القيم الجديدة التي جاء بها الإسلام على نحو أمثل، فقد أشار ابن سلام على لسان ابن سيرين أنه قال: "قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه. فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب وتشاغلو بالجهاد وغزو فارس والروم ولهت عن الشعر وروايته" (٦).

فالجهد استغرق وقتاً طويلاً، وكانت الأحداث تمضي متسارعة لا تتوذن بهدوء واستقرار من شأنه أن يسعف على البحث والتفكير العميق، ولم تستطع حياة المسلمين أن تؤول إلى الهدوء إلا في العهد العباسي، حيث توقفت حروب الفتوح، واستقرت حياة العرب بالأمن، يقول ابن سلام: "فلما كثر الإسلام وجاءت الفتوح واطمأنت العرب بالأمن راجعوا رواية الشعر" (٧). وقد نشط عقب ذلك البحث الذي تناول القرآن الكريم شرحاً وتفسيراً، وعلوم الحديث واللغة والشعر والأخبار، وقد أعان على ذلك اطلاع العرب على ثقافات الأمم المترجمة كالمناطق والبرهان والجدل.

وقد أفاد الشعر في هذه المرحلة من كل ذلك، وكان من نتيجة إفادة الشعر من الحركة العلمية التي قامت في هذا العصر تراجع الأغودج الفني الجاهلي، ليغدو القرآن الكريم وما جاء به من أساليب رفيعة ومعان دقيقة تفوق التصور مجالاً رحباً للمحاكاة.

وهذه تعد نقلة نحو الفكر العميق أبرزت الفوارق بين الشعر في العصر العباسي والشعر في العصرين السابقين، حيث كانت جوانب استفادة الشعر من الأفكار

محددة بالمعاني والأفكار التي انعكست في الشعر بصورة عفوية، بدءاً بشعراء صدر الإسلام الذين نافحوا عن الدعوة وفندوا أباطيل شعراء الشرك، وانتهاءً بالشعراء الأمويين الذين ترسموا خطوات الجاهليين في كثير من الأساليب والموضوعات. إضافة إلى ذلك فإن حركة الفكر نفسها في العهدين الإسلامي والأموي لم تكن قد تبلورت بوضوح بحيث يمكن أن تؤثر بصورة فاعلة في ضروب النشاط الأدبي، ولهذا يمكن أن ترجع دوافع التمثيل الفكري عند بعض الشعراء الإسلاميين والأمويين إلى إحساس ذاتي ووعي فردي في حين حدث في العصر العباسي وعي جماعي، نشأت على أثره حركات المتكلمين، وبرزت وجوه الصراع بين الثقافة العربية الإسلامية والثقافة الأجنبية المترجمة والمتمثلة بالفلسفة اليونانية تحديداً. وكان الشعراء في ضوء ذلك الصراع منهم من تمسك بالثقافة الأصيلة، ومنهم من آثر الإقبال على الثقافات المترجمة، ومن هؤلاء مثلاً العتّابي، وقد سئل عن سبب إقباله على قراءة كتب العجم فقال: اللغة لنا والمعاني لهم^(٨).

وعلى هذا النحو أثرت الاتجاهات الفكرية في الشعر العباسي عامةً، وأصبح من اليسير أن يحدد الباحث الصبغة الفكرية لكل شاعر عباسي، وهذا إنما يختلف عن ظاهرة التعصب أو التحزب التي عرفت في العصر الأموي، إذ الشاعر العباسي اختار موقفه إزاء الأفكار السائدة دون أن يناصر فئة أو يستعدي أخرى، لأنه لم يكن في حقيقة أمره ينتمي إلى تلك الحركات انتماءً عقائدياً أو من حيث النسب. لهذا صار بوسعهم أن يختبر الأفكار، يختار أو يدع ما يشاء منها دونما تحرج، وآية ذلك ما عُرِف عن بشار بن برد مع المعتزلة، إذ كان في بادئ أمره من أصحاب الكلام، يقول الأصفهاني: "كان بالبصرة ستة من أصحاب الكلام: عمرو بن عبيد وواصل ابن عطاء وبشار الأعمى..."^(٩) غير أن بشاراً لم يلبث أن استعدي واصل بن عطاء، وانخرط في مناظرة شعراء الاعتزال أمثال صفوان الأنصاري، وسليمان الأعمى أخيه مسلم بن الوليد^(١٠).

ونحا أبو نواس نحو بشار في موقفه من الاعتزال ، فكان في البدء صديقاً
لِلنَّظَّامِ ، وقد تملكه علم الكلام كما يقول ابن منظور فكان متكلماً جداً ثابت الفهم
في الكلام اللطيف^(١١) ثم انقلب على المعتزلة وعرض بالنظام ومذهبه .
أما أبو تمام فهو مَن عقد الصِّلة بين شعره والفكر على النحو الذي يبدو لنا
كالآتي :

الميل إلى الفكر

عُرف عن أبي تمام أنّه يميل إلى تعميق معانيه الشعرية ، ويغوص وراء الغامض
منها ، ويؤثر الصناعة العقلية وهذا يدل عليه قوله :^(١٢)
ولو كان يَفْتَنِي الشَّعْرُ أَفْنَاهُ مَا قُرْتُ

حياضُكُ منه في العُصور الدواهبِ

ولكنّه صوب العقول إذا انشئت

سحائبُ منها أُعْقِبَتْ بِسَحَائِبِ

فهو كما ترى يصل الشعر بالعقل فيُفهم من قوله في البيت الثاني : أن الشعر إنما
هو نتاج العقل ، وهذا المعنى لم يكن عارضاً في ديوانه ، وإنما هو اتجاه عام تردّد
صداه في أغلب أشعاره ، وقد أحصى الأمدّي نحو اثنين وثلاثين معنى تحدث فيها
أبو تمام عن صلة قصائده بالفكر من مثل قوله :^(١٣)

خلّها ابنة الفكر المهذب في الدجى

والليل أسود رقة الجلباب

ويزيدها مرّ الليالي جنة

وتقادم الأيام حسن شباب

والحق أن شعر أبي تمام استوجب كداً وجهداً لإدراك معانيه، فهو كما قال صاحب الأغاني: غواص وراء المعاني الدقائق^(١٤). والنظر إلى بنية الفكر في شعره تؤيد أنه صاحب فكر إضافة لكونه شاعراً مبرزاً.

البنية الفكرية في شعره

إن الحديث عن البناء الفكري في شعر أبي تمام من جهة حسن تمثله عناصر فكرية إسلامية يستوجب الإشارة إلى موقف أبي تمام من قضايا الثقافة الأجنبية المترجمة في عصره، ولا سيما أننا صورنا آنفاً أن صراعاً نشب في النفوس بين ماهو أصيل في الثقافة والفكر وماهو وافد.

موقف أبي تمام من المنطق

شهد عصر أبي تمام التوفى سنة (٢٣١هـ)، أعني القرن الثالث الهجري نشاطاً عظيماً في الترجمة، ويدلنا على ذلك كثرة المترجمين في هذا العصر، إذ أحصى النديم في الفهرست أربعة وأربعين مترجماً عن اليونانية، وستة عشر مترجماً عن الفارسية.

غير أن الإقبال على الترجمة لم يكن اتجاهاً عاماً، إذ نجد من بين كبار الأدباء من يمتنع عن الأخذ بالمنطق مما تُرجم خاصة، وليس ذلك فحسب، وإنما نجد أديباً عالماً كابن قتيبة التوفى (٢٧٦هـ) ينتقد ويسخر من أولئك الذين تمنطقوا وحفظوا أقوال الحكماء في مسائل الفلسفة والمنطق، يقول:

"بلغني أن قوماً من أصحاب الكلام سألوا محمد بن الجهم أن يذكر لهم مسألة من حد المنطق حسنة ولطيفة، فقال لهم مامعنى قول الحكيم: أول الفكرة آخر العمل، وأول العمل آخر الفكرة، فسألوه التأويل فقال لهم: مثل هذا كمثل رجل قال إني صانع لنفسي كناً، فوقع فكرته على السقف ثم انحدر فعلم أن السقف لا يقوم إلا على حائط، وأن الحائط لا يقوم إلا على أسٍ وأن الأس لا يقوم إلا على

أصل، ثم ابتدأ العمل بالأصل ثم بالأس ثم بالحائط ثم بالسقف، فكان ابتداء تفكيره آخر عمله، وآخر عمله بدء تفكيره. قال: فأية منفعة في هذه المسألة وهل يجهل أحد هذا حتى يحتاج إلى إخراجها بمثل هذه الألفاظ الهائلة؟ وهكذا جميع ما في الكتاب، ولو أن مؤلف حد المنطق بلغ زماننا هذا حتى سمع دقائق الكلام في الدين والفقه والفرائض والنحو لعدّ نفسه من البكم، أو يسمع كلام رسول الله * وصحابته لأيقن أن للعرب حكمة وفصل خطاب» (١٥).

ومثل هذا الموقف من مسائل المنطق يتردّد كثيراً في كتب الأقدمين، وينطوي عليه شعرة من الشعراء أيضاً، وقد صدر أبو تمام في بعض أقواله عن هذا الموقف من المنطق، مع أنه في عرف كثير من الباحثين من أصحاب المنطق، غير أن صلته بالمنطق لاتعدو كونها إفادة من منهجه وأسلوبه ليس أكثر. فهو انتهج في معالجته المعاني الشعرية أساليب الفلسفة والمنطق، ولم يكن يأخذ بروحهما أو يتعصّب لما جاء فيهما من مسائل، وليس في هذه القضية تناقض فاتباع أسلوب الفلسفة أمر والأخذ بروح الفلسفة أو الإيمان بمسائلها أمر آخر، وآية ذلك في النحو ماثلة، فالنحاة البصريون خصوصاً تبعوا أساليب فلسفية في إرساء دعائم النحو معتمدين على البحث عن العلل والأسباب، واستنباط القواعد وشواذها، فهذه كلها أساليب عقلية وهي قدر مشترك بين العلوم بما فيها الفلسفة، وليس النحو على أية حال فرعاً من فروع الفلسفة.

وأبو تمام كما أشرت اعتمد على مناهج الفلسفة في معالجة بعض معانيه مثل إيراد التّضادّ في شعره كقوله: (١٦)

مطرٌ يلُوب الصّحو منه ويعدّه

صحو يكاد من الغضارة يطر

فهو يرى في الربيع اجتماع ضديّين: الصيف والشتاء، فالصيف يترادى له في طقسه، والشتاء يترادى له في زهره، بل إن المطر في الشتاء يحمل بين طياته الصحو

المشرق كما يحمل الصحو برطوبته غضارة المطر، وأما اعتماده على الاستدلال فيدل عليه قوله: (١٧)

لاتنكري عطل الكرم من الغنى
فالسيل حربٌ للمكان العالي

وفي البيت تمثيل أيضاً من حيث احتماله تشبيه انتفاء الغنى في شخص الكرم بتعذر جريان السيل في المرتفعات، غير أن تجريده من الغنى لا يعني انعدام صفة الكرم فيه، وهذا تعليلٌ. ومن أمثلة الاستنتاج قوله: (١٨)

سَمَّجَتْ وَبَهَنَّا عَلَى اسْتِمْسَاجِهَا
مَا حَوْلَهَا مِنْ نَضْرَةٍ وَجَمَالٍ

فهذا المعنى يحتمل الاستنتاج لأنه عرف ما كان عليه هذا المكان من قبح بما كان حوله وفيه جمال. ومن أمثلة القلب والعكس قوله (١٩)

رَعْتَهُ الْفِيَّافِي بَعْدَمَا كَانَ حَقِيئَةً
رَعَاهَا وَمَاءُ الرُّوْضِ يَنْهَلُ سَاكِبَهُ

فأسند الفعل للفيافي فقال رعته والهاء عائدة على البعير، والمألوف أن البعير هو الذي يرعى، فقلب المعنى.

ومسبق يدل على أن أهتمام عقلي الأسلوب، وهو من ثم ليس منطقياً بمعنى أنه عرض في شعره لمسائل المنطق على النحو الذي نجده عند أبي نواس مثلاً (٢٠)، وقد يكون الطائي معترضاً بالمنطق وبأصحابه أحياناً فلا يختلف موقفه عن مواقف الأدباء الذين استعدوا المنطقة، كابن قتيبة مثلاً، الذي أوردنا له شاهداً فيما تقدم.

خصوصاً أن القارئ يجد لأبي تمام شعراً ينزه فيه مدحوه عن أن تكون بلاغته موصولة بالمنطق، يقول: (٢١)

ثبت البيان إذا تحير قائل
أضحى شكلاً لللسان المطلق
لم يتبع شنع اللغات ولا مشى
رسف المقيد في حدود المنطق
في هذه قسم الكلام وهذه
كالسور مضروباً له والخنطق
أنف البلاغة لا كمن هو حائر
متلدد في المرتع المتعرق

فأبو تمام خص بهذا المديح الحسن بن وهب، وقد أشار إلى أن بلاغته طبع
وسجية فيه، ونفى عنه المنطق. قال التبريزي معلقاً على البيت الثاني: " ويرى في
(حزون المنطق) المنسوب إلى أرسطاليس، وصفه بالفصاحة والمعرفة بمباني الكلام،
كأنه في هذا البيت عرّض برجل من الكتّاب يتكلم في المنطق أي هو يأخذ نفسه
بالكلام الفصيح السهل، لا كمن يجري كلامه على ما يوجب المنطق وحدوده" (٢٢).
وهذا إنما يدل على جانب من موقف أبي تمام من المنطق، لا بل موقفه من الثقافة
الأجنبية التي جاءت بها الترجمة آنذاك، وما يؤكد هذا المنحى في شعره كثرة
العناصر الإسلامية عنده.

البعد الإسلامي في شعره

لا شك أن أبا تمام واحد من كبار الشعراء الذين استلهموا عناصر الفكر
الإسلامي حتى استحالت ركائز تدل على منحى فكري واضح في نتاجهم
الشعري، وقد بدت في بعدين أساسيين الأول شكلي والآخر جوهري.

فأما الشكلي فإن الباحث بمقدوره أن يلاحظ أن أبا تمام خرج على رسوم الفن الجاهلي الموروث، فهو من المحدثين الذين تجاوزوا فكرة عمود الشعر وهيكله الموروث، ومع أن هناك صعوبة في استقصاء ظواهر التجديد الشكلي جميعاً عند أبي تمام هنا، فإننا نكتفي بما يتصل بالعناصر الأسلوبية القرآنية التي أفاد منها في مطالع شعره وابتداءات قصائده، ليكون ذلك من الأمثلة الدالة على حسن تمثله الفكر الإسلامي على نطاق شكل الشعر.

فمن هذه الناحية يحسن بنا أن نعود إلى أهم النماذج الجاهلية في الشعر، أعني المعلقات لنرى أهم الصيغ الأسلوبية التي استخدمها الجاهليون في ابتداءات شعرهم، ومن ثم نشير إلى ابتداءات أبي تمام الجديدة.

وأرى من المناسب الاستعانة بجدول يحصي فوائح المعلقات السبع حسب رواية أبي بكر بن القاسم الأنباري^(٢٣).

ومن خلال النظر إلى مطالع المعلقات السبع نلاحظ أنها بدأت بفعل أو حرف مما يدعو إلى القول إن الشعر الجاهلي أو أغلبه على أقل تقدير يحتذي هذه الصيغ في الافتتاح، في حين نجد أبا تمام يخرج في بعض شعره عن هذا الرسم اللغوي في الابتداء فنراه يبدأ جملة من شعره بصيغ اسمية، وذلك لاكساب مبادئ الشعر فخامة وقوة احتذاء بأساليب القرآن الكريم. فمن فوائحه الفخمة قوله: (٢٤)

الحسن جزءٌ من وجهك الحسن
ياقمرأ موفياً على عُصن
وقوله: (٢٥)

الحقُّ أبلجٌ والسيوفُ عَوارٍ
فحذارٍ من أسدِ العرين حذارٍ
وقوله: (٢٦)

م	صاحب المعلقة	مطلع المعلقة وفتحها	الصيغة
١	امرؤ القيس	قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل	فعل أمر (قفا)
٢	طرفة بن العبد	لخولة أطلال بركة نهمد ظلمت بها أبكي إلى الغد	حرف جر (ل)
٣	زهير بن أبي سلمى	أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بحومانة التراج فالمتثل	حرف استفهام (أ)
٤	عترة العبسي	هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار يعد توههم	استفهام (هل)
٥	عمرو بن كلثوم	ألا هي بصحنك فأصبحينا ولاتبقي خمور الأندرينا	أداة استفهام (ألا)
٦	لبيد بن ربيعة	عفت الديار محلها فمقامها بمى تأبد غولها فرجامها	فعل (عفت)
٧	الحارث بن حلزة	أذنتنا بينها أسماء رُبُّ ثاوٍ يمل منه الثواء	فعل (أزنت)

الدار ناطقة وليست تنطق

بدثورها أن الجديد سيخلق

وقوله: (٢٧)

السيف أصدق أنباء من الكتب

في حده الحد بين الجد واللعب

ويستطيع المرء أن يلاحظ مثل هذه الابتداءات في نحو أربعين قصيدة أو يزيد بدأها باسم صريح^(٢٨)، وهذا كله - كما أشرت - إنما هو محاكاة لأساليب القرآن الكريم في افتتاح بعض الآيات الكريمة، انظر إلى فوائح السور:

الحاقة، القارعة، الرحمن، تجد أن فوائحها كانت مثار احتذاء الشعراء وعلى رأسهم أبو تمام في العصر العباسي.

وأما من ناحية المعاني والعناصر التي تمثلها أبو تمام فإنها تتوزع على ثلاثة جوانب: الاقتباس والتأثر والتمثل.

أ- اقتباس المعاني

قد يكون مجرد اقتباس المعاني القرآنية في الشعر لا يدل على شوط بالغ جازه الشاعر في تمثله جوهر الفكر الإسلامي، والإفادة منه على نحو يدل على اتجاه عام في تفكيره، غير أن الاقتباس مرحلة مهمة في طريق التأثر والتمثل، إذ الاقتباس يدل على دوران المعاني القرآنية في ذهن الشاعر، وهو الأمر الأساسي للتمثل، فمن جهة الاقتباس فقد نطقت أشعار كثيرة لأبي تمام بهذا البعد فمن ذلك قوله: ^(٢٩)

له خُلِقَ نهى القـــــرآن عنه

وذاك عطاؤه الســـــرف البـــــدار

ويروى (السرف البذار) وهذا مقبوس من قوله تعالى:

﴿وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْهُنَّ أَكْفًا﴾ ^(٣٠) وقال أبو تمام أيضاً: ^(٣١)

لك في رسول الله أعظم أسوة

وأجلها في سنة وكتاب

أعطى المؤلف القلوب رضاهم

كملاً ورد أخايد الأحزاب

المؤلفة قلوبهم هم الذين ذكروا في آية الصدقات من سورة التوبة، منهم جماعة من قريش مثل أبي سفيان بن حرب، وأبي سفيان بن الحارث، والنضير بن الحارث، والأحزاب هؤلاء الذين تحزبوا على الإسلام في غزوة الخندق من المشركين واليهود، وقد أخذ أبو تمام معناه ولفظه من قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٣٢)

فهذه من اقتباسات أبي تمام وهي تغني عن الاستقصاء.

ب - التأثر

نعني بالتأثر هنا استلهاهم المعاني القرآنية وانعكاسها بصورة غير مقصودة في بعض مواقفهم، إذ لم يكن في ذهنه محاكاة أساليب القرآن أو الاقتباس من معانيه، وإنما قد يضطره المقام إلى الانكفاء على معاني القرآن للتمثيل على صدق معانيه الشعرية، وهناك أمثلة مختلفة تبرز هذا الجانب، نكتفي بذكر ما كان بينه وبين الكندي في مجلس أحمد بن المعتصم، فقد حدث محمد بن يحيى عن أبيه قال:

شهدت أبا تمام ينشد أحمد بن المعتصم قصيدته التي مدحه بها:

مافي وقوفك ساعة من باس

تقضي ذمام الأربع الأدراس

فلعل عينك أن تعين بجائها

والدمع منه خاذلٌ ومواسي

أبليت هذا المجد أبعد غاية

فيه وأكرم شيمة ونحاس

إقدام عمرو في سماحة حاتم

في حلم احنف في ذكاء إياس

فانتقده الكندي فقال له: «الأمير فوق مَنْ وصفت»^(٣٣) يريد أن أبا تمام لم يزد في مدحه أكثر مما يوصف به الأعراب الذين هم دون الأمير منزلة، فقال أبو تمام مستدركاً:

لا تنكروا ضربي له مَنْ دونه
مثلاً شروداً في الندى والباس
فإلله قد ضرب الأقل لنوره

مثلاً من المشكاة والنبراس
فهو هنا يحتذي أسلوب القرآن، لا بل يجعل من المعنى القرآني دليلاً وحجة لمعناه، أو هو إن شئت القول أنشأ معنى استوحاه من المعنى القرآني فكان معناه فرعاً وأصله في القرآن.

ج - التمثيل

تتضح جوانب التمثيل الفكري عند أبي تمام في معالجته المواقف الفنية المتصلة بجوانب التأمل خاصة. ويمكن النظر إلى هذه الجوانب من خلال الوقوف على فكرتين أساسيتين فكرة الموت وفكرة البطولة.

النظرة إلى الموت

لقد جرى الشعراء منذ الجاهلية على تصور وهمي للموت وقد شمل هذا التصور رؤى الشعراء بعد الإسلام، إذ الموت طبقاً لهذا التصور يبرز على هيئة وحش مفترس لا يواجهه، فإذا ما أمسك بضحيته سلبها حياتها، وعندئذ لا تنتفع بحذرهما أو بالرقى على نحو ما يصوره أبو ذؤيب في قوله^(٣٤):

وإذا المنية أنشبت أظفارها
ألفيت كل تميمة لا تنفع

وكذلك صوره عترة في قوله (٣٥)

ومن ذا يرد الموت أو يدفع القضاء

وضربته محتومة ليس تعشر

في حين يصوره زهير على هيئة ناقة عمياء لاتعي هدفها وإنما تتخبط بمصائر
الأحياء، يقول (٣٦)

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب

تمته ومن تخطى يعمر فيهرم

ولهذا ناصب الشعراء الدهر العداء لكونه قوة ترمز إلى القهر والظلم، وعلموا
أن الحركة أو الزمن أو الدهر ما هي إلا رموز للموت، من هنا عبروا عن سخطهم
وكرهم للدهر باعتباره دافعاً إلى الفناء والعدم، يقول أبو نواس (٣٧):

هو الدهر إما عابط ذا شبيبة

بإحدى المنايا أو محيت أخاهرم

فعبّر بلفظ الدهر عن الموت، وكذلك رسم التنبي للدهر (الموت) بعداً مبهماً في
قوله (٣٨):

وما الموت إلا سارق دق شخصه

يصول بلا كف ويسعى بلا رجل

فالموت هنا لاهيئة له، وإنما جسّد بشيخ عُرِف من أثره أو عمله الذي لا يُردُّ،
وهذا التجسيد فيه معنى يدل على القهر، لذا غدا ذم الدهر أو شتمه أمراً مألوفاً ليس
عند شعراء الجاهلية فحسب، وإنما عند بعض شعراء العصر الإسلامي، وهذا
المنحى فيه مجاوزة للتعاليم الدينية، وقلما التفت شاعر إسلامي إلى هذه الناحية،
وربما كان أبو تمام من أولئك القلة الذين تقيّدوا في بعض أحاديثهم عن الدهر أو

الموت بالنظرة الإسلامية، فالموت عند أبي تمام قضاء عدل، وليس ذلك فحسب وإنما نراه يلوم من ذم الدهر فيقول (٣٩):

شـرـقـنا بـذم الدهـر يـاسـلم إنه

يسـى فـمـا يـألو و لـيس بـظـالم

وأحيانا تراه يتحدث عن الدهر حديثاً ينجم عن تأمل وفكر، فيكون الدهر بموجب ذلك التأمل عادلاً أيضاً وإن برز في صورة ظالم يقول: (٤٠)

مـتى تـرعى هـذا المـوت عـيناً بـصـيرة

تـجـد عـادلاً مـنـه شـبـيهاً بـظـالم

ففي هذا الشعر يغير أبو تمام زاوية النظر إلى فكرة الدهر فهو هنا يتقيد بالتعاليم الدينية، وكأنه يتعظ بقوله تعالى ﴿وقالوا ماهي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ومالهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون﴾ (٤١).

وربما نظر أبو تمام في معانيه السابقة إلى قول النبي * خصوصاً قوله: "إذا كان يوم القيامة أتى بالموت كالكبش الأملح فيوقف بين الجنة والنار فيلبح" (٤٢) فقال أبو تمام شعر (٤٣):

إن كان ريب الدهر أئكلنيهم

فالدهر أيضاً ميت مشكول

وفي قوله يعزي نوح بن عمر في ابنه إشارة إلى هذا المعنى من جهة انقضاء الدهر إذا خلا من الآفات أم ماحمل من غوائل وصروف (٤٤):

سـيـأكلـنا أـلـدهـر الـذي غـال مـن نـرى

ولـاتـنـقـضي الأـشـيـاء أو يـؤكـل الـدهـر

وقد اتضحت نظرة أبي تمام إلى الدهر بعيداً عن موضوع الموت أيضاً، حيث يصور الدهر رقيقاً تتموج ظواهره ليناً ونعمة. إنها حقاً صورة نادرة تلك التي يرسمها أبو تمام للزمان وهو في غاية الجمال، يقول^(٤٥):

رقت حواشي الدهر فهي تمرمر

وغدا الثرى في حليه ينكسر

سكن الزمان فلايد مذمومة

للحادثات ولاسوام يذعر

انظر إلى حواشي الدهر وهي تموج ناعمة لينة، وإلى الزمان وهو ساكن مسالم، ثم لا بد أنك تجد في قوله الآتي ما يبعد الدهر عن الوحشية والجبروت والظلم، إنه هنا مؤدب كما أن العقل مرشد، يقول^(٤٦):

أحاولت إرشادي فعقلي مرشدي

أم استمت تأديبي فدعري مؤديبي

والدهر عند أبي تمام ليس شراً كله، وليس كريهاً أو مرعباً، فخلف أهواله تكمن الرغائب، وتحقق الأمان^(٤٧):

فريني وأهوال الزمان أفانها

فأهواله العظمى تليها رغائبه

فهذه من الصور التي أشاعها أبو تمام في ديوانه، وهي بلا شك تثبت صلته بمجالات الفكر الإسلامي.

وأما فكرة البطولة التي اعتمد فيها على المنحى الإسلامي فتظهر في مدائحه الحربية عامة. إذ رسم فيها أبو تمام صوراً رائعة للقادة الأبطال الذين أرسوا دعائم دولة الإسلام وأحقوا الهزائم بالروم أو بمن أراد التخلص من الحكم الإسلامي في

العصر العباسي . ولابد من الإشارة إلى أن المعتصم بالله كان من النماذج الخالدة للبطلية الإسلامية ، فأبو تمام في مثل هذه القصائد لم يحفل بإبراز الصفات التي درج الشعراء على استخدامها في موضوع المدح كالقوة والشجاعة وغير ذلك ، وإنما برزت لديه صفات البطل الذي تتجسد فيه طموحات الأمة ، وتتمثل فيه مبادئ الإسلام ، وتنطوي شخصيته على تاريخ الصراع بين الإسلام والشرك ، وثبوت البطل في ساحات الوغى ما هو إلا مؤشر على ثبوت العقيدة في نفوس المسلمين ، في حين تتزعزع عقائد المنهزمين من الروم على النحو الذي يبرزه أبو تمام في قصيدة عمورية التي سجل فيها المعتصم نصراً للتوحيد ، حيث جعل عمورية التي ظفر فيها المسلمون صورة أخرى لموقعة بدر ، يقول مخاطباً المعتصم ^(٤٨) :

أَبْقَيْتَ جَدَّ بَنِي الْإِسْلَامِ فِي صَعْدِ
وَالْمُشْرِكِينَ وَدَارَ الشُّرْكِ فِي صَبَبِ
وَحَسَنٍ مَنقَلَبٍ تَبْقَى عَوَاقِبُهُ
جَاءَتْ بِشَاشَتِهِ مِنْ سُوءٍ مَنقَلَبِ
تَدْبِيرِ مَعْتَصِمٍ بِاللَّهِ مُنْتَقِمِ
لِلَّهِ مَرْتَقِبٍ فِي اللَّهِ مُرْتَغِبِ
لَمْ يَرَمْ قَوْمًا وَلَمْ يَنْهَدْ إِلَى بَلَدِ
إِلَّا تَقَلَّدَهُ جَيْشٌ مِنَ الرِّعْبِ

انظر كيف يجعل من المعتصم رمزاً يصعد به الإسلام ، وتنخسف الأرض في الوقت نفسه بالشرك والمشركين . إن المعتصم هنا صورة مشرقة تختزل ثقافة الأمة وعقيدتها ، وعمورية التي ظفر فيها المسلمون هي صورة أخرى لموقعة بدر . يقول :

إِنْ كَانَ بَيْنَ مَرُورِ الدَّهْرِ مِنْ رَحِمِ
مَوْصُولَةٍ وَذِمَامٍ غَيْرِ مُقْتَضِبِ

فبين أيامك اللاتي نصرت بها
 وبين أيام بدرٍ أقرب النسب
 ومثل هذه الصورة البطولية المقترنة بالعقيدة والإيمان تجدها في قصيدة أخرى
 تحدث فيها عن المعتصم الذي سحق جيوشه بآبك الخرمي حيث يقول (٤٩):
 آلت أمور الشرك شرّ مآل
 وأقرّ بعد تخمط وصيال
 غضب الخليفة للخلافة غضبة
 رخصت لها المهجات وهي غوال
 فاسلم أمير المؤمنين لأمة
 أبدلتها الإمّرع بالإمجال
 أمسى بك الإسلام بدرًا بعدما
 محقت بشاشته محاق هلال
 أكملت منه بعد نقص كل ما
 نقصته أيدي الكفر بعد كمال

ففي مثل هذا الشعر العميق دلالة على انحياز أبي تمام إلى الفكر الإسلامي، وحسن تمثله جوهر الثقافة الإسلامية، وتحسن الإشارة إلى أن هذا النمط من المدائح عند أبي تمام وعند من تبعه من الشعراء كالمثنبي في وصف بطولات سيف الدولة في معركة الحدث خاصة، يختلف عن المدائح العامة المعروفة في شعرنا، وقد يكمن هذا الاختلاف في الشكل والمضمون معاً، فأما الشكل فقد استغنى الشعراء في مثل هذه القصائد عن ظاهرة المقدمات التقليدية من تطل أو نسيب، واختاروا مقدمات تناسب الحدث الذي تناولوه في الموضوع، فاتصلت قصائدهم بالحكمة، غير أنها

حكمة ليست مقصودة بذاتها، وإنما غرضها تهيئة ذهن السامع لتقبل الحدث في موضوع بالغ كوصف المعارك.

وأما من ناحية المضمون فقد تميزت هذه القصائد بأنها ذات نفس ملحمي، فقد عني فيها أبو تمام خاصة بتصوير مشاعر الجماعة، ورسم فيها طموحات الأمة المتجسدة في صور أبطالها، ورفع من قيمة الانتصار الذي هو انتصار للعقيدة قبل كل شيء.

الخاتمة

رأينا فيما تقدم أن أبو تمام واحد من اعتمدوا على كثير من المعاني الإسلامية في شعره، وهذه المعاني تدل على حضور الثقافة الإسلامية في ذهنه، غير أن تلك المعاني لم تكن على كثرتها في حال من الأحوال قد ذهبت ببشاشة شعره، فقد بدا الفكر في هذه الأمثلة يلوح وراء وشاح الفن، فيكسب الشعر عمقاً ويضعه بجانب الأصالة التي من شأنها أن تتمسك بثقافة الأمم وتلتزم بعقيدتها، وفي الأمثلة التي عرضناها في هذا البحث ما يدل على تأكيد هذه الحقيقة.

الهوامش

- ١- ابن سلام، محمد (طبقات فحول الشعراء)، تح: محمود شاكر ص: ٢١.
- ٢- سورة يس: ٦٩.
- ٣- سورة الشعراء: ٢٢٤-٣٣٧.
- ٤- ترحيني، فايز (الرسالة والشعر) ط دار الفكر بيروت ١٩٩٠م ص: ٩١.
- ٥- ترحيني، فايز، المرجع السابق ص: ٩٤.
- ٦- ابن سلام، محمد (طبقات فحول الشعراء) ص: ٢٧.
- ٧- ابن سلام، محمد، المصدر السابق ص: ٢٩.
- ٨- ابن أبي طاهر، أحمد (كتاب بغداد) ط القاهرة ١٩٤٩م ص: ٨٧.
- ٩- الأصفهاني، أبو الفرج (الأغاني) ط مصورة عن ط دار الكتب: ٨٢/١٠.
- ١٠- الأصفهاني، أبو الفرج، المصدر السابق.

- ١١ - ابن منظور، محمد (أخبار أبي نواس) ملحق كتاب الأغاني ط دار الفكر ص: ٢١.
- ١٢ - أبو تمام (شرح ديوانه للخطيب التبريزي) تح: محمد عبده عزام ط دار المعارف: ١/ ٢١٤.
- ١٣ - أبو تمام (ديوانه): ١/ ١٠٥.
- ١٤ - ابن قتيبة (أدب الكاتب) ص: ٨.
- ١٥ - أبو تمام (ديوانه): ٢/ ١٩١.
- ١٦ - أبو تمام (ديوانه): ٣/ ٨٧.
- ١٧ - أبو تمام (ديوانه): ٢/ ١٣٢.
- ١٨ - أبو تمام (ديوانه): ١/ ٧٨.
- ١٩ - انظر: ترجمة أبي نواس في الشعر والشعراء لابن قتيبة، وقد أحصى معانيه الفلسفية: ٢/ ١١٤.
- ٢٠ - أبو تمام (ديوانه): ٢/ ٤٠٦.
- ٢١ - أبو تمام (ديوانه): ٢/ ٤٠٧.
- ٢٢ - الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم (شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات) تحقيق عبدالسلام هارون ط ٢.
- ٢٣ - أبو تمام (ديوانه): ٤/ ٢٨١.
- ٢٤ - أبو تمام (ديوانه): ٢/ ١٩٨.
- ٢٥ - أبو تمام (ديوانه): ٤/ ٢٦٩.
- ٢٦ - أبو تمام (ديوانه): ١/ ٤٠.
- ٢٧ - انظر: ديوان أبي تمام: ٤٥/ ١١٣-٢٨٧-٢٩٦-٤١٠-٢/ ١٣٦-١٩٨-٢١٤-٢٧٦-٣٠٣٩٤/ ١٥٠-٤/ ٧
٢٦-٢٥٤-٢٧٤-٢٩٥-٢٥٣-٢٦٨-٣٨٤-٤٤٦-٤٩٢٤٢٥-٥١٨...
- ٢٨ - أبو تمام (ديوانه): ٢/ ٦٢٥.
- ٢٩ - سورة الإسراء: ٢٦.
- ٣٠ - أبو تمام (ديوانه): ١/ ٧٥.
- ٣١ - سورة التوبة: ٦٠.
- ٣٢ - الصولي (أخبار أبي تمام) تح: محمد عبده عزام ط دار الآفاق بيروت ص: ٢٣٠.
- ٣٣ - شرح أشعار الهلليين: ٦٤.
- ٣٤ - عنبرة (ديوانه): ١١٧.
- ٣٥ - ابن أبي سلمي، زهير (ديوانه): ٣٤.
- ٣٦ - أبو نواس (ديوانه) تحقيق أحمد عبدالمجيد الغزالي ط بيروت ص: ٣٦٢.

- ٣٧- المتنبي (ديوانه) بشرح البرقوقى : ١٧٥ / ٣ .
 ٣٨- أبو تمام (ديوانه) : ١٣٠ / ٤ .
 ٣٩- أبو تمام (ديوانه) : ١٣٥ / ٤ .
 ٤٠- سورة الجاثية : ٣٤ .
 ٤١- ابن حنبل أحمد (مسنده) : ٣٩٥ / ٢ .
 ٤٢- رواه البخاري في تفسيره سورة مريم : ٣٢٥ / ٨ ، وفي صحيح مسلم : ٢٨٤٩ .
 ٤٣- أبو تمام (ديوانه) : ١٨٧ / ٤ .
 ٤٤- أبو تمام (ديوانه) : ٨٦ / ٤ .
 ٤٥- أبو تمام (ديوانه) : ١٩١ / ٢ .
 ٤٦- أبو تمام (ديوانه) : ١٥٠ / ٤ .
 ٤٧- أبو تمام (ديوانه) : ٢١٩ / ١ .
 ٤٨- أبو تمام (ديوانه) : ٤٠ / ١ .
 ٤٩- أبو تمام (ديوانه) : ٨٤ / ٣ .

نمو الجيش الإسلامي في العهد النبوي

أ. خالد بن عبدالكريم البكر
قسم التاريخ - كلية الآداب
جامعة الملك سعود

الملخص

تطمح هذه الدراسة إلى رصد نمو الجيش الإسلامي في العهد النبوي ومناقشة مدلولاته، وانعكاساته على واقع الصراع الإسلامي - الوثني وقتذاك. لقد دعا الإسلام إلى الحق، ولكن لاحق بغير قوة، بغير مجاهدين صادقين، يرون أنفسهم في الحرب متصربين على كل حال، فإنما هي إحدى الحسينين؛ النصر أو الشهادة، تلك هي نظرتهم للجهاد، وذلك هو سر العبقرية العسكرية الإسلامية التي أذهلت المؤرخين والكاتبين والقارئ حتى يومنا هذا. لم يكن التفوق العددي هو السلاح النافذ الذي انتصر بواسطته المسلمون على أعدائهم، كلا؛ وإنما كان النصر بتطبيق تعاليم الإسلام الحنيف نصاً وروحاً، وكان النصر بإعداد المجاهد الصادق الذي لا يلتفت إلى المديح أو المغنم وإنما يرنو إلى الثناء في الملأ الأعلى وإلى الأجر العظيم الذي أعده الله للمجاهدين في سبيله.

ومن أجل إعداد المجاهدين الصادقين؛ نلاحظ أن الرسول ﷺ قد وضع قواعد لتنظيم الجيش الإسلامي، وهو لا يزال بعد في طور التكوين، فألقى جميع الاعتبارات القبلية والاجتماعية والمادية التي قد تدعو غير المسلمين إلى مباشرة القتال مع صفوف المسلمين، لكنه أبقى الباب مفتوحاً أمامهم بشرط واحد؛ هو اعتناق الإسلام.

وأعتقد أننا في غنى عن إيضاح مدى الحاجة الماسة لتكثير سواد المسلمين، وخصوصاً في الفترة المبكرة التي أعقبت استقرارهم بالمدينة، لقد استغرق إعداد الجيش الإسلامي وتنمية طاقاته البشرية وقتاً طويلاً واستنزف جهداً كبيراً، فكان الرسول ﷺ يعمل على جبهات متعددة من أجل تحقيق هذه الغاية، فهو يبدأ أولاً بالمسلمين؛ فيحثهم على الصبر والثبات عند اللقاء بغض النظر عن كثرة جموع المشركين وقلة أعداد المسلمين، ثم يعمل - عليه السلام - جاهداً في تبليغ رسالة ربه، فيدعو الناس إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، وكلما دخل في الإسلام فرد أو جماعة انعكس ذلك إيجاباً وعلى قوة الجيش الإسلامي.

وأمرنا ثالث اعتنى به الرسول ﷺ وهو إيجاد صيغة للتفاهم مع القبائل العربية المحيطة بالمدينة بغرض استمالتها إلى جانب المسلمين أو تحييدها على أقل تقدير، فعقد سلسلة من (الموادعات) مع بعض هذه القبائل ولم يكتفِ الرسول الأعظم عليه السلام بذلك؛ بل نجده يولي عناية كبيرة بالناحية المعنوية لدى أفراد الجيش الإسلامي، فكان يتخذ في كل مناسبة عسكرية ما يلائمها من الإجراءات الهادفة إلى دعم ثقة المسلمين بالله وثقتهم بأنفسهم، وفي المقابل حرص النبي ﷺ على التأثير في معنويات الخصوم وتفريق جموعهم، متى وجد المسلمون إلى ذلك سبيلاً.

بعد سنوات طويلة من الأذى والمشقة التي لقيها المسلمون من أئمة الكفر بمكة؛ شاء الله تعالى أن يفتح لعباده المؤمنين من أبواب رحمته وأن يمكن لهم في الأرض، فجاءت بيعة العقبة الثانية في موسم حج السنة الثالثة عشرة من البعثة^(١) - يونيو

٦٢٢-، بمثابة نصر عظيم للمسلمين ومنعطف هام في طريق الدعوة الإسلامية، وعندئذ أمر النبي ﷺ من معه بمكة من المسلمين بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها وللحقوق بإخوانهم من الأنصار، قائلاً: ﴿إن الله عز وجل قد جعل لكم إخواناً وداراً آمناً بها﴾^(٧).

لقد كانت الهجرة إلى المدينة تعني من الناحية العسكرية؛ حشد المجاهدين في قاعدة أمينة، تمهيداً للنهوض بأعباء الجهاد^(٨).

هاجر السابقون الأولون، وركبوا الذلول والصعب في سبيل الله، ولم تكن أعدادهم، فيما يبدو، تتجاوز المائة رجل - دون النساء-، فقد تتبع (ابن إسحاق)^(٩) منازل المهاجرين على إخوانهم من الأنصار في المدينة، وسمي واحداً وستين رجلاً من المهاجرين، ثم أشار - دون أن يصرح بالاسم - إلى (رجال من المهاجرين)^(١٠) نزّلوا على سعد بن خيثمة^(١١)، وكان رجلاً عزياً، ولذا فقد خصص داره لاستقبال الأغراب من المهاجرين^(١٢).

أما الأنصار الذين بايعوا رسول الله ﷺ في العقبة الثانية، فيبلغ عددهم ثلاثة وسبعين رجلاً^(١٣)، لكنهم لا يمثلون جميع المسلمين من أهل المدينة، وآية ذلك أن قسماً من الأنصار لم يستطع التعرف على رسول الله ﷺ حال وصوله المدينة، ولا أن يميز بينه وبين أبي بكر *، فقال قائلهم في هذا: «وأكثرنا لم يكن رأى رسول الله ﷺ قبل ذلك»^(١٤). ويؤيد ذلك أيضاً ما رواه (الطبري)^(١٥) من أن الذين بايعوا الرسول ﷺ في العقبة إنما هم من النقباء رؤوس الذين أسلموا بالمدينة.

ليس في مقدرونا أن نعطي رقماً محدداً لأعداد المسلمين في المدينة من المهاجرين والأنصار عقب حادثة الهجرة مباشرة، غير أنه من المرجح أن أعدادهم كانت تربو على المائتي رجل، وربما ارتفع هذا الرقم خلال الأشهر التالية لعملية الهجرة، إذا أخذنا في الاعتبار استمرار تفق المهاجرين على المدينة من مختلف النواحي وخصوصاً من مكة، فهناك بعض المسلمين بمكة لم يتيسر لهم الخروج إلى

المدينة، فتخلفوا عن الهجرة لعدة أشهر، وتأخرت هجرة بعضهم لعدة سنوات، ولم يكن أمامهم إلا مصانعة زعماء قريش وإظهار عزوفهم عن الإسلام، لكنهم ظلوا خلال هذه المدة التي أمضوها بمكة يرقبون الفرص الملائمة للخروج، فكانوا يخرجون مع القوافل التجارية والحملات العسكرية التي تجردها قريش، حتى إذا صارت قريشاً من سرية إسلامية أو معسكر إسلامي؛ تسللوا من معسكر قريش ولحقوا بإخوانهم المسلمين، فقد ذكر (ابن إسحاق)^(١١) أن عبيدة بن الحارث^(١٢) خرج على رأس سرية إسلامية في شوال سنة ١ هـ، ولقي جمعاً من قريش إلا أنه لم يكن بينهم قتال، وأشار إلى أبرز الأحداث التي جرت في هذه السرية ومنها فرار المقداد بن عمرو^(١٣) وعتبة بن غزوان^(١٤) من المشركين إلى المسلمين «وكانا مسلمين ولكنهما خرجا ليتوصلا بالكفار».

ولعل هذا الأسلوب الجديد في الهجرة الذي استعمله المقداد وعتبة قد شجع بعض المسلمين بمكة على الهجرة بهذه الطريقة، فهذا عبد الله بن سهيل بن عمرو^(١٥) يخرج مع قريش إلى بدر، وقد أظهر للمشركين أنه رجع عن دينه، فلما التقى الجمعان فر عبد الله إلى معسكر المسلمين وشهد بدرًا معهم^(١٦).

أما بالنسبة للإنصار فقد كان موقفهم من الإسلام، عقب حادثة الهجرة، موقفاً متبايناً، نستطيع أن نوجزه فيما يلي: -

- ١- السواد الأعظم من الأنصار اعتنق الإسلام برضا نفس وهدوء بال.
- ٢- قسم منهم: وجدوا أنفسهم في وضع حرج بعد إسلام قومهم، فهم إما أن يبقوا على كفرهم فتلفظهم مجتمعاتهم وأقوامهم، وربما يتعرضون للعقاب لاحقاً، وإما أن ينتموا للدين الجديد، وهو لم يجدوا في أنفسهم انتفاعاً على تعاليم الإسلام ومبادئه، فرأوا أن خير وسيلة للخروج من هذا المأزق هو إعلان إسلامهم ظاهراً والاحتفاظ باعتقاداتهم وممارساتهم الجاهلية باطنياً، وهؤلاء هم (المنافقون)^(١٧).
- ٣- قسم ضئيل منهم: تمسك بكفره ولم يدخل في الإسلام إلا بعد مدة مضت من الهجرة المباركة، ومن هؤلاء (بنو خطمة)^(١٨)، فقد كان القسم الأعظم منهم

على الكفر، إذ روى (الواقدي)^(١٩) أن رجالاً من بني خطمة كانوا يستخفون بالإسلام فرقامن قومهم، كما أشار (ابن حزم)^(٢٠) إلى ذلك بقوله " (وتأخر إسلام جمهور بني خطمة". وما يؤيد ذلك أنه لم يشارك في غزوة بدر الكبرى أحد من بني خطمة^(٢١) إلا أن هذا الوضع لم يدم طويلاً، فقد بذل الأنصار جهوداً مستمرة لإقناع قومهم من المنافقين (المعروفين بنفاقهم) والكافرين، في تصحيح عقائدهم، والإيمان بالله والتصديق بما جاء به رسول ﷺ.

كما كان للمسلمين عموماً جهود واضحة في دعوة اليهود للإسلام، ولقد أنت هذه الجهود بتتائج مثمرة انعكست إيجاباً على نمو القوة العسكرية الإسلامية، خاصة وأن المسلمين كانوا معنيين في هذه الفترة المبكرة من تاريخهم بإبراز كياناتهم السياسي في المدينة وتأكيد وجودهم العسكري فيها. ولذا فقد اتخذ الرسول ﷺ جملة من التدابير لتوجيه النشاط السياسي والعسكري للدولة الإسلامية الناشئة في المدينة، وتذليل العقبات التي قد تعترض مسيرة الدعوة الإسلامية من خلال بناء قوة عسكرية رادعه.

والواقع أن الرسول ﷺ قد أنفق جل وقته منذ هجرته إلى وفاته، في تكوين الجيش الإسلامي وإعداده، وذلك لتحقيق الأهداف العليا لرسالة الإسلام الخالدة. ونستطيع القول بأن تكوين الجيش الإسلامي وتنمية طاقاته البشرية قد مرّ بثلاث مراحل زمنية مختلفة، وهي:-

المرحلة الأولى: من الهجرة إلى الخندق،

المرحلة الثانية: من الخندق إلى فتح مكة.

المرحلة الثالثة: من فتح مكة إلى وفاة الرسول ﷺ.

فما مدى نمو الجيش الإسلامي في كل مرحلة منها، وما دلائل هذا النمو في

الواقع التاريخي؟

المرحلة الأولى: (من الهجرة إلى الخندق) ١-٥٥هـ

في السنوات الأولى من هذه الفترة؛ لم تكن أعداد المسلمين القادرين على حمل السلاح تصل إلى الألف مقاتل - فيما يبدو -، وعلاوة على ذلك فإنه يجدر بنا أن نتنبه إلى أن المقاتلين المسلمين لم يشاركوا جميعاً في المعارك الكبرى خلال هذه الفترة، وخاصة (بدرًا وأحدًا)، فالقوة الإسلامية التي خاضت هاتين المعركتين لا تمثل حقيقة القوة العسكرية الإسلامية وقتئذ، ففي غزوة بدر الكبرى كانت أعداد المسلمين تقدر بـ (٣١٣) مقاتل، تقريباً، غير أن قسماً من المسلمين قد تخلف عن هذه الغزوة، لأنه لم يكن في حساباتهم أن يلقي المسلمون حرباً في وجههم هذا. أضف إلى ذلك أن الصرورة الاجتماعية اقتضت عدم خروج كل الرجال في الأسرة الواحدة إلى ساحة القتال، خاصة إذا كانت الأسرة تتألف من عدد كبير من النساء، فيقترب الأب وابنه ليخرج أحدهما مع النفير ويبقى الآخر عند نسائه، وقد حدث مثل ذلك في بدر مع سعد بن خثيمة ووالده، إذ كان الوالد يقول لابنه: (أثرتني وقر مع نسائك)، فيجيبه الابن: «إنه لو كان غير الجنة أثرتك به؛ إني لأرجو الشهادة في وجهي هذا»، فاستهما فخرج سهم سعد وقتل شهيداً في المعركة (٢٢).

وعلى الرغم من قلة أعداد المسلمين يوم بدر وحاجتهم إلى المقاتلة، إلا أن الرسول ﷺ لم يأذن لغير المسلمين في المشاركة في القتال، فقد خرج خبيب بن يساف (٢٣) وقيس بن محرز (٢٤) - وكانا مشركين - في أثر الجيش الإسلامي عندما توجه إلى بدر، فأدركا المسلمين ببعض الطريق، وأبديا رغبتهما في المشاركة في القتال لأسباب قبلية ومادية، لكن النبي ﷺ اشترط عليهما الإسلام قائلاً: «لا يخرجن معنا رجل ليس على ديننا» فأسلم خبيب وشهد بدرًا، وعاد زميله قيس بن محرز إلى المدينة فلم يشهد بدرًا، لكنه أسلم فيما بين بدر وأحد (٢٥).

أما في أحد فقد ارتفعت أعداد المسلمين حتى وصلت إلى (٧٠٠) مقاتل شاركوا في هذه الغزوة - بعد انسحاب ثلث الجيش مع عبدالله بن أبي (٢٦) -، وهذه الزيادة الملحوظة في أعداد الجيش الإسلامي في أحد مردها إلى أن المسلمين كانوا

على يئنة تامة من لقاء العدو بخلاف ما حدث في غزوة بدر، وبالتالي فقد أوعبوا واستعدوا جميعاً للقتال، ومع هذا فقد روعيت الظروف الخاصة لبعض البيوتات المسلمة التي تكثر فيها نسبة النساء، إذ روى (ابن إسحاق)^(٢٧) أن عبد الله بن عمرو بن حرام^(٢٨) خلف ابنه جابر^(٢٩) على أخواته السبع، فلم يشارك مع المسلمين في أحد.

لقد كانت قريش تتطلع إلى الانتقام من المسلمين والثأر لقتلها يوم بدر، ولذا حرصت على تأمين فرص النجاح للمنازلة الحربية القادمة مع المسلمين، فأرسلت مندوبيها إلى القبائل العربية في الحجاز وتهامة تدعوهم لمشاركتها في حرب المسلمين^(٣٠)، فجمعت قوة تقدر بثلاثة آلاف مقاتل^(٣١)، وحينما لاحظ المسلمون أن قريشاً استعانت هذه المرة بأحايشها وحلفائها، اقترح بعض الأنصار على رسول الله ﷺ أن يأذن لهم في الاستعانة بحلفائهم من اليهود، ولكن الرسول ﷺ يؤكد موقفه الصريح في هذه المسألة: « لا حاجة لنا فيهم »^(٣٢).

لقد تجلّت حكمته ﷺ وبعد نظره في عدم الاستعانة بغير المسلمين في العمليات الجهادية، فلئن كانت قريش قد سعت إلى زيادة عدد جيشها عن طريق الاستعانة بحلفائها وبغيرهم من (المرتزقة)؛ فلا يعني ذلك أن يقوم المسلمون بعمل مماثل لزيادة أعداد جيشهم عن طريق تجنيد حلف عرب المدينة مع يهودها، صحيح أن غو القوة البشرية في الجيش الإسلامي كان يقابلها باستمرار نمو واضح في القوة البشرية لجيوش أعدائهم، إلا أن هناك اختلافاً واضحاً بين مدلول النمو البشري في جيش المسلمين ونظيره في جيش المشركين، ففي الجانب الإسلامي يدل هذا النمو على نجاح المسلمين في كسب المزيد من المقاتلين إلى جانبهم، وليس ذلك إلى أجل مسمى أو إلى مدة زمنية معلومة أو لقاء أجر مادي يتقاضاه هؤلاء المشاركون في غزوات المسلمين ثم ينتهي كل شيء بنهاية المعركة ويعدها يعودون من حيث أتوا؛ وإنما هو الإيمان العميق برسالة الإسلام الخالدة، والعمل على أن تكون كلمة الله

هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، والثقة بموجود الله تعالى وما أعدّه للمجاهدين في سبيله من الأجر وحسن الثواب.

وأما مدلول النمو البشري في جيش المشركين فعلى النقيض تماماً مما عرضناه آنفاً.

فقد اشتبكت قريش مع قوات المسلمين في ثلاث مواجهات حاسمة خلال هذه المرحلة كان التفوق العددي لصالح المشركين في كل مرة، ففي بدر بلغ عدد المشركين (١٠٠٠) مقاتل، بينما كان عدد المسلمين (٣١٣) مقاتل، وفي أحد جمعت قريش (٣٠٠٠) مقاتل، بينما بلغت أعداد المسلمين (٧٠٠) مقاتل، وفي الخندق شكلت قريش حلفاً وثيقاً بقيادتها فوصلت أعدادهم إلى (١٠٠٠٠) مقاتل، بينما قُدرت أعداد المسلمين بنحو (٣٠٠٠) مقاتل، فماذا كانت النتيجة؟

انصر المسلمون نصراً حاسماً في بدر، وكادوا يُنصرون في أحد لكنهم خسروا المعركة لصالح قريش التي قنعت بهذا الانتصار (البارد)، ثم حقق المسلمون نصراً استراتيجياً مهماً في الخندق.

هذه هي النتائج القريية أو المباشرة الدالة على حكمة الرسول ﷺ في منع غير المسلمين من المشاركة في الغزوات الإسلامية، أما النتائج البعيدة أو (غير المباشرة) فتتمثل في اختلاف تركيبة الجيش الإسلامي عن تركيبة جيش المشركين، ففي الأول ينظم الجنود جميعاً تحت إمرة رجل واحد، ويقاتلون صفّاً واحداً لتحقيق أهداف واحدة، وذلك أدعى أن يكون النصر قريباً منهم. أما جيش المشركين فيتألف من عدد من الأحلاف والراغبين في المغنم، يقاتلون تحت قيادات مختلفة ولغايات متضاربة ومأرب متنوعة، فلا عجب إذن أن تفشل قريش ومن سار في ركابها في حربيهم ضد الإسلام، حتى وإن كان التفوق العددي المصلحة جيوشهم، ولهذا لم يسمح الرسول ﷺ للمشركين واليهود بالمشاركة في الأعمال العسكرية الإسلامية، رغم افتقار الجيش الإسلامي للموارد البشرية اللازمة لتكوين قوة رادعة، إذ أن فكرة الاستعانة بغير المسلمين في هذا الميدان عبارة

عن حلول (ترقيعية) من شأنها أن تجعل حاجة المسلمين إلى غيرهم شبه مستديعة، وبالتالي فإن نشاط المسلمين في الدعوة إلى الإسلام قد يعثره الكسل وربما الشلل. ثم إن مثل هذه الحلول لا تتناسب إطلاقاً مع المطلب الرباني العظيم الذي كان رسول الله ﷺ يعمل جاهداً لإتمامه.

وهنا يتبادر إلى الذهن هذا التساؤل: إذا كانت القيادة الإسلامية قد استبعدت فكرة الاستعانة بغير المسلمين في أعمالها العسكرية؛ فهل يعني ذلك أن المسلمين قد أخذوا دور المتفرج على قريش وهي تحشد الجموع وتؤلب القبائل العربية للحرب الإسلام؟

والجواب عن ذلك هو النفي. فالمسلمون قد أخذوا زمام المبادرة، في الواقع، منذ وقت مبكر من استقرارهم بالمدينة^(٣٣)، فقاموا ببيت السرايا إلى النواحي القريبة منهم، ولعلمهم كانوا يتوجسون من قيام قريش بإغراء هذه القبائل المهاجمة المدينة أو الانضمام إلى معسكر قريش في حرب الإسلام، فقرروا - أي المسلمون - أن يحتاطوا لأنفسهم بواسطة السرايا والبعوث الإسلامية، ولم تكن الدعوة إلى الإسلام في أولوية الأهداف التي جُرِدَت السرايا من أجلها، وإنما كان لهذه الرحلات العسكرية أغراض أخرى تتمثل في عرقلة النشاط الاقتصادي لمكة من خلال اعتراض قوافلها التجارية، والتلويح بالقوة العسكرية للأعراب المقيمين حول المدينة، ثم كسب ود القبائل العربية القاطنة قرب المدينة وعلى طريق مكة، وبعض القبائل المقيمة على امتداد ساحل البحر، فإن لم يكن ذلك ممكناً فلا أقل من موادعتها وتحييدها.

والحق أن القيادة الإسلامية كانت من الحكمة والحصافة بحيث لم تشتط في دعوة هذه القبائل إلى الإسلام خلال هذه المرحلة، ولذا فقد أصاب المسلمون من جرأ هذه السرايا والبعوث خيراً عظيماً، نلمسه في هذا النص الذي أورده (الواقدي)^(٣٤) في حديثه عن سرية القرّة في جمادى الآخرة، سنة ٣هـ، إذ روى عن صفوان بن أمية^(٣٥) قوله:

(إن محمداً وأصحابه قد عوّروا علينا متجربنا، فما ندرى كيف نصنع بأصحابه، لا يبرحون الساحل، وأهل الساحل قد وادعهم ودخل عامتهم معه). وهنا يتضح أن مودعة القبائل العربية كانت خياراً استراتيجياً جيداً، أكثر نفعاً وأعظم غناءً من فكرة الاستعانة بغير المسلمين في المجال العسكري.

أشرنا من قبل إلى ارتفاع نسبة الجيش الإسلامي في غزوة الخندق إلى (٣٠٠٠) مقاتل، إلا أنه يلزمنا استعمال الخيطة والحذر في تحليل هذه الزيادة في الجيش الإسلامي، فهي لا تعني بالضرورة سرعة انتشار الإسلام ومن ثم مشاركة المسلمين الجدد في هذه الغزاة؛ بقدر ماتعني اختلاف طبيعة غزوة الخندق عن سابقتها (بدر وأحد)، ففي الغزوتين الأوليين كان الجيش الإسلامي يقاتل خارج المدينة، وبالتالي فقد كان يخرج القسم الأعظم من الناس ويبقى قسم ضئيل منهم لحراسة المدينة ومن فيها من النساء والذرية والأمتعة ونحوها، ويستعمل عليهم رسول الله ﷺ رجلاً من أصحابه.

أما في الخندق فقد قاتل المسلمون داخل حدود مدينتهم، ولذا فقد اشتركوا فيها جميعاً ولم يبقى أحد منهم في البيوت، ويؤيد ذلك أن صفية بنت عبد المطلب^(٣٦) - \$ - حينما قتلت رجلاً من اليهود كان يطوف حول حصنهم؛ قالت: «وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا»^(٣٧).

ولهذا حرص النبي ﷺ على إرسال فرق عسكرية لحراسة المدينة - مناوبة -، وذلك لتخويف اليهود بعد أن نقضوا عهدهم، وإشعارهم بقوة المسلمين، فتارة يخرج سلمة بن أسلم الأشهلي^(٣٨) في (٢٠٠) رجل، وتارة أخرى يخرج زيد بن حارثة^(٣٩) في (٣٠٠) رجل، فيظهرون التكبير في أرجاء المدينة حتى الصباح^(٤٠).

لقد أدرك النبي ﷺ قلة أعداد الجيش الإسلامي بالنسبة للمشركين، خلال هذه المرحلة، فكان عليه أن يواجه هذه المشكلة بجملة من التدابير لعل من أهمها: الدعاء^(٤١) والتضرع إلى الله جل جلاله بنصر عباده المؤمنين، ففي يوم بدر دعا ربه قائلاً: «اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد»^(٤٢).

ثم نزلت الآيات القرآنية تهوّن على المسلمين من شأن كثرة جموع أعدائهم وتحثهم على الصبر والثبات، فقال تعالى ﴿إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا﴾. الأنفال - الآية (٦٥)
وقال تعالى: ﴿وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلاً ويقللكم في أعينهم ليقيضى الله أمراً كان مفعولاً، وإلى الله ترجع الأمور﴾ الأنفال الآية (٤٤).

ولم يقف الأمر عند ذلك فحسب؛ بل اجتهد المسلمون في الكتابة إلى إخوانهم المقيمين بمكة يحرضونهم على المسارعة في الهجرة إلى المدينة^(٤٣)، وذلك لتكثير سواد المسلمين من جهة؛ وحتى يتعلموا شرائع الدين من جهة ثانية^(٤٤).

ثم ركز النبي ﷺ على رفع الروح المعنوية للمسلمين وعلى إظهار قوتهم وشدة بأسهم أمام العدو، فبعد هزيمتهم في أحد قال النبي ﷺ لأصحابه: «لن ينالوا منا مثل هذا اليوم حتى نستلم الركن»^(٤٥)، وذلك ليزرع الأمل في نفوس أصحابه بأن الأيام القادمة ستحمل في طياتها بشارت النصر للمسلمين. ثم تتبع جيش المشركين إلى حمراء الأسد^(٤٦) وأمر بإيقاد النيران فيها لإشعار العدو بأن الجيش الإسلامي لا يزال قادراً على المنازلة.

ويأتي تذييل العقبات التي تعترض مسيرة الدعوة الإسلامية من جملة التدابير التي اتخذتها القيادة الإسلامية لتوجيه النشاط السياسي والعسكري للمسلمين، وقد بادر المسلمون بتنفيذ هذه السياسة بعد غزوة بدر الكبرى مباشرة، فعملوا على التخلص ممن يحرض ضد المسلمين ويؤلب عليهم الجموع من الزعماء والشعراء^(٤٧)، ودعموا لهذا الاتجاه نلاحظ أن السرايا والحملات العسكرية لم تعد تقنع بمجرد عقد (الموادعة) مع التكتلات القبلية، بل أخذت تنص صراحة على ضرورة التزام زعماء القبيلة بعدم المظاهرة على المسلمين وتكثير جموع أعداء الإسلام^(٤٨).

المرحلة الثانية (من الخندق إلى فتح مكة) ٥-٨هـ

أعلن النبي ﷺ في بدء هذه المرحلة بأن النشاط المستقبلي للمسلمين سيتخذ طابع الهجوم، وأن المسلمين قد تخلصوا من ضعفهم القديم، وذلك في قوله ﷺ «الآن نغزوهم ولا يغزونا نحن نسير إليهم»^(٤٩)، وذلك عقب فشل الأحزاب في اقتحام المدينة، رغم الحشود التي استطاعت قريش أن تسوقها نحو توجيه ضربة قاصمة للمسلمين.

والواقع أن قريشاً كانت تسعى من وراء تحزيب الأحزاب إلى خلق خصومات ومنازعات ثارية بين المسلمين وبين القبائل العربية الأخرى، فيكتسب المسلمون خصوصاً جديداً ويقاثلون على جبهات متعددة، وعلاوة على هذا فإن قريشاً سوف تلقي عن كاهلها عبء قتال المسلمين، فلا يقع هذا الأمر عليها وحدها، بل يشاركها فيه قوم آخرون، فتفرغ قليلاً لاستئناف نشاطها التجاري بدرجة قوية.

وأمام هذه الحشود الضخمة التي تقدر بعشرة آلاف مقاتل^(٥٠)؛ حاول المسلمون إيجاد ثغرات في معسكر المشركين، مستهدفين كسر هذا التحالف الوثني - اليهودي، فعرض النبي ﷺ على زعماء غطفان ثلث ثمار المدينة مقابل الانسحاب، وكاد يتم الاتفاق لولا معارضة الأنصار، بعد أن شاورهم النبي ﷺ في الأمر^(٥١).

وتظل فكرة كسر هذا التحالف وتفكيك هذه الجموع قائمة في ذهن رسول الله ﷺ، الذي استثمر فرصة إسلام نعيم بن مسعود^(٥٢) استثماراً جيداً، واستفاد منه في التخليل بين الأحزاب^(٥٣).

ثم يأتي تطهير المدينة من يهود بني قريظة، الذين نكثوا عهودهم مع المسلمين، كخطوة أولى في رسم السياسة الإسلامية الجديدة والتي ستأخذ بزمام المبادرة في نشاطاتها ضد المشركين، إذ ستخرج الحملات العسكرية من المدينة بثقة واطمئنان، فلا يدع المسلمون وراءهم من يخافون شره على مدينتهم ومن فيها.

وتأتى الخطوة الثانية عندما بعث النبى ﷺ طائفة من سبى بنى قريظة مع نفر من أصحابه إلى الشام وإلى نجد لبيعهم وشراء سلاح وخيل^(٥٤)، وذلك لاستيعاب المجاهدين الجدد ولتلبية الحاجات المتزايدة للجيش الإسلامى ولتنفيذ النزعة الهجومية فى العمليات العسكرية القادمة للمسلمين.

لقد كان النبى ﷺ يتلقى أخبار مسير المشركين - وخاصة قريشاً - إلى قتاله، إما بواسطة مسلمي مكة، وإما بواسطة زعماء قبيلة خزاعة - وكانت عيبة نصبح الرسول ﷺ -، وقد حدث هذا فى أحد الخندق^(٥٥)، وأما فيما بعد؛ فقد حرص المسلمون على مباغته أعدائهم كلما سمعوا يجمع للمشركين يُعد ويهباً للغارة على المدينة، ولذا فقد جُردت السرايا بعد الخندق واتخذت طابع السرعة والمفاجأة، حتى لا يتكرر تخريب الأحزاب ضد المسلمين مرة ثانية.

وتأكيداً على هذا الدور الهجومي يخرج النبى ﷺ إلى مكة معتمراً فى ذي القعدة سنة ٦هـ، وذلك للمرة الأولى منذ هجرته عليه السلام، وكان عدد المسلمين يتراوح من ١٤٠٠ - ١٧٠٠^(٥٦)، وهو لا يمثل - بالطبع - حقيقة أعداد الجيش الإسلامى فى هذه الفترة؛ لأن النبى ﷺ خرج فى هذه الوجهة معتمراً لا يريد حرباً، هذا من جهة؛ ومن جهة أخرى فإننا نلاحظ أن عناصر إسلامية جديدة التحقت بالجيش الإسلامى فى هذه المناسبة، فقد شاركت قبيلة أسلم بمائة مقاتل^(٥٧)، أى بنسبة ٧٪ تقريباً من المجموع العام للجيش الإسلامى، كما نلاحظ أيضاً أن النبى ﷺ استنفر قبائل عربية أخرى وحشها على الخروج معه، مثل بنى بكر من كنانة، ومزينة، وجُهمية^(٥٨)، ونخرج من ذلك بمؤشرات قوية تدل على بدء التغيير فى مواقف القبائل العربية تجاه الإسلام، وسيكون لهذا الأمر أثر عظيم فى تبدل ميزان القوى فى الصراع الإسلامى - الوثني، ولصالح المسلمين بطبيعة الحال.

ولئن كانت قريش ترى بأنها أحرزت نجاحاً فى صد الرسول ﷺ ومن معه من المسلمين عن العمرة سنة ٦هـ، ثم فى توقيع اتفاقية الحديبية مع المسلمين، والتي

كانت شروطها في صالح قريش حسيما يبدو من ظاهر نصوص المعاهدة؛ فإن هذه الاتفاقية قد حملت في طياتها بوادر انهيار الوثنية، وكانت تمهيداً لفتح مكة، ذلك أن المسلمين اجتهدوا في نشر الإسلام أثناء الهدنة، في حين تفرغت قريش لتجارتها وتنمية أموالها. وقد علق (الزهري)^(٥٩) على معاهدة الحديبية قائلاً: «فما فُتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه، إنما كان القتال حيث التقى الناس فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب وأمن الناس بعضهم بعضاً والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة، فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه ولقد دخل في تينك السنتين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر» لقد شجعت هذه المعاهدة المسلمين على نقل نشاطاتهم وتركيزها صوب الشمال بعد أن أمنوا على حدودهم الجنوبية، فتوجهوا نحو خيبر حيث لا يزال اليهود فيها على عدائهم الشديد للدعوة الإسلامية، وقد خرج إليهم النبي ﷺ في (١٥٠٠) من أصحابه، وذلك في صفر سنة ٧هـ^(٦٠)، وحث المسلمين من الأعراب على الخروج للجهاد في سبيل الله لا في سبيل الغنائم! قائلاً لهم: «لا يخرجن معنا إلا راغب في الجهاد»^(٦١).

وهذا يعني أن الجيش الإسلامي في هذه المرحلة قد استغنى عن مشاركة من لم يتغلغل الإيمان في قلوبهم، بخلاف ما كان عليه الحال في أحد، حيث ألح المسلمون على المنافقين بملازمة الجيش الإسلامي، ولو لتكثير سواد المسلمين، ويؤيد ذلك ماجاء في الآية الكريمة ﴿وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا، قالوا لو نعلم قتلاً لاتبعناكم﴾؛ آل عمران آية (١٦٧)

فقد قال جماعة من المفسرين^(٦٢): إن معنى قوله تعالى ﴿أو ادفعوا﴾ أي كثروا سواد المسلمين^(٦٣)، ومن المعلوم أن هذه الآية الكريمة تصف مشهداً من مشاهد غزوة أحد.

لقد كان انتشار الإسلام سريعاً في سنوات هذه المرحلة، إلى درجة جعلت المسلمين يحتاطون قبل البدء في شن الغارة على العدو، فينتظرون إلى الصباح فإن

سمعوا أذاناً أمسكوا وإن لم يسمعوا أذاناً أغاروا، وقد فعل النبي ﷺ ذلك في خيبر (٦٤).

ولقد أحست قريش إحساساً قوياً بتفوق الجانب الإسلامي خلال هذه المرحلة، فأخذت تتعامل مع هذه الحقيقة بما يليق بها، ونلاحظ ذلك في أمارات الشعور بالإحباط والوهن في منطق قريش ونظرتها إلى الأحداث الجارية. انظر مثلاً إلى قولهم عندما سمعوا بخروج النبي ﷺ إلى عمرة القضاء في ذي القعدة سنة ٧هـ، وقد أخرج المسلمون معهم سلاحاً كثيراً، عندئذ قال زعماء قريش: «والله ما أحدثنا حدثاً ونحن على كتابنا ومدتنا، فقيم يغزوننا محمد في أصحابه» (٦٥).

ثم نلاحظ هذا الضعف والفتور في الجانب المكي عندما سعى أبو سفيان بن حرب (٦٦) إلى تجديد معاهدة الحديبية، وبذل جهوداً مستميتة لتحقيق هذه الغاية دون جدوى، وكان القرشيون من خلفه يتلهفون إلى نجاح أبي سفيان في محاولته تلك.

المرحلة الثالثة

من فتح مكة إلى وفاة الرسول ﷺ وعلى آله وصحبه ٨-١١هـ

شاء الله تعالى أن يقطف المسلمون في سنوات هذه المرحلة ثمار جهودهم في السنوات الماضية، إذ وصلت أعداد الجيش الإسلامي إلى عشرة آلاف مقاتل، سار بهم الرسول ﷺ نحو مكة، ففتحها الله عليه.

ولقد حرص النبي الكريم على عدم سفك الدماء في البلد الحرام - باستثناء عدد قليل من الرجال والنساء، أهل النبي ﷺ - دماءهم -، فمنذ أن عقد النبي ﷺ النية، على المسير إلى مكة، نجده يستعمل جانب الحيلة والحذر في كتمان أمر خروجه، حتى لا تفكر قريش في المقاومة، ثم نجده أيضاً يأمر بحبس أبي سفيان بن حرب عند خطم الجبل ليرى بعينه قوة الجيش الإسلامي، فيذهب إلى مكة ويحث أهلها على التسليم (٦٧).

وبعد الفتح العظيم ارتفعت أعداد الجيش الإسلامي إلى (١٢٠٠٠) مقاتل في غزوة حنين ٨هـ، وذلك نظراً لكثرة الداخلين في الإسلام، فقد أخذت قبائل العرب وأفرادها يبادرون بإسلامهم، لأنهم كانوا ينتظرون نتيجة الصراع بين المسلمين وقريش التي تعد في نظرهم زعيمة العرب وحامية البيت وصريح ولد إسماعيل وناصبة الحرب لرسول الله ﷺ، فلما افتتحت مكة عرفت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله ﷺ وعداوته^(٦٨)، وقد جاء في صحيح البخاري^(٦٩): «وكانت العرب تلومُ بإسلامهم الفتح فيقولون اتركوه وقومه، فإنه إن ظهر عليهم فهو بني صادق. فلما كانت وقعة أهل الفتح بادر كل قوم بإسلامهم».

وعلى الرغم من أن الجيش الإسلامي قد أصبح قوة ضاربة خلال هذه المرحلة، تخشى بأسها القبائل العربية؛ إلا أننا نلاحظ أن النبي ﷺ استعمل الرفق واللين في تعامله مع زعماء القبائل ومع غيرهم من عامة الناس الذين لم يدخلوا في الإسلام بعد، ويتجلى ذلك في رفع الحصار عن الطائف ودعائه لهم: ﷺ اللهم اهد ثقيفاً واثت بهم^(٧٠)، ثم في إعطاء المؤلفة قلوبهم من غنائم حنين^(٧١)، ليسلم الكافر وليثبت على الإسلام من دخل فيه حديثاً، ثم في رد السبي على هوزان رجاء إسلامهم^(٧٢)، ثم في استمالة مالك بن عوف^(٧٣) زعيم هوزان، ورد أهله وماله عليه وإعطائه مائة من الإبل^(٧٤).

ويلاحظ أن السرايا الإسلامية لم تنقطع خلال هذه المرحلة، بل استمر النبي ﷺ في بعثها إلى جهات مختلفة، وهنا تحتل قضية الدعوة إلى الإسلام المرتبة الأولى من بين الأهداف التي جُرِدَت السرايا من أجلها، فقد بعث النبي عليه الصلاة والسلام سرية بقيادة خالد بن الوليد^(٧٥) ومعه (٣٥٠) من المهاجرين والأنصار وبني سليم، إلى بني جذيمة داعياً لهم إلى الإسلام، وذلك عقب فتح مكة^(٧٦) كما بعث سرية إلى اليمن في رمضان سنة ١٠هـ بقيادة علي بن أبي طالب^(٧٧) ومعه (٣٠٠) فارس، وقد أوصاه الرسول الكريم بقوله «إذا نزلت بساحتهم فلا تقتلهم حتى يقتلوك، فإن قاتلوك فلا تقتلهم حتى يقتلوا منكم قليلاً، فإن قتلوا منكم قليلاً فلا

تقاتلهم، تلومهم أناة، ثم تقول لهم: هل لكم إلى أن تقولوا: لا إله إلا الله؛ فإن قالوا: نعم، فقل: هل لكم إلى أن تصلوا؛ فإن قالوا: نعم، فقل: هل لكم أن تُخرجوا من أموالكم صدقة تردونها على فقرائكم؛ فإن قالوا: نعم، فلا تبغ منهم غير ذلك. والله لأن يهدي الله على يدك رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس أو غربت! (٧٨).

ويستشف من هذه التوجيهات النبوية حرص المسلمين في استعمال الأناة والصبر ونشر الإسلام بالتي هي أحسن، والتدرج في توضيح تعاليم الإسلام الخفيف.

وإذا كان الرسول ﷺ قد رفق بالعرب في هذه المرحلة؛ فإنه عليه الصلاة والسلام قد رأى استعمال الحزم وإظهار القوة فيما يتعلق بالروم ومن ضوى إليهم من العرب المنتصرة. ويدعو أن سياسة الحزم وإظهار القوة التي أبداهها المسلمون تجاه الروم وحلفائهم، كانت عبارة عن تكتيك عسكري كان الغرض منه إشعار البيزنطيين وأتباعهم من العرب بصلابة القوة العسكرية الإسلامية، حتى لا يفكروا في اختراق الحجاز، بعد أن شعروا بنمو الدولة الإسلامية ونجاحها في السيطرة على مكة معقل الوثنية العربية، ومن ثم محو رسوم الوثنية وطمس معالمها في بلاد العرب.

ولذا أبدى المسلمون مرونة كبيرة تجاه البقية الباقية من مشركي العرب، وذلك لتشجيعهم على اعتناق الإسلام، تمهيداً لنقل العمليات الجهادية الإسلامية إلى ميدان الروم، وقد حققت هذه السياسة الإسلامية نجاحاً كبيراً، إذ استطاع المسلمون أن يحشدوا (٣٠٠, ٠٠٠) مقاتل، في غزوة تبوك سنة ٩هـ (٨٢)، ثم استقبلت المدينة أكثر من سبعين وفداً من مختلف قبائل العرب (٨٣) جاءوا إليها لإعلان إسلامهم أمام الرسول ﷺ، فكان ذلك مظهراً من مظاهر التفوق السياسي والعسكري للدولة الإسلامية في شبه جزيرة العرب، وإيذاناً بدخول طور جديد من أطوار الصراع مع القوى المعادية للإسلام.

الخواشي

- ١- ابن هشام، أبو محمد عبد الملك، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شليبي، (بيروت: دار القلم، د. ت)، ج ٢، ص ٨٣؛ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت: دار التراث، د. ت)، ج ٢، ص ٣٦٥.
- ٢- ابن هشام، المصدر السابق، ج ٢، ص ١١١.
- ٣- محمود شيت خطاب، تاريخ جيش النبي ﷺ، (القاهرة: دار الاعتصام، د. ت) ص ٨.
- ٤- ابن هشام المصدر السابق، ج ٢، ص ١١٢-١٢٣.
- ٥- المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٢٣.
- ٦- سعد بن خيثمة بن الحارث بن مالك الأنصاري الأوسي. عقي، بدري، نقيب. استشهد يوم بدر * ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة أسماء الصحابة، (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م)، ج ٢، ص ١٩٤؛ ابن حجر، أحمد بن علي، الإصابة في تمييز الصحابة، (بيروت: دار الكتاب العربي، د. ت)، ج ٢، ص ٢٣-٢٤.
- ٧- ابن هشام، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٢٣.
- ٨- المصدر نفسه، ج ٢، ص ٩٧.
- ٩- المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٣٧.
- ١٠- الطبري، المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٦٦.
- ١١- ابن هشام، المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٤٢.
- ١٢- عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب القرشي المطلب، أسلم قبل دخول الرسول، دار الأرقم. استشهد ببدر * ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله، الاستيعاب في أسماء الأصحاب، (بيروت: دار الكتاب العربي، د. ت)، موجود بهامش الإصابة لابن حجر، ج ٢، ص ٣٤٦-٣٤٧.
- ١٣- المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة القضاعي، وقيل الكندي. حالف الأسود بن عبد يغوث الزهري فتبناه الأسود فصار يعرف بالمقداد بن الأسود. هاجر إلى الحبشة ثم هاجر إلى المدينة فيما بعد، وشهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ. توفي بالمدينة سنة ٣٣هـ * ابن الأثير، المصدر السابق، ج ٤، ص ٤٧٥-٤٧٨؛ ابن حجر، المصدر السابق، ج ٣، ص ٤٣٣-٤٣٤.
- ١٤- عتبة بن غزوان بن جابر بن وهب المازني. حليف بني نوفل بن عبد مناف، هاجر إلى الحبشة وشهد بدرًا ومابعدنا. توفي في الريلة سنة ١٥هـ وقيل ١٧هـ * ابن عبد البر، المصدر السابق، ج ٣، ص ١١٤-١١٥؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج ٣، ص ٤٦١-٤٦٢.

- ١٥- عبدالله بن سهيل بن عمرو بن عبدشمس القرشي العامري . هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية ثم رجع إلى مكة فأوثقه أبوه عنده وفتنه في دينه فأظهر الرجوع في الإسلام وقلبه مطمئن به . استشهد في يوم اليمامة سنة ١٢هـ ، * . ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٦٧ .
- ١٦- ابن سعد ، محمد بن سعد ، الطبقات الكبرى ، تحقيق محمد عبدالقادر عطا ، ط ١ ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م) ، ج ٣ ، ص ٣١٠ .
- ١٧- عماد الدين خليل ، دراسة في السيرة ، ط ١٣ (بيروت : مؤسسة الرسالة ودار النفائس ، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م) ، ص ٣٦٦ .
- ١٨- بنو خطمة : بطن من بني جشم بن مالك بن الأوس بن حارثة ، سكنهم في عوالي المدينة . ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد ، جمهرة أنساب العرب ، ط ٥ ، تحقيق عبدالسلام هارون ، (القاهرة : دار المعارف ، د . ت) ، ص ٣٤٣ .
- ١٩- الواقدي ، محمد بن عمر ، المغازي ، تحقيق مارسدن جونز ، (بيروت : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، دت) ، ج ١ ، ص ١٧٤ .
- ٢٠- ابن حزم ، المصدر السابق ، ص ٣٤٥ .
- ٢١- انظر القوائم التي أعدها (ابن اسحاق) بأسماء من حضر بدرأ من الأنصار ؛ ابن هشام ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٤٢-٣٦٤ .
- ٢٢- ابن سعد ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣٦٧ .
- ٢٣- خبيب بن يساف ويقال أساف بن عتبة بن عمرو بن خديج الأنصاري الخزرجي . شهد بدرأ وأحدأ والحنندق ، ومات في خلافة عثمان ، * . ابن عبدالبر ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٣٤-٤٣٥ ؛ ابن حجر ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤١٧-٤١٨ .
- ٢٤- قيس بن محرز الأنصاري كان ممن ثبت يوم أحد ، قاتل المشركين في طائفة من الأنصار فكان أول قتل منهم ، * . ابن حجر ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٤٨ .
- ٢٥- الواقدي ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٧ . وعند (ابن سعد) أن خبيب بن يساف وصاحبه قالاً للرسول ﷺ : «إنا نستحي أن يشهد قومنا مشهدأ لانشهده معهم» ، فقال لهم النبي ﷺ : «وأسلمتم؟» ، فقالا : لا ، فقال عليه السلام : «فإنا لاستعين بالمشركين على المشركين» . قال خبيب : «فأسلمنا وشهدنا معه» . ابن سعد ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٤٠٤ . وفي (صحيح مسلم) : أن الرسول ﷺ قال : «ارجع ، فلن أستعين بمشرك» وكررها عليه ثلاث مرات حتى أسلم في الثالثة . انظر : مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري ، صحيح مسلم ، شرح النووي ، دار الفكر ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١ ، ج ١٢ ، ص ١٩٨ .

- ٢٦- عبدالله بن أبي بن سلول، من بني عوف بن الحزرج. كان رأس المنافقين وزعيمهم، وهو الذي قال في غزوة بني المصطلق: «لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل» وفي قوله هذا نزلت سورة المنافقين بأسرها. ابن هشام، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٧٣.
- ٢٧- المصدر نفسه، ج ٣، ص ١٠٧.
- ٢٨- عبدالله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة الأنصاري الحزرجي السلمي. يكنى أبا جابر، كان عبدالله عقيماً بديراً نقيباً، شهد بدرأً وأحدأً واستشهد في أحد، فدفن هو وعمرو بن الجموح في قبر واحد، %.
- ابن الأثير، للمصدر السابق، ج ٣ ص ٢٤٢-٢٤٤.
- ٢٩- جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام الأنصاري الحزرجي، يكنى أبا عبدالله، وهو أحد المكشرين في الرواية عن النبي ﷺ. توفى بالمدينة سنة ٧٤هـ وقيل ٧٨هـ، * ابن حجر، المصدر السابق، ج ١، ص ٢١٤.
- ٣٠- ابن هشام، المصدر السابق، ج ٣، ص ٦٥.
- ٣١- المصدر نفسه، ج ٣، ص ٧٠.
- ٣٢- المصدر نفسه، ج ٣، ص ٦٨.
- ٣٣- خرجت أول سرية إسلامية من المدينة، في رمضان من السنة الأولى للهجرة بقيادة حمزة بن عبدالمطلب. انظر: ابن سعد، المصدر السابق، ج ٢، ص ٣.
- ٣٤- الواقدي، المصدر السابق، ج ١، ص ١٩٧.
- ٣٥- صفوان بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة القرشي الجمحي، يكنى أبا وهب. هرب يوم فتح مكة فأحضر له ابن عمه عمير بن وهب أماناً من النبي ﷺ، فعاد إلى مكة ثم أسلم وحسن إسلامه وأقام بمكة ومات بعدها في أواخر خلافة عثمان بن عفان، * ابن عبد البر، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٧٦-١٨٠؛ ابن حجر، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٨١-١٨٢.
- ٣٦- صفية بنت عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف القرشية الهاشمية، عمه رسول الله ﷺ ووالدة الزبير بن العوام، وشقيقة حمزة بن عبدالمطلب، توفيت في خلافة عمر بن الخطاب سنة ٢٠هـ، ولها ثلاث وسبعون سنة ودفنت بالبقيع، \$، ابن عبد البر، المصدر السابق، ج ٤، ص ٣٣٦-٣٣٧؛ ابن حجر، المصدر السابق، ج ٤، ص ٣٣٩-٣٤٠.
- ٣٧- ابن هشام، المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٣٩.
- ٣٨- سلمة بن أسلم بن حريش الأنصاري الأوسي. شهد بدرأً ومابعدا واستشهد في معركة الجسر في خلافة عمر بن الخطاب، % ابن حجر، المصدر السابق، ج ٢، ص ٦١.

٣٩- زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي، أبو أسامة، مولى رسول الله ﷺ. وكان يقال له: حب رسول الله ﷺ. شهد بدرًا وما بعدها. واستشهد في مؤتة سنة ٨هـ، * ابن عبد البر، المصدر السابق، ج ١، ص ٥٢٥-٥٣٠؛ ابن حجر، المصدر السابق، ج ١، ص ٥٤٥-٥٤٦.

٤٠- ابن سعد، المصدر السابق، ج ٢، ص ٥١-٥٢.

٤١- علقم (السهيلي) على شدة اجتهاد النبي ﷺ في الدعاء يوم بدر فقال: «والجهد على ضربين: جهاد بالسيف، وجهاد بالدعاء، ومن سنة الإمام أن يكون من وراء الجند لا يقاتل معهم، فكان الكل في اجتهاد وجد ولم يكن ليربح نفسه من أحد الجندين والجهادين، وأنصار الله وملائكته يجتهدون». السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن ابن عبد الله، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، (القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية ومؤسسة مختار، د. ت)، ج ٣، ص ٤٧.

٤٢- ابن هشام، المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٧٩.

٤٣- كان عبد الرحمن بن عوف يكتب إلى مسلمي مكة يخبرهم بما أنزل الله فيهم من القرآن الكريم، ويحث القادرين على الخروج من مكة بسرعة للهجرة إلى الله ورسوله والانضمام إلى إخوانهم في المدينة؛ الواحدي، علي بن أحمد، أسباب النزول، تحقيق السيد أحمد صقر، ٣، (جدة-بيروت: دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ص ٨٠٨. وكان عمر بن الخطاب يكتب أيضاً لمسلمي مكة بما نزل فيهم من الآيات القرآنية ويدعوهم للهجرة إلى المدينة؛ ابن هشام، المصدر السابق، ج ٢، ص ١١٩-١٢٠.

٤٤- مهدي رزق الله أحمد، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ط ١، (الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤١٢هـ/١٩٩٢)، ص ٢٨٩.

٤٥- ابن سعد، المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٤.

٤٦- حراء الأسد: وهي جبل أحمر يقع على بعد (٢٠) كيلاً جنوب المدينة، في الضفة اليسرى لعقيق الحسا على الطريق من المدينة إلى الفُرع؛ انظر: ياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله الحموي، معجم البلدان، (بيروت: دار صادر، د. ت)، ج ٢، ص ٣٠١؛ البلادي، عاتق ابن غيث، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ط ١، دار مكة للنشر والتوزيع، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢، ص ١٠٥.

٤٧- ففي ٢٥ رمضان سنة ٢هـ؛ قتلت عصماء بنت مروان، وكانت تؤذي النبي ﷺ، وتحرض على المسلمين؛ ابن سعد، المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٠-٢١. وفي شوال سنة ٢هـ قُتل أبو عوفك، من بني عمرو بن عوف، وكان ممن يحرض على عداوة المسلمين؛ المصدر نفسه،

- ج ٢، ص ٣٩. وفي ربيع الأول سنة ٣هـ قتل كعب بن الأشرف، من يهود بني النضير، وكان قد خرج إلى مكة وجعل يحرض قريشاً على المسلمين وينشد الأشعار في رثاء قتلى بدر؛ ابن هشام، المصدر السابق، ج ٣، ص ٥٥. وفي شوال سنة ٣هـ، قتل أبوعزة الجمحي بعد أن وقع أسيراً في قبضة المسلمين يوم أحد، وكان الرسول ﷺ قد أسره يوم بدر ثم من عليه، لكنه عاد وأخذ يحرض العرب على حرب المسلمين قبيل أحد، وينشد الأشعار في ذلك؛ المصدر نفسه، ج ٣، ص ٦٥-١١٠. وفي ذي الحجة سنة ٤هـ قتل أبو رافع بن الحقيق، من يهود خيبر، وكان يغري غطفان وغيرها من مشركي العرب بحرب المسلمين ويعددهم بالكافاة نظير ذلك. الواقدي، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٩٤. وعند ابن سعد أن مقتل أبي رافع بن الحقيق كان في رمضان سنة ٦هـ؛ ابن سعد، المصدر السابق، ج ٢.
- ٤٨- ففي غزوة ذي أمر؛ تعهد دعثور بن الحارث - الذي شكل قوة من بني ثعلبة وبني محارب من غطفان لمهاجمة المدينة - بعدم المشاركة مستقبلاً في جيوش المشركين أو الدعوة لحرب المسلمين، وذلك في قوله للنبي ﷺ: «والله، لأكثر عليك جمعاً أبداً»؛ الواقدي، المصدر السابق، ج ١، ص ١٩٥؛ وعند (الحاكم) أن الرجل واسمه (غوث بن الحارث) قال للرسول صلى الله عليه وسلم: «أعاهدك على أن لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك»، انظر: - الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله، المستدرک علی الصحیحین، (بيروت: دار المعرفة، د. ت)، ج ٣، ص ٢٩.
- ٤٩- ابن حجر، أحمد بن علي، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تحقيق محب الدين الخطيب، ط ٣، (القاهرة: المكتبة السلفية، ١٤٠٧هـ) ج ٧، ص ٤٦٧.
- ٥٠- ابن هشام، المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٣٠-٢٣١.
- ٥١- المصدر نفسه، ج ٣، ص ٢٣٤.
- ٥٢- نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف الأشجعي، أبو سلمة، أسلم ليالي الخندق، وأوقع الخلاف بين قريظة وغطفان فخالف بعضهم بعضاً ورحلوا عن المدينة، توفي في خلافة عثمان وقيل في أول خلافة علي بن أبي طالب، *؛ ابن حجر، المصدر السابق، ج ٣، ص ٥٣٩.
- ٥٣- ابن هشام، المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٤٠.
- ٥٤- الواقدي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٥٢٣؛ البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥)، ج ٤، ص ٢٤.
- ٥٥- المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٠٥؛ ج ٢، ص ٤٤٤.
- ٥٦- ابن هشام، المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٢٢؛ ابن حجر، فتح الباري، ج ٧، ص ٥٠٤.

- ٥٧- الواقدي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٥٧٤.
- ٥٨- المصدر نفسه، ج ٢، ص ٥٧٤.
- ٥٩- ابن هشام، المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٣٦.
- ٦٠- الواقدي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٦٣٤. وعند (ابن سعد) أن عددهم (١٤٠٠)؛ ابن سعد، المصدر السابق، ج ٢، ص ٨٢.
- ٦١- ابن سعد، المصدر السابق، ج ٢، ص ٨١.
- ٦٢- وهؤلاء المفسرون هم: عبدالله بن عباس، وسعيد بن جبير، والضحاك ابن مزاحم والحسن البصري، والسدي. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، (بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م)، ج ١، ص ٤٢٥.
- ٦٣- المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٢٥.
- ٦٤- ابن هشام، المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٤٣؛ ابن حجر، فتح الباري، ج ٧ ص ٥٣٥.
- ٦٥- الواقدي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٧٣٤؛ البيهقي، المصدر السابق، ج ٤، ص ٣٢١.
- ٦٦- صخر بن حرب بن أمية بن عبدشمس بن عبدمناف القرشي الأموي. أسلم عام الفتح وشهد حنيناً والطائف. كان من المؤلفات قلوبهم. مات في خلافة عثمان، وهو ابن ثمان وثمانين سنة، *؛ ابن حجر، الإصابة، ج ٢، ص ١٧٢-١٧٣.
- ٦٧- ابن هشام، المصدر السابق، ج ٤، ص ٤٦.
- ٦٨- مهدي رزق الله أحمد، المرجع السابق، ص ٥٧.
- ٦٩- ابن حجر، فتح الباري، ج ٧، ص ٦١٦.
- ٧٠- ابن سعد، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٢١.
- ٧١- ابن هشام، المصدر السابق، ج ٤، ص ١٣٥-١٣٦.
- ٧٢- المصدر نفسه، ج ٤، ص ١٣١-١٣٢.
- ٧٣- مالك بن عوف بن سعد بن يربوع، من بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن. كان زعيم المشركين يوم حنين، ثم أسلم وكان من المؤلفات قلوبهم، واستعمله رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه، فكان يقاتل ثقيفاً فلا يخرج لهم مخرج إلا أغار عليه حتى يصيبه؛ ابن حجر، الإصابة، ج ٣، ص ٣٣١-٣٣٢.
- ٧٤- ابن هشام، المصدر السابق، ج ٤، ص ١٣٤.
- ٧٥- خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي، أبو سليمان كان أحد أشرف قريش في الجاهلية، وأسلم في سنة ٧هـ، وأرسله النبي ﷺ إلى أكيدر دومة فأسره. وعهد إليه أبو بكر بقتال أهل الردة فأبلى في قتالهم بلاءً عظيماً، ثم ولاه حرب

- فارس والروم فأثر فيهم تأثيراً شديداً وفتح دمشق . توفي بحمص وقيل بالمدينة سنة ٢١ هـ
* ابن حجر ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤١٢-٤١٥ .
- ٧٦- ابن حجر ، فتح الباري ، ج ٧ ، ص ٦٥٤ .
- ٧٧- علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي ، أبو الحسن .
ولد قبل البعثة بعشر سنين ، فرى في حجر النبي ﷺ ولم يفارقه ، وشهد معه المشاهد إلا
غزوة تبوك . بويع بالخلافة بعد مقتل عثمان * ، ودامت خلافته خمس سنوات ، إذ
استشهد في رمضان سنة ٤٠ هـ ، * ؛ ابن حجر الإصابة ، ج ٢ ، ص ٥٠١-٥٠٣ .
- ٧٨- الواقدي ، المصدر السابق - ج ٣ ، ص ١٠٧٩ .
- ٧٩- أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي ، يكنى أبا محمد ويقال أبا زيد . أمه أم أيمن
مولاة النبي ﷺ . كان عمر يعجله ويكرمه ، وفضله في العطاء على ابنه عبد الله بن عمر .
اعتزل أسامة الفتن بعد مقتل عثمان * ، إلى أن مات سنة ٥٤ هـ في أواخر خلافة معاوية ،
* ؛ ابن عبد البر ، المصدر السابق ج ١ ، ص ٣٤-٣٦ .
- ٨٠- أبنتي : موضع بالشام من جهة البلقاء ، وقيل قرية بموثة ؛ ياقوت ، المصدر السابق ، ج ١ ،
٧٩ .
- ٨١- ابن حجر ، فتح الباري ، ج ٧ ، ص ٧٥٩ .
- ٨٢- المصدر نفسه ، ج ٧ ، ص ٧٢١ .
- ٨٣- ابن سعد ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٢٢-٢٦٩ .

الشخصية الجغرافية للمملكة العربية السعودية

تأليف الدكتور محمد بن أحمد الرويثي

دراسة : د. محمد عبدالعزيز القباني
قسم الجغرافيا/ كلية الآداب
جامعة الملك سعود

ملخص الكتاب

حصل في المملكة العربية السعودية خلال الثلاثة عقود الماضية تحولات كبيرة من النواحي الاقتصادية والاجتماعية صاحبت الزيادة السريعة والكبيرة في مدخولات الدولة وإنفاقاتها من خلال برامج خطط التنمية الخمسية ومشروعاتها وبالتحديد منذ ١٣٩٥ هـ. وتتصف المملكة العربية السعودية بسمات جغرافية تتمثل في موقعها الجغرافي المميز، واحتضان أراضيها للأماكن الإسلامية المقدسة، وكبر مساحتها النسبي، وسيادة ظروف المناخ الصحراوي وصغر حجم السكان النسبي، وغناها بالثروات النفطية وارتفاع مستويات الدخل والمعيشة للسكان. كل هذه التغيرات أكسبت المملكة شخصيتها الجغرافية المميزة بين دول العالم.

ويأتي كتاب الدكتور الرويثي «الشخصية الجغرافية للمملكة العربية السعودية» لإبراز هذه السمات ورصد التحولات والتغيرات من منظور جغرافي. يتكون الكتاب من مقدمة وثلاثة عشر فصلاً تضمنت ٤٥ جدولاً إحصائياً و٢٢ خريطة وشكلاً بيانياً بالإضافة إلى ملحق إحصائي احتوى على ١٣ جدولاً.

الفصل الأول: - وعنوانه الموقع الجغرافي واستراتيجية المكان - يقع في تسع صفحات - تطرق فيه الكاتب - بإيجاز - إلى مراحل تكوين المملكة من الناحية التاريخية: مرحلة الدولة السعودية الأولى ١١٥٧-١٢٣٣هـ، ومرحلة الدولة السعودية الثانية ١٢٥٦-١٣٠٩هـ. ثم تناول بعد ذلك مراحل تكوين المملكة على يد المغفور له الملك عبدالعزيز (١٣١٩هـ - ١٣٥١هـ). بعد ذلك أشار إلى موقع المملكة الجغرافي المتوسط بالنسبة لدول العالم وأهميته خاصة بالنسبة لحركة النقل والتجارة الدولية.

الفصل الثاني: - وعنوانه البناء الجيولوجي - ويتكون من ثماني صفحات تناول فيه الكاتب التطور الجيولوجي لأراضي المملكة خلال الأزمنة الجيولوجية المختلفة وماتعرضت له من حركات أرضية نتج عنها «انكسارات والتواءات وثورات بركانية» وعمليات تعرية خلال العصور المطيرة أعطت الصورة الحالية لأراضي المملكة بجمالها وأوديتها وشواطئها ورمالها. ثم ذكر القسمين الجيولوجيين الرئيسين لأراضي المملكة: الغربي أو منطقة الدرع العربي والذي يغطي نحو ٢٨٪ من المساحة وتوجد به أقدم التكوينات الجيولوجية وصخوره نارية ومتحولة، والقسم الشرقي أو الرف العربي ويشغل ٧٢٪ من مساحة المملكة وتكويناته رسوبية حديثة.

الفصل الثالث: - وعنوانه التضاريس - ويتكون من ٢٤ صفحة اختص بتضاريس المملكة الرئيسة وقسمها إلى: السهول الساحلية (الغربية والشرقية)، الجبال الغربية (الساحلية والداخلية)، الهضاب الغربية: الحسمى، الحجاز، الحرات، سهل ركة

الصخري، عسير؛ الهضبة الوسطى «نجد»؛ العروق الرملية: الربع الخالي، الدهناء، النفود، وأخيراً الهضاب الشرقية: الدبدبة، الصمان والجافورة.

الفصل الرابع: - وعنوانه المناخ - ويتكون من إحدى وعشرين صفحة تطرق فيه الكاتب إلى العوامل المؤثرة في مناخ المملكة: دوائر العرض، الموقع بالنسبة لليابس والماء، المساحة وتنوع التضاريس، ثم حلل بعد ذلك عناصر المناخ في المملكة: الحرارة، الضغط الجوي والرياح، الرطوبة النسبية، الأمطار، التبخر، الأشعاع الشمسي.

الفصل الخامس: - وعنوانه الموارد المائية - ويتكون من خمس عشرة صفحة استعرض فيه المؤلف موارد المياه في المملكة: المياه السطحية أو مياه الأمطار والسيول التي تجري في الأودية وذكر أهم السدود المقامة على الأودية الرئيسية. ثم تطرق لتقسيمات المياه الجوفية في المملكة: المياه الجوفية السطحية أو مياه الآبار التي تجمعت نتيجة تسرب مياه الأمطار عبر الطبقات الرسوبية غير بعيدة عن السطح؛ والمياه الجوفية العميقة التي تجمعت مياهها خلال العصور المطيرة واختزنت في أحواض جوفية ضخمة تحت سطح الأرض.

الفصل السادس: - وعنوانه التربة والنبات الطبيعي - ويتكون من اثني عشرة صفحة صنف الكاتب فيه الترب في المملكة إلى ست أنواع: تربة الأودية، التربة الرملية، تربة اللافا أو الحرات، التربة الجبلية، التربة الصحراوية وأوضح خصائص كل منه. وفي الجزء الأخير من هذا الفصل أشار باختصار إلى أنواع النباتات الطبيعية في المملكة: الغابات في جبال عسير وجنوب الحجاز والحشائش والشجيرات في المناطق الأخرى.

الفصل السابع: - وعنوانه السكان - ويقع في اثنتين وثلاثين صفحة تطرق الكاتب فيه إلى نمو السكان في المملكة والعوامل المؤثرة في ذلك (الزيادة الطبيعية والعمالة الوافدة)، وبين توزيع السكان وكشافتهم حسب الإمارات بين عامي ١٣٩٤ و ١٤٠٥ هـ. ثم تناول التوزيع النسبي للسكان حسب نمط الحياة «حضر، ريف، رحل» على المناطق الإدارية الثلاثة عشرة وشرح أسباب نمو المدن في المملكة وتناقص سكان القرى والبادية. بعد ذلك تطرق إلى ظاهرة التركيز الواضح للسكان في المدن الرئيسية والزيادة في حجمها: الرياض وجدة والدمام ومكة المكرمة والطائف والمدينة المنورة. وفي نهاية الفصل أشار إلى التركيب العمري للسكان في المملكة حسب فئات السن وقارن ذلك بالمتوسطات العالمية وفي الدول المتقدمة. ثم تطرق إلى تصنيف العاملين وفقاً للنشاطات الاقتصادية وتوزيعهم الإقليمي في المملكة حسب المناطق الإدارية «الزراعة والصيد، الصناعة، التجارة، الخدمات».

الفصل الثامن: - وعنوانه مياه التحلية - يتكون من ثلاث عشرة أفردة المؤلف لمياه التحلية في المملكة من حيث تطور الطاقة الإنتاجية للمياه المحلاة وعدد محطات التحلية التي أنشئت والتوزيع الجغرافي لها، وكذلك استهلاك المدن من مياه هذا المصدر، وأشار كذلك إلى إنتاج محطات التحلية بالمملكة من الطاقة الكهربائية.

الفصل التاسع: - وعنوانه النشاط الزراعي - يقع في ثلاث صفحات. تناول فيه الكاتب مقومات الزراعة في المملكة وتوزيع العاملين في هذا القطاع حسب المناطق الإدارية وكذلك المساحة المزروعة وتطورها والعوامل التي أسهمت في تطور القطاع الزراعي وبالتحديد الدعم الحكومي: بناء السدود، القروض، منح الأراضي الزراعية وشراء القمح. واستعرض بعد ذلك إنتاج مجموعة المحاصيل: الحبوب، الخضراوات، الفواكه والتمور، وبين التطور الذي طرأ على إنتاج هذه المحاصيل خلال العقدين الماضيين وخاصة محصول القمح سواء من حيث زيادة المساحة أو

كمية الإنتاج . الجزء الأخير من هذا الفصل خصصه المؤلف للثروة الحيوانية إذ أشار باختصار إلى نموها وترزيعها على المناطق الادارية .

الفصل العاشر: - وعنوانه البترول والمعادن - يتكون من ست عشرة صفحة ، اقتصر على موضوع الموارد المعدنية في المملكة أشار فيه باختصار إلى تاريخ إنتاج النفط في المملكة ، وإلى حقول النفط الرئيسية ، ثم استعرض بعد ذلك تطور إنتاج النفط في المملكة واحتياطها من هذا المعدن ، وذكر الأسواق العالمية المستهلكة لنفط المملكة ، ثم ذكر أهم المعادن الأخرى المتوافرة بكميات اقتصادية في المملكة «الذهب والفضة ، النحاس ، الحديد والفوسفات» .

الفصل الحادي عشر: - وعنوانه الصناعة - ويتكون من أربع وعشرين صفحة تطرق المؤلف فيه إلى البدايات الأولى للصناعة في المملكة حين كان عدد المؤسسات الصناعية في المملكة لا يتجاوز مؤسسات بعد ذلك ألقى الضوء على السياسة الصناعية في المملكة وأشار إلى الحوافز التي تقدمها الدولة للمستثمرين : القروض ، الحماية الجمركية ، الإعفاءات ، المدن الصناعية ، ثم بين تطور عدد المؤسسات والعاملين في الصناعة وتوزيعها الجغرافي على مناطق المملكة حسب نوعها : الصناعات الغذائية ، المنسوجات ، الجلدية ، الخشبية والكيماوية ومواد البناء والصناعات المعدنية .

الفصل الثاني عشر: - وعنوانه النقل والمواصلات - ويتكون من أربع وعشرين صفحة تناول الكاتب فيه أهمية تطوير وسائل النقل والمواصلات في المملكة بسبب كبر مساحتها ثم ذكر محاور الحركة الرئيسية في المملكة «محور البحر الأحمر من حقل حتى جيزان ، محور الداخل من ظهران الجنوب حتى حالة عمار ، والمحور الأوسط من جدة إلى الدمام» . بعد ذلك استعرض تطور أطوال الطرق البرية المعبدة

في المملكة وكذلك النمو في عدد السيارات بها، وإلى وسائل النقل الأخرى في المملكة: خط السكك الحديدية بين الرياض والدمام، الموانئ والنقل البحري وأشار إلى تطوير الموانئ من حيث إمكاناتها وطاقها والمخ في خاتمة هذا الفصل إلى النقل الجوي وتطور عدد المطارات في المملكة والنمو في عدد الركاب (المغادرون والقادمون) في المطارات الدولية في المملكة (الملك عبدالعزيز بجدة، والملك خالد بالرياض والظهران).

الفصل الثالث عشر والأخير: - وعنوانه التجارة الخارجية - ويتكون من أربع عشرة صفحة تناول المؤلف فيه تجارة الصادرات والواردات للمملكة من حيث كمياتها وأنواعها ومصادرها ووجهاتها، وعرض للميزان التجاري للمملكة لعدة سنوات، ثم شرح العوامل التي أثرت في تطور تجارة المملكة الخارجية (الزيادة في السكان وقدراتهم الشرائية، النهضة العمرانية والاقتصادية) وأشار إلى تجارة المملكة مع مجموعات الدول (الأمريكتين، غرب أوروبا، شرق أوروبا، العالم العربي، أفريقيا، آسيا، الأقيانوسيا).

الكتاب وإن كان يحمل مسمى الشخصية الجغرافية للمملكة العربية السعودية دراسة في الجغرافيا الإقليمية فمحتوياته وتسلسل فصوله وموضوعاته تكاد لا تختلف عما صدر من كتب سابقة تناولت جغرافية المملكة والتي قام بإعدادها أساتذة عرب قاموا بالتدريس في الجامعات السعودية.

ملاحظات على الكتاب: من الملاحظات على الكتاب قدم المراجع التي اعتمد عليها بصفة عامة وبالتالي قدم بعض البيانات التي اعتمد عليها الكاتب، فمع أن الكتاب صدر في عام ١٤١٦هـ إلا أن تاريخ أحدث المراجع العربية يعود إلى عام ١٩٨٤م (١٤٠٤هـ)، في حين يعود تاريخ أحدث المراجع الأجنبية إلى عام ١٩٧٣م. أما التقارير والنشرات الإحصائية فيرجع تاريخها إلى عام ١٤٠٩هـ.

كما خلا الكتاب من موضوعات مهمة خاصة مايتعلق بالسكان كالعمالة الوافدة وسكان القرى (الريف)، وسياسات التنمية الريفية والحضرية والإقليمية ومشروعاتها. من الملاحظات أيضاً أن فصول الكتاب احتوت على كم كبير من الأرقام وربما يعود ذلك إلى رغبة الكاتب في إبراز التغير الذي طرأ على الجغرافيا البشرية للمملكة خلال الثلاثة عقود الماضية خاصة في الجوانب الاقتصادية والاجتماعية.

أما من النواحي المعلوماتية فقد وضع المؤلف في الفصل الثالث الخاص بالتضاريس الجافورة ضمن الهضاب الشرقية وهي في الواقع رمال تعد امتداداً لصحراء الربع الخالي، وفي الفصل الخامس - عند تناوله لموضوع المياه الجوفية العميقة - وضع مأسماه "حوض وسط الحجاز" ضمن التكوينات الحماوية للمياه الجوفية العميقة في حين أن هذا الجزء يقع ضمن منطقة الدرع العربي التي تخلو من وجود هذا النوع من مصادر المياه بسبب طبيعة تكوينها الجيولوجي وتركيبها الصخري.

وعلى غير المعتاد تم وضع ملحق إحصائي في بداية الكتاب بعد فهرس الكتاب مباشرة وقبل المقدمة.

يعد الكتاب بصفة عامة إسهاماً جيداً يستحق المؤلف عليه الشكر والتقدير إذ قام بضغط كم كبير من الموضوعات في عدد قليل من الصفحات في كتاب من الحجم الصغير وهو بذلك يعد مناسباً لغير المتخصصين عن يودون التعرف على ملامح جغرافية المملكة العربية السعودية.

مؤلفات ومقالات

صناعة الغذاء في المملكة من

الاستيراد إلى التصدير

مجلة إقرأ في ٢٧/٣/١٤١٨ هـ

الأسطورة الشعبية وراء اكتشاف

أهم المواقع الأثرية اليمنية

محمد محمد مجمل

مجلة إقرأ في ٤/٤/١٤١٨ هـ

بداية تاريخ المطابع والنشر في

المملكة

إبراهيم عويض العتيبي

مجلة الفيصل محرم ١٤١٨ هـ

استصلاح الأراضي المتأثرة بالأملاح

في المملكة العربية السعودية

عبدالله موسى - محمد سعيد الشاطر

مجلة الخفجي شوال ١٤١٧ هـ

انضم سامي بريد يفتح طرود ذكرياته

(سالم الموسوي)

حمدي عبد الصادق

مجلة الشرق ٦ شعبان ١٤١٦ هـ

فتح الرياض .. وإسراقي الجهد

عبدالله الصالح الرشيد

المجلة العربية جمادى الآخرة ١٤١٨ هـ

هوليت سوق هباته

د . عبدالله محمد أبوداهش

دراسة علامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر

المجلة العربية - ربيع الأول ١٤١٨ هـ

مياه مكة المكرمة منذ عهد إسماعيل

عليه السلام إلى عهد خادم الحرمين

التريفيين

هاني ماجد فيروز

مجلة العاصمة المقدسة العدد الرابع

١٤١٧ هـ

مسيرة التعليم في مكة المكرمة

مجلة العاصمة المقدمة العدد الرابع
١٤١٧هـ

الخدمات الصحية بمكة المكرمة

هاني ماجد فيروزي
مجلة العاصمة المقدسة العدد الخامس
١٤١٨هـ

أسرار المعجزة الألمانية والحضارية

في المملكة العربية السعودية
ناصر فرج سليمان
عرض / أحمد أبو زيد
المجلة العربية - جمادى الآخرة
١٤١٨هـ

توزيع المنتجات النفطية في

المملكة

نجيب محمد القضيبي
مجلة القافلة ربيع الآخر ١٤١٨هـ

بعثة إلى نجد

١٣٣٦ - ١٣٣٧هـ
تأليف / سانت جون فيليبي
ترجمة / د . عبدالله العثيمين

مواقف بطولية سجلها التاريخ

إعداد - إبراهيم الشثري
دار الصميمي للنشر والتوزيع -
الرياض

إسهامات المستشرقين في نشر

الثقافة العربية الإسلامية
د . علي إبراهيم النملة

الملك عبدالعزيز ومراسلاته

د . عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر
كتيب المجلة العربية - العدد السادس
- جمادى الآخرة ١٤١٨هـ

الأدب المقارن في منظور الأدب

العربي

د . عبد الحميد إبراهيم
نادي المنطقة الشرقية الأدبي بالدمام

وقف في حياة الرواد

فهد عبدالله المبدل

**الاستيطان والآثار الإسلامية في
منطقة القصيم**

عبد العزيز بن جار الله الجار الله
مكتبة الملك فهد الوطنية - الرياض

اطلالة على التراث

المجلد الخامس عشر
د . عبد العزيز بن عبد الله الخويطر

سراة الليل هتف الصباح

الملك عبدالعزيز دراسة وثائقية
عبد العزيز بن عبد المحسن التويجري
الناشر: دار رياض الريس - لندن
١٤١٨هـ

**تقويم مدي موضوعية أسس وأساليب
الترقية في الخدمة المدنية بالملكة
العربية السعودية**
إبراهيم العبود - منصور المشوق
معهد الإدارة العامة

**الادعاء العام والمحكمة الجنائية
وتطبيقها في المملكة العربية
السعودية**

د . عماد عبد الحميد النجار
معهد الإدارة العامة

صدر حديثا



المكتبة الوطنية
والأرشيف للمملكة العربية السعودية

بحوث

سيرة المؤلفات التاريخية
في المملكة العربية السعودية
الطبعة الأولى من ١٤١٢ هـ، ١٩٩١ م
الطبعة الثانية من ١٤١٣ هـ، ١٩٩٢ م



أصدرت دار الملك عبدالعزيز

مكتبة

الإمام عبد العزيز آل سعود رحمه الله

دار الملك عبدالعزيز



صاحبة البحوث اسماعيل

حداثة

من الفترة ١٢٨٦-١٣٢٦ هـ / ١٨٦٩-١٩٠٨ م
تأليف: تاريخية وحديثة في المصادر المعاصرة



أصدرت دار الملك عبدالعزيز

سعد بن عبد العزيز

معجم التراث السلاح



العدد ١ - السنة ٢٣ - ١٤١٨ هـ

الجار

٢٠١

الجاره

● قسيمة اشتراك ●

أرفق شيكا مصدقا
باسم دولة الملك عبدالعزيز بالرياض/ عن قيمة اشتراك لمدة سنة
واحدة على أن ترسل إلى العنوان الآتي:
الاسم:
العنوان:
الفاكس:
الهاتف:

الاشتراك السنوي: ٢٠ ريالاً داخل المملكة العربية السعودية
البلاد العربية ما يعادل ٢٠ ريالاً سعودياً
٦ دولارات خارج البلاد العربية.

مجلة فصلية محكمة تصدر عن
دائرة الملك عبدالعزيز



ص.ب ٢٩٤٥ الرياض ١١٤٦١
المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٤١٢٣١٦ - ٤٤١٢٣١٨
فاكس: ٤٤١٧٠٢٠



Address: ADDARAH
King Abdulaziz Research Center
P.O.Box 2945 Riyadh 11461
Kingdom of Saudi Arabia
Tel.: 4412316 - 4412318
Fax: 4417020

● Subscription Card ●

Please enter my subscription for ADDARAH

Check enclosed \$

Name

Address

City Country

Tel.: Fax:

Annual subscriptions

Saudi Arabia: **20** Riyals

Arab Countries: **20** Riyals

Abroad: **6** U.S. Dollars

**ALL CORRESPONDENCE SHOULD BE DIRECTED TO
EDITOR-IN-CHIEF**

P.O.Box 2945 Riyadh 11461 Saudi Arabia Tel. 441 2316 - 441 2318 Fax. 441 7020

PRICE PER ISSUE

Saudi Arabia: 5 Riyals - U.A.E.: 7 Dirhams - Qatar: 7 Riyals - Egypt: 70 Piasters
Morocco: 8 Dirhams - Tunisia: 700 Millimes - Non-Arab Countries: 1 U.S. \$

ANNUAL SUBSCRIPTIONS

Saudi Arabia: 20 Riyals - Arab Countries: The Equivalent of S.R. 20
Non-Arab Countries: 6 U.S. \$

**SUBSCRIPTIONS SHOULD BE MADE BY CERTIFIED
CHEQUE DIRECTED TO KING ABDUL AZIZ
RESEARCH CENTRE**

P.O.Box 2945 Riyadh 11461 Saudi Arabia

DISTRIBUTIONS

Saudi Arabia: Al Watanlah Co. For Distribution Advertising	Tel. 4782000
U.A.E.: Dar Al Hikma P.O.Box 3778 Dubai	Tel. 665394
Qatar: Dar Al Thaqafa: P.O.Box 323 Doha	Tel. 413180
Bahrain: Al Hilal Distributing Est. P.O.Box 224, Manama	Tel. 262026
Egypt: Al Ahram Distributing Est. Al Gata'a St., Cairo	Tel. 5786100
Morocco: Al Shariffa Distributing Co. P.O.Box 683, Casablanca 05	Tel. 400223

GENERAL SUPERVISOR

H.E. PROF. KHALID BIN MOHAMMED AL-ANGARI

Minister of Higher Education, Vice Chairman of the Board of
Directors King Abdul Aziz Resrarch Centre

GEN. DIRECTOR & EDITOR IN-CHIEF **Dr. FAHD ABDULLAH AL SEMMARI**

EDITORIAL BOARD

Dr. Mansour Ibrahim Al Hazni

Abdullah Abdul Aziz bin Edris

Dr. Abdul Rahman al Tayyeb al Ansari

Dr. Abdullah Al Saleh al Uthaymeen

Dr. Mohammed bin Sulayman al Sudais

Dr. Yahya Mahmoud Saati

Dr. Mohammed Shawki Ibrahim Makk

SECRETARY OF EDITORIAL BOARD **Muqbil bin Turki Al Muqbil**

ADDARAH

**An Academic Quarterly Issued By King Abdul Aziz
Research Centre - Riyadh**

**Addarah No. (1) Has Been Issued in Rable (1) 1395
March 1975**

ISSUE NO. 1 YEAR 23 MAY/JUNE 1997

النشر العلمي والمطابع ١٤١٨هـ





الملك عبدالعزيز عند وصوله لجناب الإسكندرية عند زيارته لصر في صفر عام ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م

ADDARAH

**An Academic Quarterly Issued By King Abdul Aziz
Research Centre - Riyadh**

**Addarah No. (1) Has Been Issued in Rable (1) 1395
March 1975**

ISSUE NO. 1

YEAR 23

MAY/JUNE 1997



الجارفة

مجلة فصلية محكمة تصدر عن دار الملك عبدالعزيز - الرياض
العدد الثاني - 1418 هـ - السنة الثالثة والعشرون

٥ حركة اللغة في قص السبامي

٢٥ التنافس السعودي البوسعيدي في جنوب غرب الخليج العربي

٨١ المصادر العثمانية وأهميتها في دراسة تاريخ الجزيرة العربية

١٠٧ النقوش والرسوم الصخرية بالجواء في منطقة القصيم

بسم الله الرحمن الرحيم

عليه
[٦٥٤]

من عبد العزيز ابن عبد الرحمن الفصيل الى جناب الكرم الابن شاري ابن جالوي — لعله
بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم من خصوص الشيخ عبد الله بن حسن والشيخ محمد
بن تركي حالة توجروا اليكم وقد عمدناهم بأن ينظرون في الحكمة الشرعية وهيئة الدوا
لمعرف والذري عن الفكر وجميع ما يتردونه تنتدونه بدون تردد وتجرون ما يلزم لهم من الس
عدة عند الاقتضاء يكون معلوم هذا ما نلزم ببياننا والسلام على
الجميع

في تاريخ
١٣٤٦

١٣٤٦

رسالة من الملك عبد العزيز - رحمه الله - الى الأمير مشاري بن جلوي بشأن النظر في الأمور الشرعية وبيعة الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر، وتدل هذه الرسالة على عنايته - رحمه الله - بالتواصي الدينية واهتمامه بها وتطبيقه لشرع الله تعالى
ومعي مؤرخة في ربيع أول ١٣٤٦ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم



العارف

مجلة فطلية محكمة تصدر عن طاعة الملك عبدالعزيز - الرياض
العدد الثاني - ١٤١٨ هـ - السنة الثالثة والعشرون

محتويات العدد

- ☐ حركة اللغة في قص السباحي د. عالي سرحان القرشي ٥
- ☐ التنافس السعودي البوسعيدي د. عويضة بن متيريك الجهني ٢٥
- ☐ المصادر العثمانية وأهميتها في دراسة تاريخ د. عايض بن خزام الروقي ٨١
- ☐ النقوش والرسوم الصخرية د. عبدالله العمير / د. سليمان النيب ١٠٧
- ☐ دراسات الكتب ٢١٣
- ☐ مقالات ومؤلفات ٢١٩

المشرف العام
سعيد ز. و. خالد بن محمد العنقري
وزير التعليم العالي نائب رئيس مجلس إدارة طرة الملك عبدالعزيز

الدور العام ورئيس التحرير
و. فهد بن عبد الله السماري

هيئة التحرير
ز. و. منصور إبراهيم الحازمي
ز. عبد الله بن عبد العزيز آل سعود
ز. و. عبد الرحمن الرشيد الفاضل
ز. و. عبد الله السالم الفقيه
ز. و. محمد بن سلمان آل سعود
ز. و. عيسى محمد ساقب
ز. و. محمد شوقي إبراهيم مكي

سكرتيرة هيئة التحرير
مقبل بن تركي القبل

رقم الإيداع ١٤/٠٠٨٢ بتاريخ ١٤١٤/١/٢٢ هـ
رقم ١٣٦٩ - ٠١٤٨

البحوث ترسل باسم رئيس التحرير

العنوان: ص. ب ٢٩٤٥ الرياض ١١٤٦١ المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٤١ ٢٣١٦ - ٤٤١ ٢٣١٨ فاكس ٤٤١ ٧٠٢٠

السعر

السعودية: ٥ ريال، الإمارات العربية المتحدة: ٧ دراهم، قطر: ٧ ريال، مصر: ٧٠ قرشاً، المغرب: ٨ دراهم، تونس: ٧٠٠ مليم، خارج البلاد العربية: ١ دولار أمريكي

الاشتراكات السنوية

٢٠ ريالاً للاشتراك السنوي داخل المملكة العربية السعودية

البلاد العربية ما يعادل ٢٠ ريالاً سعودياً

خارج البلاد العربية ٦ دولارات أمريكية

ترسل الاشتراكات بشيك مصدق باسم إدارة الملك عبدالعزيز

على العنوان التالي: ص. ب ٢٩٤٥ الرياض ١١٤٦١ المملكة العربية السعودية

السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع	ص.ب ٦١٤٦٦	الرياض ١١٥٦٥	هاتف: ٤٧٨٢٠٠٠
الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة	ص.ب ٣٧٧٨	دبي	هاتف: ٦٦٥٣٩٤
قطر: دار الثقافة	ص.ب ٣٣٣	الدوحة	هاتف: ٤١٣١٨٠
البحرين: دار الهلال للتوزيع	ص.ب ٣٣٤	المنامة	هاتف: ٢٦٢٠٣٦
المغرب: الشركة الشريفة للتوزيع	ص.ب ٦٨٣	الدار البيضاء 05	هاتف: ٤٠٠٢٣٣
مصر: مؤسسة الأهرام للتوزيع	شارع الجلاء -	القاهرة	هاتف: ٥٧٨٦١٠٠

شروط النشر

تعنى مجلة الدارة بنشر البحوث العلمية ذات العلاقة بتاريخ المملكة العربية السعودية وجغرافيتها وآدابها وأثارها الفكرية والعمرانية بخاصة والجزيرة العربية والعالم العربي والإسلامي بعامة .

أولاً يشترط في البحث المقدم للمجلة ما يأتي :

- ١ - أن يتسم بالأصالة والمنهجية العلمية .
- ٢ - أن يكون صحيح اللغة ، سليم الأسلوب .
- ٣ - ألا يكون قد سبق نشره ، أو قدم إلى جهة أخرى للنشر .
- ٤ - أن توضع حواشيه مرقمة بالتسلسل في آخر البحث .
- ٥ - أن ترفق نماذج واضحة من الأشكال التوضيحية .
- ٦ - أن تكتب الأسماء الأجنبية باللغة العربية مع لغتها .
- ٧ - أن يكون البحث مطبوعاً أو مكتوباً بخط واضح .
- ٨ - أن يرفق ملخص له باللغتين العربية والإنجليزية في حدود (٢٠٠ كلمة) .

ثانياً لا يُعاد البحث إلى صاحبة سواء نشر أم لم ينشر .

ثالثاً يعطى الباحث عشرين مستلة من بحثه ، وخمس نسخ من العدد .

رابعاً تخضع البحوث الواردة إلى المجلة للتحكيم .

خامساً لا تعبر الآراء الواردة في البحوث بالضرورة عن رأي المجلة .

حركة اللغة في قص السباعي

د. عالي مريحان القرشي

كلية المعلمين بالطائف

أحمد السباعي رائد من رواد الفكر والأدب في هذه البلاد، فقد قدم كثيراً من الأعمال القصصية والمقالات، وكان يرفع صوته عالياً بالارتقاء على الجهل والعداوات الخاطئة . . . وإذا عدتُ القصة في بداياتها كان له حضوره في ذلك الأمر، لما قدم من الأعمال التي عُرِفَتْ، واستحققت البحث والدرس .

وقد قام هذا البحث باستجلاء وظيفة اللغة في قص السباعي وأظهره علاقاتها بالحدث، وما تؤديه في بناء القصة ؛ حيث نظر في أنواع استخدامه لها، وقام بتفسير ذلك بتحليل نماذج من قصصه، حيث خرج البحث بنتائج مختلفة عن تلك التي رصدها الباحثون عن صنيع الرواد في القصة، بسبب من اتجاهه إلى دراسة اللغة في النص القصصي، والنظر إلى خدمة اللغة لذلك البناء، حيث ناقش الآراء السابقة، في ضوء ما انتهى له تحليله، فقدم تفسيراته لاستخدام اللغة الشاعرية أحياناً، والتقرير أحياناً أخرى، كما وقف على اعتماد السباعي على سرد المتكلم، كما



يظهر في قصته «خالتي كدرجان» وعلل ذلك، كما وقف على استخدام السباعي لل لهجة العامية في حوار بعض شخصيات قصصه، وهدفه من ذلك، وأبان أن ذلك ليس عدولاً عن الفصحى وإنما هو لغاية فنية .

حين تعتمد هذه الدراسة إلى عنصر «اللغة» لتبحث وظيفته في قص أحمد السباعي (١) - رحمه الله - فإنها تعي ذلك التلازم الوثيق بين الحدث واللغة في فن القص، ولكنها تحاول أن تلاحق ذلك العنصر الذي يحرك الحدث ويتحرك به؛ ذلك أن اللغة تتخلق في رحم حكاية الحدث الإنساني، ورؤيته لما يتم بين الأشياء من علاقة، ذلك لأن اللغة موئل اكتناز الرؤية الإنسانية لموقفها من العالم حولها حيث بقيت تلك الرؤى حاضرة في تلك الحكايات التي آلت إلى رموز وأمثال واستعارات كثيفة . ففي تعبيرات مثل «يد الشمال» و«حوض المنية» و«تبسم الفجر» حضور إنساني يجسد في حركة العوالم التي يلتقطها هذا المجاز صبغة إنسانية، ورابطة يختارها الإنسان تجمع بين حركة الريح الشمالية وسباق الكرم لها لانتشال الناس من برائنها، وبين الماء قطب الحياة والموت فيصبح الماء موتاً ويصبح الموت حوضاً يرده الإنسان راغماً وهو يقاوم إطباق الموت، وتشير إلى ما يستوحيه الإنسان بين النور والظلام، والليل والنهار، من مواجهة تتول إلى بشر وبسمة لتباشير الصباح وإعلان يوم جديد .

ثم إن هذه الدراسة تريد أيضاً أن تستبين وظيفة اللغة في قص السباعي، تلفت في ظلال الأحكام العامة على قص جيل الرواد . حيث تريد التأمل في عالم الفن القصصي لدى السباعي عن طريق استنطاق طبيعة تركيب اللغة، فقد تبنت رؤية أخرى لتفسير بعض تلك الأحكام العامة، ونقض بعضها الآخر، وقد تجد فيها دلالات على نزوع يدفع الإنسان إلى الاستمسك باللغة، وهو يستعيد حركتها ورؤيتها من برائن الجهل والهجران .

لقد درج بعض الباحثين ممن أدلوا بأرائهم في القصة السعودية إلى الانسياق خلف مقولة تطور مفترضة لهذا الفن، رأوا فيها أن قص السباعي يحمل عثرات

البداية على النحو الذي يراه الدكتور بكري شيخ أمين بعد أن عرض لبعض قصص الرواد، ومنهم السباعي، حيث رأى أن خطوط الإصلاح الاجتماعي في هذا القصص سطحية، ميالة إلى الاتجاه الخطابي والوعظي أكثر من عكوفها على دراسة الأسس الفكرية والاقتصادية للنواحي التي عالجتها، وأما الغرض الفني الذي يتطلبه هذا الفن فيرى أنها بعيدة عنه «وأن هذه القصص لم تكن تسيل فيها آلاء الحياة وانفعالات الإنسان، بل لم تكن ذات حجم وامتداد في الزمان». ويرى أنها تنجح إلى الإغراق والمبالغة والتهويل. «(٢)

ثم يتحدث بصفة عامة عن الأسلوب الذي صبغت به قصص هذا العهد، فيرى أنه يمتاز بالانسياب والرشاقة، لكننا نقرأ لكتاب العرب الكبار كالجاحظ أو التوحيد، أو كأننا نتلو صحفا من رصف المنفلوطي أو نسيج العقاد، أو جزالة الراجعي. (٣)

ومن الطبيعي أن يكون السعي لإدخال طبيعة كتابة القصة لدى السباعي تحت ما يظن أنه استقر عليه الأمر في معايير فن القصة في غير صالح هذا القصص، فالدكتور منصور الحازمي يقول: «إن السباعي لم يكتب قصة قصيرة بالمعنى الفني لهذه الكلمة ولكنه كتب مع ذلك القصة بمعناها العام، وواقعته لا يبحث عنها في حدود قصة بعينها - لها عالمها الخاص وصدقها الفني - بل يبحث عنها مبثوثة في قصص متفرقة لا يجمعها سوى روح الكاتب الأصيل الذي ينبع منه من الحارة، ويستلهمه من زخم الحياة، ونماذجها الفقيرة الجاهلة القانعة» (٤)

وقد حاول الدكتور الشنطي تبرير ما يراه من شكل الحكيم والوصف في القصة لدى الرواد، فرأى أن ذلك بسبب أن المتغيرات التي ظهرت في البنية الاجتماعية لم تسفر عن قسّمات محددة تستطيع صياغة علاقات لها تحققها المتفاعل في إطار هذه البنية، فكان شأن القصة القصيرة في هذه المرحلة أنها - على حد قوله - «لم تستطع أن تنعتق من دائرة الحكيم والوصف بالإضافة إلى أن مفهوم هذا الفن كنوع أدبي متميز له تقاليده لم يتبلور لدى جيل الرواد» (٥)

ولكن الدكتور الشنطي عاد بعد ذلك، ليبرز أثر التفاعلات العميقة في البناء القصصي حيث يقول: «وليس أدل على ارتباط هذا الفن بالحساسية الجديدة التي بدأت تشيع نتيجة للتفاعلات العميقة في بنية المجتمع من الاهتمام بتصوير مشكلات المرأة منذ المحاولات المبكرة في هذا الفن كما تتضح لدى محمد حسن عواد، ومحمد سعيد العمودي، وعبدالله عبدالجبار، وأحمد السباعي، كذلك التركيز على تدفق الحياة بزخمها الجديد، والعناية برسم تفاصيلها، والتقاط المشاهد التي تختلج بأكثر النبضات المحلية أصالة وخصوصاً عند السباعي» (٦)

وإذا كان الباحث لا يختلف مع هؤلاء فيما يظهر في هذا القصص من: اهتمام بصياغة اللغة، وعناية بتلوين الموصوف بالصور البيانية واستيحاء صياغة الأسلوب التراثي، وما ذاع من الأساليب الأدبية في العصر الحديث كأسلوب جبران، والرافعي، وطه حسين، فإنه يطمح إلى أن يجد تفسيراً لذلك، ينبع من السياق الثقافي، ومن فاعلية الصنيع اللغوي لدى السباعي الذي يتمثل في:

- الاعتماد على التصوير الشعري.
- المزوجة بين التصوير الشعري وبين التقرير.
- الاعتماد على سرد المتكلم.
- اتخاذ اللغة العامية سبيلاً لنقل مشاهد الحوار في بعض القصص. (٧)

الاعتماد على التصوير الشعري:

نجد في قصص السباعي حضوراً وانصرافاً إلى هذا التصوير حتى إن التعبير ليرتقي مع بناء اللغة، فيفارق طبيعة الشخصية التي تتحدث، وإذا كان ذلك من مآخذ بعض الباحثين على السباعي وأمثاله (٨)، فإننا نجد للأمر سبيلاً آخر كان يتفق مع مهمة المسؤولية الثقافية التي يؤسس لبناتها السباعي، ويتفق مع صنيع الثقافة العربية في انتشار اللغة من ركودها في المعاجم، وبين المتأدبين إلى فعل حيوي تعبيرى، يشد القارئ إليه، ويصل ما بين الفعل الإنساني واللغة في تلك الأحداث

والصور الخيالية التي يبنينا عنها السباعي، فيصوغ من تفكير إنسان القصة صورة واعية تنكئ على التاريخ، وتلدن إلى عواطفه وأشواقه، فتتحرك اللغة من سكون الموقف إلى نبض اللغة ومن برود الإحساس الإنساني نحو الأشياء إلى الدخول في وهجها وحيويتها.

ففي قصة السباعي «بين قرى الطائف» (٩) نراه يعتمد على اللغة الشاعرية في وصف المكان والإنسان دون اهتمام بالحدث وينمو الشخصية.

يقول السباعي في بداية هذه القصة «قال هذا . . . وهو يشعر أنه تخاذل في نفسه بصورة مرهقة. ونظر إليها فإذا هي ترنو إليه بلحظ ساهم ونظرات حائرة . . . كانت قد مالت بعنقها على كتفها فبانت سحتتها أشبه ماتكون بسحنة المريض في وجه ضامر كأنما داهمه دهيم مفاجئ فانكفاً لونه، وانطبقت آثار الجهامة على جبينها العالي، وبان الذبول في زوايا شفتيها الدقيقتين وانطقاً بريق خدنها الأسبح الجميل».

لقد كانت اللغة في اعتمادها على الصورة البيانية، تحكي حدث التحول من موقف إلى موقف، فلئن غاب الحدث فقد حضرت حكايته بهذه اللغة التي تستحضر مآل العافية في المرض، ومآل الرشاقة والجمال في الذبول والانطفاء، لقد كان السباعي يستوحي حدثاً للحظة حين يقول: «كأنما دهمه دهيم مفاجئ فانكفاً لونه . . .» حيث أصبحنا مع حركة اللغة في هذا الفاعل المفاجئ الذي يثبت من الفعل دهم، وفي هذا البدء الذي تطفئ عليه الحسرة والتفجع، يشد الكاتب القارئ بهذا الإحساس الإنساني، ليثبت فيه طاقة حيوية تستقبل هذا النمط من العلائق الذي تقيمه هذه القصة.

وتمضي القصة لتنتقل لنا حديث الفتاة إلى الفتى «كنت أحسبني أصفاح فيك الرجل لا لتغزل اليوم في فتتي وغدا أنت مأسور لفتنة غيري. كنت أحسبني أناجي فيك الرفيق الذي يصحبني إلى مراتع الجمال الأخاذ، نتسم طراوة الوادي الأريج، تنكسر أضواء القمر على حواشيه، نقف على شطآن الغدير نلتقط ما ترك القرويون

من ثمار الخوخ على جوانبها نقضمه ونتقاذف نواه، أو نرجم به الضفادع في قاع الغدير، فيشير نقيقتها أو نجلس تحت شجرة البستان التي غرستها عممتك في صباها الغابر نتأمل أوراقها الزرقاء تلمع كأنها قطع قدت من أديم السماء وقت صفائها» .

وعند هذا الحديث نجد القارئ أمام صورة متفائلة، لكنه التفاؤل المنغلق بمقولة الظن «أحسبني» . صورة لا تبخل على رسم مساحة لشعور النفس بالرضا وهي تلاحظ امتزاج فرح الطبيعة بفرح ذلك الفتى والفتاة، لكن ذلك عالم مأمول، تقف دونه العوائق بما يجعل الفتى حين يسمع قولها يكون كما وصفه السباعي «قالت هذا فتركته شارد اللب تركبه الهموم طباقاً عن طبق» .

ثم تمضي القصة وهي تنمو بالخيوط النفسي الذي يحكم تحولات النص، فيأتي الوصف المكاني، وعلاقات الأشياء نابعة من تصور الذات الشاعر بالإحباط .

يقول السباعي: «كان الريح يهب عليلًا فاترا، فيعبث بأشجار التين على أكتاف المروج فيسمع لحفيف أوراقه نغما شجيا رخيمًا، وكانت الشمس ضاحية تنقل خطاها بين أكتاف الجبال ورؤوس التلال، وترك بعض النجوم الصغير غرقى في وهجها . . .» .

إذن كانت مثل هذه القصة تترسم بناء فنيا تشي به تحولات الصورة اللغوية، وتعتمد إثارة القارئ بما في هذه الصورة من تفاعل بين الرؤية والشعور النفسي، فلم تكن هذه الصور ترهلا إنشائيا، ولم تكن بعيدة عن مجرى الحدث الذي تصوره .

المزاوجة بين التصوير البياني وبين التقرير:

تعنى قصة لأحمد السباعي بعنوان «متى يستقيم الظل» (١٠) بتحليل موقف الشخصية الرئيسية ومن تلتقي به، ورؤاها، في لغة تقترب من لغة التقرير في غالب بنائها، ولم تستخدم أساليب الصنعة البيانية في الاحتفال بالصورة من استعارة وتشبيه، ووصف شاعري للمكان والأشياء إلا في مواقف محددة، مما يجعل ذلك الأمر وظيفيا يستخدمه الكاتب عند الحاجة إليه، حسب بنائه للقصة .

وكانت هذه القصة تتحدث عن موقف تعرضت له فتاة حجازية كانت تريد أن تدرس في كلية الآداب في بلد مجاور، عبر الكاتب به عن المفارقة بين هذا المجتمع وذاك، وأثر الجذور الأخلاقية التي تحملها الفتاة من موقفها من حركة الحياة في ذلك المجتمع، ومن موقفها إزاء الحدث الذي تعرضت له، حيث كادت أن تقع في حبال الغرام مع شاب رأت منه تصرفا غريبا مع غيرها، فاستجمعت كل المؤثرات لتتخذ قرارها بالعودة إلى بلدها.

وهذا الأمر يبرز لنا تلك الرؤية النقدية التي نعي محاذير الانفتاح والاختلاط بالمجتمعات الأخرى.

ولقد كان الحديث من الفتاة عن هذه المفارقة حديثا انتقاديا يأتي في صورة تقرير خطابي، يترجم موقف الكاتب على نحو ما نلاحظ في قوله على لسان الفتاة «رأيتني أعيش على ضوء ما أرى في بيئة أشهد أنها كانت منحلة بصورة مقبنة، لا تتفق مع ما شاع في سمعتها المحترمة في بيئات المحافظين، وكنت أوي إلى غرفتي في المنزل الذي اختير لي بين عائلة اشتهرت بتدينها، ولا حديث لنفسي إلا هذه المفارقة العجيبة التي يحتقرها كل من يعتز أمثالي بتربته العالية. وكنت أهمس لنفسي بأن كل ما أشاهده من المستهترات لم ينشأ في بيوتهن النشأة الفاضلة التي نشأتها في بيتي طاهرة الذيل، بعيدة عن فجور الحياة، ومباذلهما الحفيرة».

وقد جاء قول الفتاة بضمير المتكلم مجسدا للعزلة، والانكفاء على الذات مما جعلها تكرر الفعل المضارع للمتكلم «أعيش... أرى... أشهد...».

وهذا بطبيعة الحال يجعل رؤيتها رؤية من وجهة نظر واحدة، استسلمت لما عليه عليها تفكيرها مما جعل الحديث يؤول إلى بوح جهير للذات «ولا حديث لنفسي... ولعلها حين وجدت في حدة التعارض بينها وبين الآخر ما يجعل تفكيرها هذا همسا للنفس «وكنت أهمس لنفسي...».

ومما يتصل بهذا الانكفاء بسط الحديث حين تتحدث عن تنشئتها، إلى الحد الذي تستدعي فيه تكرار كلمة النشأة، وتأكيدا بالوصف وذلك لالتجائها إلى هذا

الأصل الذي يلي عليها تصرفها، فقد حملت هذه العبارة «... لم ينشأ في بيوتهن النشأة الفاضلة التي نشأتها...» مفارقة نشأتهم لنشأتها، والإلحاح على تميز نشأتها التي كان حديثها يشعر بالاعتزاز بها إلى حد النرجسية، واستدعاء الموروث التراثي في الكناية عن الطهر والنقاء «طاهرة الذيل».

لقد قدمت لنا في هذه الفقرة رؤية محدودة، تسير على ضوئها تصرفاتها في بقية القصة.

كانت اللغة في هذه القصة في مجملها تسير على غمط تقرييري يعتمد على الإخبار بالحدث، ووصف وقوعه، إلا أنك لا تعدم فيها تصويراً لغوياً ينمو من الحدث، وعلاقة الفتاة بالموقف فيكون الغرض حينئذ من اللغة، وضع القارئ على استبانة الرأي ووجهة النظر فيما تتعرض له في حياتها اليومية التي تضعها في وضع مخالف لما ألفت في بيتها تقول الفتاة في هذه القصة: «كنت ألاحظ أن بعض زملائي يستجمع قواه في إصرار لبيادني تحية الصباح، ولكن مع هذا تأبى ألفاظه إلا أن تلتاث وتضطرب، فلا أزيد على أن أحرك شفتي بصورة لا تكاد ترى، كأني أرد تحيته وأنا أنظر نظرة عجل إلى عضلات وجهه، وهي ترتجف لأتحول بوجهي إلى كرسي في يدي أو إلى زميلة تمد يدها لأصافحها بكبرياء وعجرفة لأنني أعرف أنها ستزهو بين زميلاتها بأنها لمست يدي»!!

لقد جاءت هذه الفقرة نمواً لذلك الانكفاء على الذات والاعتزاز بها في الفقرة السابقة، فقد هيأ ذلك لها أن تضع الذات في موقف متعال، وأن تفسر الحدث المعتاد في تلك البيئة لطالبة من طالبات الجامعة، بأنه حرص على التردد إليها والظفر بها، إلى الحد الذي تجعل فيه مصافحة زميلتها زهواً لها بين الأخريات، ولعل ذلك كان هروباً إلى الرضا النفسي بقناعاتها وبذاتها، حيث كانت ترى يدها طاهرة نقية؛ فكان مدها لإحدى زميلاتهن تفضلاً وكرماً.

وجاءت اللغة هنا سائرة في رسم تلك المسافة البعيدة بينها وبين زملاء، مصورة الجهد الذي يبذله أحدهم في بلوغ هذه المسافة «يستجمع قواه في إصرار

..... تأبى ألفاظه إلا أن تلتاث وتضطرب .. وأنا انظر نظرة عجلى إلى عضلات وجهه وهي ترتجف ...»

وفي لحظات من أحداث القصة تجلجك في دوامة التشكيل التصويري الذي يتكئ على شاعرية اللغة، حيث ترسم اللغة للحدث أبعادا تدخل القارئ في تصور عالمها، وكانت هذه اللحظات هي لحظات الرصد لحالات تستجمع التصور الإنساني للوقوف على عواملها النفسية في حالات الإبانة عن لوايح النفس الإنسانية، ووقوفها في حالي التردد والإقدام، ووقوعها في أسر السيطرة النفسية للآخر، وذلك في مثل قول الكاتب على لسان بطة القصة: «واني لفي وقفتي، وإذا بقامته الهيفاء تخطر من بعيد متجهة نحوي .. فاستمسكت رغم الرعشة التي انتابت مفاصلي وهزت كياني .. استمسكت بكل ما أملك من قوى خشية أن تنم حركاتي إذا واجهني عن مشاعر لا أرضاها لنفسي».

وفي مثل قولها: «اشتد الألم بي في وقفتي، وكنت على عزم الدخول لأدرك بعض ما فاتني من حصص الدراسة، فانقبض صدري دون ذلك، وتخيلت الكلية بما فيها ومن فيها وحشا كاسرا فغرفاه ليلتهمني، فأوليتها ظهري، ورحت أعدو بعيدا عنها». كما تجلج ذلك في حالات من الإحساس الإنساني نحو الطبيعة، في حالة الحاجة الإنسانية إلى شذا الطبيعة وجمالها، انصرافا عن الناس وذلك في مثل قولها: «وقادنتي قدماي إلى الحديقة على أمل أن يطفئ شذاها الرطب ما اشتعل بين جوانحي ...».

ولقد عبر الكاتب عن مثل هذه الحاجة عند احتدام اللوايح النفسية، وتزاحم ضغوطها، في وقفة الفتاة أمام اللوحة، حيث تفصح عن ذلك في قولها: «ولكن هاتفا في أعماقي كان يهتف بي ألا أجمد فمتعة النظر إلى اللوحة الجميلة تقشع صدأ النفس، وتفتح مغالبها على معاني الحياة، فتطرد السأم وتبدد أكثر ما تعاني من ملل العيش الرتيب».

إذن نحن في هذه القصة أمام غطين من اللغة، غط يسير على نحو تقريري في

وصف الحدث، في لغة لا تحفل بالتصوير الشعري، وغط آخر يحفل بذلك التصوير فيجعل اللغة تطل بقناع كثيف على سير الحدث مما يجعلنا نسلم بأن طريقة البناء اللغوي بأي من هذين النمطين تقوم بدور وظيفي له قيمته التي تتضح من خلال الانتقال بين هذين الطريقتين.

ولم يكن بناء القصة متيحاً لتعدد قائلتي الخطاب، أو مفاعلاً بين أقوالهم حيث سيطر على بناء هذه القصة السرد بضمير المتكلم، فلم يكن لدينا شخصيات متعددة تتناوب الكلام، وينمو بينها الحوار، إضافة إلى تعاقب الزمن على نحو متتابع، مما يجعلنا أمام غط بنائي طوعت أحداثه للتوافق مع هدف الفكرة التي أراد الكاتب أن يعبر عنها، مما حدا باللغة في مواقف كثيرة من هذه القصة أن تسهب في إيضاح الرأي، ومناقشة الموقف، وترجمة خواطر النفس نحو القرار الذي تريد أن تتخذه، الأمر الذي يمكن أن نقول معه، إن اللغة كانت تأتي من خارج الحدث وإن صهر الأحداث لم يكن ليظهر في حركة اللغة بسبب من ذلك التناوب المبسط بين حركة الأحداث والأفكار التي يريد الكاتب الإفصاح عنها. ولربما دعانا تأمل العلاقة بين الحدث وحركة اللغة في هذه القصة إلى أن نقدم لذلك مغزى فنيا يتكئ على حالة الانفصال التي عاشتها بطلة القصة في الحياة الاجتماعية التي تحملها بالامتزاج معها والتعايش مع شخصياتها، فكانت إزاء كل ما ترى منكفئة على نفسها، ولم تكن الظروف مهيأة لتوافق يتشملها من دوامة الأفكار التي سيطرت عليها وعلى رؤيتها للأحداث، فجاءت لغتها مترجمة لحالها. ومن هنا كانت التقريرية والخطابية التي تحملها القصة مستجيبة لحركة الحدث الذي أراد الكاتب تصويره.

وقد كان ذلك منسجماً مع جنس شخصية القصة (السارد) فهي أنني تحمل الحياء والخرج، والتردد في قبول المغامرة.

ثم إن لغة القصة وعدم إدخالها العامة فيها، كما هو شأن السباعي في بعض قصصه الأخرى يتفق أيضاً مع هذه الشخصية بمستواها الدراسي، ويتسق أيضاً مع حالة الانكفاء إذ من شأن الإفصاح عن حوار عامي الإنباء عبر توغل في الحياة

الاجتماعية في تلك البيئة وهذا ما لم يحدث من هذه الفتاة .

الاعتماد على سرد المتكلم:

استمدت القصة لدى الرواد من المقال عناصرها بما تلبسته من أفكار إصلاحية ، وبما جاء فيها من لغة تتخذ سبيل الإقناع من تأكيد وتكرار واستشهاد ، وإيغال في التصوير في دوائر التجميل أو التنفير ، لكن الأمر كما يرى سعيد السباعي ينبغي أن ينصب على تفكيك عناصر هذا البناء والبحث عن الهوية الخاصة لأسلوبية القصة التي تميزها عن المقال (١١) . ولما كان نظرنا في هذه الدراسة يتجه إلى حركة اللغة ، فلنأزعم أن تأمل ذلك يفضي إلى إعادة النظر في بعض المسلمات السائرة في ذلك وتمييز بعض القصص عن بعض ، فإذا كنا في تحليل قصة السباعي السابقة قد وقفنا على نمطين من اللغة ، نمط يسير على نحو تقرير في وصف الحدث ، في لغة لا تحفل بالتصوير اللغوي ، ونمط آخر يجعل اللغة تطل بقناع كثيف على سير الحدث ، وتبيننا من خلال ذلك بأن اللغة تقوم بدور وظيفي في بناء القصة في تحولها من نمط إلى آخر . وأن طبيعة الحديث الانتقادي من الفتاة لطبيعة ما تراه من نمط للحياة في ذلك المجتمع الذي هاجرت إليه كون من ذلك الحديث إنابة عما يريد السباعي على لسانها . إذا كان الأمر كذلك في القصة السابقة ، فإن الأمر يختلف عند النظر إلى بناء قصة أحمد السباعي الذائعة الصيت «خالتي كدرجان» (١٢) ، تلك القصة التي لم يكن بناؤها الفني خاضعا لأدبيات المقال ، ذلك لأن إعلان الموقف من حال هذه العانس التي صاغها البناء القصصي لم يكن ليظهر إلا في كلمات يسيرة على لسان بعض الشخصيات بخلاف ما رأيناه في القصة السابقة .

ففي «خالتي كدرجان» نجد حضورا لفاعلية الراوي في نسيج هذه الأحداث ، حيث قسم ذلك الحضور القصة إلى قسمين ، القسم الأول : ظواهر تصرف هذه المرأة ، ورصد الراوي عن قرب لذلك الأمر ، وإظهار المفارقة بين رأيه في ذلك ورأي الآخرين . والقسم الثاني : الوقوف على تفسير لرأي الآخرين في ظواهر

سلوكها بحكاية قصتها وتوثيق ذلك من العجوز التي كانت من جارات أمه وتأكيد ذلك بأن استحلفها في تفسير تلك المفارقة .

وقد اعتمد الكاتب فيها على الراوي ، الذي صاغ على لسانه الحكاية ، وجعلنا منذ البدء أمامه وهو يروي الحدث الملتصق به ، إذ جعل من هذه المرأة خالة له ، فجعل عنوانها «خالتي كدرجان» ، وجعل من وصفه لحالها شيئاً مرتبطاً بذاته ، ومقترناً بأيام طفولته ، وجعل نظره لهذه المرأة تتحول بين الاندهاش أيام الطفولة ، وبين التفسير والتبرير لما كان يرى حين شب عن الطوق .

ولعل هذا الأمر قد أضفى على اللغة في هذه القصة شيئاً من الحيوية الفاعلة ، إذ توغل الأحداث في زمن الطفولة المليء ليتغلغل ذلك الأمر في تفكيره حين يستعيد تفسير ما كان يرويه على ضوء رواية العجوز ، فيحمل شيئاً من الشفقة والمطف عليها ، وقد لحظ الدكتور منصور الحازمي مسألة ارتباط قصص السباعي بأيام الطفولة وأعاد ذلك إلى تعلق السباعي بفترة أثرت في طفولته تأثيراً بالغاً ، وهي فترة أواخر العهد العثماني في الحجاز وأوائل العهد الهاشمي . . . (١٣)

يقول الحازمي : «إن الكاتب في أكثر كتبه وقصصه يحاول استعادة تلك الحقبة التاريخية العتيقة وانتشالها من برائن الإهمال والنسيان لا حياً فيها بل إنقاذاً للذكريات الطفولة مهما كانت مرارتها في فمه وقلبه ولسانه» (١٤)

وعن الطفل السباعي في هذه القصة يقول الحازمي : «لذلك فإننا لا نستغرب إذا وجدنا أن الطفل هو البطل الحقيقي في قصة السباعي ، يقوم بدور الراوي الذي يلاحظ ويرصد ويتدسس في كثير من الخبث والذكاء كما في قصة السباعي «خالتي كدرجان» (١٥) ، وكان من البدهي تبعاً لهذا التفسير أن يقول الحازمي بعد ذلك : «إن هذا التعلق العاطفي الشديد بالماضي ، وبالطفولة وأيامها وأحداثها ، قد جعل قصص السباعي أشبه بالذكريات الشخصية التي تتحدث عن وقائع حقيقية شاهدها بنفسه أو رويت له ، فهو يعيد روايتها بطريقة الخاصة . . . » (١٦) . ولكن ذلك لا ينبغي أن يؤدي إلى التقليل من فاعلية بناء قصص السباعي ، وتقدير الدور الحيوي

للطفولة في بنائها، بجعل ذلك شيئاً وظيفياً في بنائها وليس مجرد استعادة للذكريات، والفصل في ذلك هو البحث عن حركة اللغة في مثل هذه القصة.

نستطيع أن نوجز مسيرة الحدث العام لهذه القصة - التي تؤكد على أن إيجازها هنا لا يغني عن بنائها الكامل - في ذلك العرض لحالة كدرجان وهي في سن الخمسين ولا ترغب الإفصاح عن عمرها، ثم في حال ذلك الطفل الذي يلتجئ إلى بيتها يخبئ عن أقرانه في حركة اللعب، ويرصد حركاتها التي تغالب الزمن بلباس أنيق، وترتيب مستمر لأناث بيتها، وقيام بملء فراغها بالحركة في نصبة الشاي وتنظيف الأواني وتلميعها، وملاحظة الطفل للنعممة التي تتناول بها الأشياء . . .

ثم في التوجع الذي يلاحظه على أمه وجاراته كلما مر بينهما ذكرها، ثم طلبه لمعرفة حقيقة خبرها من عجوز تخبرها بأن والدها الذي جاور بأسرته وتوفيت زوجه لم يزوجها خوفاً من انتقال المال ليد أجنبية، ثم وقعت تحت وصاية ابن عمها الذي رفضت الزواج منه وبادلها العناد بعناد حيث رفض تزويجها، وعيشها بعد ذلك ترقب زوجها، إذ جاء من أقاربها من يحمل لها رسالة وأراد أن يتزوجها بعد عودته من بلده، ومضت السنين وهي تتصرف بوحى الأمل في ذلك الانتظار.

لقد كان لتلبس الراوي بمرحلة الطفولة أثره في التركيز على أمور أعطتها عينا الطفل شيئاً من الدهشة على ما نلاحظ في مثل قوله «وكنت كثيراً ما أشاهدها تجلس إلى (نصبة) الشاي وقد فرغت منه فتزيح (التبسي) و (الفناجين) وتركز في مكانهم فوق كرسي (النصبة) مرة ثم تأخذ بيدها مقصاً تمر به على شعر رأسها فتلتقط به شعرة من هنا وأخرى من هناك بيضاء ناصعة» ثم إن النظر الطفولي في الفرق بين معاملة وأخرى هو الذي أعطى لمعاملتها شيئاً من التميز، ذلك الأمر الذي قد لا يحسه من شب عن الطوق، إذ أن ملاحظة الطفل للتغير والاختلاف تعطي ذلك الاختلاف معنى مغايراً النظرة الكبير، وذلك لما في الأطفال من اندهاش في تلقي الأشياء، وقد التصقت الطفولة بحنو العانس على الطفل وارتياح الطفل للدخول إليها والجلوس عندها والاستماع إليها، فكان ذلك يجعل قوله «كانت

تخدم بيتها وهي في أحلى زيتتها تلبس (الكرتة) من قماش رقيق شفاف، وتعدّد شعرها بمشط تلمع فيه الفصوص، أما (الششب) الذي تتهادى به في خيلاء فكأنه لم يلبس في رجلها من يومه، وكنت ألاحظها وهي مغمورة في خدمتها رشيقة أكثر مما تعودت في بيتنا وفي جميع بيوت الجيران من حولنا» .

مساوقاً للصورة التي أراد أن يرسمها السباعي لهذه الشخصية، فكانت مشار تساؤل منذ الطفولة، وظل السؤال يكبر معه حتى عرف عنها ما سرده لنا.

ولقد كان وقوف الكاتب على سرد هذه الحيرة محيلاً على حديث اللغة حين أطل على ذلك الموقف من بعد زمني وعقلي يجعله يتأمل ويزرع في لغة التذكر فن السرد، على نحو يفصح عنه وكأنه من بناء القصة في مثل قوله «ولا أذكر في ذلك السن الغرير - أنه كان يعنيني من أمر خالتي كدرجان شيء كما ينبغي أن أوفق بين هذه الحياة الناعمة الرشيقة التي كانت تحياها «خالتي كدرجان» وتتألق في عيني كطفل وبين هذا التوجع الذي ألاحظه على أمي وجاراتها كلما مر بينهن ذكراها» ذلك أن اللغة في هذه القصة كانت تقيم الحدث، حدث الحالة وتصرفها وعلاقة الطفل به، وتقيم التعليق عليه في التفسير والتحليل، ولكن ذلك التعليق جاء مخالفاً لتعليقات كثيرة كانت تتخلل القصص في تلك الفترة، إذ جاء هذا التعليق متسقاً مع طبيعة السرد، وكأنه مما يستذكره الفتى ويسترجعه من أحداث الطفولة، وذلك لأن البناء في القصة جعل ذلك التعليق وظيفياً، إذ كان لتفسير تساؤل قام في ذهن طفل يرى مفارقة بين تصرف العانس وحديث الناس عنها. (١٧)

ولعل تأملنا لمثل هذه القصة، وسابقتها التي عاجلناها فيما مضى ينفي عن قصص هذه الفترة بعض الأحكام التي تسليخه عن الفن من مثل قول الدكتور بكري شيخ أمين: «تلك هي سمات المرحلة القصصية الأولى: أسلوب أدبي رائع، ورصف للصور الفنية والأخيلة المجنحة، واختيار متقن للألفاظ تعجب هواة الأساليب العربية الرفيعة، فيهتزون لقراءتها، ويطربون. ويقرأها هواة القصة الفنية

فلا تثير فيهم الحماسة ولا الانفعال بل لا تشدهم إلى ملاحقة حوادثها . . . (١٨)
إذ حاولنا أن نقدم ما نراه سبباً لاتخاذ اللغة هذا الأسلوب مما يجعل ذلك عملاً
فنياً أصيلاً.

اتخاذ العامية سبباً لنقل مشاهد الحوار في بعض القصص:

عني السباعي بأسلوبه اللغوي التصويري - كما سبقت الإشارة - واتخذ أحياناً
لتلك العناية وجهاً آخر، يتمثل في المطابقة بين الشخصية في بساطتها، وحياتها
اليومية، وما تنطق به، فيجعل الحوار بالعامية، وقد كان يؤكد على هدفه من هذا
الأمر في مثل قوله:

« . . لم لا نترك أبطالنا في القصص إذا كانوا شعبيين يتحدثون إلينا بلهجاتهم
الصادقة، وبأسلوبهم الشعبي الخاص، إن ذلك أوقع في النفس من أن تتكلف
للبلط الشعبي في قصتك ألفاظاً لا ينطقها، وأسلوباً لا يألفه ولا يتفق مع مستواه،
إنها الواقعية تلزمننا صدق اللهجة - وتمتعنا بما في الحياة من أساليب خاصة وألحان
عذبة» (١٩). ويتبين من حديث السباعي هذا أنه يرى ذلك الأمر سبباً لإصلاح
القصص؛ حيث يجذب الاتجاه إليه بطريقة الاستفهام الإنكاري، وكأنه يريد أن يخلي
الطريق لذلك الأمر حين يقول: « . . لم لا نترك أبطالنا . . يتحدثون . . بلهجاتهم
الصادقة وبأسلوبهم الشعبي الخاص ». ثم يؤكد على ميزة ذلك واختلافه عما لو كان
نطقهم بالفصحى. ويبين هذا أن السباعي واحد من أولئك الذين يعون قيمة فنهم،
وقيمة ما يختارون من أسلوب، مما يجعله يدعو إليه، وهذا يخالف ما يراه الدكتور
العطوي من أن الأدباء الأوائل لم يدعو إلى ممارسة الفن القصصي، ولم يكشفوا
عن تنظيره. (٢٠)

ومن الأمثلة على إجراء الحوار بالعامية لدى السباعي، ما جاء في قصته «بعد
أن طاب السفرجل» على لسان أهل الحارة و(أبو سعدية) (٢١):
« - عند الله ثم عنك يا أبو سعدية . . إحنأ ما نسينا إنك شلت الزينة على

رأسك . فتحت كيسك وبيتك . . الحارة ما تنسى لك جميلك . . إنا ترى عندنا خرجة عازمين أهل النقا في الشهدا . . . إنا بس نبغي الطليان منك والباقي على الله . . عندنا أبو صادق والشريم والبالغ برضهم أهل فزعة ما هم متأخرين بس أنت سيد الكل . . رأس القاينة .

- يا مرحبا . . حيا الله نياكم . . بس الحق صلاة العصر مع الجماعة وأرسلوا لي النقيب واللي تقولوه علي ماشي» .
لقد جاء السباعي بهذا الحوار ليغرس شخصية «أبو سعدية» من خلال ما يرسمه من مكانة اجتماعية، وما فيه من سماحة نفس وحب للخير، وليظهر ذلك في موقف حي .

وقد كان هذا الأمر لدى السباعي متسقاً مع اهتمامه بالمرسح، حيث كان يريد أن يظهر أبطاله في «صميم الحياة» - على حد تعبيره - ولينقل للقارئ ما تحمله العامية من سخرية وسخط وتعجب في المواقف التي يحكي مشاهدتها ويصورها، وكان السباعي يقصر العامية على الحوار، وعلى حديث الذات إلى نفسها، ويجعل سرد قصصه بالفصحى لأنه يعي مكانتها، وضرورة الالتزام بها، وإرثها الثقافي والقومي، فحين نقف على هذا المشهد من نقله لحديث المرأة مع زوجها حين جاءها بالطفل في قصة «اليتيم المعذب» (٢٢) - بالله ما قصر أعطاك هيا؟ الله يجزيك بالخير !! يا دكتور!! أنت بالله راجل هادا طولك! وهادا عرضك ينضحك عليك . يعني إنا ناقصين غلب . . رايح تجب لي غلب فوق غلبي صدقوا أهل المثل لما يقولوا: ما كفاني أبويه راح أبويه جاب أبوه»

نجده يقول بعد ذلك سارداً بالفصحى «قالت هذا وهي تضرب بيدها على صدرها في أسف واستياء . ثم ولته أكتافها وهي تواصل تقرعها في ألفاظ جافية، وعبارات قاسية»

ولكي ينقل لنا جفاء العبارات وقسوتها في هذه اللحظة، استحضر شيئاً مما قالته بالعامية فقولها قوله «قال أعطي له هيا الدكتور ما قصر . . الله يقصر عمرك

أنت والدكتور اللي اعطاك هيا» حيث تراها في هذه اللحظة يتلى عليها الوجود بمسألة إعطاء الدكتور الطفل فأخذت تردد ذلك ساخرة وساخرة . فهو يوظف العامية لحيويتها حين يلتصق القول بالشخصية وهي تحاور أو تتجادل نفسها، ويعتمد على السرد بالفصحى، فلا يكون إذن مازجا بين العامية المحلية والعربية الفصحى في أسلوبه القصصي كما يرى الدكتور الفوزان (٢٣) وإنما أسلوبه القصصي فصيح يتخذ العامية سبيلا أحيانا لنقل الحوار، وحديث الشخصيات إلى ذواتها.



الهوامش:

- (١) ولد أحمد محمد السباعي بمكة المكرمة عام ١٣٢٣هـ، وتوفي عام ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م. له جهوده الواضحة في الميدان الصحفي تحريراً وإصداراً وإدارة، فقد رأس تحرير صحيفة صوت الحجاز، وأصدر جريدة الندوة، وأسس مجلة (ومطبعة) قريش الأسبوعية.
- وشهر بعنايته بالمرح، وأصدر عدداً من الأعمال الأدبية والقصصية، ولمزيد من التفاصيل راجع ترجمته في: معجم الكتاب والمؤلفين في المملكة العربية السعودية: رقم ٣١٧ ص ٧١، ٧٢، الدائرة للإعلام المحدودة، الرياض، الطبعة الثانية سنة ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.
- (٢) د. بكري شيخ أمين: الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية: ٤٧، دار صادر بيروت سنة ١٣٩٢هـ.
- (٣) المصدر السابق: ٤٧٢
- (٤) د. منصور الحازمي: فن القصة في الأدب السعودي الحديث: ١١٥ دار العلوم، الرياض سنة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

- (٥) د. محمد صالح الشنطي: القصة القصيرة المعاصرة في المملكة السعودية ١٩، دار المريخ للنشر، الرياض سنة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- (٦) المصدر السابق: ٢٠
- (٧) وهذا يخالف ما أشار إليه الدكتور طلعت صبح السيد حين قال «وعلى هذا فإن السباعي يهجر في أعماله القصصية طريقة الشعر وأسلوبه» انظر كتابه: العناصر البيئية في الفن القصصي في المملكة العربية السعودية: ٤٦ نادي القصيم الأدبي ببريدة، الطبعة الأولى ١٤١١هـ / ١٩٩١م.
- (٨) انظر د. بكري شيخ أمين: كتابه السابق: ٤٧٠ وسعيد مصباح السريحي: تقليب الحطب على النار . . في لغة السرد: ٢٢ النادي الأدبي الثقافي بجدة، الطبعة الأولى سنة ١٤١٥هـ. و د. مسعد بن عيد العطوي: الاتجاهات الفنية للقصة القصيرة في المملكة العربية السعودية: ٢٦ نادي القصيم الأدبي ببريدة. الطبعة الأولى سنة ١٤١٥هـ.
- (٩) أحمد السباعي: أوراق مطوية: ٣٠٣ - ٣٠٧ نادي الطائف الأدبي. الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ، والاقباسات التالية من القصة أخذت منه.
- (١٠) أحمد السباعي: السابق: ٣١٣ - ٣٢٠ والاقباسات التالية من القصة أخذت منه.
- (١١) سعيد مصباح السريحي: كتابه السابق: ١٥
- (١٢) أحمد السباعي: خالتي كدرجان وقصص أخرى: ١١ - ١٩، مكة المكرمة، مطابع قريش ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م، والاقباسات التالية من القصة أخذت منه.
- (١٣) د. منصور الحازمي: كتابه السابق: ١١٣
- (١٤) السابق: ١١٣ - ١١٤
- (١٥) السابق: ١١٤
- (١٦) السابق: ١١٤
- (١٧) ويختلف ذلك أيضا عن تعليق السباعي في بعض قصصه مثل قصة «اليتيم

المعذب» التي يفضل فيها التعليق عن مسار السرد، حيث يتجه إلى خطاب القارئ فيقول مثلاً «ولو استطاع القارئ أن يهتك الأسرار عن حقيقة اللص لأدرك أنه صاحبنا علوة . . » انظر : أحمد السباعي : كتابه السابق : ٦٢ .

(١٨) د. بكري شيخ أمين : كتابه السابق : ٤٧٣

(١٩) جريدة حراء العدد ٥٢ ، ربيع الثاني ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م ، نقلاً عن : د. إبراهيم فوزان الفوزان : الأدب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد : ٧٤٦ / الطبعة الأولى ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، مكتبة الخانجي ، القاهرة .

(٢٠) د. مسعد عيد العطوي : كتابه السابق : ١٦ ، ومن الدلائل على وعي السباعي بما يتجه إليه في فنه القصصي قوله في بدء مجموعته «خالتي كدرجان» : «أردتها أقاصيص من صميم الحياة . . أردتها لتكون مرآة يصفحنها فيها واقعنا من غير رتوش !! وأنا أو مل أن نعالج بأمثالها بدواتنا الخاطئة !!»

(٢١) أحمد السباعي : كتابه السابق : ١٠١

(٢٢) السابق : ٣٦ والاقتباسان التاليان من الصفحة نفسها .

(٢٣) د. إبراهيم فوزان الفوزان : كتابه السابق : ٧٤٦ / ٢ .



التنافس السعودي البوسعيدي في جنوب غرب الخليج العربي ١٢١٢ - ١٢٢٠ / ١٧٩٧ - ١٨٠٥م

د. عويضة بن متيريك الجهني
قسم التاريخ - كلية الآداب
جامعة الملك سعود

تمهيد :

في بداية القرن الثالث عشر الهجري / أواخر القرن الثامن عشر الميلادي ، برزت على طول الساحل الشرقي لجزيرة العرب أربع قوى سياسية منها اثنتان رئيستان هما : الدولة السعودية وحكومة مسقط البوسعيدية ، واثنتان فرعيتان هما : الاتحاد القاسمي ومشيوخات العتوب ، وقد أبدت القوتان الرئيستان رغبة شديدة في التوسع وأخذتا في التنافس على النفوذ على القوتين الفرعيتين وغيرهما من قبائل جنوب غرب الخليج العربي .

ستحاول هذه الدراسة الإسهام في معرفة الظروف التي دفعت كلاً من الدولة السعودية وحكومة مسقط إلى التنافس على ولاء قبائل جنوب غرب الخليج ، من ناحية ، والدوافع التي أسهمت في توجيه مواقف تلك القبائل من كلا الدولتين من

ناحية أخرى . كما ستحاول الدراسة تحليل أثر مقتل السيد سلطان بن أحمد ، حاكم مسقط ، على مسار ذلك التنافس وعلى مواقف القواسم والعتوب وأهل الظاهرة منه . ولأن جذور هذا التنافس لها علاقة وثيقة بالظروف التي صاحبت نشأة القوى المشار إليها ، فقد تطلبت هذه الدراسة الحديث عن نشأة تلك القوى للتعرف على الجذور الأولى لذلك التنافس . ويعود اقتصر هذه الدراسة على الفترة المحددة أعلاه لكون بدايتها تمثل بداية التنافس والاحتكاك بين الدولة السعودية وحكومة مسقط ، بينما تمثل نهايتها مقتل السيد سلطان بن أحمد وما ترتب على مقتله من نتائج كان لها أثر بعيد على ميزان ذلك التنافس .

أ - ظهور البوسعيدين وحكومة مسقط :

في أواخر النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي ضعف نفوذ اليعاربة - حكام عمان - وأخذ زعماءهم يتنازعون الإمامة ، وقد أدى ذلك إلى انقسام القبائل العمانية (١) إلى فئات دينية - سياسية ، واستعانة بعض الزعماء المتنافسين بالفرس ضد خصومهم مما نتج عنه احتلال الحاميات الفارسية لبعض الموانئ والمدن العمانية عام ١١٥٠هـ / ١٧٣٧م (٢) .

كان من أبرز عمال اليعاربة في أواخر أيامهم ، أحمد بن سعيد البوسعيدي ، حاكم بلدة صحار . وقد استغل هذا الحاكم ضعف أسرة اليعاربة وتنافسهم على الحكم ووفاة اثنين من الأئمة اليعاربة المتنافسين في عام ١١٥٦هـ / ١٧٤٣م ونفور العمانيين من النفوذ الفارسي في بلادهم ، فأخذ في تقوية مركزه في صحار وحمل على عاتقه مهمة طرد الفرس من البلاد . وبعد أن نجح في إخراج القوات الفارسية من عمان ، اختاره العمانيون إماماً في عام ١١٦٢هـ / ١٧٤٩م . وبذلك وضع أساس أسرة حاكمة جديدة في عمان هي أسرة البوسعيدين (٣) .

تمتعت عمان بهدوء نسبي خلال فترة حكم الإمام أحمد بن سعيد الذي استمر قريباً من أربعين عاماً . لكن ذلك الإمام لم يستطع التغلب على مشكلة انقسام القبائل العمانية إلى هناوية وغافرية ، حيث كان الثوار والطامعون في السلطة يستغلون ذلك الانقسام للتخلص من نفوذ الحكومة المركزية ، كذلك لم يتمكن الإمام أحمد من فرض سلطته على جميع المناطق والقبائل العمانية ، خاصة مناطق الشمال (الصير) والظاهرة التي تنتمي أغلب قبائلها إلى الحزب الغافري (٤) . ويظهر أنه كان لضعف نفوذ الإمام أحمد بن سعيد في الصير والظاهرة وغيرهما من المناطق الداخلية ، وكونه حاكماً سابقاً لميناء صحار وأحد تجاره دور في تركيز ذلك الإمام لسلطته في أقاليم الباطنة والبلدان الساحلية واهتمامه الكبير بالتجارة والملاحة . حيث أصبحت مسقط بفضل ذلك الاهتمام وبفضل نشاط الأوروبيين التجاري

في الخليج وانتقال وكالة شركة الهند الشرقية من بندر عباس إلى البصرة في عام ١١٧٧هـ / ١٧٦٣م مركزاً تجارياً مهماً تمر به المراكب والسفن التجارية المترددة بين الهند وشرق إفريقيا والبحر الأحمر وحوض الخليج العربي (٥). خلف سعيد أباه الإمام أحمد بن سعيد عند وفاته عام ١١٩٨هـ / ١٧٨٣م ، لكن الإمام سعيد كان حاكماً منحازاً إلى الهناوية ، خاملاً قبع في عاصمته الرستاق في الداخل ولم يدرك التحول الذي كانت تمر به عمان (٦). ولما شعر ابنه ، السيد حمد بن سعيد بقرب فقدان أبيه للسيطرة على البلاد نتيجة لسوء سياسته وإصراره على البقاء في الرستاق وطمع أعمامه في الحكم ، احتال للقبض على زمام الأمور في مسقط منذ عام ١١٩٨هـ / ١٧٨٤م ، وأخذ يحكم أغلب الأقاليم العمانية وخاصة الساحلية وزنجبار في شرق أفريقيا من مسقط ، ولم يترك لأبيه سوى الإمامة وحكم الرستاق وبعض الأماكن الداخلية . وبذلك اقتسمت البلاد العمانية حكومتان ؛ الإمامة في الرستاق والداخل ، وحكومة مسقط في السواحل والأقاليم التابعة لها فيما وراء البحار (٧). وقد اهتم حكام مسقط خلال هذه الفترة بتطوير أسطولهم وتجارتهم وخاصة مع الفرنسيين في جزيرة فرنسا (ILE DE FRANCE) أو موريشوس (MAURITIUS) في غرب المحيط الهندي ، وحكام ميسور في الهند (٨).

عندما توفي السيد حمد في عام ١٢٠٦هـ / ١٧٩٢م سارع عمه السيد سلطان ابن أحمد للاستيلاء على مسقط والسلطة في عمان معتمداً على الحزب الغافري . ولما عجز إخوته الآخرون عن التغلب عليه ، عقد ممثلون عنهم اجتماعاً في بركة ، اتفقوا فيه على تقسيم البلاد بينهم ، فاستقل قيس بصحار ، ومحمد بالسويق ، وأحتفظ سلطان بمسقط وبركة والمصنعة والمناطق الساحلية وتدبير الشؤون السياسية العليا في الدولة ، وتركوا للإمام سعيد الرستاق والإمامة (٩).

أدرك السيد سلطان بن أحمد (١٢٠٧-١٢١٩هـ / ١٧٩٣-١٨٠٤م) مثل ابن أخيه وسلفه السيد حمد بن سعيد الأهمية المتنامية لمسقط والمناطق الساحلية التي اكتسبتها بفضل نمو التجارة في الخليج ، فاهتم بتطوير القوة البحرية والأسطول

التجاري العماني . كما أخذ في توسيع نفوذه السياسي والتجاري على سواحل الخليج العربي وسواحل فارس ومكران وساحل شرق إفريقيا ، فاستولى على جواهر وشهبار على ساحل مكران ، كما استولى على جزيرة البحرين لفترة قصيرة وجزيرتي قشم وهرمز في مدخل الخليج ، كما حصل على عقد إيجار لميناء بندر عباس من الحكومة الفارسية ، وطور تجارة زنجبار والمناطق المجاورة لها مع مسقط وموريشوس (١٠) .

وفي عام ١٢١٣هـ / ١٧٩٨م خافت حكومة الهند البريطانية من نشاطات الفرنسيين في الشرق على مصالحها في الهند والبحار الشرقية ، فعقدت معاهدة (قولنامه) مع السيد سلطان تعهد بموجبها ، باعتبار حكومة الهند صديقة له وصديقه صديقاً له وعدوها عدواً له وقطع كل علاقاته بالفرنسيين والهولنديين ، وأن يسمح للبريطانيين بإقامة وكالة بريطانية في بلاده ويمنحهم تسهيلات سياسية وتجارية وضرائبية كبيرة لم يكن البريطانيون يحلمون بها ، أو يجرؤ أسلافه من حكام عمان على التنازل عنها . (١١) ، ويظهر أن للتوجهات الجديدة لحكومة مسقط نحو البحر والتجارة والعالم الخارجي ، والمصالح التجارية العمانية الكبيرة والمتزايدة في الهند وسيطرة البريطانيين على تلك البلاد في نهاية القرن دوراً كبيراً في ذلك . ومن جهة أخرى ، فإن الانقسامات المذهبية والقبلية في عمان والطموحات الإقليمية والتجارية التي كان يسعى إليها السيد سلطان ، قد أدخلته في حروب مع أغلب القوى والقبائل في حوض الخليج . وقد اعتقد السيد سلطان أن البريطانيين الذين أصبحوا أكبر قوة في الهند والبحار الشرقية سيمدونه يد العون ضد خصومه ويساهمون في تحقيق طموحاته إذا تحالف معهم (١٢) .

أصبحت مسقط خلال حكم السيد سلطان بن أحمد العاصمة السياسية لعمان ، كما أصبحت المركز الرئيس (EMPORIUM) لتبادل التجارة بين حوض الخليج العربي وبين الهند والبحر الأحمر وشرق إفريقيا (١٣) . وقد ترتب على هذا التوجه الجديد في سياسة السيد سلطان وسلفه نتيجة مهمة وهي توجه اهتمام حكام مسقط

تجاه البحر والتجارة والعالم الخارجي وإهمالهم لأمر الإمامة والقبائل والأقاليم الداخلية . وفي هذا الوقت بالذات ، بدأت عمان تتعرض لضغوط سياسية وعسكرية من داخل الجزيرة العربية أخذت تمارسها الدولة السعودية ، وكان للتوجهات والاهتمامات الجديدة لحكام مسقط المشار إليها أعلاه ، الأثر الكبير في الكيفية التي استجاب بها السيد سلطان بن أحمد لتلك الضغوط والطريقة التي واجه بها حملات الدولة السعودية كما سنرى من خلال هذه الدراسة .

ب - ظهور الاتحاد القاسمي :

نتج عن ضعف أسرة اليعاربة والانقسامات الدينية والسياسية التي تبعت ذلك والتي سبقت الإشارة إليها انحسار نفوذ حكام عمان عن سواحل و قبائل شمال عمان (الصير) . وقد برز خلال هذه الفترة شيوخ القواسم في جلفار (رأس الخيمة) في الصير وتمكنوا من توحيد أكثر قبائل الصير تحت نفوذهم وتكوين قوة سياسية وبحرية في شمال عمان ، وقد شكل هذا الاتحاد القاسمي قسماً مهماً من الفئة أو الحزب الغافري في أواخر عهد الأئمة اليعاربة (١٤) .

اتجه القواسم في فترة مبكرة من القرن الثاني عشرة للهجرة / الثامن عشر للميلاد إلى البحر وامتلكوا المراكب من مختلف الأحجام واستخدموها في صيد الأسماك والغوص للبحث عن اللؤلؤ ، كما استخدموها في نقل التجارة بين الموانئ العمانية ، وبين موانئ حوض الخليج العربي وبين موانئ الهند (١٥) . وفي عام ١١٢٩هـ / ١٧١٧م أسهم القواسم مع الإمام سلطان بن سيف الثاني اليعربي في الاستيلاء على جزر قشم والبحرين ولارك وحصار هرمز . وبعد ذلك بعدة سنوات قام شيخ القواسم بإنشاء ميناء له في باسيدو على جزيرة قشم ، استقطب قسماً كبيراً من تجارة ميناء بندر عباس مما اضطر السيد درابر (W.H. DRAPER) وكيل شركة الهند الشرقية في ذلك الميناء إلى القيام بحملة بحرية ضد القواسم وإجبارهم على دفع تعويض عن الخسارة التي سببها ميناءهم الجديد لعوائد الشركة في بندر

عباس (١٦) .

لما جاء البوسعيديون إلى الحكم في عمان ، دخل القواسم وحلفاؤهم من قبائل الصير والظاهرة معهم في نزاع وحروب بسبب انتماء البوسعيديين للقبائل الهناوية واعتمادهم عليها ومحاولة الإمام أحمد بن سعيد مد نفوذه إلى بلاد الصير والشمال وحرص القواسم على الاحتفاظ باستقلالهم (١٧) . إضافة إلى تلك الدوافع الدينية والسياسية للنزاع بين البوسعيديين والاتحاد القاسمي كانت هناك دوافع اقتصادية مهمة أساسها المنافسة على نقل تجارة الخليج العربي والسيطرة على مدخل ذلك الممر المائي والجزر التي تتحكم في ذلك المدخل (١٨) .

إن من اللافت للانتباه أن كلاً من شيوخ القواسم والبوسعيديين برزوا خلال الفترة نفسها ، على إثر ضعف سلالة البعارة ونهاية دولتهم في عمان من ناحية ، وضعف نفوذ الدولة الفارسية في حوض الخليج من ناحية أخرى . وأبدى الطرفان كلاهما اهتماماً كبيراً بالملاحة والتجارة ، وكونا الأساطيل التجارية التي اشتغلت في نقل السلع بين موانئ الخليج المختلفة وبينها وبين موانئ سواحل الهند وشرق إفريقيا والبحر الأحمر (١٩) . وقد حاول الإمام أحمد بن سعيد كسب القواسم إلى جانبه والاستفادة من أسطولهم الكبير وتفوقهم البحري في تحقيق طموحاته السياسية والتجارية في حوض الخليج ونجح عدة مرات في الحصول على مساعدتهم وخاصة ضد الفرس (٢٠) . لكن شيوخ القواسم كانوا دائماً يصرون على استقلالهم بالسيطرة على السواحل الشمالية والتأكيد على أحقيتهم بالتحكم في مدخل الخليج وجزره القريبة من تلك السواحل . ولذلك كانت الحروب تتجدد بين الطرفين كلما شعر أولئك الشيوخ بأن حاكم عمان يهدد مصالحهم التجارية أو يحاول فرض نفوذه السياسي على مناطقهم (٢١) .

والواقع أن شيوخ القواسم كانوا أسبق من الحكام البوسعيديين في التنبه إلى أهمية السيطرة على مدخل الخليج وجزره واستغلال الفراغ السياسي والملاحى الذي نتج عن ضعف نفوذ الدولة الفارسية في حوض الخليج العربي . فقد استغل

الشيخ راشد بن مطر (١١٧١ - ١١٩١ هـ / ١٧٥٨ - ١٧٧٧ م) وابنه وخليفته الشيخ صقر بن راشد (١١٩١ - ١٢١٨ هـ / ١٧٧٧ - ١٨٠٣ م) الاضطرابات والفوضى التي أعقبت مقتل نادر شاه عام ١١٦٠ هـ / ١٧٤٧ م ، ثم وفاة كريم خان الزندي عام ١١٩٣ هـ / ١٧٧٩ م لمد نفوذ القواسم في بعض الفترات إلى موانئ وجزر الساحل الشرقي للخليج مثل جزيرة قشم ولنجه وكنج ولفت وغيرها . كما وقعت في أيديهم بعض قطع الأسطول الفارسي عن طريق تحالفهم مع ملا علي شاه حاكم جزيرة هرمز وبندر عباس وقائد الأسطول الفارسي (٢٢) . وقد ثمت قوة الاتحاد القاسمي خلال عهد الشيخين المذكورين وكثرت مراكبه وازدادت نشاطاته التجارية والعسكرية وأصبح يشكل أحد أهم القوى البحرية في حوض الخليج العربي (٢٣) .

أتاحت الخلافات التي أثارها بعض أبناء الإمام أحمد بن سعيد ضد والدهم منذ عام ١١٩٤ هـ / ١٧٨٠ م ، ثم الصراع بين أولئك الأبناء على الحكم بعد وفاته عام ١١٩٨ هـ / ١٧٨٣ م للقواسم الفرصة للتدخل في شؤون عمان السياسية والوقوف إلى جانب بعض أطراف النزاع ، حيث كان بعض أبناء الإمام أحمد وخاصة سيف وسلطان يتحالفون مع شيوخ القواسم في نزاعهم مع أبيهم ثم مع أخيه الإمام سعيد بن أحمد (٢٤) . وقد استغل شيوخ القواسم تلك الخلافات ومشاركتهم فيها لتدعيم استقلالهم وتوسيع نفوذهم في سواحل الشمال وموانئه ، فاستولوا على بعض المناطق والبلدان مثل خورفكان ، دبا ، رأس مسندم ، رمس ، الجزيرة الحمراء ، أم القيوين ، عجمان والشارقة ، وسيطروا على طول ساحل الصير الواقع بين خورفكان والشارقة (٢٥) . وبذلك سيطر القواسم على مدخل الخليج العربي عند رأس شبه جزيرة مسندم وقشم وأخذوا ينافسون العمانيين والعتوب والبريطانيين وغيرهم ممن يعمل في نقل التجارة وتضاربت مصالحهم بشكل خاص مع مصالح حكام مسقط .

ج - ظهور مشيخات العتوب :

العتوب هم جماعات من العشائر والأسر أبرزها آل صباح وآل خليفة وآل جلاهمة هاجرت من داخل الجزيرة العربية إلى ساحل الخليج العربي خلال القرن الحادي عشر للهجرة / السابع عشر للميلاد (٢٦) . وبعد حوالي نصف قرن من التجوال بين سواحل وموانئ الخليج العربي استقرت تلك العشائر في موقع بلدة الكويت في بداية القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر للميلاد ضمن نفوذ وتحت حماية شيوخ بني خالد ، حكام الأحساء (٢٧) . وقد تعلم العتوب خلال فترة تجوالهم في نواحي الخليج وبعد استقرارهم في الكويت ركوب البحر واقتنوا المراكب واشتغلوا بصيد السمك والغوص للبحث عن اللؤلؤ ونقل التجارة ، وامت بلدتهم نمواً سريعاً . وقد وصف الرحالة الدانمركي نيبور NIEBUHR الذي مر بالخليج عام ١١٧٩هـ / ١٧٦٥م ، القرن (GRAIN) الكويت) بأنه ميناء بحري يشغل سكانه على أكثر من ٨٠٠ مركب في صيد السمك واللؤلؤ والتجارة (٢٨) . وفي عام ١١٨٠هـ / ١٧٦٦م انفصل آل خليفة وغادروا الكويت جنوباً حيث استقروا في بلدة الزبارة الواقعة على الساحل الشمالي الغربي لشبه جزيرة قطر ، ثم انضم إليهم بعد فترة قصيرة بنو عمومتهم الجلاهمة (٢٩) . وتذكر المصادر أسباباً مختلفة لانفصال آل خليفة والجلاهمة ومغادرتهم الكويت إلى قطر أبرزها الضغوط التي بدأت تعرض لها مستوطنة العتوب التجارية من قبل بني كعب شيوخ المحمرة ، والخلاف الذي نشأ بين آل خليفة وآل صباح حول مشيخة البلدة (٣٠) . ويضيف السيد وarden F. عضو مجلس حكومة بومبي سبباً مهماً وهو أن آل خليفة الذين كانوا يديرون الأمور التجارية في المستوطنة أرادوا الانتقال إلى موضع قريب من مفاصات اللؤلؤ حول جزيرة البحرين للسيطرة عليها وممارسة الغوص بأنفسهم وزيادة ثروتهم (٣١) . وكان العتوب المهاجرون في البداية يريدون الاستقرار في جزيرة البحرين فلما رفض حكام الجزيرة ذلك أرسوا مراكبهم في الزبارة - قبالة

البحرين - ضمن نفوذ شيوخ بني خالد (٣٢) .

ثمت بلدة الزبارة بسرعة كبيرة بفضل توثيق العتوب لعلاقاتهم مع شيوخ بني خالد وقبائل شبه جزيرة قطر واهتمامهم الشديد بالغوص والتجارة باللؤلؤ وجعل بلدتهم مركزاً للتبادل التجاري بين مسقط وغيرها من موانئ الخليج وبين الأحساء ونجد ، وقد أسهم عدم فرض ضرائب استيراد أو تصدير في الزبارة في استقطاب عدد من تجار الخليج العربي إليها (٣٣) . لقد جعل العتوب من الكويت والزبارة مدناً أهلة بالسكان ومراكز تجارية نشطة وثرية ، فأشتغلوا بالتجارة والملاحة والغوص ، وملكوا المراكب من مختلف الأحجام وأخذوا ينقلون عليها السلع بين موانئ الخليج المختلفة ، واستفادوا من اضطراب الأوضاع في جنوب الخليج وبلاد فارس والعراق حيث انتقل إلى الكويت والزبارة عدد من تجار البصرة وغيرهم من تجار موانئ الخليج (٣٤) .

أثار ازدهار مشيخات العتوب وسيطرتها على قسم كبير من تجارة اللؤلؤ ونقل البضائع غير حكومة فارس وشيوخ الساحل الشرقي للخليج الخاضعين لنفوذها مثل شيوخ بني كعب وبوشهر ويندريق والقواسم وهرمز وغيرهم . وكان أشد أولئك الشيوخ تخوفاً من زيادة قوة العتوب ، الشيخ نصر آل مذكور شيخ بوشهر الذي كان يحكم البحرين أيضاً نيابة عن الفرس (٣٥) . لذلك ، أخذ حكام فارس والشيوخ التابعون لهم بزعامة شيخ بوشهر يشنون الهجمات على الزبارة والكويت منذ عام ١١٩١هـ / ١٧٧٧م ، لكن العتوب كانوا يتمكنون دائماً من صد تلك الهجمات ، مما أغرى شيخ الزبارة ، أحمد بن خليفة بالاستيلاء على البحرين في صيف عام ١١٩٧هـ / ١٧٨٣م بمساعدة قبائل قطر والجلالمة وعتوب الكويت وطردها الحامية الفارسية منها (٣٦) .

بالرغم من أن الشيخ أحمد بن خليفة لم يبادر إلى نقل مركز حكومته من الزبارة إلى البحرين ، إلا أن العتوب أضافوا إلى مناطق نفوذهم منطقة غنية بمواردها الاقتصادية وإمكاناتها التجارية . وقد عدَّ المؤرخ آرنولد ولسون A. WILSON

استيلاء العتوب على البحرين من أهم أحداث الخليج في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي وقارنه بأهمية ظهور سلطنة مسقط الذي حدث بعده بحوالي عشر سنوات (٣٧). أما السيدان صاموئيل مانستي S. MANESTY وهارفرد جونز H. JONES ، وكلاء شركة الهند الشرقية في البصرة فقد ذكرا في تقريرهما عن تجارة الجزيرة العربية وبلاد فارس الذي كتباه في صيف عام ١٧٩٠م (١٢٠٤هـ) ، أن استيلاء العتوب على جزيرة البحرين مؤخراً واستيطانهم بها قد شجع تلك القبيلة على شراء مراكب قادرة على الإبحار من هناك إلى الهند واستخدامها في رحلات تجارية إلى تلك البلاد ، وبذلك أصبحوا قادرين على إيصال اللؤلؤ إلى سورات مباشرة واستيراد السلع الهندية والأوروبية الضرورية سنوياً إلى الزبارة والقطيف دون الاضطرار إلى دفع الضرائب التي كانت تفرض عليها عند المرور بمسقط (٣٨) . وقد خلص مانستي وجونز في تقريرهما إلى « أن الكويت والزبارة والبحرين ... تخضع لحكومة العتوب الموحدة بزعامة الشيخين أحمد بن خليفة وعبدالله بن صباح اللذين كانا يتمتعان بمكانة مرموقة ونجحا في إحراز أهمية كبيرة لقبيلتهما التي تحظى الآن بالهيبة والاحترام في الخليج العربي وبالتالي أصبحت أقوى القبائل العربية المبحرة فيه . إن لدى العتوب مراكب كثيرة وكبيرة وقد سيطروا على كل تجارة النقل بين مسقط وموانئ الساحل العربي للخليج وعلى قسم مهم من تجارة النقل بين مسقط والبصرة . إن حكومة الكويت والزبارة والبحرين يمكن أن تقارن بحق من حيث الهيبة والخرم والعدل بحكومة مسقط » (٣٩) .

لقد أقام العتوب قوة تجارية وسياسية على الساحل الغربي للخليج العربي خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي واستقطبوا جزءاً مهماً من تجارة جنوب وشرق ذلك الممر المائي . وقد استفادت مستوطناتهم في الكويت والزبارة والبحرين من نمو الحركة التجارية التي نتجت عن نشاط الأوروبيين وغيرهم في حوض الخليج العربي خلال القرن الثاني عشر للهجرة / الثامن عشر للميلاد . كما استفادت أيضاً من اضطراب الملاحة في جنوب الخليج الناتج عن حروب القواسم

مع حكومة مسقط ، وتدهور الأوضاع الاقتصادية في العراق وخاصة البصرة بسبب طاعون عام ١١٨٧هـ / ١٧٧٣م وحصار الفرس لتلك البلدة ثم استيلائهم عليها بين عامي ١١٨٩ - ١١٩٣هـ / ١٧٧٥ - ١٧٧٩م ، وتدهور الأوضاع السياسية والتجارية في بلاد فارس بعد وفاة كريم خان الزندي عام ١١٩٣هـ / ١٧٧٩م (٤٠) . كذلك اقتطع العتوب قسماً مهماً من تجارة النقل البحري بين الهند وموانئ الخليج العربي ، وأصبحت مستوطناتهم مراكز استيراد لبضائع الهند وأوروبا وحوض البحر الأحمر ونواحي الخليج وتوزعها من هناك إلى الأحساء ونجد وبغداد ودمشق وحلب . وقد أسهم في نمو هذه المراكز تدني الضرائب المفروضة على السلع المارة بها (٤١) .

إن من أهم النتائج التي ترتبت على ظهور العتوب هي انتقال قسم كبير من النشاط التجاري والملاحي في حوض الخليج العربي إلى ساحله الغربي المتصل بنجد بعد أن كان ذلك النشاط مقصوراً على مدخل الخليج وساحله الشرقي . وأهم من ذلك أن ظهور وازدهار مستوطنات العتوب التجاري والملاحي كان على حساب موانئ جنوب وشرق الخليج وخاصة مسقط ، فقد اقتطع العتوب جزءاً كبيراً من تجارة النقل البحري في الخليج التي كان يسيطر عليها العمانيون وزادوا على ذلك بأن اقتنوا المراكب الكبيرة التي جلبوا عليها بضائع الهند مباشرة دون المرور بمسقط أو دفع الضرائب لها . ولما كان ازدهار نشاط مستوطنات العتوب الملاحي والتجاري متزامناً مع ظهور حكومة مسقط وتركيزها على النشاطات نفسها ، كان لا بد أن يحدث تنافس وصراع بين الطرفين وكان لا بد أن يحاول العمانيون استعادة امتيازاتهم السابقة والمحافظة على مصالحهم التجارية في الخليج .

د - ظهور الدولة السعودية في نجد وامتداد نفوذها إلى شرق جزيرة العرب:

ظهرت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية في نجد حوالي منتصف القرن الثاني عشر للهجرة / الثامن عشر للميلاد . وقد أزر تلك الدعوة الإصلاحية ، الأمير محمد بن سعود حاكم الدرعية (١١٣٩ - ١١٧٩ هـ / ١٧٢٧ - ١٧٦٥ م) . وقد توجت مجهودات الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود وابنه وخليفته الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود لنشر الدعوة وتطبيق مبادئها بتوحيد الأقاليم النجدية تحت مظلة حكومة مركزية في أواخر ذلك القرن ، هي الدولة السعودية (٤٢) .

كان يحكم واحتي الأحساء والقطيف وشرق جزيرة العرب آل حميد ، شيوخ بني خالد ، كما كان لآل حميد نفوذ على بعض قبائل وبلدان نجد . ولذلك كانوا أول من شعر بخطورة ظهور الدولة السعودية خارج نجد . قام شيوخ بني خالد بعدد من الحملات العسكرية ضد حكومة الدرعية ولمساعدة القوى المعارضة لها في نجد منذ عام ١١٧٢ هـ / ١٧٥٨ م ، لكن جميع تلك الحملات كان مصيرها الفشل . وقد أسهم في فشل جهود شيوخ بني خالد للقضاء على الدولة السعودية - بالرغم من قوة نفوذهم في الأحساء ونجد - التنازع المستمر على السلطة بين زعمائهم (٤٣) .

والواقع أن الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود الذي خلف أباه في الحكم (١١٧٩ - ١٢١٨ هـ / ١٧٦٥ - ١٨٠٣ م) بدأ يمد نظره إلى الأحساء وسواحل الخليج العربي قبل أن يتم توحيد الأقاليم النجدية (٤٤) . لكن الهجمات الهادفة إلى الاستيلاء على المنطقة لم تبدأ إلا بعد سيطرته على نجد في بداية القرن الثالث عشر الهجري . وقد استمرت غزوات السعوديين ضد بني خالد والأحساء والقطيف وقراها طوال العقد الأول من ذلك القرن حتى تمكنوا من كسر شوكة بني خالد وفرض نفوذهم على الأحساء والقطيف وسواحلها . وقد قاد أغلب تلك

الغزوات الأمير سعود بن عبدالعزيز وإبراهيم بن عفيصان ، وقد أسهم في تسهيل مهمة السعوديين في الأحساء والقطيف ، تجدد النزاع بين روماء بني خالد على السلطة منذ عام ١٢٠٠هـ / ١٧٨٦م (٤٥) .

كان من الطبيعي أن يلتفت القادة السعوديون بعد سيطرتهم على الأحساء إلى مستوطنات العتوب التجارية في الكويت وقطر والبحرين ، لأن هذه المستوطنات - فيما عدا البحرين - كانت ضمن نفوذ شيوخ بني خالد الذين ورث السعوديون سلطتهم هناك . هذا بالإضافة إلى مرور أغلب تجارة الأحساء ونجد عن طريقها ، ولجوء بعض المعارضين لحكم السعوديين إليها (٤٦) .

برزت الدولة السعودية خلال العقد الثاني من القرن الثالث عشر الهجري (١٧٩٦م / ١٨٠٥م) كقوة سياسية وعسكرية عظيمة امتد نفوذها إلى أغلب أقاليم جزيرة العرب ووصلت جيوشها إلى شمال عمان وجنوب العراق وإلى الحجاز وعسير وأطراف اليمن . وأصبحت تلك الدولة قوة مرهوبة الجانب ذات أثر كبير على جميع الأقاليم والقبائل المجاورة لها وخاصة في حوض الخليج العربي . وقد تزامن بروز وتوسع الدولة السعودية مع ظهور وازدهار دولة البوسعيديين في عمان ومسقط والاتحاد القاسمي في شمال عمان ومشيخات العتوب التجارية في الكويت وقطر والبحرين . وقد أعطى هذا التطور السياسي والعسكري والتجاري ثقلاً وأهمية للساحل الغربي من حوض الخليج العربي . وبما أن الدولة السعودية وحكومة مسقط كانتا أقوى تلك الكيانات فكان لا بد أن يدخل الطرفان في تنافس وسباق للسيطرة على الأقاليم والقبائل والكيانات السياسية الواقعة بينهما على الساحل الغربي للخليج العربي .

امتداد النفوذ السعودي إلى مستوطنات العتوب :

أوكل الإمام عبدالعزيز إلى قائده الموثوق ، إبراهيم بن عفيصان مهمة إخضاع شبه جزيرة قطر ، بعد أن أسهم في تثبيت النفوذ السعودي في الأحساء (٤٧) . وكان إبراهيم بن عفيصان متحمساً لإخضاع مستوطنات العتوب للنفوذ السعودي . والواقع أن إبراهيم وأباه سليمان كانا قد هاجما قطر والكويت قبل أن تستقر الأمور للسعوديين في الأحساء (٤٨) . تزامن استقرار نفوذ السعوديين في الأحساء والقطيف وتطلعهم لمد ذلك النفوذ إلى مستوطنات العتوب مع انتقال الوكالة البريطانية من البصرة إلى الكويت خلال الفترة من شوال ١٢٠٧هـ - صفر ١٢١٠هـ / مايو ١٧٩٣ - أغسطس ١٧٩٥ م . لذلك أسهم حرس ومدفعية الوكالة المذكورة في صد هجوم إبراهيم بن عفيصان على الكويت عام ١٢٠٨هـ / ١٧٩٤م (٤٩) . ويفهم من كلام الوكيل المشارك ، بردجز أن الضغوط السعودية على الكويت كانت مستمرة - أثناء وجود الوكالة في تلك البلدة على الأقل (٥٠) . وأن المستولين في الوكالة كانوا يرسلون بين فترة وأخرى هدايا صغيرة للأمير سعود ، وأنه كان هناك تفاهم جيداً بين السعوديين والوكالة ، وأن الأمير سعود كان يرغب في استمرار ذلك التفاهم ، لأنه كان قد كوّن تقديرًا خاطئاً عن القوة التي أحضرها البريطانيون معهم إلى الكويت (٥١) .

بعد مغادرة الوكالة البريطانية الكويت ، أمر الإمام عبدالعزيز مناع أبا رجلين ، أحد رؤساء قبيلة زعب التابعة له بمهاجمة الكويت في عام ١٢١٢هـ / ١٧٩٧ - ١٧٩٨ م . فرد عتوب الكويت بإرسال سرية لمهاجمة قبيلة زعب ، لكن أهل الكويت كانوا هم الخاسرون في المواجهتين (٥٢) . وقد وضع ثراء الكويت ، وموقعها الجغرافي - بين العراق وبين نجد والأحساء في طريق الحملات المتبادلة بين الطرفين - أهل تلك البلدة في موقف حرج . فكان كل من السعوديين وباشوات بغداد يحاول جذب عتوب الكويت ضد الطرف الآخر . فيذكر لوريير ، أن الحاكم

السعودي أرسل حملة ضد الكويت في عام ١٢٢٣هـ / ١٨٠٨م لأن شيخ الكويت رفض دفع الإتاوة له ، ولما فشلت تلك الحملة فرح باشا بغداد بذلك وأرسل هدايا لشيخ الكويت (٥٣) . والمرجح أن شيوخ العتوب في الكويت تمكنوا من التوصل إلى تفاهم وعلاقة خاصة تربطهم بالسعوديين ضمنت لهم الاحتفاظ بإدارة بلدتهم وتفادى الهجمات السعودية بالرغم من موقع بلدتهم الدقيق بين نجد والعراق . وربما يدل على وجود مثل تلك العلاقة الخاصة - بالإضافة إلى عدم تكرار مهاجمة الكويت - طلب السعوديين من أهل الكويت المشاركة في غزواتهم البحرية ضد بعض نواحي الخليج (٥٤) .

كتب إبراهيم بن عفيصان إلى الإمام عبدالعزيز يستأذنه في غزو عتوب الزبارة ، ولما وافق الإمام أخذ ابن عفيصان في فرض حصار على البلدة ، وذلك بمنع المترددين من السقاة والحطابة وغيرهم من الدخول إليها . كما تمكن من إخضاع بقية قرى وقبائل قطر والاستعانة بهم ضد عتوب الزبارة (٥٥) . ولما طال الحصار بدون نتيجة قرر ابن عفيصان أخذ الزبارة عنوة وشن الهجوم على تحصيناتها ، وعندما اشتد الضغط السعودي ، قرر عتوب الزبارة ، بزعامه شيخهم ، سلمان بن أحمد آل خليفة الانتقال بأموالهم وأولادهم إلى البحرين وتركوا البلدة خاوية على عروشها (٥٦) . لم يتمكن السعوديون من ملاحقة العتوب إلى البحرين لعدم امتلاكهم قوة بحرية ، لكنهم سيطروا على الزبارة وقطر التي بقى فيها قسم من العتوب هم الجلاهمة (٥٧) .

امتداد النفوذ السعودي إلى عمان الصير

بعد أن أحكم السعوديون قبضتهم على الأحساء وقطر ، بدأوا في إرسال جيوشهم بقيادة إبراهيم بن عفيصان ومطلق المطيري إلى عمان الصير حوالي عام ١٢١٢هـ / ١٧٩٧م . وقد تمكن هذان القائدان من إجبار بني ياس على دفع الزكاة وقبول مرشدين يعلمونهم أمور دينهم (٥٨) . فلما علم بذلك النعيم - أهل البريمي

- طلبوا من الإمام عبدالعزيز البيعة ، فقبل منهم وأرسل لهم مرشدين ، وطلب منهم الاتصال بصقر بن راشد شيخ القواسم وإقناعه بقبول الطاعة ومبادئ الدعوة الإصلاحية ووعدهم بالمساعدة العسكرية في حالة رفضه الدعوة . وأخذ النعيم وقتب وبنو ياس في شن الغارات على صحار وشمال الباطنة وبلاد القواسم (٥٩) . ولما عجز النعيم عن إخضاع القواسم أرسل إليهم الإمام عبدالعزيز قوة بقيادة مطلق المطيري الذي فرض حصاراً على رأس الخيمة اضطر الشيخ صقر بن راشد إلى طلب الصلح ، فتعاهد المطيري وشيخ القواسم على قبول الدعوة الإصلاحية والنفوذ السعودي حوالي عام ١٢١٤هـ / ١٧٩٩م (٦٠) .

في أواخر عام ١٢١٤هـ / أوائل ١٨٠٠م وصل القائد السعودي ، سالم بن بلال الحرق على رأس قوة حربية إلى واحة البريمي في شمال عمان . وجعل من تلك الواحة قاعدة لعملياته ، وبنى بها قلعة تحصنت بها قواته وأخذ في استقطاب قبائل البريمي والصير والظاهرة ، مثل النعيم والقواسم والظواهر والشواسم وبنى قتب للدعوة الإصلاحية ، والإغارة بهم على الباطنة . وأرسل الحرق من قاعدته في البريمي إلى السيد سلطان ، حاكم مسقط يطلب منه قبول الدعوة الإصلاحية وسلطة الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود (٦١) . بادر السيد سلطان بالتوجه إلى جلفار (رأس الخيمة) للحصول على مساعدة شيخ القواسم ، صقر بن راشد أو على الأقل عقد هدنة معه ، لكي يتفرغ لصد غارات السعوديين . ثم اندفع هو وأخوه ، السيد قيس ، حاكم صحار على رأس قواتهما للهجوم على الحرق في البريمي . وبعد عدد من المناورات ومحاولة الطرفين الاستعانة بقواسم رأس الخيمة ، تمكن الحرق من إلحاق الهزيمة بقوات السيد سلطان مما اضطره إلى التوصل إلى هدنة مع القائد السعودي وترك له السيطرة على واحة البريمي (٦٢) .

إن مما يثير الانتباه هنا ، أمران في غاية الأهمية ، أولهما النجاح السريع الذي حققه القادة السعوديون في عمان الصير والظاهرة والتفاف أغلب قبائل الإقليمين حولهم والقيام معهم في حرب البوسعيديين . أما الأمر الثاني فيتمثل في عدم

اهتمام السيد سلطان وأخيه السيد قيس بواحة البريمي وعدم حرصهما على إخراج الحامية السعودية منها ، بالرغم من الأهمية الاستراتيجية القصوى التي تتمتع بها تلك الواحة بالنسبة للباطنة والصير . فعندما تلقى السيد سلطان أول هزيمة على يد الحرق ، عقد معه هدنة وتركه يقيم مع حاميته في البريمي التي ظل هو وخلفاؤه من القادة السعوديين يتخذون منها قاعدة للمهجوم على الأقاليم العمانية والتحكم فيها . إن أقرب ما يمكن أن يقدم هنا من تفسيرات لنجاح القادة السعوديين في شمال عمان هي : الخلافات القبلية والمذهبية والسياسية بين البوسعيدين وأهل الباطنة وبين قبائل الصير والظاهرة والمناطق الداخلية ، مما دفع تلك القبائل إلى قبول دعوة القادة السعوديين والتحالف معهم ضد البوسعيدين . ومن ناحية أخرى ، فإن النشاطات الملاحية والتجارية التي كانت مسيطرة على اهتمام وتفكير السيد سلطان قد صرفته - على ما يبدو - عن الاهتمام بالقبائل والأقاليم الداخلية وإدراك مدى أهمية البريمي وقبائل الصير والظاهرة في صراعه مع السعوديين ، مما مكن السعوديين من استغلال تلك الظروف لصالحهم .

لا بد أن السيد سلطان قد أدرك خطورة امتداد نفوذ دولة قوية كالدولة السعودية إلى قبائل وموانئ وسواحل الخليج وعمان الصير والظاهرة على بلاده . وبما أن حاكم مسقط كان يهتم بمصالحه التجارية أكثر من اهتمامه بقبائله ومناطقه الداخلية ، فقد خاف على مشروعاته الإقليمية والتجارية ، وتأكد أنه إذا ما أضاف السعوديون إلى قوتهم البرية ، قوة العتوب والقواسم البحرية ، فإن الخطر سوف لا يقتصر على تهديد مصالحه التجارية في حوض الخليج فقط ، بل سيمتد إلى موانئ ومناطق الباطنة . وبما أن نفوذ السعوديين لم يمتد بعد إلى البحرين ، ولم يثبت على الاتحاد القاسمي ، فقد قرر السيد سلطان ترك جبهة شمال عمان البرية وتركيز جهوده العسكرية للاستيلاء على البحرين .

كان السيد سلطان قد حاول الاستيلاء على البحرين في عام ١٢١٤هـ / ١٧٩٩م ، فاحتجز ثلاثة من مراكب العتوب التجارية وأبحر لمهاجمة جزيرتهم ،

محتجاً بعدم دفعهم لضريبة العبور بمدخل الخليج . لكن العتوب أفسلوا ذلك الهجوم عندما اتصلوا بشيخ بوشهر وعرضوا عليه قبول السيادة الفارسية ودفعوا له الإتاوة (٦٣) . وبعد أن توصل حاكم مسقط إلى هدنة مع الحرق ، أعاد الكرة على البحرين للاستيلاء عليها قبل أن تقع في يد السعوديين . فتمكن من الاستيلاء على الجزر في عام ١٢١٥هـ / ١٨٠٠م ، وأجبر العتوب على الخضوع له ودفع الإتاوة . لكن العتوب سرعان ما تمردوا عليه ، مما اضطره إلى إعادة الكرة عليهم خلال السنة نفسها . ولكي يضمن السيد سلطان ثبات نفوذه في البحرين ، عين ابنه سالماً والياً على الجزر وأقام معه حامية في قلعة عراد في جزيرة المحرق ، وأخذ معه عدداً من زعماء العتوب رهائن ، بينما لجأ الباقون إلى مستوطنات العتوب الأخرى في الزبارة والكويت (٦٤) .

توجه السيد سلطان بعد ذلك بأسطوله إلى الكويت وطلب من شيخها الخضوع له . ويعتقد كل من السيد واردن ولورير أن شيخ الكويت لا بد أن يكون قد استجاب لمطالب حاكم مسقط ، لأن ذلك الحاكم سرح كل قواته بعد ذلك مباشرة ولم يهاجم البلدة (٦٥) . ويبدو أن عتوب الكويت لم يرغبوا في الدخول في صراع مع السيد سلطان وفضلوا التوصل إلى تفاهم معه على أمل الاستعانة به ضد السعوديين في حالة تهديدهم للكويت . من ناحية أخرى ، لم يجرؤ السيد سلطان على مهاجمة بلدة الزبارة المواجهة للبحرين والتي لجأ إليها عدد أكبر من عتوب البحرين ، لأنه لم يرد نقض الهدنة التي عقدها مع الحرق ومن ثم استشارة السعوديين وإعطائهم الذريعة لمهاجمة الباطنة .

عاد عتوب البحرين إلى الزبارة ، مستوطنتهم القديمة وخضعوا لسلطة السعوديين ، وطلبوا من الإمام عبدالعزيز المساعدة لاسترداد البحرين . فوافق الإمام على تقديم المساعدة المطلوبة ، لأن ذلك سيساعد على امتداد النفوذ السعودي إلى جزر البحرين ، وفي الوقت ذاته ، يبعد نفوذ حاكم مسقط عن العتوب . في أواخر عام ١٢١٦هـ / بداية ١٨٠٢م ، تمكن العتوب بمساعدة السعوديين وأتباعهم

في قطر من طرد السيد سالم والحامية العمانية من البحرين والاستيلاء عليها ، وبهذا مد السعوديون نفوذهم إلى جزر البحرين بمساعدة قوة العتوب البحرية ، وأخضعوا العتوب لسلطتهم وانتزعوا تلك الجزر المهمة وحكامها العتوب من قبضة حاكم مسقط (٦٦) .

لم يستطع السيد سلطان تقبل خسارته لجزر البحرين وانضواء العتوب تحت السيادة السعودية ، فقرر في صيف عام ١٢١٧هـ / ١٨٠٢م أن يصلح علاقته بالقواسم ويعددهم عن السعوديين ويتحالف معهم للاستعانة بهم على مهاجمة البحرين والزبارة وإخضاع العتوب . ولكي يضمن نجاح مشروعه ، طلب المساعدة العسكرية من حاكم شيراز وتابعه شيخ بوشهر ، وقاد بنفسه حملة بحرية قوية للهجوم على البحرين ، لكن حاكم مسقط فشل في مساعيه المذكورة . فلم يستطع إقناع القواسم بالتحالف معه ضد العتوب ، لأن علاقة السعوديين بهاتين القوتين البحريتين أصبحت قوية في هذا الوقت . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، كان قائد السعوديين في قطر ، إبراهيم بن عفيصان يساعد العتوب في الدفاع عن البحرين في الوقت الذي كان قائدهم الآخر ، سالم الحرق ، يعمل من قاعدته في البريمي على توطيد نفوذهم على القواسم وقبائل شمال عمان والظاهرة ، ويغزو بهم الباطنة ، مما أجبر السيد سلطان على وقف عملياته الحربية والعودة إلى مسقط للدفاع عن مناطقه الشمالية (٦٧) .

تمكن السعوديون مع نهاية عام ١٢١٧هـ / ١٨٠٢م من السيطرة على جميع قبائل الساحل الغربي للخليج . فقد أكد السيد وarden " أنهم (السعوديون) في هذا الوقت أخضعوا لنفوذهم الإسمي جميع الساحل الممتد من نهر البصرة إلى دبا التي تمثل الحد الفاصل بين مناطق حكومة مسقط ومناطق القواسم " (٦٨) . وهكذا نجح الإمام عبدالعزيز في كسب السباق الذي كان دائراً بينه وبين السيد سلطان على ولاء قبائل جنوب غرب الخليج العربي البحرية . ولم يقتصر هذا النجاح على حرمان السيد سلطان من إضافة قوة القواسم والعتوب البحرية إلى أسطوله الكبير ، بل إن

السعوديين حالوا بين السيد سلطان وبين تحقيق طموحاته الإقليمية والتجارية في الخليج وحرموه من تحقيق رغبته الشديدة في السيطرة على جزر البحرين . وإذا ما أضيف إلى ذلك نجاح الحرق في كسب ولاء قبائل الصير والبريمي والظاهرة وغيرهم من القبائل العمانية وتهديد عمان والباطنة تهديداً مباشراً ، تبين بوضوح ما آلت إليه أوضاع حاكم مسقط من حرج شديد ، مما اضطره إلى البحث عن مساعدة خارجية .

في ربيع عام ١٢١٦هـ / ١٨٠٢م قام السعوديون بغزوتهم المشهورة ضد مدينة كربلاء ، التي أثارت غضب كل من العثمانيين والفرس . وفي السنة التالية ، انتقض الصلح الذي كان معقوداً بين السعوديين والشريف غالب بن مساعد ، شريف مكة ، وأخذت القوات السعودية تزحف تجاه المدينة المقدسة (٦٩) . أطمعت هذه التطورات السيد سلطان في تعاون العثمانيين وشريف مكة معه ضد عدوهم المشترك ، وخاصة أنه تلقى في هذا الوقت عروضاً بالمساعدة من العثمانيين والفرس في حالة قيامه بمهاجمة السعوديين (٧٠) . غادر السيد سلطان مسقط في رمضان ١٢١٧هـ / يناير ١٨٠٣هـ متوجهاً إلى مكة لأداء نسك الحج . ويبدو أنه كانت تراوده فكرة التنسيق مع العثمانيين والشريف غالب ، الذين كانوا يواجهون - مثله - ضغوط السعوديين في غرب الجزيرة العربية . وهناك شهد السيد سلطان دخول الأمير سعود بن عبدالعزيز مكة ظافراً على رأس الآلاف من أتباعه . كما شهد ، كذلك ، مدى ضعف الشريف غالب والعمانيين وعجزهم عن التصدي للقوات السعودية ، وأدرك أن شريف مكة ربما كان أحوج منه للمساعدة . ولذلك ، عندما طلب الشريف غالب من السيد سلطان المساعدة العسكرية ، وعده بإرسال مقادير من المال والسلاح والذخيرة وفرقة من المقاتلين (٧١) . وربما كان دافع حاكم مسقط إلى تقديم هذا العون ، هو مساعدة الشريف على الصمود في وجه السعوديين مما يسهم في تخفيف ضغوطهم على الجبهة العمانية . عاد السيد سلطان من الحجاز إلى بلاده يائساً من قدرته على صد هجمات

السعوديين بمفرده ، ومن قدرة العثمانيين وشريف مكة على مساعدته على ذلك . وقد وجد حاكم مسقط عند عودته إليها أن ابن أخيه ، السيد بدر بن سيف ، قام أثناء غيابه ، بمحاولة للاستيلاء على قلعة المدينة ، ولما فشلت محاولته هرب إلى عجمان ثم من هناك إلى الدرعية حيث تحالف مع الإمام عبدالعزيز . كذلك استغلت القوات السعودية في البريمي وحلفاؤها من أهل الظاهرة ، غياب السيد سلطان وأخذوا يتوغلون في الباطنة (٧٢) لذلك قرر حاكم مسقط التوصل إلى هدنة مع السعوديين لكي يتمكن خلالها من تدبير أموره ، فأرسل وفداً إلى الدرعية ، نجح في عقد هدنة بين الطرفين مدتها ثلاث سنوات ، تعهد حاكم مسقط بموجبها بدفع زكاة سنوية مقدارها ١٢٠٠٠ ريال (دولار ماريا تيريزا) وقبول إقامة وكيل سنياسي سعودي وجماعة من الوعاظ في مسقط لنشر الدعوة الإصلاحية (٧٣) .

أغضبت المساعدات التي أرسلها السيد سلطان لشريف مكة - بالرغم من قلتها وضعف جدواها - الإمام عبدالعزيز ، فاعتبر ذلك نقضاً للهدنة ، وأعلن الحرب على حاكم مسقط في صيف عام ١٢١٨هـ / ١٨٠٣م ، وأرسل إلى شيوخ القواسم وشيوخ عتوب البحرين والكويت يأمرهم بمهاجمة سواحل ومراكب مسقط . ولم يقبل الحاكم السعودي منهم الاعتذار بحلول موسم الغوص وانشغال أتباعهم به وعدم رغبتهم في تفويته . كذلك أصدر الإمام عبدالعزيز أوامره إلى سالم الحرق ، قائده في البريمي للقيام بهجوم بري واسع على المناطق العمانية (٧٤) .

إن من اللافت للنظر ، عدم ذكر المصادر السعودية للهدنة والهجوم المشار إليهما أعلاه ، بينما تشير المصادر العمانية إلى الهجوم فقط . أما المصادر البريطانية فتذكر الهدنة والهجوم لكنها تجعل طلب السيد سلطان للهدنة نتيجة للهجوم ، ولا تجد تفسيراً لنقض السعوديين للهدنة سوى رغبتهم في الفراغ من أمر الحجاز ثم إرسال الإمدادات إلى قائدهم في البريمي لإخضاع عمان (٧٥) . وإذا كان السيد سلطان قد بعث مساعداته إلى جدة بعد عودته إلى عمان ، كما يذكر كيلى ، فإن

عودة حاكم مسقط إلى بلاده ثم إرساله تلك المساعدات ووصولها إلى جدة ثم وصول أخبارها إلى الدرعية ، لا بد أن يكون قد استغرق ما بين ثلاثة إلى أربعة أشهر ، وذلك يوافق منتصف صيف عام ١٢١٨هـ / ١٨٠٣م ، وهو الوقت الذي تحده المصادر البريطانية لصدور أوامر الإمام عبدالعزيز لكل من القواسم والعتوب والحرق لشن الهجوم على عمان (٧٦) . وعلى هذا ، فلا بد أن يكون الحاكم السعودي قد أمر بشن ذلك الهجوم البري - البحري بعد علمه بوصول المساعدات العمانية إلى الحجاز واعتقاده أن ذلك ناقض للمهدنة ورغبته في معاقبة حاكم مسقط . أما الشروط التي تعهد السيد سلطان بقبولها قبل أن يتعرض لهجوم واسع من قبل السعوديين ، فيمكن فهمها في ضوء اهتماماته الكبيرة بالتجارة وإقليم الباطنة وموانئها وإهماله للمناطق والقبائل الداخلية ، ورغبته في وضع حد للضغوط التي تأتي من ناحية البر لكي يتفرغ لأمر أكثر أهمية في نظره .

أبحرت مراكب العتوب والقواسم لمهاجمة مراكب وسواحل مسقط ، وبينما تمكن السيد سلطان من إلحاق الهزيمة بأسطول عتوب البحرين ، استطاع القواسم النزول في جزيرة قشم التابعة لمسقط (٧٧) . وفي الوقت ذاته كان الحرق وحلفاؤه من أهل الظاهرة والصير يتوغلون في مناطق الباطنة ، وتمكنت فرقة منهم من الوصول إلى ضواحي بلدة السوق الواقعة على بعد يومين من بلدة بركة ، المقر الصيفي لحاكم مسقط . أما الحرق وقواته الرئيسة فقد فرضت الحصار على صحار . ولما علم السيد سلطان بذلك أمر بعض القبائل الموالية له بالدفاع عن السوق ، لكن هؤلاء تلقوا هزيمة ساحقة على يد القوات السعودية في وادي الحيملي (٧٨) .

عقد السيد سلطان مجلساً عسكرياً في بركة ضم زعماء البوسعيدين وزعماء القبائل العمانية ، وأبلغهم مدى شدة ضيقه وحزنه لهزيمة قواته وتفرق حلفائه عنه وكثرة أعدائه المحاربين له ، وعجزه عن مواجهتهم ، وحصار القوات السعودية لأخيه السيد قيس في صحار . ولما تأكد من استعدادهم للوقوف معه طلب منهم جمع قواتهم وواعدهم بلدة الخابورة لإنقاذ بلدة صحار وإخراج القوات السعودية

من الباطنة . وبعد أن اجتمعت القوات العمانية في الخابورة ، وصلت الأخبار إلى الحرق وأتباعه بمقتل الإمام عبدالعزيز في الدرعية ، فرفع الحصار عن صحار وعاد إلى البريمي ثم توجه من هناك إلى نجد . وقد اكتفى السيد سلطان بهذه النتيجة فسمح لقواته بالتفرق وعاد هو إلى مسقط (٧٩) . وعندما علم العتوب وشيخ القواسم الجديد ، سلطان بن صقر ، بمقتل الإمام عبدالعزيز وعودة الحرق إلى نجد ، اعتقدوا أن سلطة السعوديين قد انحسرت عن جنوب الخليج وشمال عمان وخافوا من صولة السيد سلطان ، فسارعوا إلى مصالحته وتسوية أمورهم معه ، وقد حدا حذوهم الشيخ حميد بن ناصر الغافري كبير زعماء الظاهرة (٨٠) .

برهن السيد سلطان مرة أخرى ، على عدم اهتمامه بالمناطق والقبائل الداخلية عندما صرف قواته الكبيرة بمجرد علمه بزوال الخطر المباشر ، في الوقت الذي كان بإمكانه انتهاز فرصة وفاة الحاكم السعودي وانسحاب قائد حاميته من البريمي واستخدام تلك القوات للاستيلاء على تلك الواحة المهمة وحرمان السعوديين من قاعدتهم العسكرية التي تمكنوا بفضل موقعها الاستراتيجي من فرض نفوذهم في الصير والظاهرة ومهاجمة الباطنة ، وذلك مما يساعد حاكم مسقط على فرض سلطته على قبائل المنطقة والحيلولة دون عودة النفوذ السعودي إليها .

أما مسارعة شيوخ القواسم والعتوب والظاهرة إلى مصالحة السيد سلطان وتسوية أمورهم معه ، فتدل دلالة واضحة على ضعف ولاء هؤلاء الشيوخ للدولة السعودية وخوفهم من حاكم مسقط ورغبتهم في عدم انقطاع الصلة بينهم وبينه ، مما يقوي الاعتقاد بأن من أهم دوافع هؤلاء الشيوخ لموالاة السعوديين والتحالف معهم ، هو الاستعانة بالقوة السعودية لإبعاد نفوذ وهمينة حكام مسقط عنهم . ولذلك سارعوا إلى استرضاء السيد سلطان بمجرد علمهم بوفاء الحاكم السعودي وعودة قائده إلى نجد . والواقع أن القواسم بشكل خاص لم يبذلوا جهداً كبيراً في الهجوم الذي أمر به الحاكم السعودي ضد مسقط متعللين بعدم رغبتهم في ترك موسم الغوص .

أنخفت الحملات التي شنها السعوديون في شرق وغرب الجزيرة العربية خلال عام ١٢١٨هـ / ١٨٠٣م القوى المجاورة كالعثمانيين والفرس والبريطانيين ، فاتصل السيد سلطان بكل من حكومة الهند البريطانية والعثمانيين للتنسيق معهم لمواجهة الدولة السعودية . وبينما لم تنجح محاولاته مع حكومة الهند ، أبدى باشا بغداد رغبة أكيدة في التعاون معه للقضاء على السعوديين (٨١) . وقد بدا للسيد سلطان ، بعد توقف الحملات السعودية على المناطق العمانية وعودة الحرق إلى نجد ، أن القواسم والعتوب وأهل الظاهرة قد تخلصوا من تبعيتهم للسعوديين ، وأن الفرصة أصبحت مهيأة لاجتذابهم إلى جانبه وربما فرض نفوذه عليهم . كذلك أراد انتهاز فرصة انسحاب الحرق وقسم من حاميته إلى نجد ، وتوصل شيوخ القواسم والعتوب والظاهرة إلى سلام معه ، وانشغال الإمام سعود - الذي خلف أباه في الحكم - بحملاته في شمال الجزيرة وغربها ، وإصدار السلطان العثماني أوامره لباشوات بغداد والشام لإعداد حملة عسكرية ضد السعوديين خلال عام ١٢١٩هـ / ١٨٠٤م ، فأبحر من مسقط على رأس أسطول كبير ، طاف به في نواحي الخليج لإظهار قوته البحرية في المنطقة ، ثم توجه من هناك إلى البصرة للتأكد من مدى الاستعدادات العسكرية التي وعد باشا بغداد بتجهيزها للعمل ضد السعوديين (٨٢) .

لم يجد حاكم مسقط الاستقبال اللائق به ، ولا الاستعدادات العسكرية التي وعد بها في البصرة ، فعاد خائباً غاضباً إلى جنوب الخليج . وعندما اقترب أسطوله من جزيرة قشم ، نزل من فرقاطته الكبيرة المسماة " جنجارو " إلى مركب للنزول بواسطته إلى ميناء باسيدو . وعندما ابتعد المركب عن الأسطول ، هاجمته ثلاث مراكب تابعة لقواسم رأس الخيمة ، وخلال تبادل إطلاق النار بين الجانبين ، قتل السيد سلطان برصاص أحد المهاجمين في شعبان ١٢١٩هـ / نوفمبر ١٨٠٤م (٨٣) .

نتج عن مقتل السيد سلطان اضطراب سياسي واسع في عمان وجنوب

الخليج ، حيث أخذ أبناؤه وأخوته وأبناء إخوته يتصارعون على السلطة . وقد انقسمت الأحزاب والقبائل العمانية في تأييدها لأولئك المتصارعين ، وقد خلف السيد سلطان في حكومة مسقط ولداه سالم وسعيد اللذان تولى الوصاية عليهما - بسبب صغر سنهما - الشيخ محمد بن ناصر الجبري ، أحد أخوال أبيهما (٨٤) . وفي الوقت ذاته هب القواسم وحلفاؤهم ، بنو معين ، حين سمعوا بمقتل السيد سلطان للسيطرة على مدخل الخليج ، فاستولوا على ممتلكات حكومة مسقط في جزيرة قشم وهرمز ، وميناب وبندر عباس ، وأصبحوا يتحكمون في مضيق هرمز ومدخل الخليج ويستطيعون ضرب أي مركب تدخل أو تغادر ذلك الممر المائي (٨٥) .

جمع السيد قيس بن أحمد - أخو السيد سلطان وحاكم صحار - حوله عدداً من إخوته وزعماء آل بوسعيد وشيوخ القبائل وأتباعهم وأخذ في نهاية عام ١٢١٩هـ/ بداية ١٨٠٥م ، يستولي على حصون وبلدان الباطنة وهو في طريقة إلى مسقط للاستيلاء عليها من أبناء أخيه . وعندما اشتد حصار السيد قيس لمسقط ، قرر السيدان سعيد وسالم وعمتهما السيدة موزة والوصي محمد بن ناصر الجبري الاستعانة بابن عمهم ، السيد بدر بن سيف ، حليف السعوديين (٨٦) . وقد سبقت الإشارة إلى فشل محاولة السيد بدر للاستيلاء على حصون مسقط ولجؤته إلى الدرعية ، وكان الإمام عبدالعزيز قد أمر القبائل التابعة له في شمال عمان بمساعدته ، وبعد فشل محاولتين لغزو عمان ، عاد السيد بدر إلى الدرعية لمقابلة الإمام سعود وطلب مساعدته . وحين قتل عمه السيد سلطان ، كان السيد بدر في الزبارة يعد العدة للهجوم على عمان (٨٧) .

اتفق استنجد أبناء السيد سلطان بالسيد بدر مع خطته للاستيلاء على السلطة في مسقط ، فغادر الزبارة على وجه السرعة إلى مسقط ، حيث وجد أبناء عمه على وشك الاستسلام لعمهم ، السيد قيس . فبادر إلى الاستعانة بحليفه الإمام سعود الذي أمر الحامية السعودية في البريمي وحلفاءه من أهل الظاهرة بمهاجمة صحار .

فلما علم السيد قيس بمحاصرة القوات السعودية لبلدته ، توصل إلى صلح سريع مع أبناء أخيه وعاد للدفاع عنها (٨٨) . لم يأس السيد قيس من الاستيلاء على الباطنة ومسقط . فعاد بعد عدة أسابيع لحرب أبناء إخوته واستولى على مطرح وفرض الحصار على مسقط ، فاضطر السيد بدر إلى الاستنجاد بالسعوديين مرة أخرى . أمر الإمام سعود حاميته في البريمي بقيادة محمد بن عبدان ، وأهل الظاهرة بقيادة الشيخ حميد بن ناصر الغافري وقبائل الصير والشمال مثل بني ياس والمناصير وبني راسب وغيرهم ، بمهاجمة الباطنة . كما أمر الحاكم السعودي عتوب البحرين والزبارة بالتوجه بأسطولهم لمساعدة السيد بدر . أدرك السيد قيس عدم قدرته على مواجهة تلك الجيوش التي أحاطت به من ناحيتي البر والبحر ، فاضطر إلى التوصل إلى صلح آخر مع أبناء إخوته وتخلي عن مطرح وعاد إلى صحار (٨٩) .

تجدد القتال مرة ثالثة بين السيد قيس وأبناء إخوته وأتباعهم في صيف عام ١٢٢٠هـ / ١٨٠٥م حيث استغل السيد قيس هذه المرة انشغال السيد بدر في استعادة موانئ وجزر مدخل الخليج من القواسم وحلفائهم ، وتحالف مع القواسم وحليفهم ملا حسين ، حاكم قشم ، وبدأ في مهاجمة الباطنة . ولم يكن أمام السيد بدر سوى الاستعانة مرة ثالثة بحامية السعوديين في البريمي والقبائل الموالية لهم في الصير والظاهرة والعتوب . فجاءت لنجدته الحامية السعودية بقيادة ابن معيقل وقبائل الظاهرة والشرقية بقيادة حميد بن ناصر الغافري وعيسى بن صالح الخارثي ، وفرق من العتوب وبني ياس . ومرة ثالثة ، فشل السيد قيس في الاستيلاء على مسقط ، واضطر إلى الانسحاب إلى صحار (٩٠) .

أدت المساعدات العسكرية المتكررة التي قدمها الإمام سعود للسيد بدر إلى إفشال محاولات السيد قيس للسيطرة على مسقط وصمود السيد بدر لضغوط منافسيه الكثيرين . كذلك أدت تلك المساعدات إلى توثق علاقة السيد بدر بالسعوديين واعتماد سلطته على دعمهم وإلى امتداد النفوذ السعودي إلى الباطنة ومسقط . وقد دفع ذلك الإمام سعود إلى اعتبار السيد بدر كأحد أمرائه الذين تجب

عليهم الطاعة وإرسال الزكاة السنوية إلى الدرعية . ولكي يحافظ الإمام سعود على ثبات نفوذه في مسقط عين وكيلاً سياسياً يقيم في مسقط وجماعة من المعلمين والوعاظ يقومون بنشر مبادئ الدعوة الإصلاحية وتطبيقها في البلدة ، إضافة إلى إقامة حامية سعودية في بركة بالقرب من مسقط . وقد بعث الحاكم السعودي فيما بعد برسالة للسيد بدر يأمره فيها بالقيام بواجب الجهاد في نواحي الهند (٩١) .

كان من أهم النتائج التي ترتبت على غياب السيد سلطان عن الساحة السياسية والعسكرية في جنوب الخليج ، امتداد النفوذ السعودي إلى مسقط وسيطرة القواسم على مدخل الخليج العربي ، وقد تمخض هذا الوضع الجديد عن تغييرات جذرية في حسابات القوى المختلفة في المنطقة ، وبالتالي تبدل ولاءاتها بشكل غريب - ولم يستطع حتى السيد فرانسيس واردن ، سكرتير وعضو مجلس حكومة بومبي المعاصر لتلك الأحداث فهم دوافع تلك التبدلات (٩٢) .

لقد شعر العتوب ، الذين كانوا أكثر من غيرهم تعرضاً لضغوط الدولة السعودية - بسبب قرب مستوطناتهم من الأحساء ونجد - بثقل وطأة السلطة السعودية عليهم . كما رأوا في نفوذ الدولة السعودية في مسقط ، وسيطرة القواسم على مدخل الخليج تهديداً خطيراً ، ليس لمصالحهم التجارية فقط ، بل لاستقلالهم وربما لبقائهم . لقد اعتقد العتوب أن القواسم حلفاء طبيعيين للسعوديين بسبب عداوة القواسم القديمة لحكومة مسقط وحاجتهم الماسة للدعم السعودي ضد تلك الحكومة ، كما أصبحوا متأكدين من أن زيادة النفوذ السعودي في مسقط ، وسيطرة حلفائهم القواسم على مدخل الخليج ستؤدي حتماً إلى انفراد السعوديين بالسلطة على مدخل الخليج وسواحله الجنوبية والغربية ، وبالتالي إلى إحكام قبضتهم على مستوطنات العتوب . من ناحية أخرى ، اعتقد العتوب أن الدولة السعودية التي تفتقر إلى القوة البحرية يمكنها الآن استخدام قوة حلفائها القواسم البحرية للضغط عليهم وإخضاعهم ، وقد ذكر صاحب لمع الشهاب أن الإمام عبدالعزيز كان قد طلب من القواسم الهجوم على البحرين وتعهدهم لهم بالمساعدة العسكرية ، لكن

القواسم اعتذروا عن ذلك ، واقتروا عليه أن يكون التغلغل إلى الجزيرة سلمياً عن طريق التردد على البحرين والمتاجرة مع أهلها ونشر الدعوة بينهم (٩٣) . ولهذا عرض العتوب في عام ١٢٢٠هـ / ١٨٠٥م على السيد بدر - عندما علموا بعزمه على حرب القواسم والقيام بحملة لاستعادة جزر وموانئ مدخل الخليج منهم - الاشتراك معه في حملته ، فأرسلوا إليه مبعوثاً يدعى رحمة بن سنود لهذا الغرض ووافقوا على خطة عرضها عليهم حاكم مسقط لمهاجمة القواسم ودفعوا له رسوم العبور التي كانوا يرفضون دفعها في الماضي (٩٤) .

لقد هدف العتوب من وراء ذلك - على ما يبدو - إلى الحد من تعاضد قوة الدولة السعودية وهيمنتها عليهم وعلى كل القوى السيامية في غرب الخليج ، وتخليص مدخل الخليج من سيطرة القواسم والحد من ازدياد قوتهم البحرية التي ربما يستخدمها السعوديون في المستقبل لإخضاع العتوب أو القضاء عليهم . كما هدف العتوب أيضاً إلى الحيلولة دون الإخلال بالتوازن بين قوى المنطقة الذي لم يكن في صالح استقلال مستوطناتهم . ولكي يتفادوا الخضوع للسعوديين أو التعرض لانتقامهم طلبوا من حكومة بومبي في السنة نفسها ، أن تسندهم بسفينة حربية أو سفيتين للاستعانة بهما ضدهم . وبالرغم من توصية ديفد سيتون DA-VID SETON المقيم البريطاني في مسقط لحكومته بضرورة تشجيع هذا التحالف للحيلولة دون سيطرة السعوديين على مسقط ، إلا أن حكومة بومبي لم تستجب لطلب العتوب (٩٥) .

أما القواسم فقد تراجع حماسهم للانقياد لأوامر الحاكم السعودي منذ عام ١٢١٨هـ / ١٨٠٣م ، فلم يستجب لأوامر الإمام عبدالعزيز في صيف ذلك العام بمهاجمة مناطق ومراكب مسقط إلا قسم منهم اقتصر نشاطه على مهاجمة المراكب التجارية في البحر والتزول في جزيرة قشم ، متذرعين بالانشغال في الغوص (٩٦) . وفي تلك السنة ، خلف الشيخ سلطان بن صقر أباه في مشيخة الاتحاد القاسمي (٩٧) . وعندما علم الشيخ سلطان بمقتل الإمام عبدالعزيز في

خريف السنة نفسها ، سارع إلى مصالحة السيد سلطان . لكن القواسم وحلفاءهم هبوا بمجرد سماعهم بمقتل حاكم مسقط في أواخر عام ١٢١٩هـ / ١٨٠٤م للاستيلاء على الجزر والموانئ المشرفة على مدخل الخليج ، ويبدو أنهم لم يقوموا بذلك خدمة للدولة السعودية ، بقدر ما كان سعيًا لتحقيق أهدافهم القديمة الرامية إلى السيطرة على مدخل الخليج ومناقسة حكومة مسقط .

وعندما اشتد النزاع بين السيد قيس وأبناء إخوته ، بدر وسالم وسعيد ، خلال عام ١٢٢٠هـ / ١٨٠٥م لم يظهر للقواسم دور واضح فيه بالرغم من قريتهم من بؤرة النزاع وامتلاكهم الدوافع الكافية للتدخل فيه ، وتتابع أوامر الإمام سعود إلى القبائل الموالية له في جنوب الخليج بالوقوف إلى جانب السيد بدر بن سيف في صراعه مع عمه . بل إننا نجد القواسم في آخر مراحل ذلك الصراع يقفون إلى جانب السيد قيس ضد ابن أخيه بدر حليف السعوديين (٩٨) .

لقد تحالف القواسم مع الدولة السعودية ومنحوها ولاءهم وهاجموا معها حكومة مسقط للاستعانة بها للحد من محاولات تلك الحكومة فرض نفوذها عليهم من ناحية ، والسيطرة على مدخل الخليج العربي ، من ناحية أخرى . لكن تحالف السيد بدر مع الإمام سعود ، والدعم الذي منحه ذلك الإمام لحاكم مسقط الجديد ، وضع حداً لطموحات شيخ القواسم وأثار غيظه وأقنعه بأن الإمام سعود لن يدعمه في المستقبل ضد حكام مسقط أو يساعده في السيطرة على مدخل الخليج . بل إن هذا التحول في مسار الأمور في عمان قد أثار مخاوف الشيخ سلطان بن صقر على زعامته واستقلاله ، ولهذا لم يشترك مع أتباع السعوديين الآخرين في دعم السيد بدر ضد عمه السيد قيس . وبدأ للشيخ سلطان أن وجود حاكم تقليدي مثل السيد قيس في مسقط خير للقواسم من وجود السيد بدر الذي كان يسعى إلى الاستمرار في سياسة التوسع الإقليمي والتجاري التي كان يسير عليها عمه السيد سلطان ، والتي كان يقاومها القواسم .

كان أهل الظاهرة وزعيمهم الشيخ حميد بن ناصر الغافري من أبرز حلفاء

الدولة السعودية ، وقد ساهموا مساهمة كبيرة في دعم الحامية السعودية في البريمي وامتداد النفوذ السعودي إلى عمان . كما كانوا يشكلون قسماً مهماً من القوات التي قامت بدعم السيد بدر بن سيف ضد عمه السيد قيس استجابة لأوامر الإمام سعود . لقد تحالف الشيخ حميد بن ناصر الغافري مع السعوديين مدفوعاً بالرغبة في التخلص من سلطة حكام عمان ، فلما بدأ ميزان القوى في عمان يتحول لصالح السيد بدر وحلفائه السعوديين ، أدرك ذلك الشيخ أن بدرأ والسعوديين سيسيظرون على كل عمان وأن ذلك سيفقده حريته واستقلاله . فعمد إلى التخلي عن السيد بدر في آخر مراحل نزاعه مع عمه قيس وأمر القبائل المتحالفة معه بالتخلي عن السيد بدر بحجة " أن بدرأ يحاول ملك عمان كله ، وانقياد أهل الظاهرة والشمال له بالوهابية ، لما رأهم مائلين إليه كل الليل " (٩٩) .

الخاتمة

شهد العقدان الأولان من القرن الثالث عشر الهجري / العقدان الأخيران من القرن الثامن عشر للميلاد تقريباً ، بروز أربع قوى سياسية على ساحل الجزيرة العربية الشرقي هي : حكومة مسقط والدولة السعودية والاتحاد القاسمي ومشیخات العتوب . وقد أعطى بروز تلك القوى ، والنشاط السياسي والتجاري الذي نتج عنه ، أهمية وحوية وثقلاً لم يحظ به ذلك الساحل منذ فترة طويلة . وخلال السنوات الأخيرة من الفترة المذكورة دخلت الدولة السعودية وحكومة مسقط في تنافس لفرض النفوذ على القواسم والعتوب وغيرهما من قبائل جنوب غرب الخليج العربي .

لقد حرص قادة الدولة السعودية على نشر دعوتهم الإصلاحية ومد نفوذهم السياسي على قبائل وموانئ جنوب غرب الخليج وعمان ، بينما حرص حكام مسقط على تطوير وتوسيع تجارتهم عن طريق السيطرة على تجارة الخليج وفرض نفوذهم على تلك القبائل والموانئ نفسها للقضاء على منافستها لهم . وفي حين أبدى البوسعيديون اهتماماً كبيراً بالملاحة والتجارة وأهملوا الأقاليم والقبائل الداخلية وارتكزت قوتهم على اسطولهم الكبير ، ارتكزت قوة السعوديين على البر ولم يطوروا لأنفسهم قوة بحرية بالرغم من سيطرتهم على سواحل طويلة . لقد كوّن القواسم والعتوب قوتين بحريتين تجاريتين منافستين للبوسعديين ، وقد سعى السيد سلطان بن أحمد لفرض نفوذه عليهما للقضاء على تلك المنافسة . أما الدولة السعودية فقد رأت في فرض نفوذها على القواسم والعتوب إضافة قوة بحرية إلى قوتها البرية تستطيع بواسطتها نشر دعوتها الإصلاحية وتوسيع نفوذها والضغط بها على حكومة مسقط .

بادر السيد سلطان في عام ١٢١٤هـ / ١٧٩٩م عندما علم بامتداد النفوذ السعودي على العتوب والقواسم إلى مهادنة القواسم - الذين كانوا في صراع دائم

معه - لكي يتمكن من الاستيلاء على جزر البحرين قبل أن يمتد النفوذ السعودي إليها . وقد قام السيد سلطان بعدة محاولات بعد ذلك لفرض نفوذه على العتوب والقواسم وإخراجهم من دائرة النفوذ السعودي قبل مقتله على يد القواسم في عام ١٢١٩هـ / ١٨٠٤م ، لكن جميع تلك المحاولات باءت بالفشل بسبب رفض القواسم والعتوب لهيمنة البوسعيدين من ناحية ، ومساندة الدولة السعودية لهم من ناحية أخرى . وكان لضغوط حامية السعوديين في البريمي وقبائل الشمال والظاهرة الموالية لهم من ناحية البر ، دور مهم في إفشال محاولات حاكم مسقط .

لقد رجحت كفة السعوديين في منافستهم للبوسعيدين على كسب ولاء قبائل جنوب غرب الخليج وخاصة بعد مقتل السيد سلطان ، وتمكنوا من مد نفوذهم إلى مسقط وأوصلوا مرشحهم إلى حكومتها . وقد ساعدهم على ذلك تفوق قوتهم البرية وانتشار دعوتهم الإصلاحية بين قبائل شمال عمان والظاهرة ، وإهمال حكومة مسقط لتلك القبائل . كما أسهم في نجاح السعوديين أيضاً ، المنافسة الملاحية والتجارية القديمة بين حكومة مسقط وبين كل من القواسم والعتوب ، الذين رأوا في قوة الدولة السعودية سنداً قوياً يساعدهم على التخلص من سيطرة حكومة مسقط دون أن يكون له أثر كبير على نشاطاتهم التجارية والبحرية ، فمنحوا ولاءهم للسعوديين وتحالفوا معهم ضد حكومة مسقط . وبذلك أضاف السعوديون قوة بحرية إلى قوتهم البرية ، واجهوا بها أسطول حكومة مسقط وأضعفوا من فعاليته وبالتالي أحبطوا الطموحات الإقليمية والتجارية التي سعت إلى تحقيقها تلك الحكومة .

إن النجاح الذي أحرزته الدولة السعودية في عمان كان أكبر مما توقعه حلفاؤها الذين أسهموا في إنجازها . فقد أخاف ذلك النجاح العتوب والقواسم وأهل الظاهرة وغيرهم لأن تلك القبائل لم تتحالف مع الدولة السعودية لكي تقع تحت سيطرتها التامة في النهاية ، وإنما تحالفت معها للاستعانة بها للتخلص من هيمنة حكومة مسقط . ولما شعر أولئك الحلفاء بأن التوازن قد اختل لصالح السعوديين أخذوا في

إعادة النظر في حساباتهم وتحالفاتهم .
لم ينته التنافس السعودي البوسعيدي في هذه المرحلة ، إلا أن مقتل السيد
سلطان وما نتج عنه من امتداد النفوذ السعودي إلى مسقط ، وسيطرة القواسم على
مدخل الخليج ، وتراجع ولاء حلفاء الدولة السعودية ، جعل من الفترة السابقة
لهذه الحوادث مرحلة متميزة في التنافس السعودي البوسعيدي في جنوب الخليج
العربي .



الهوامش:

(١) يشمل اسم « عمان » والقبائل العمانية « خلال فترة هذه الدراسة أغلب مناطق وقبائل ما يعرف اليوم بدولة الإمارات العربية المتحدة إضافة إلى مناطق سلطنة عمان الحالية .

(٢) للإلمام بأوضاع عمان وحكم اليعاربة قبل منتصف القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر للميلاد ، واستيلاء القوات الفارسية على بعض المدن العمانية انظر : حميد بن محمد بن رزق ، الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيدين ، تحقيق عبدالمنعم عامر ومحمد مرسي عبدالله ، وزارة التراث القومي ، مسقط ، ١٣٩٧هـ ، ص : ٢٦٢ وما بعدها . وقد ترجم هذا الكتاب وقدم له ووضع عليه بعض التعليقات ، القس جورج بيرسي بادجر GEORGE PERCY BADGER ، ونشره في لندن عام ١٨٧١م بعنوان HIS-TORY OF THE IMAMS AND SEYYIDS OF OMAN, BY SALIL IBN RAZIQ .

وقد أخذ كثير من الكتاب الإنجليز والأوروبيين تاريخ عمان عن طريق هذه الترجمة . وانظر أيضاً : عبدالله بن حميد السالمي ، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ، تحقيق إبراهيم إطفيش الجزائري ، القاهرة ، ١٩٦١م ، ج ٢ ، ص : ١٤١ وما بعدها ، وأيضاً : سرحان بن سعيد الأزكوي ، تاريخ عمان المكتسب من كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة ، تحقيق عبدالمجيد القيسي ، وزارة التراث القومي والثقافة ، مسقط ، ١٩٨٠م الفصل السادس والسابع .

(٣) ابن رزق ، الفتح المبين ، ص : ٣٤٣ - ٣٤٩ .

السالمي ، تحفة الأعيان ، ص : ١٥٠ - ١٥٩ - ١٦٨ - ١٧٢ .

الأزكوي ، تاريخ عمان ، ص ١٣٩ - ١٥٥ .

J.B; KELLY, BRITAIN AND THE PERSIAN GULF, 179 -1880, OXFORD, 1968, P.9 .

- (٤) كان يتزعم أغلب الثورات ضد الإمام أحمد بن سعيد ، زعماء اليعاربة ورؤساء قبائل الظاهرة والصير وبعض أبناء الإمام نفسه ، الذين كانوا يستعينون بقبائل الحزب الغافري الذين لم يكونوا راضين عن انتخاب الإمام أحمد بسبب انتماؤه لأسرته للحزب الهناوي ودور مشايخ ذلك الحزب في تقديمه للإمامة ، انظر : ابن رزيق ، الفتح المين ، ص : ٣٦٧ - ٣٨٤ ، والسالمي ، تحفة الأعيان ، ص ١٦٩ - ١٧٢ ، وأيضاً : ج.ج . لوريير ، دليل الخليج ، القسم التاريخي ، طبعة جديدة معدلة ومنقحة ، ترجمة ونشر مكتب أمير دولة قطر ، ج ٢ ، ص : ٦٤٤ - ٦٤٧ ، وسيسار إلى هذا المصدر بعد الآن هكذا : لوريير ، القسم التاريخي . والمقصود بالشمال أو الصير أو عمان الصير ، هو المنطقة الساحلية الشمالية من عمان والتي تشكل الآن دولة الإمارات العربية المتحدة ، أما الظاهرة فهي المنطقة الواقعة إلى الغرب من مرتفعات الجبل الأخضر والحجر الغربي ، أما المنطقة الساحلية الواقعة بين تلك المرتفعات والبحر فتسمى الباطنة .
- (٥) للإمام بمدي غو تجارة مسقط في عهد الإمام أحمد واستفادة ذلك الميناء من تدهور الأوضاع في بندر عياس انظر :

PATRICIA RISSO, OMAN AND MUSCAT, AN EARLY MODERN HISTORY. CROOM HELM, LONDON & SYDNEY, 1968, CHAPTER 5 . KELLY, P. 10

مديحة أحمد درويش ، سلطنة عمان في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، دار الشروق ، جدة ، ١٤٠٢هـ ، ص ٧٩ - ٨١ . وندل فيليبس ، تاريخ عمان ، ترجمة محمد أمين عبدالله ، وزارة التراث القومي ، مسقط ، ١٤٠١هـ ، ص : ٨٤ .

- (٦) بلغ من ضعف الإمام سعيد بن أحمد وانعزاله في الداخل أن ثار عليه

أخواه، سيف وسلطان ، واستقل أخوه الثالث ، قيس بحكم صحار ثاني أهم الموانئ العمانية ، واجتمع بعض أعيان عمان وعلمائها في المصنعة على ساحل الباطنة لعقد الإمامة لقيس بن أحمد والي صحار ، انظر : ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص ٣٩٢ ، والسالمي ، تحفة الأعيان ، ج ٢ ، ص : ١٧٣ وما بعدها ، وأيضاً

S.B. MILES, THE COUNTRIES AND TRIBES OF THE PERSIAN GULF, FRANK CASS, 1966, P. 281 - 282 .

(٧) ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص : ٣٩٢ وما بعدها ، فيليبس ، تاريخ عمان ، ص : ٨٥ - ٨٦ .

MILES, P. 283 - 284 . KELLY, P. 10 - 11.

لوجهة نظر مختلفة انظر : RISSO, OMAN, P. 96 - 105 .

(٨) RISSO, OMAN, P. 100 - 104.

انظر خريطة رقم (١) " عالم عمان التجاري " .

(٩) لورير ، القسم التاريخي ، ج ٢ ، ص : ٦٦٢ ، وانظر أيضاً ، MILES, P. 286 . لمعرفة مواقع هذه البلدان وغيرها من البلدان والموانئ الوارد ذكرها في هذه الدراسة انظر خريطة رقم (٢) " حوض الخليج العربي وخليج عمان وموانئها البحرية " .

(١٠) ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص : ٤٢٩ .

ARNOLD T.WILSON. THE PERSIAN GULPH, 3 RD ED. LONDON, 1959.

P. 188 - 189 . RISSO, OMAN, P. 106 - 107, 125 - 130 .

انظر ، الخريطة رقم (١) .

(١١) جددت حكومة الهند هذه المعاهدة في عام ١٢١٤ هـ / ١٨٠٠ م بشروط

أقوى لضمان المصالح البريطانية على يد الكابتن جون مالكوم ، مبعوثها إلى

بلاد فارس ، انظر بنود المعاهدتين في

C.U. AITCHISON, A COLLECTION OF TREATIES, ENGAGEMENTS AND

SANADS RELATING TO INDIA AND NEIGHBOURING COUNTRIES, DELHI, MANAGER OF PUBLICATIONS, 1933, KRAUS REPRINT, 1973 . VOL.11, P.287 - 288 .

ATICHISON, COLLECTION OF هَذَا الْمَصْدَرُ بَعْدَ الْآنَ هَكَذَا
. TREATIES

(١٢) سَمِيرُ مُحَمَّدٍ عَلَى أَبَوِيَّاسِينَ ، الْعَلَاqَاتُ الْعَمَانِيَّةُ الْبَرِيطَانِيَّةُ ١٧٩٨ -
١٨٥٦ م ، مَرْكَزُ دَرَاَسَاتِ الْخَلِيجِ الْعَرَبِي بِجَامِعَةِ الْبَصْرَةِ ، ١٩٨١ م ، ص :
٢٧ - ٢٨ ، ٣١ .

RISSO, OMAN, P. 157,214 .

(١٣) لِلْإِلَامِ بَدْيُ ثَوِّ تِجَارَةِ مَسْقَطٍ خِلَالِ عَهْدِ السَّيِّدِ سُلْطَانِ بْنِ أَحْمَدٍ أَنْظَرُ :

RISSO, OMAN, CHAPTER, 10 , KELLY. P.14 - 16.

وَفِيلِيْبِس ، تَارِيخُ عَمَانَ ، ص : ٨٥ - ٨٧ ، ١١٢ . وَأَنْظَرُ أَيْضاً : تَقْرِيرُ
الْكَاتِبَيْنِ جُونِ مَالْكُومِ JOHN MALCOLM عَنْ وَضْعِ التِّجَارَةِ بَيْنَ بِلَادِ فَارَسَ
وَالْهِنْدِ الَّذِي كَتَبَهُ عَامَ ١٨٠٠ م فِي :

J.A. SALDANHA, SELECTIONS FROM STATE PAPERS, BOMBAY REGARDING THE EAST INDIA COMPANY'S CONNECTION WITH THE PERSIAN GULF, WITH A SUMMARY OF EVENTS, 1600 - 1800, CALCUTT A. 1908, P. 444 - 446 .

وَسِيْشَارُ إِلَى هَذَا الْمَصْدَرِ بَعْدَ الْآنَ هَكَذَا :
وَأَنْظَرُ أَيْضاً :

J.A BUCKINGHAM, TRAVELS IN ASSYRIA , MEDIA , AND PERSIA
LONDON, 1830 , VOL. 2. P. 400 - 402 .

وَقَدْ زَارَ هَذَا الرَّحَالَةَ مَسْقَطَ فِي نَوْفَمْبَرِ ١٨١٦ م وَتَحَدَّثَ عَنْ ازْدَهَارِ تِجَارَتِهَا
فِي عَهْدِ السَّيِّدِ سُلْطَانِ بْنِ أَحْمَدَ ، وَسِيْشَارُ إِلَى هَذَا الْمَصْدَرِ بَعْدَ الْآنَ هَكَذَا :

BUCKINGHAM, TRAVELS

(١٤) ابْنُ رَزِيْقٍ ، الْفَتْحُ الْمَبِينُ ، ص : ٣١٠ وَمَا بَعْدَهَا ، جَمَالُ زَكْرِيَا قَاسِمَ ،

الخليج العربي ، دراسة لتاريخ الإمارات العربية في عصر التوسع الأوروبي
الأول ، ١٥٠٧ - ١٨٤٠ م ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٨٥ م ، ص :
٢٦٧ .

(١٥)

C.NIEBUHR, TRAVELS THROUGH ARABIA AND OTHER COUNTRIES
IN THE EAST . TRANSLATED INTO ENGLISH BY ROBERT HERON , EDIN-
BURGH, 1792, (REPRINT) VOL.2. P. 124 - BUCKINGHAM, TRAVELS, VOL.
2 . P. 210.

وانظر أيضاً :

SELECTIONS FROM THE RECORDS OF THE BOMBAY GOVERNMENT
. NEW SERIES, NO.XXIV : HISTORICAL AND OTHER INFORMATION CON-
NECTED WITH THE PROVINCE OF OMAN, MUSKAT. BAHREIN, AND OTH-
ER PLACES IN THE PERSIAN GULF, COMPILED AND EDITED BY R.
HUGHES THOMAS, BOMBAY, 1856. P. 301.

إن أغلب المختارات المستخدمة في هذه الدراسة هي ملاحظات ونبذ تاريخية
عن عمان وحكومة مسقط وقبيلة القواسم وعتوب البحرين والوهابين
(السعوديين) والقبائل العربية ، كتبها عضو مجلس حكومة بومبي ، السيد
فرانيس واردن FRANCIS WARDEN في عام ١٨١٩ م (١٢٣٤ هـ) وميشار
إلى هذا المصدر بعد الآن هكذا : BOMBAY SELECTIONS .

(١٦) لورير ، القسم التاريخي ، ج ٢ ، ص ٩٦٦ - ٩٦٧ ، وأيضاً : صالح
محمد العابد ، دور القواسم في الخليج العربي ، ١٧٤٧ - ١٨٢٠ م ،
بغداد ، ١٩٧٦ م ، ص : ٨٧ - ٨٨ ، ١٠٤ .

DONALD HAWLEY, THE TRUCIAL STATES, GEORGE ALLEN & UN-
WIN LTD. LONDON, 1970 , P. 92 .

انظر المواضع المذكورة هنا على الخريطة رقم (٢) .

(١٧) قاسم ، الخليج العربي ، ص : ٢٦٨ - ٢٧٠ . MILES, P. 269 .

- العابد ، دور القواسم ، ص : ٩٠ - ٩٣ .
- (١٨) العابد ، دور القواسم ، ص : ٩٠ - ٩١ .
- (١٩) NIEBUHR, TRAVELS. VOL. 2 . P. 115, 122 - 124 .
- HAWLEY. THE TRUCIAL STATES. P. 92 - 93 .
- (٢٠) قاسم ، الخليج العربي ، ص : ٢٧٠ - ٢٧١ .
- BOMBAY SELECTIONS. P. 301 . MILES, P. 271 .
- (٢١) MILES. P. 274 - 275 . HAWLEY, THE TRUCIAL STATES, P. 87 - 88 .
- العابد ، دور القواسم ، ص : ٩٣ - ٩٦ .
- لورير ، القسم التاريخي ، ج٢ ، ص : ٦٤٨
- NIEBUHR, TRAVELS, VOL.2 . P. 124 .
- (٢٢) BOMBAY SELECTIONS. P. 300 - 301 .
- العابد ، دور القواسم ، ص : ١٠٤ - ١١٤ . KELLY, P. 19 .
- قاسم ، الخليج العربي ، ص : ٢٤٨ - ٢٤٩ ، ٢٧٤ - ٢٧٥ .
- لورير ، القسم التاريخي ، ج٢ ، ص : ٩٦٧ - ٩٦٩ .
- BOMBAY SELECTIONS. P. 301 . (٢٣)
- العابد ، دور القواسم ، ص : ١١١ - ١١٤ .
- عبدالعزیز عبدالغني إبراهيم ، علاقة ساحل عمان ببريطانيا ، دراسة وثائقية ، دار الملك عبدالعزيز ، الرياض ، ١٤٠٢هـ ، ص : ١٠٥ - ١٠٩ .
- (٢٤) قاسم ، الخليج العربي ، ص : ٢٦٨ - ٢٦٩ .
- العابد ، دور القواسم ، ص : ٩٦ - ٩٩ . Miles, P. 276 , 279 , 281 .
- MILES. P. 281 . KELLY, P. 20. (٢٥)
- HAWLEY, THE TRUCIAL STATES, P. 88 .
- لمعرفة مواقع هذه المناطق والبلدان وغيرها انظر الخريطة رقم (٢) .

(٢٦) انظر ، عبدالعزيز الرشيد ، تاريخ الكويت ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٧٨ ، ص : ٣٣ - ٣٥ ، وسيف مرزوق الشملان ، من تاريخ الكويت ، القاهرة ، ١٩٥٩ م ، ص : ١٠٦ - ١٠٩ .

(٢٧)

Ahmad M. Abu Hakimah, History Of Eastern Arabia 1750-1800, Khayats Beirut, 1965. P. 51 - 53 .

للاطلاع على تفاصيل هجرة العتوب وتجوهمهم في نواحي الخليج ثم استقرارهم في الكويت ، انظر بالإضافة إلى الفصل الثاني من هذا المرجع كتابي الرشيد والشملان السابقين .

(٢٨) NIEBUHR, TRAVELS, VOL.2 . P. 127 .

BOMBAY SELECTIONS. P. 362 .

لورير ، القسم التاريخي ، ج ٣ ، ص : ١٥٠٢ .

BOMBAY SELECTIONS. P. 362 . (٢٩)

لورير ، القسم التاريخي ، ج ٣ ، ص : ١٥٠٣ .

وتختلف المصادر حول نشأة بلدة الزيارة فبينما يذكر عثمان بن سند البصري في كتابه : سبائك المسجد في أخبار أحمد نجل رزق الأسعد ، بومبي ١٣١٥ هـ ، ص : ١٩ - ٢٠ ، أن الذي أنشأها وعمرها هما خليفة بن محمد شيخ العتوب والشيخ رزق ، وهو تاجر مهاجر من الكويت أيضاً ، ينص محمد بن خليفة النبهاني في كتابه ، التحفة النبهاني في تأويخ الجزيرة العربية ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، ١٩٨٦ م ، ص : ٨٢ - ٨٣ ، على أن أول من نزل الزيارة وعمرها هو الشيخ أحمد بن رزق ثم نزل عنده قوم آخرون منهم الشيخ محمد بن خليفة شيخ آل خليفة الذي اختاره أهل الزيارة فيما بعد شيخاً لهم .

(٣٠) النبهاني ، التحفة ، ص : ٨٢ ، . ABU HAKIMAH, P. 65 - 66 .

BOMBAY SELECTIONS. P. 362 - 363. (٣١)

ABU HAKIMAH, P. 66 - 67. (٣٢)

لمعرفة موقع الزيارة وغيرها من مستوطنات العتوب ، انظر : الخريطة
رقم (٢).

ABU HAKIMAH, P. 71 - 73 . (٣٣)

فاتق حمدي طهوب ، تاريخ البحرين السياسي ، ذات السلاسل ،
الكويت ، ١٩٨٣م ، ص : ٤٤ . لوريير ، القسم التاريخي ، ج ٣ ، ص :
١١٩٦ .

BOMBAY SELECTIONS. P. 363 - 364 . (٣٤)

ABU HAKIMAH, P. 77 - 78, 86 - 89 , 96 - 100 , 107.

BOMBAY SELECTIONS. P.363 - 364 . (٣٥)

ABU HAKIMAH, P. 88 - 89.

لوريير ، القسم التاريخي ، ج ٣ ، ص : ١١٩٦ - ١١٩٧ .
(٣٦) لتتبع حملات حكام فارس وأتباعهم من شيوخ الساحل الشرقي للخليج ضد
الزيارة والكويت ومن ثم استيلاء العتوب على البحرين انظر :
لوريير ، القسم التاريخي ، ج ٣ ، ص : ١١٩٦ - ١١٩٧ ، ١٢٧٢ -
١٠٥٦ .

ABU HAKIMAH, P. 105 - 108, 110 - 111 .

طهوب ، تاريخ البحرين ، ص : ٤٦ - ٤٧ .

SALDANHA, SELECTIONS. P. 404 - 405 .

النبهاني ، التحفة ، ص : ٨٥ - ٨٨ . BOMBAY SELECTIONS. P. 364 -
366 .

ويذكر النبهاني (ص : ٨٦ - ٨٧) أن قائد الحملة الفارسية هو الشيخ نصر
آل مذكور نفسه ورئيس أهل الزيارة هو الشيخ أحمد بن محمد آل خليفة نائباً

عن أخيه خليفة الذي كان يؤدي نسك الحج في مكة تلك السنة ومات هناك ،
أما المصادر البريطانية فتذكر أن قائد الحملة هو محمد ابن أخ الشيخ نصر .

WILSON. THE PERSIAN GULPH. P. 187 - 188 . (٣٧)

SALDANHA, SELECTIONS. P. 405 . (٣٨)

SALDANHA, SELECTIONS. P. 405 - 409 . (٣٩)

BOMBAY SELECTIONS. P. 363 - 364 . (٤٠)

ABU HAKIMAH, P. 77 - 78 - 86 - 89 - 96 - 100 , 107 .

SALDANHA, SELECTIONS. P. 405 , 407 - 409 . (٤١)

ABU HAKIMAH, CHAP. 111, VI . : وانظر أيضاً

(٤٢) للإلمام بتفاصيل انتشار الدعوة الإصلاحية وظهور وتوسع الدولة
السعودية ، انظر : حسين بن غنام ، تاريخ نجد ، المسمى روضة الأفكار
والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام تحرير ، ناصر الدين
الأسد ، الصفحات الذهبية ، الرياض ، ١٤٠٣ هـ ، الجزء الأول . وأيضاً
عثمان بن عبدالله بن بشر ، عنوان المجد في تاريخ نجد ، وزارة المعارف ،
١٣٩١ هـ ، الجزء الأول ، وعبد الرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم ، الدولة
السعودية الأولى ، ١١٥٨ - ١٢٣٣ هـ / ١٧٤٥ - ١٨١٨ م ، دار الكتاب
الجامعي ، القاهرة ، ١٩٨٧ م ، وعبدالله صالح العثيمين ، تاريخ المملكة
العربية السعودية ، الرياض ، ١٤٠٤ هـ ، الجزء الأول .

(٤٣) عن حملات شيوخ بني خالد ضد الدول السعودية ، انظر : ابن غنام ،
ج١ ، ص : ١١١ - ١١٢ ، ١٢١ - ١٢٣ ، ١٣٧ ، ١٤٧ - ١٤٨ ، ١٥١ ،
١٥٣ - ١٥٦ ، وابن بشر ، ج١ ، ص : ٥١ - ٥٩ ، ٦٠ - ٧٨ ، ٩٠ -
٩٤ ، ولتعليل فشل تلك الحملات انظر : لمع الشهاب في سيرة محمد بن
عبد الوهاب ، مؤلف مجهول ، تحقيق ، أحمد أبو حاكم ، دار الثقافة ،
بيروت ، ١٩٦٧ م ، ص : ٦٧ - ٧٠ ، وانظر أيضاً : محمد بن عبدالله آل

عبدالقادر الأحسائي ، تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد ، الرياض ، مكتبة المعارف ، ١٤٠٢هـ ، ج ١ ، ص : ١٢٨ - ١٢٩ ، ١٣١ - ١٣٢ ، عبدالحريم ، الدولة السعودية . ص : ٩١ - ٩٤ .
(٤٤) قام السعوديون بأول هجوم على الأحساء في عام ١١٧٦هـ / ١٧٦٢م عندما هاجموا المطيرفي والمبرز ، انظر ابن غنام ، ج ١ ، ص : ١١٨ ، وابن بشر ، ج ١ ، ص : ٥٦ .

(٤٥) لتتبع غزوات السعوديين ضد الأحساء ومراحل تثبيت نفوذهم فيه ، انظر ابن غنام ، ج ١ ، ص : ١٦٩ وما بعدها ، ولع الشهاب ، ص : ٦٧ - ٧٦ - ، والأحسائي ، تحفة المستفيد ، ج ١ ، ص : ١٣١ - ١٣٦ .

(٤٦) . SALDANHA, SELECTIONS. P. 408 .

ABU HAKIMAH, P. 40 - 41 , 67 - 74 , 154 - 155 .

(٤٧) كان إبراهيم بن عفيصان في هذا الوقت أميراً في إقليم الخرج ، وكان الإمام عبدالعزيز كثيرأما يكل إليه قيادة الحملات العسكرية في نواحي الخليج العربي ، وعندما خلف الإمام سعود أباه عين إبراهيم بن عفيصان في عام ١٢١٩هـ / ١٨٠٤م أميراً للأحساء ، انظر : ابن غنام ، ج ١ ، ص : ١٩٣ - ١٩٥ ، ابن بشر ، ج ١ ، ص ١٣٦ - ١٣٧ ، ١٧٧ ، ١٨١ ، أما صاحب لمع الشهاب ، ص : ٧١ - ٧٦ ، فيؤكد أن الإمام عبدالعزيز عين إبراهيم بن عفيصان أميراً في الأحساء بعد ثبات نفوذه في المنطقة مباشرة (١٢١١هـ / ١٧٩٦م) ثم وافقه على إخضاع بلدة الزبارة في قطر .

(٤٨) ابن غنام ، ج ١ ، ص : ١٦٩ ، ١٨٠ ، ١٩٠ ، ابن بشر ، ج ١ ، ص : ١٠٠ ، ١١١ ، ١٣٣ .

(٤٩) تتضارب أقوال موظفي الوكالة البريطانية فيما يتعلق بإسهاماتها في صد الهجمات السعودية على الكويت ، فيذكر جون لويس رينو JOHN LEWIS REINAUD أن مدفعية الوكالة وطرادها وأحرسها أسهموا في صد الهجوم

المشار إليه ، وأن ذلك أغضب السعوديين الذين هاجموا البريد الصحراوي البريطاني مما اضطر المسؤولين إلى إرسال (رينو) في بعثة إلى الدرعية ، وهذا ما يرجحه أبو حاكمة (ABU HAKIMAH, P. 162 - 163) ، وانظر أيضاً ، لوريمر ، القسم التاريخي ، ج ٣ ، ص : ١٥٧٩ . أما هارفرد جونز برجز ، الوكيل المشارك في الوكالة ، فيذكر أن الكويتيين هم الذين صدوا الهجوم وحدهم ، وأن مسئولو الوكالة كانوا يقاومون رغبة شيخ الكويت في اشترك حرس الوكالة في الدفاع عن البلدة وذلك للمحافظة على علاقة جيدة مع الأمير سعود وسلامة البريد الصحراوي من وإلى حلب ، أنظر كتابه ،

AN ACCOUNT OF THE TRANSACTIONS OF HIS MAJESTY'S MISSION TO THE COURT OF PERSIA, IN THE YEARS 1807 - 11, BY SIR HARFORD JONES BRYDGES, ... TO WHICH IS APPENDED A BRIEF HISTORY OF THE WAHAUBY. LONDON, MD CCCXXIV (1834) VOL. II, P. 14 - 15 .

وسيشار إلى هذا المصدر بعد الآن هكذا : BRYDGES, BRIEF HISTORY ...

BRYDGES, BRIEF HISTORY, P. 11 - 13 . (٥٠)

BRYDGES, BRIEF HISTORY, P. 15 - 16 . (٥١)

كان الحاكم السعودي في هذا الوقت هو الإمام عبدالعزيز بن محمد لكن ابنه الأمير سعود كان هو الذي يقود الحملات العسكرية إلى شمال الجزيرة العربية وجنوب العراق ويتعامل معه الكويتيون .

(٥٢) ابن غنام ، ج ١ ، ص : ٢٠٤ - ٢٠٥ ، ابن بشر ، ج ١ ، ص : ١٤٩ ، ربما كان سبب هذا الهجوم هو اعتقاد السعوديين بتعاون أهل الكويت مع الشيخ ثويني بن عبدالله ، شيخ المنتفق ، الذي مكث ثلاثة شهور في الجاهراء بالقرب من الكويت بعد حملة عثمانية ضد الدولة السعودية في السنة السابقة .

(٥٣) لوريمر ، القسم التاريخي ، ج ٣ ، ص : ١٥١٢ ، ١٦٠٢ ، يذكر ابن

بشر، ج ١، ص: ١٩٠، غزوة الإمام سعود ضد جنوب العراق ومهاجمته النجف والبصرة والمنتفق وغيرها في هذه السنة لكنه لا يذكر الكويت.

(٥٤) لورير، القسم التاريخي، ج ٣، ص: ١٥١١، ١٥٨٠.

ويرجح د. عبدالله العثيمين أن السعوديين لم يهدفوا إلى الاستيلاء على الكويت، وأنهم لم يهاجموا البلدة سوى مرتين بسبب تأييد أهلها لأعدائهم، انظر: العلاقات بين الدولة السعودية الأولى وبين الكويت، الرياض، ١٤١١هـ، ص: ٩١ وما بعدها و ص: ١٧١ - ١٧٢.

(٥٥) لمع الشهاب، ص: ٧٦ - ٧٧ (انظر حاشية رقم (٥٤) أعلاه).

(٥٦) لمع الشهاب، ص: ٧٧ - ٧٨، النبهاني، التحفة، ص: ٨٩ - ٩٠، من اللافت للنظر أن ابن غنام وابن بشر لا يذكران حصار ابن عفيصان للزيارة واستيلاءه عليها مع أنهما يذكران غزواته لبعض نواحي قطر خلال عامي ١٢٠٧هـ و ١٢٠٩هـ، وينص صاحب لمع الشهاب على أن هجوم ابن عفيصان على الزيارة كان إثر تعيينه أميراً للأحساء (١٢١١هـ / ١٧٩٦م) كما يذكر النبهاني أن رحيل العتوب إلى البحرين كان في عام ١٢١٢هـ / ١٧٩٧م.

(٥٧) لورير، القسم التاريخي، ج ٣، ص: ١١٩٨ - BOMBAY SELECTIONS. P. 522.

(٥٨) لمع الشهاب، ص: ٧٨ - ٧٩.

ينص هذا المصدر المعاصر على أن غزو السعوديين لبني ياس كان بعد مضي سنتين من استيلائهم على بلدة الزيارة، أما عبدالله بن صالح المطوع (ت بعد عام ١٣٧٦هـ) فيذكر في كتابه «عقود الجمان في أيام آل سعود في عمان» (مخطوط في مكتبة أرامكو في الظهران برقم 953.4/٨) أن آل سعود وصلوا إلى البريمي وبدأوا في نشر الدعوة السلفية بدون قتال في عام

١٢١٠هـ / ١٧٩٥-١٧٩٦م (انظر ، ورقة : ٣٢) وسيشار إلى هذا المصدر بعد الآن هكذا : المطوع ، عقود الجمال .

ويلاحظ أن أغلب قبيلة بني ياس في هذا الوقت ما زالوا رعاة وزارعاً يعيشون في واحة الليوا وما جاورها في الداخل (أقرب إلى قطر) ولم ينتقل إلى الساحل وأبوظبي سوى قسم منهم ، كما يلاحظ أيضاً أن القبيلة كانت تعاني من انقسام سياسي حاد في ذلك الوقت ، ربما استغله القادة السعوديون لصالحهم ، انظر . BOMBAY SELECTIONS. P. 462 - 464 .

(٥٩) لمع الشهاب ، ص : ٧٩ ، ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص : ٤٣٠ - ٤٣١ .
(٦٠) لمع الشهاب ، ص : ٧٨ - ٨١ . العابد ، دور القواسم ، ص : ١٣٥ - ١٣٦ ، التحكيم لتسوية النزاع الإقليمي بين مسقط وأبوظبي وبين المملكة العربية السعودية ، عرض حكومة المملكة العربية السعودية ، ١٣٧٤هـ (١٩٥٥م) ج١ ، ص : ١١٠ - ١١١ وسيشار إلى هذا المرجع بعد الآن هكذا : التحكيم عرض حكومة المملكة ، وانظر أيضاً :

MILES, P. 288 . RISSO , OMAN, P. 173 .

ويلاحظ أن صاحب لمع الشهاب يذكر اشتراك مطلق المطيري وراشد بن سنان المطيري في هذه المرحلة المبكرة من نشاط السعوديين في عمان وهو ما لم تشر إليه المصادر السعودية .

(٦١) ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص : ٤٣١ - ٤٣٢ . . MILES, P. 294 .

KBLLY, P. 102 - 103 .

(٦٢) المصادر السابقة ، الصفحات نفسها . وأيضاً : المطوع ، ورقة ، ٣٢ .

BOMBAY SELECTIONS. ص : ١٥٩ - ١٦٠ . العابد ، دور القواسم ،
P. 174 - 429 .

RISSO, P. 176 - 177 .

(٦٣) لورير ، القسم التاريخي ، ج٢ ، ص : ٦٦٤ - ٦٦٥ ، ج٣ ، ص :

. ١٢٧٥ - ١٢٧٤

BOMBAY SELECTIONS. P. 173 .

BOMBAY SELECTIONS. P. 174 , 366 . (٦٤)

لورير ، القسم التاريخي ، ج ٣ ، ص : ١٢٧٥ . . KELLY, P. 103 .

BOMBAY SELECTIONS. P. 174 . (٦٥)

لورير ، القسم التاريخي ، ج ٣ ، ص : ١٥١٠ .

(٦٦) ابن بشر ، ج ١ ، ص ١٦١ ، ابن سند البصري ، ص : ٨٤ .

BOMBAY SELECTIONS. P. 366 , 429 .

لورير ، القسم التاريخي ، ج ٣ ، ص : ١٢٧٦ ، KELLY, P. 103 ، ويذكر
لورير (ج ٣ ، ص : ١٥٧٩) أن الشيخ سلمان بن أحمد قام بزيارة للحاكم
السعودي في الدرعية ، بعد استعادته للبحرين ، ومعه مبلغ من المال ليدفعه
كجزية (زكاة) غير أنه أعفى من ذلك .

(٦٧) ابن رزيق ، الفتح المين ، ص : ٤٣٢ . . MILES, P. 295 .

BOMBAY SELECTIONS. P. 303 - 366.

BOMBAY SELECTIONS. P. 174 , 303 , 430 . (٦٨)

لورير ، القسم التاريخي ، ج ٢ ، ص : ٩٧٣ ، وتقع دبا ، على الساحل
الشرقي لرأس مسند المشرف على خليج عمان إلى الشمال من خورفكان .
والمقصود بنهر البصرة هنا ، شط العرب .

(٦٩) ابن بشر ، ج ١ ، ص : ١٦١ ، ١٦٢ - ١٦٣ ، لورير ، القسم التاريخي ،

ج ٣ ، ص : ١٥٨٣ - ١٥٨٥ . . KELLY, P. 100 - 101 .

BOMBAY SELECTIONS. P. 174 . (٧٠)

(٧١) ابن بشر ، ج ١ ، ص : ١٦٣ - ١٦٤ . المطوع ، ورقات ، ٣٠ - ٣١ .

لورير ، القسم التاريخي ، ج ٢ ، ص : ٦٦٦ - ٦٦٧ . . MILES, P. 297 .

يذكر أحمد زيني دحلان في كتابه ، خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد

الحرام، المطبعة الخيرية، القاهرة، ١٣٠٥هـ، ص: ٢٧٦ - ٢٧٧، أن أميري الحاج الشامي والمصري غادرا مكة في الخامس والسادس من محرم ١٢١٨هـ، على التوالي ثم غادرها والي جدة، شريف باشا والشريف غالب إلى جدة، وأن الأمير سعود وأتباعه دخلوا مكة في اليوم الثامن من الشهر نفسه، وفيما عدا المطوع، الذي يؤكد أن السيد سلطان شاهد دخول الأمير سعود مكة، لا تشير مصادرنا الأخرى إلى المكان الذي كان فيه حاكم مسقط.

(٧٢) ابن رزق، الفتح المبين، ص: ٤٣٤ - ٤٣٥.

BOMBAY SELECTIONS. P. 174, 430. MILES, P. 298. KELLY, P. 104. (٧٣)

العابد، دور القواسم، ص: ١٦١. لوريمر، القسم التاريخي، ج ٢، ص: ٦٦٧، ج ٣، ص: ١٥٨٠، يذكر كل من لوريمر ومايلز، أن السيد سلطان أرسل وفداً إلى الدرعية لعقد الهدنة بينما لا يفهم ذلك من المصادر الأخرى، كما لا يتضح من المصادر المتوافرة مدى التزام السيد سلطان ببند هذه الهدنة.

(٧٤) ابن رزق، الفتح المبين، ص: ٤٣٥ - ٤٣٦. MILES, P. 297.

BOMBAY SELECTIONS. P. 175 - 430.

لوريمر، القسم التاريخي، ج ٢، ص: ٦٦٧ - ٦٦٨، ج ٣، ص:

KELLY, P. 104. ١٢٧٦، ١٥١١، ١٥٨٠.

(٧٥) انظر المصادر السابقة، الصفحات نفسها.

(٧٦) المصادر السابقة، الصفحات نفسها.

(٧٧) لوريمر، القسم التاريخي، ج ٢، ص: ٦٦٧ - ٩٧٣، ج ٣، ص:

١٢٧٦، ١٥١١، ١٥٨٠. MILES, P. 297 - 298. ويذكر كيللي (KELLY, P. 104) أن كلاً من القواسم وعتوب الكويت لم يدخلوا في حرب مع

السيد سلطان في هذا الوقت.

(٧٨) ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص : ٤٣٥ - ٤٣٦ . لوريمر ، القسم التاريخي ،

ج ٢ ، ص : ٦٦٨ . . BOMBAY SELECTIONS. P.175 - 430 .

MILES, P. 298 . KELLY, P. 104 .

انظر الخريطة رقم (٢) لمعرفة مواقع البلدان المذكورة هنا .

(٧٩) ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص : ٤٣٦ - ٤٣٨ .

لوريمر ، القسم التاريخي ، ج ٢ ، ص : ٦٦٨ . . MILES, P. 298 - 299 .

KELLY, P. 104 - 105 .

قتل الإمام عبدالعزيز في الدرعية في أواخر رجب ١٢١٨هـ (بداية نوفمبر ١٨٠٣م) (ابن بشر ، ج ١ ، ص : ١٦٧) وقد اعتقد السيد قيس والسيد سلطان ، أن انسحاب الحرق سببه خوفه من كثرة قواتهما لعدم علمهما بما حدث في الدرعية ، انظر ابن رزيق ومايلز الصفحات الأخيرة .

(٨٠) ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص : ٤٣٨ . . MILES, P. 299 . KELLY, P. 104 .

خلف الشيخ سلطان بن صقر أباه في مشيخة القواسم في عام ١٢١٨هـ / ١٨٠٣م .

(٨١) لوريمر ، القسم التاريخي ، ج ٢ ، ص : ٦٧٩ . . MILES, P. 302 . KELLY, .

P. 105 .

(٨٢) لوريمر ، القسم التاريخي ، ج ٢ ، ص : ٦٧٩ . . MILES, P. 305 . KELLY, .

P. 105 وانظر أيضاً : ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص : ٤٣٨ - ٤٣٩ ، الذي

ينص على أن رحلة السيد سلطان إلى البصرة كان هدفها " أخذ القانون الجاري من أهل البصرة لحاكم عمان من عهد الإمام أحمد بن سعيد " وأن أهل البصرة استقبلوه استقبالا حافلا وسلموه القانون الجاري .

(٨٣) ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص : ٤٣٩ - ٤٤٠ . ابن بشر ، ج ١ ،

ص : ١٨١ .

لوريمر ، القسم التاريخي ، ج ٢ ، ص : ٦٧٩ - ٦٨٠ .

MILES, P. 302 - 303 . KELLY, P. 105 .

(٨٤) لورير ، القسم التاريخي ، ج ٢ ، ص : ٦٨٤ .

MILES, P. 304 . KELLY, P. 12 , 109 .

لا يصرح ابن رزق بالوصاية لكنه يقول أن السيد سعيد أشرك محمد بن ناصر الجبيري في الحل والعقد وأن المراسلات كانت تصدر باسمه . كما يذكر أن السيد سعيد ولد في عام ١٢٠٦هـ (١٧٩١ - ١٧٩٢ م) أي أن عمره عند وفاة أبيه كان ١٣ سنة . انظر ابن رزق ، الفتح المبين ، ص : ٤٦٠ - ٤٦٢ .

BOMBAY SELECTIONS. P. 58 , 175 - 303 . (٨٥)

MILES, P. 303 - 304 . KELLY, P. 105 - 106 .

العابد ، دور القواسم ، ص : ١٦٦ ، ١٦٨ - ١٦٩ . وبنو معين هم قبيلة عربية كانت تحكم جزر قشم وهرمز وبندر عباس وتوابعها باسم حكومة فارس لكن السيد سلطان استولى عليها منهم .

(٨٦) ابن رزق ، الفتح المبين ، ص : ٤٦٢ - ٤٦٦ . BOMBAY . MILES, P. 304

SELECTIONS. P. 175 - 176 .

(٨٧) ابن رزق ، الفتح المبين ، ص : ٤٣٤ - ٤٣٥ . . MILES, P. 296 - 297 , 304 .

BOMBAY SELECTIONS. P. 176 .

(٨٨) ابن رزق ، الفتح المبين ، ص : ٤٧٢ - ٤٧٦ . . MILES, P. 305 .

لورير ، القسم التاريخي ، ج ٢ ، ص : ٦٨٤ .

(٨٩) ابن رزق ، الفتح المبين ، ص : ٤٧٧ - ٤٨١ . . MILES, P. 305 .

لورير ، القسم التاريخي ، ج ٢ ، ص : ٦٨٤ - ٦٨٥ .

يقدر ابن رزق (ص : ٤٧٨ - ٤٧٩) عدد المقاتلين العتوب الذين وصلوا لمساعدة السيد بدر على دفعتين بحوالي : ١٢٠٠ رجل ، وأهل الظاهرة والشمال بحوالي ١٢ ألف رجل من الحضرة والأعراب ، بينما يقدر فرانسيس واردن (BOMBAY SELECTIONS. P. 176) ومايلز (MILES, P. 305) أتباع

السعوديين الذين جاؤوا لمساعدة السيد بدر من جهة البحر بحوالي أربعة آلاف مقاتل و ١٥ مركباً ، أما كيلى (KELLY, P. 107) فيذكر أن عدد العتوب كان ١٥٠٠ مقاتل جاؤوا على ١٥ مركباً ، ويلاحظ أنه ليس هناك أي إشارة في هذه المصادر لاشتراك القواسم في هذه الحملة .
(٩٠) ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص : ٤٨٣ - ٤٨٨ .

لورير ، القسم التاريخي ، ج ٢ ، ص : ٦٨٧ - ٦٨٨ .

BOMBAY SELECTIONS, P. 177 . MILES, P. 306 . KELLY, P. 108 .

تختلف المصادر البريطانية والعمانية في عدد محاولات السيد قيس للاستيلاء على مسقط ، كما تختلف في تفاصيل حوادث تلك المحاولات والاطراف التي اشتركت فيها ، ويفهم من المصادر البريطانية أن للإمام سعود دوراً في عدم حسم الصراع بين السيد بدر وعمه قيس لخوفه من ازدياد قوة بدر وبالتالي استقلاله عن السعوديين ، بينما يفهم من ابن رزيق أن لبعض زعماء الأحزاب والقبائل العمانية ، مثل الشيخ خميس بن سالم الهاشمي وعلي بن هلال البوسعيدي ومحمد بن خلفان والشيخ حميد بن ناصر الغافري وغيرهم دوراً في عدم رجحان كفة أحد الطرفين على الآخر وخاصة كفة السيد بدر وحلفائه لخوفهم من سيطرة السعوديين على جميع أقاليم عمان ، انظر المصادر المذكورة أعلاه ، النصفحات نفسها ، أما المصادر السعودية فلا تشير إلى نشاط السعوديين في عمان في هذا الوقت .

(٩١) لمع الشهاب ، ص : ٨٥ - ٨٦ .

MILES, P. 306 - 307 . KELLY, P. 108 .

وينص صاحب لمع الشهاب على أنه كان للسعوديين خلال فترة حكم السيد بدر قضية في مسقط وحامية عسكرية أخرى في وادي سمائل طلب السيد بدر سحبها من هناك لعدم استشارة العمانيين .

BOMBAY SELECTIONS, P. 366 . (٩٢)

(٩٣) لمع الشهاب ، ص : ٨٣ - ٨٤ .

BOMBAY SELECTIONS. P. 366 - 367 . (٩٤)

لورير ، القسم التاريخي ، ج ٣ ، ص : ١٢٧٦ - ١٢٧٧ .

أبو ياسين ، العلاقات العمانية البريطانية ، ص : ١٣٩ .

(٩٥) المصدران الأولان ، الصفحات نفسها .

(٩٦) العابد ، دور القواسم ، ص : ١٦٣ .

BOMBAY SELECTIONS. P. 303 . (٩٧)

لورير ، القسم التاريخي ، ج ٢ ، ص : ١١٤٤ .

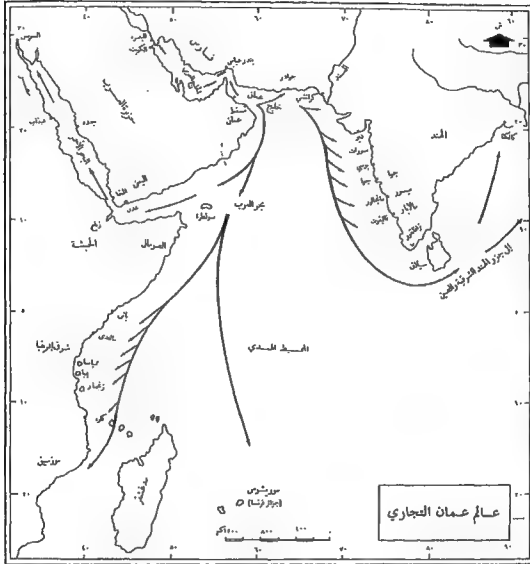
MILES, P. 297 . KELLY, P. 104 .

MILES, P. 306 . (٩٨)

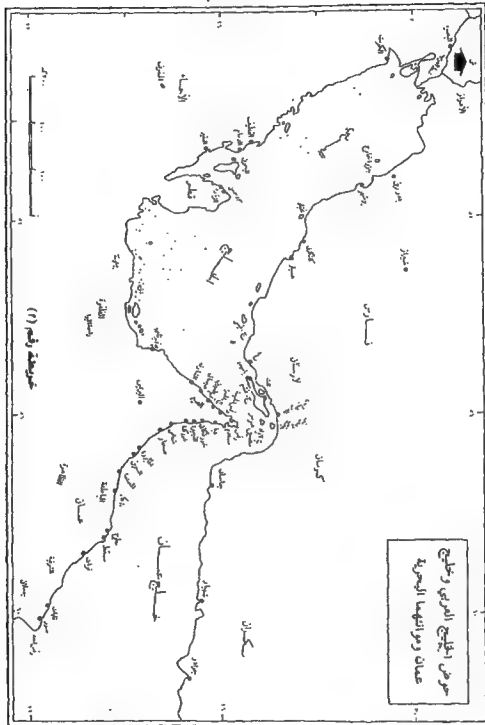
(٩٩) ابن رزق ، الفتح المين ، ص : ٤٨٤ - ٤٨٧ .

وانظر أيضاً لورير ، القسم التاريخي ، ج ٢ ، ص : ٦٨٧ - ٦٨٨ .

خريطة رقم (١)



خريطة رقم (٢)



المصادر العثمانية وأهميتها في دراسة تاريخ الجزيرة العربية

الدكتور / عايض بن خَسَّام الروقي

قسم التاريخ الإسلامي - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة أم القرى - مكة المكرمة

إذا كانت مصادر الدراسات التاريخية متعددة ومتنوعة، ولكل منها أهميته وقوته العلمية، فإن الوثائق التاريخية المنشورة وغير منشورة، والمخطوطات، والمؤلفات المعاصرة للحدث والمعروفة بالمصادر الأساسية تأتي جميعها في مقدمة المصادر والمراجع التي يُعَوَّل عليها كثيراً في دراسة التاريخ وإبراز الحقائق العلمية. ولأن الدولة العثمانية تعايشت مع الأحداث التاريخية في الجزيرة العربية منذ أوائل القرن العاشر الهجري أوائل القرن السادس عشر الميلادي وحتى منتصف القرن الرابع عشر الهجري أوائل القرن العشرين الميلادي وهي بلا شك فترة تاريخية

طويلة، تأثرت الجزيرة العربية بأحداثها وأثرت في مجرياتها، ولاسيما أن الدولة العثمانية المسلمة قد نظرت إلى الجزيرة العربية والدولة السعودية الأولى والثانية نظرة خاصة، وكان لها في ذلك مواقف مؤثرة على مجريات التاريخ وتلك الحقبة الزمنية.

لذلك كان الكتاب العثماني الذي كتب باللغة العثمانية التركية ذات الأحرف العربية، وكذلك الكتاب التركي الحديث الذي دُوّن باللغة التركية ذات الأحرف اللاتينية، هذان الكتابان أصبحا يمثلان مصدراً أساسياً للدراسة تاريخ الجزيرة العربية الحديث، خاصة وأن هذه الكتب إما معاصرة للحدث وصنّاعه وإما معتمدة على الوثيقة الأساسية التي صدرت عن صنّاع الحدث، وهذه الحثثيات تعطي الكتاب العثماني التركي أهمية كبيرة للاعتماد عليه كمصدر مهم من مصادر تاريخ الجزيرة العربية الحديث، وعدم الإقلال من أهميته وتميزه، وذلك للأخذ منه والاعتماد عليه أو للرد على مافيه من آراء ومعلومات وردت حينذاك متأثرة بمسار الأحداث في تلك الفترة.

وقد أوردت الدراسة أسماء مايقرب من عشرين كتاباً باللغة العثمانية ذات الأحرف العربية، وبضعة كتب باللغة التركية الحديثة، وذلك للدلالة على أهمية هذه المصادر في دراسة تاريخ الجزيرة العربية الحديث. وقد تمت الدراسة في خاتمتها وجود هذه المصادر المهمة في المكتبات السعودية الرائدة في بلادنا العزيرة.

إن مصادر الدراسات التاريخية متعددة ومتنوعة، ولكل منها أهميته وقوته العلمية، وهي كما هو معروف مختلفة الأسماء والغايات، ولكل منها مؤيدوه ومحبوه، لكنها جميعاً تنتهي إلى هدف واحد هو البحث عن الحقيقة التاريخية المجردة.

ومن أهم هذه المصادر وأبرزها :

- ١ - الوثائق بأنواعها المنشورة وغير المنشورة، وهي تكتسب أهميتها وقوتها من مصدرها، فهي إما معدة من صانع الحدث التاريخي، أو بأخذ موافقته، أو من قبل من هم معاصرون لذلك الحدث، والوثيقة ليست سياسية فحسب ولكنها ربما تكون دينية أو اجتماعية أو اقتصادية أو نحو ذلك.
 - ٢ - المخطوطات وهي من المصادر القوية لقربها من مصدر الحدث ولقدّمها وعدم تأثرها بكثير من المتغيرات التاريخية.
 - ٣ - الآثار بمختلف أنواعها وأشكالها، وهي تعطي معلومات جيدة يستخلصها دارسوها ومحبوها.
 - ٤ - الكتب والمؤلفات المعاصرة للحدث، وهي ما يتفق على تسميته بالمصدر الأساسي لتدوين الأحداث، وهو يأخذ اهتماماً كبيراً يصل إلى مستوى الوثيقة أو يقاربه.
 - ٥ - الكتاب الذي ألف عن هذه الأحداث التاريخية سواء كان مؤلفه في محيط الحدث، أو بعيداً عنه، وسواء استقى معلوماته من مصادر معاصرة أو عن صنعوا الحدث، وهو ما يتفق على تسميته في لغة البحث بالمرجع.
 - ٦ - الروايات الشفوية، سواء من صناع الأحداث أو عن شاركوا في صنعها أو عاصروها أو سمعوا من معاصريها، وللرواية منهجية علمية مستقلة للأخذ منها كمصدر للحدث التاريخي.
- من هنا نستطيع أن نقول: إن الكتاب سواء كان مخطوطاً أو مطبوعاً يأتي في

مقدمة مصادر البحث التاريخي، وتزداد أهمية الكتاب إذا كان مؤلفه ممن عاصر الحدث، أو أخذ عن معاصري الحدث.

وإذا كان الكتاب التاريخي المؤلف باللغة العربية يعتبر مصدراً قوياً من مصادر الدراسات التاريخية العربية سواء كان هذا الكتاب مخطوطاً أو مطبوعاً، فإن الكتاب التاريخي المؤلف بغير اللغة العربية ينطبق عليه هذا المقياس وهذا الواقع إلى حد كبير.

من هذا المنطلق فإن الكتاب العثماني الذي كتب باللغة التركية ذات الأحرف العربية سواء كان مخطوطاً أو تم تحقيقه بعد ذلك أو نقل إلى اللغة التركية الحديثة ذات الأحرف اللاتينية أو ترجم إلى اللغة العربية، هذا الكتاب أصبح مصدراً مهماً من مصادر الدراسات التاريخية للمشرق العربي الإسلامي بشكل عام، وللجزيرة العربية بشكل خاص، ولا سيما أن بعض هذه الكتب معاصرة للحدث ولصنّاع الأحداث أنفسهم، فهي إذن تعتبر مصدراً قوياً ومرجعاً مهماً للدراسة التاريخية.

أهمية علم التاريخ في حياة الناس :

يقول العلامة عبد الرحمن بن خلدون مبدياً إعجابه بعلم التاريخ :
 "التاريخ فنٌ عزيز المذهب جَمُ الفوائد، شريف الغاية، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم والأنبياء في سيرهم والملوك في دولهم وسياستهم، حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا، . . والتاريخ في ظاهره لا يزيد عن أخبار الأيام والدول والسوابق من القرون الأولى، وفي باطنه نظر وتحقيق وتحليل وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها" (١).

ومن هنا كان اهتمام الناس بالتاريخ لفهم الماضي، ومحاولة فهم الحاضر على ضوء الأحداث والتطورات الماضية، (٢) ومع تلك الأهمية والاهتمام إلا أن المؤرخ ذاته بات عرضة للاتهام وتحمل المسئوليات والتبعات، بيد أن هناك من يرى أن العوامل التي تتجاذب المؤرخ تؤثر عليه وعلى منهجه، وبالتالي تبرز ظاهرة الاختلاف بين المؤرخين.

ويرى البعض أن أهم هذه العوامل ينحصر في أربعة أمور هي :

أ - الأهواء الشخصية سواء أكانت حباً أم كراهية، وسواء أكانت موجهة إلى الفرد أم إلى الجماعة أم إلى طبقة أم إلى أمة.

ب - التحيز أو الانتماء.

ج - المدارس المختلفة للتفسير التاريخي.

د - المعتقدات والقيم الأخلاقية الأساسية. (٣)

ولكي يتم العمل التاريخي وفق أهداف نبيلة وغايات كريمة، وهو ما يسعى إليه المؤرخون بشكل عام، ينبغي أن يتوفر للمؤرخ والباحث الركيزة الأساسية لهذا العلم، وهي إما وثيقة علمية خلّقتها صنّاع الأحداث التاريخية وإما مصدر ومرجع علمي توجد فيه المعلومات والروايات التاريخية الصحيحة. وقد عرف أجدادنا العرب المسلمون أهمية كتب المصادر وسموها كتب الأصول، والكتب الأمهات، والكتب الأساسية، أي أنها تحوي أساسيات العلم. والحقائق التي تحويها لا يرقى إليها الشك أو الجدل. (٤)

يقال : صدر القوم عن المكان أي رجعوا عنه، وصدروا إلى المكان صاروا إليه، والصدْر أعلى ومقدم كل شيء وأوله، يقولون : صدر النهار والليل، وصدر الشتاء والصيف. (٥)

ويقال : صدر الأمر صدراً، وصدوراً : وقع وتقرر، والشئ عن غيره نشأ، ويقال : فلان يصدر عن كذا، أي يستمد منه.

والمصدر : ما يصدر عنه الشئ، وعند علماء اللغة : صيغة إسمية تدل على الحدث فقط. (٦)

والمصدر : جمعه مصادر، وهو موضع الصدور، ومنه مصادر الأفعال، لأن المصادر المجردة هي أصل المشتقات، تقول : رجل مُصدِرٌ : متمٌ للأمور. (٧) ويحدث كثيراً في الأبحاث العلمية اكتشافات مذهلة عن طريق الملاحظة لظاهرة مشكوك فيها، أو خروج بعض الوثائق والكتب النادرة والتي كانت مجهولة

قبل ذلك، وعلى ضوءها تتغير مفاهيم وآراء كانت سائدة، وتُفهم الأحداث وتُفسر من خلال تلك المعلومات الجديدة. (٨)

ومع ذلك فليس كل نادر جدير بالذكر، ولا كل مبذول مرذول، فرب عَثَّ نبهته ندرته، وسمين أخملته كثرته، والعبرة دائماً بقيمة الشيء في نفسه، فالسخيّف سخيّف وإن عَزَّ، والنفيس نفيس حيثما كان. (٩)

والكتاب العثماني الذي كُتِبَ عن الجزيرة العربية باللغة التركية من نوادر الكتب النفيسة في مجمله، لعدة اعتبارات تاريخية وسياسية ودينية نجملها فيما يلي :

١ - أن الدولة العثمانية كقوة سياسية استمرت في تأثيرها على مجريات الأحداث التاريخية في شبه الجزيرة العربية منذ أوائل القرن العاشر الهجري / أوائل القرن السادس عشر الميلادي، حيث دخل الحجاز دخولاً تلقائياً وسلمياً تحت السيادة العثمانية سنة ٩٢٣هـ حين أرسل أمير مكة في ذلك الوقت الشريف بركات بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان ابنه أبا نغمي ومعه مفاتيح الكعبة الشريفة إلى السلطان سليم الأول - ياووز - "أي القاطع" والذي كان قد انتصر في معركة مرج دابق على السلطان الغوري في شهر رجب سنة ٩٢٢هـ، وأواخر أغسطس سنة ١٥١٦م، ودخل القاهرة في أوائل شهر محرم سنة ٩٢٣هـ / أواخر شهر يناير سنة ١٥١٧م، بعد انتصاره في معركة الريدانية. وبذلك أصبح البحر الأحمر - بحيرة عثمانية - وتشرّف سلاطين الدولة العثمانية بلقب "حامي حمى الحرمين الشريفين"، وأوقفت الدولة العثمانية أوقافاً كثيرة على الأماكن المقدسة، كانت إيراداتها تصب في خزانة مستقلة بالقصر السلطاني تعرف باسم "حرمين دولابي" - أي خزانة الحرمين - (١٠)، وقد استمر هذا التأثير في مجريات الأحداث التاريخية في تاريخ الجزيرة العربية إلى أواخر النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري، أوائل القرن العشرين الميلادي (١١)

٢ - إن الأوضاع الدينية والاجتماعية في شبه الجزيرة العربية بشكل عام وفي إقليم

الحجاز بشكل خاص كانت تستأثر بجمل اهتمام رجال الدولة العثمانية، وكان لها النصيب الوافر من الرعاية والمتابعة، حتى باتت التقارير السنوية تُعدُّ عن ذلك الجزء الهام من الدولة، وأصبحت أحوال الحجاز تنصدر سالنامات الدولة العثمانية، كما أن أطراف الجزيرة العربية والخليج العربي أخذت نصيبها من هذه السالنامات التي كتبت عن ولايات الدولة المختلفة. (١٢) وقد منح سلاطين الدولة العثمانية عدة امتيازات مالية وسياسية للحرمين الشريفين وسكانهما، حيث مثلت الصرة الهمايونية تقليداً ثابتاً لدى سلاطين الدولة العثمانية، فهم يحرسون على إرسالها كل عام إلى الحرمين الشريفين، ولا يقبلون تأخيرها أو العبث بها، كما تمتع سكان الحرمين الشريفين بعدة امتيازات كالإعفاء من التجنيد أو الخدمة العسكرية، وكذلك الإعفاء من النظام الضريبي الذي يفرض عادة على معظم ولايات الدولة العثمانية. (١٣)

٣ - هناك اتجاه إيجابي في غمط السياسة العثمانية تجاه الجزيرة العربية، كمهبط للوحي السماوي، والرسالة الخالدة التي جاء بها خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ولموقع الحرمين الشريفين فيها، وهو المكان الذي تهفو إليه أفئدة المسلمين في كل زمان ومكان، لذا كان الكتاب العثماني في هذا الاتجاه يحتل الحيز البارز والكبير في المؤلفات العثمانية. (١٤)

ويتضح مما سبق أن الكتاب العثماني عن الجزيرة العربية في تلك الحقبة التاريخية أصبح في حكم النادر، لبعده عن متناول القارئ العربي، ولأنه كتب بلغة غير اللغة العربية، ومع هذا وذاك فما زال الكتاب العثماني يشكل أهمية كبيرة، ويعتبر من المصادر النادرة والمهمة لتاريخ شبه الجزيرة العربية.

ولا بد لنا في المملكة العربية السعودية بشكل خاص، وفي العالم العربي بشكل عام من الاهتمام بحصر هذه الكتب ومعرفتها، ومعرفة أماكنها قدر المستطاع، ليتسنى لنا بعد ذلك ترجمة ما يمكن ترجمته، وتحقيق ما يمكن تحقيقه، والاستفادة منه في معرفة تاريخنا في القرون الخمسة الماضية وهي مدة زمنية

طويلة تحتاج إلى البحث والتحقيق والدراسات الجادة. إن مدينة إستانبول التاريخية "عاصمة الدولة العثمانية المسلمة" تمتلك في خزانها المكتبية ومراكزها العلمية كثيراً من الوثائق العثمانية التي لم تنشر بعد، وكثيراً من المصادر والمراجع الأصلية والنادرة، والتي لها علاقة مباشرة بتاريخ الجزيرة العربية والدولة السعودية الأولى والثانية والثالثة، مع أن الأرشيف العثماني مازال يحتفظ بالشئ الكثير من الوثائق العثمانية التي لم تنشر، والتي تعتبر من أهم ما يعتمد عليه الباحثون في دراسة التاريخ الحديث والمعاصر، وبدونها يصعب على الباحث الوصول إلى الحقيقة، لأننا نعرف أن الوثيقة هي الشاهد، والتاريخ هو القانون الذي يعتمد على إيجاد الأدلة الواضحة واستخدامها لإبراز الحقيقة المجردة. (١٥)

ومع هذه الأهمية القوية للوثائق العثمانية إلا أن ذلك لا يقلل بأي حال من الأحوال من أهمية الكتاب العثماني، ولا سيما أنه يعتبر الآن في حكم المصدر النادر بالنسبة للقارئ العربي، وأنه يشكل مصدراً مهماً ومرجعاً علمياً قوياً في دراسة تاريخ الجزيرة العربية الحديث.

وسنشير فيما يأتي إلى بعض المصادر والمراجع العثمانية التركية المخطوطة والمطبوعة وأهم ما تحتويه، لنؤكد أهمية ما ذهب إليه هذا البحث وهي :

١ - كتاب خلاصة الأخبار، ومؤلفه محمد بن عمر بن بايزيد عاشق حنفي، وهو محفوظ في المكتبة السليمانية في إستانبول، في قسم أسعد أفندي، تحت رقم ٢٣٧٨، ويقع في ٢٨٣ ورقة.

وقد فرغ المؤلف من كتابته سنة ١٠٠٥ هـ، ويتحدث الكتاب بإسهاب عن فضائل المدينة المنورة وتاريخها على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، كما يعطي معلومات وافية عن الآثار التاريخية بالمدينة، والترميمات التي أجريت لها في العهد العثماني.

وتوجد نسخة مختصرة لنفس الكتاب ونفس المؤلف بعنوان :

اختصار الخلاصة، في قسم جلبي عبد الله أفندي تحت رقم ٢٤٩ بالمكتبة السلمانية في إستانبول، وتمتاز النسخة المختصرة بوجود صور مرسومة باليد لبعض الأماكن في المدينة المنورة، مثل المسجد النبوي، والحجرة الشريفة، ومسجد قباء، ومسجد أبي بكر وعمر وغيرها.

٢ - كتاب أخبار مكة، ومؤلفه محمد بن عمر بن بايزيد عاشق حنفي، ويقع الكتاب في ٦٧ ورقة، وقد فرغ المؤلف من تأليفه سنة ١٠١١ هـ، وهو محفوظ في قسم جلبي عبد الله أفندي تحت رقم ٢٤٩ في المكتبة السلمانية في إستانبول، والكتاب يتحدث عن بناء الكعبة، وبابها والترميمات التي أجريت لها في العهد العثماني، ويوجد في الكتاب نص اللوحة التذكارية الحجرية الخاصة بترميم الكعبة من قبل السلطان مراد الثالث. وقد أورد المؤلف في صفحات الكتاب عدداً من الصور التي رسمت باليد لبعض الأماكن في مكة المكرمة والمشاعر المقدسة، مثل صورة الصفا والمروة، وباب الكعبة، وجبل أبي قبيس، ومسجد الحيف، وجبل ثور، وجبل النور، والمشعر الحرام، وجبل الرحمة بعرفات.

٣ - كتاب طيبة الأذكار في مدينة الأنوار، ومؤلفه درويش أحمد بشكاري زاده، والكتاب يقع في ٥٨ ورقة في مجلد واحد، وقد نسخ سنة ١٢٥٠ هـ، وهو محفوظ في مجموعة برتون في المكتبة السلمانية في إستانبول تحت رقم "440"، وقد رافق المؤلف قاضي المدينة المنورة محمد عطا الله أفندي، المعين من قبل الدولة العثمانية سنة ١٢٠٦ هـ، وعمل معه كاتباً لمدة عام كامل. وفي خلال إقامته تلك تعرف على عادات وتقاليده أهل المدينة المنورة وأمناط الحياة فيها، وأراد أن ينقل صورة حية للحياة الاجتماعية في المدينة المنورة لمن يريد الحج ويريد زيارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وتحدث في كتابه ذلك عن العادات التي كانت سائدة في طيبة الطيبة، وقد قام الدكتور سعد الدين بن عثمان أونال، الباحث بمركز أبحاث الحج بجامعة أم

القرى بمكة المكرمة بتعريب ذلك الكتاب، لكنه ما يزال مخطوطاً عنده على الآلة الكاتبة.

٤ - كتاب تعطير أرجاء الدولة المجيدية بطبيب أخبار بلد خير البرية، ومؤلفه مصطفى عشقي بن عمر الكليسي، وهو مؤلف باللغة العثمانية، ويقع في ثلاثة مجلدات، تشمل ثمانية أبواب وخاتمة.

ويتحدث الكتاب عن أسماء المدينة المنورة، وعن خواصها وفضائلها، وعن سكانها، وأول بناء للروضة الشريفة، كما يتحدث عن أسوار المدينة وحدودها وعن مساجدها والأماكن التاريخية فيها. وقد انتهى المؤلف من كتابه في سنة ١٢٦٢ هـ. ويذكر أنه ألفه بالمدينة المنورة، والكتاب محفوظ بمكتبة جامعة إستانبول تحت رقم ١٤٨٨ - ١٤٩٠، وله أهمية تاريخية خاصة.

٥ - كتاب غاية البغية والمرام في بيان أساس الكعبة والمسجد الحرام، ومؤلفه الشيخ محمد أمين المدني ابن الشيخ محمد صالح الكردي الأيوبي، وهو محفوظ تحت رقم ٩٣٧٠ في مكتبة جامعة إستانبول، ويشتمل الكتاب على سبعة فصول، يتحدث فيها المؤلف عن الطواف والتجديدات المعمارية في المطاف وتحدث عن الكعبة وكسوتها وتاريخ ذلك حتى زمن المؤلف، ثم أشار المؤلف إلى بثر زمزم وما مر عليها من تعمیر وترميم خلال الفترات التاريخية. وتحدث عن أبواب الحرم وأسماؤها وأساطين الحرم ومن بناها ورممها ليختتم الكتاب بالحديث عن فضائل مكة وسكانها، وقد أشار المؤلف في كتابه إلى أنه فرغ من تحريره في اليوم السادس والعشرين من شهر ذي الحجة من عام ١٢٩٨ هـ، وللكتاب أهمية خاصة في تاريخ مكة المكرمة.

٦ - كتاب تاريخ نعيما، ومؤلفه مصطفى نعيما، ويقع الكتاب في خمسة مجلدات، وقد طبع بالمطبعة العامة سنة ١٢٨١ - ١٢٨٣ هـ في إستانبول. وهو يحوي معلومات كثيرة عن بعض الحوادث التاريخية التي وقعت في الجزيرة العربية بشكل عام، والحرمين الشريفين بشكل خاص.

وقد تحدث المؤلف عن ترميمات الكعبة المشرفة والمدينة المنورة وجهود السلاطين العثمانيين في المدينتين المقدستين في القرن العاشر وأوائل الحادي عشر الهجري .

٧ - تاريخ كوجوك جلبي زاده إسماعيل عاصم أفندي، طبع في مدينة إستانبول سنة ١٢٨٢ هـ في مجلد واحد .

وهو يتحدث عن الخدمات التي قدمت للحجاج وللأماكن المقدسة من قبل سلاطين الدولة العثمانية في أوائل القرن الثاني عشر الهجري . ويشير بإسهاب إلى إرسال العساكر العثمانية إلى ميناء جدة لحمايتها من الهجمات المعادية، كما يشير إلى الترميمات في المدينة المنورة وفي عين الزرقاء بها ونحو ذلك .

٨ - كتاب تاريخ بجوي، إبراهيم أفندي .
وقد طبع في المطبعة العامرة في إستانبول في سنة ١٢٨١ هـ وفي سنة ١٢٨٣ هـ، واعتمدت النسخة المطبوعة على النسخ التي وصلت إلى وفاة السلطان مراد الرابع سنة ١٠٤٩ هـ، ويتناول تاريخ الدولة العثمانية من عام ١٥٢٠ م إلى عام ١٦٤٠ م وقد تحدث المؤلف في كتابه عن تعمير سطح الكعبة المشرفة سنة ٩٧٩ هـ و ٩٨٢ هـ، وتحدث عن وصول العثمانيين إلى اليمن وإلى ميناء عدن، مشيراً إلى الحملات العثمانية البحرية التي وصلت إلى الخليج العربي وإلى الهند . وقد أعيدت طباعة هذا الكتاب عام ١٩٩٢ م باللغة التركية وعنوانه Pecevi Tarihi

٩ - كتاب تاريخ أحمد لطفي، ومؤلفه هو الحافظ أحمد لطفي، وقد طبع في ثمانية مجلدات سنة ١٢٩٠ هـ، وفي سنة ١٣٢٨ هـ في المطبعة العامرة ومطبعة الصباح في مدينة إستانبول، وتوجد نسخة منه في مكتبة متحف الآثار في إستانبول تحت رقم ١٣٤٣، ورقم ١٣٤٧ . وقد نشر القسم الثاني منه (ويتناول من الجزء التاسع إلى الجزء الرابع عشر) ما بين عام ١٩٨٤ - ١٩٩١ م من لدن منير آق تبه باللغة التركية الحديثة .

وفي هذا الكتاب معلومات تاريخية معاصرة عن الجزيرة العربية، وأمرائها، وعن مواقف الدولة العثمانية معهم، وعن تعاملات السلاطين العثمانيين مع أمراء مكة، وأئمة الدول السعودية الأولى، وعن الدعوة الإصلاحية التي رعتها ودعمتها الدولة السعودية.

وفي الكتاب معلومات وافية ودقيقة عن الخدمات المقدمة من الدولة العثمانية للحرمين الشريفين. ومؤلف الكتاب معاصر لأحداث القرن الثالث عشر الهجري، مما يعطي الكتاب أهمية خاصة لقربه من الفترة الزمنية للأحداث التي أوردتها.

١٠ - كتاب تاريخ وهابيان، أي: تاريخ الوهابيين، وهو من تأليف أيوب صبري باشا، وقد طبع في إستانبول باللغة التركية العثمانية، في سنة ١٢٩٢ هـ، ومنه نسخة في المكتبة السليمانية في إستانبول.

وأعيدت طباعته في سنة ١٩٩٢ م قبل دار بدر للنشر في إستانبول، وقد نشرت هذه الطبعة الثانية بالأصل العثماني، والتركي بالحروف اللاتينية أيضاً وذلك تحت عنوان *Tarih-i Vahhabiyan*

١١ - حجاز ولايتي سالنامه سي، وتعريفه "سالنامه الحجاز أو الكتاب السنوي للحجاز".

وقد طبع في مطابع ولاية الحجاز "حجاز ولايتي مطبعة سنده طبع أولنمشدر" وكلمة سالنامه، تتكون من مقطعين: "سال" وتعني السنة والحوال والعام. و"نامه" وتعني الكتاب والرسالة، والكلمة من أصل فارسي، وحين دخلت القاموس التركي العثماني أخذت معنى حولية، والتقويم السنوي أو الكتاب السنوي، أما معناها الاصطلاحي فهو "كتاب يحمل بعض الخواص التقويمية والعلمية والتعليمية"، ويعرفها أحد المفكرين العثمانيين في القاموس التركي بأنها "كتاب موقوف يصدر مرة كل عام ويبين وقائع وأحوال سنة

واحدة". (١٦)

وقد صدر منها خمسة أعداد خاصة بالسنوات الآتية :

١٣٠١ هـ، ١٣٠٣ هـ، ١٣٠٥ هـ، ١٣٠٦ هـ، ١٣٠٩ هـ. وكانت لغة السالنامات تلك هي اللغة العثمانية، ماعدا السالنامة الخاصة بسنة ١٣٠٣ هـ حيث صدرت باللغتين العربية والعثمانية.

وفي هذه السالنامات نجد معلومات تاريخية عن الجزيرة العربية بشكل عام، وعن الحجاز بشكل خاص، وفيها قوائم طويلة منتظمة على حسب السنين بأسماء مجالس إدارة المناطق التابعة لولاية الحجاز في العهد العثماني بدءاً من الوالي، والقائد العسكري والقاضي، والمفتي، ومدير مطبعة الولاية، ومديري المستشفيات، وأسماء أطبائها، وأسماء مشايخ المهن ومن في حكمهم، كما تتناول معلومات عن وضع التعليم والمدارس في ولاية الحجاز والاماكن التابعة لها.

وهناك سالنامات أخرى صدرت عن ولاية بغداد والبصرة واليمن، وفيها معلومات وفيرة عن الخليج العربي والجزيرة العربية. (١٧)

١٢- كتاب مرآت الحرمين، وتعريبه: "مرآة الحرمين"، ومؤلفه هو أيوب صبري باشا، أحد المدرسين في مدرسة البحرية الشاهانة "أي السلطانية" في إستانبول. (١٨)

والكتاب يقع في خمسة أجزاء، في خمسة مجلدات باللغة التركية العثمانية ذات الأحرف العربية، ويحمل الجزء الأول منه عنوان: مرآت جزيرة العرب، بينما الجزء الثاني والثالث بعنوان: مرآت مكة، أما الجزء الرابع والخامس فهما بعنوان: مرآت مدينة - أي مرآة المدينة - وقد طبع الكتاب في مطبعة البحرية العثمانية في إستانبول سنة ١٣٠٣ هـ "بحرية مطبعة سنده طبع أولنمشدر". (١٩)

والكتاب يتحدث عن جغرافية مكة المكرمة، وبيوتها ومنازلها وفضائلها، وعن

المواقع التاريخية فيها وأوضاع المجاورين فيها . كما يتحدث عن توسعة المسجد الحرام وعن الصرر والهبات التي كانت ترسلها الدولة العثمانية ، وعن كسوة الكعبة الشريفة . كما يشمل الكتاب الحديث عن الجزيرة العربية بشكل عام وجغرافيتها والعادات والتقاليد السائدة فيها زمن المؤلف .

كما يتحدث عن المدينة المنورة بنفس أسلوب حديثه عن مكة المكرمة . ١٣- حجازك أحوال عمومية صحية وإصلاحات أساسية حاضرة ، سيله برابر ، بعض مشاهدات وملاحظات بندكانه مي حاوي برلائحه طبيه در . القسطنطينية ، ١٣٠٨ هـ .

وتعريبه : " تقرير طبي عن بعض المشاهدات والملاحظات في الأحوال الصحية العامة في الحجاز وإصلاحاتها الأساسية الحاضرة " . والكتاب محفوظ بمكتبة جامعة إستانبول تحت رقم ٤٣٦١ ، ومؤلفه قيصرلي شاكور ، وهو طبيب عسكري برتبة قائم مقام أحد أطباء مستشفى حيدر باشا في إستانبول .

وتوجد نسخة منه مصورة على الورق بمرکز أبحاث الحج بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، وهي مصورة عن أصل المخطوط في جامعة إستانبول .

وهذا التقرير عبارة عن كتاب تتجاوز صفحاته ثلاثمائة وخمسين صفحة ، وقد تحدث فيه المؤلف عن بعض مشاهداته واقتراحاته من خلال وجوده في الحجاز التي قدم إليها في مهمة رسمية كلفه بها السلطان العثماني .

وقد ركز من خلال تلك المشاهدات والملاحظات على النواحي الصحية في منطقة الحجاز بشكل عام ، بدءاً من موانئها البحرية ومروراً بمراكز وتجمعات الحجاج في الطرق المؤدية إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة .

وأعطى المؤلف نبذة تاريخية وعلمية عن البحر الأحمر ومياهه ، ثم تحدث بإسهاب عن مدينة جدة والعادات الاجتماعية فيها وكيفية استقبالها للحجاج

وعن البيوت في جدة، والإصلاحات التي يرى ضرورة القيام بها في مدينة جدة سواء من الناحية العمرانية أو الصحية.

وقدم من خلال ذلك اقتراحات بضرورة إنشاء طريق للسكة الحديدية بين جدة ومكة والمشاعر المقدسة. وعند حديثه عن مكة المكرمة والمشاعر المقدسة في منى ومزدلفة وعرفات أفاض المؤلف في الحديث عن كل الطواهر التي عاشها بدءاً من المواقع التاريخية والعادات الاجتماعية والأعمال التجارية والأسواق والنظافة، والخدمات الصحية الموجودة والمطلوب إيجادها. فقد اقترح تطوير الخدمات الصحية والاهتمام بصحة الحجاج والأهالي، وإجراء التدابير اللازمة للحيلولة دون انتشار الأوبئة في مكة المكرمة والمشاعر المقدسة.

وتحدث عن الأمراض المعدية في الحج وعن المستشفى الوحيد الموجود بمكة المكرمة المعروف بمستشفى الغرباء.

ثم تحدث المؤلف عن الطريق إلى المدينة المنورة وعن أهم المواقع والأمكنة التاريخية من أودية وجبال وأبار تقع بين الحرمين ويمر بها طريق الحجاج في تلك الفترة. وفي المدينة المنورة تحدث المؤلف بنفس المنهج والاتجاه وأعطى معلومات عامة عن المستشفيات هناك كالمستشفى العسكري، ومستشفى الغرباء، ومستشفى الحميدية، وقدم اقتراحات وآراء مختلفة، وأشار إلى لقاءاته مع قناصل بعض الدول الإسلامية وبعض الأطباء القادمين منها، ورؤيته في ضرورة إرسال بعثات طبية مختلطة من الدول الإسلامية في كل عام مع حجاج تلك الدولة. ثم ختم تقريره بالقاء نظرة على الأسطول البحري في البحر الأحمر، وملابس رجاله والمدة الزمنية لبقائه في البحر، كما أشار إلى أهمية حفظ الأمن في الحرمين الشريفين وبين المدينتين المقدستين - مكة المكرمة والمدينة المنورة - بشكل خاص، وفي سائر مدن الحجاز بشكل عام.

١٤- كتاب حجاز سياحته سي، ومؤلفه، سويلمز أو غلي سليمان شفيق بن علي كمال باشا، وهو: "قول أغاسي - أي رئيس سرية". (٢٠)

في الطابور الثاني من آلاي المدفعية السيارة، وقد أتم كتابه هذا في دار الخلافة في إستانبول في ٢٧ ربيع الأول سنة ١٣١٠ هـ، وقدمه إلى السلطان عبد الحميد الثاني ليطلعه على أوضاع الجزيرة العربية بعامة وأوضاع الحجاز بشكل خاص، والمؤلف زار الحجاز لأداء فريضة الحج برفقة والده الذي كان أميناً للصرة السلطانية التي رافقت المحمل العثماني سنة ١٣٠٧ هـ، والكتاب توجد منه نسخة مخطوطة بمكتبة جامعة إستانبول تحت رقم ت ٤١٩٩ . (٢١)

وفي هذا الكتاب معلومات نادرة عن الدعوة السلفية التي أفرد لها قسماً خاصاً تحت عنوان: "الدعوة الوهابية"، وتحدث بإسهاب عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وعن الدولة السعودية في نجد، وتوسعهم خارج نجد، كما تحدث عن القبائل في الجزيرة بشكل عام، وعن نجد وجبل شعر بشكل خاص، وأعطى معلومات إحصائية عن قوات الدولة السعودية، وعن إمارة "ابن رشيد" في حائل معبراً بذلك عن توجه السياسة العثمانية ورؤيتها للأحداث داخل الجزيرة العربية حينذاك، (٢٢) كما يحتوي الكتاب على مجموعة من الخرائط التي رسمها المؤلف، وهي من الخرائط النادرة.

وقد نأى إلى علم الباحث من أحد الأساتذة المتخصصين أن الدكتور سليمان آتش، قد قام بترجمة جزء من هذا الكتاب أثناء فترة عمله في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، بيد أنه لم يتيسر للباحث الحصول على نسخة من هذه الترجمة.

١٥- "عارفي بأشائك جدة والي قائمقام ملغندة بولنديغي زمانه عائد مخابرات رسمية مجموعه سي" وتعريبه هو: "مجموعة المخابرات العائدة لزمان قائمقامية والي جدة القائمقام عارفي باشا".

وتقع هذه المجموعة في مجلدين، المجلد الأول يقع في ٩٣ ورقة للفترة من ١٣٠٥ هـ - ١٣٠٦ هـ، أما المجلد الثاني فيقع في ١٠٠ ورقة للفترة من ١٢٩٧ - ١٣٠٤ هـ. (٢٣)

١٦- كتاب معلومات عن الجزيرة العربية ومؤلفه هو محمد كامل بن نعمان المعروف بابن الدوامي الحمصي، وهو الكاتب الخامس في الديوان السلطاني، وقد أتم كتابه في ٢٧ رمضان سنة ١٣١٢ هـ وقدمه للسلطان عبد الحميد الثاني، وفي الكتاب معلومات عن جغرافية الجزيرة العربية ومناخها ومحصولاتها ودوابها ومعادنها وتجارتها وطرقها، والأوزان والمكاييل المستعملة فيها.

كما تحدث المؤلف عن سكان الجزيرة العربية وعاداتهم وملابسهم وطرق معيشتهم، وتحدث عن الدعوة السلفية الإصلاحية في نجد التي قامت بها الدولة السعودية الأولى، وعن بعض القبائل في نجد. والكتاب محفوظ بمكتبة جامعة إستانبول تحت رقم ٤٤٣٢، وهو مكتوب باللغة التركية العثمانية.

١٧- كتاب سياحته، وتعبه "الرحلة" ومؤلفه محمد ظلي بن درويش أولياء جبلي، ويقع الكتاب في عشرة مجلدات، والجزء التاسع خاص بالحجاز ومصر والسودان، ويبدأ الجزء التاسع بالحديث عن الحياة الاقتصادية في مكة المكرمة، والمدينة المنورة، والمستوى المعيشي لأهل البلدين المقدستين. كما يتحدث عن الحياة الاجتماعية، وعن العادات والتقاليد، وأنماط السلوك الاجتماعي، والتطور الاقتصادي الناتج عن ارتفاع مستوى المعيشة في الحرمين الشريفين.

وقد طبع هذا الكتاب باللغة العثمانية في الفترة من ١٣١٤-١٣١٨ هـ عدة طبعات، ثم طبع باللغة التركية الحديثة منذ عام ١٩٢٨-١٩٣٨ م عدة طبعات كذلك.

وتوجد نسخة مخطوطة من الكتاب باللغة العثمانية في مجموعة - حاجي بشير أغا - في المكتبة السليمانية في إستانبول تحت رقم ١/٤٤٨ - ٢/٤٥٢، وتوجد نسخة مطبوعة حديثاً بقاعة الكتب العثمانية والتركية بمكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض.

١٨- كتاب خلفاي عظام عثمانية حضراتك حرمين شريفينده كى آثار مبروره ومشكوره هما يونلرندن باحث تاريخي برآثردر، وتعريبه "الآثار المبرورة والمشكورة لسلطين آل عثمان بالحرمين الشريفين"، ومؤلف الكتاب هو محمد أمين المكي وقد طبع الكتاب باللغة العثمانية سنة ١٣١٨ هـ، في المطبعة العثمانية في إستانبول.

ومؤلف الكتاب كان عضواً في مجلس التفتيش في نظارة المعارف العمومية، والكتاب يشتمل على معلومات تاريخية نادرة عن مدن الحجاز، وبصفة خاصة عن مكة المكرمة والمدينة المنورة والطائف وجدة، فهو يتحدث عن عدد السكان والمنازل والمتاجر وعن المصانع وأنواعها.

ويورد الكتاب معلومات وافية عن الأعمال التي قام بها سلاطين آل عثمان في الحرمين الشريفين، وفي الحجاز بشكل عام، فهو يتحدث عن كل سلطان على حده، ويورد إحصائية نادرة لكل الأعمال التي قام بها كل سلطان. كما يتحدث عن طريق الحاج ومنازله، والمسافات التي يقطعها الحاج بين هذه المنازل، كما أورد بياناً إحصائياً لأسماء وأعداد القبائل القاطنة بين مكة والمدينة. (٢٤)

١٩- كتاب تاريخ جودت، ومؤلفة هو صاحب الدولة أحمد جودت باشا ابن اسماعيل بن علي بن أحمد بن إسماعيل، من رجال الدولة العثمانية البازرين تولى منصب القضاء في الدولة سنة ١٢٦٠ هـ، وفي أواخر سنة ١٢٨٩ هـ تولى نظارة الأوقاف الهمايونية، ثم تولى نظارة المعارف العمومية، ثم نظارة العدلية سنة ١٢٩٦ هـ وفي سنة ١٣٠٥ هـ عين من أعضاء مجلس الوكلاء الخاص. وقد تُرجم الجزء الأول من تاريخ جودت إلى اللغة العربية وطبع في مطبعة جريدة بيروت سنة ١٣٠٠ هـ، ويوجد نسخة من هذا الجزء بمكتبة جامعة القاهرة تحت رقم ٤٢٠٨.

وقد طبع كامل الكتاب باللغة التركية ذات الأحرف اللاتينية في ستة مجلدات

سنة ١٩٩٣م وسنة ١٩٩٤م في مطبعة جويك (evik في إستانبول، وقد تحدث المؤلف في الأجزاء الثاني والثالث والرابع والخامس عن الأحداث التاريخية التي عرفت في الجزيرة العربية، وتحدث عن ظهور الدولة السعودية الأولى وعن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب التي ساندتها الدولة السعودية. وفي الجزء السادس تكلم المؤلف عن الحملات العسكرية التي قادها محمد علي باشا ضد الدولة السعودية، ويشمل الكتاب بين جنباته معلومات وافية عن الانجازات الحضارية التي قدمتها الدولة العثمانية للحرمين الشريفين، كما يتحدث الكتاب عن تأمين الطرق والنواحي الأمنية وعن الهبات التي تقدم لأهالي الحجاز من قبل الأستانة، كما أن الكتاب يعطي معلومات وافية ودقيقة عن خط سكة حديد الحجاز الذي ربط الشام بالمدينة المنورة في أواخر الدولة العثمانية.

هذا غيض من فيض، وقليل من كثير من الكتب العثمانية التي ألفت عن الجزيرة العربية، وهي بدون شك تحمل في طياتها الكثير من المعلومات التاريخية والحضارية عن تلك المنطقة، وتحمل إلى جانب ذلك وجهة النظر العثمانية التي كانت تسود أجواء الدولة العثمانية ونحن العرب في حاجة إلى معرفة تلك التوجهات من مصادرها الأصلية.

وبالإضافة إلى هذه الكتب فهناك خرائط ومخططات وصور فونوغرافية نادرة الوجود، تتعلق بمدينة مكة المكرمة والمدينة المنورة، ومدينة جدة ومدينة الطائف ومدينة ينبع، وطرق الحج، وخرائط لشبه الجزيرة العربية وبحارها، وتعتبر هذه الخرائط من أول الخرائط التي عملت لهذه المناطق حيث إن تاريخ هذه الخرائط والصور يرجع إلى أواخر القرن الثالث عشر الهجري، وهي بذلك تكاد تكون نادرة الوجود والمماثلة، وتعتبر مصدراً مهماً لدراسة تاريخ وجغرافية المنطقة.

وما هو جدير بالذكر هنا أن الجامعات التركية لم تغفل هذا الجانب في أبحاثها

ورسائلها العلمية، وقد أعدت أطروحات علمية في هذا الجانب، ومنها على سبيل المثال لا الحصر :-

١ - إسماعيل حقي أوزون جارشيلي : أمراء مكة المكرمة .
Ismail Hakki Uzuncarsili/ Mekke -i Mükerrerme Emirleri

وطبع الكتاب في أنقرة سنة ١٩٧٢م باللغة التركية ذات الأحرف اللاتينية من قبل مؤسسة تاريخ الترك .

وقد ترجمه إلى اللغة العربية الدكتور خليل على مراد تحت عنوان "أمراء مكة المكرمة في العهد العثماني"، ونشر عام ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م عن طريق مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة - شعبة دراسات العلوم الاجتماعية . ويتحدث الكتاب عن شبه جزيرة العرب بشكل عام، وعن الحجاز ومكة المكرمة بشكل خاص، حيث يتكلم عن الأمراء والولاة في مكة، وعن اهتمام السلاطين العثمانيين بشؤون مكة المكرمة، وبدء إرسال الصرة الهمايونية إلى الحرمين الشريفين .

ثم أعطى المؤلف صورة واضحة عن دخول الحجاز تحت مظلة حكم الدولة العثمانية، وعن النظام الإداري الذي اتبع في الحجاز، وصلاحيات الأمراء وألقابهم ومخصصاتهم .

وقد تطرق مؤلف الكتاب إلى علاقات أمراء مكة بسلاطين الدولة العثمانية، وعن الرسائل المتبادلة بينهم، ثم اختتم كتابه بالحديث عن قضاة مكة، وقوافل الحجاج، وأشار كذلك إلى بعض الأشياء المباركة في الكعبة الشريفة، مثل غطاء الكعبة، وستارة الباب ومفاتيح الكعبة، والكتاب من الكتب القيمة الموثقة في تاريخ مكة المكرمة في تلك الفترة التاريخية المهمة، نظراً لاستناده إلى كثير من الوثائق .

٢ - منير آتالار : الصرة الهمايونية ومراسمها في الدولة العثمانية .
Münir Atalar: Osmalidevleinde Surre-i Humayun Ve Surre Alaylari

وهي رسالة دكتوراه من جامعة أنقرة، من منشورات رئاسة الشؤون الدينية سنة ١٩٩١م، وقد طبع باللغة التركية الحديثة.

وينقسم الكتاب إلى مقدمة تمهيدية وثلاثة مباحث، وخاتمة، وقد تحدث المؤلف في المبحث الأول عن الصرة في الدولة العثمانية وبدايتها بدءاً من عهد السلطان بايزيد الأول وتطور نظام الصرة مع وصول العثمانيين إلى المشرق العربي الإسلامي.

وشرح البحث مقدار هذه الصرر اعتماداً على ما دُوّن في دفاتر الصرة، بدءاً من انضمام الحجاز إلى الدولة العثمانية وحتى انتهاء الدولة العثمانية في أوائل القرن العشرين.

أما المبحث الثاني فقد خصص للحديث عن الاحتفالات والمراسم التي تقام في عاصمة الدولة - إسطنبول - كل عام بمناسبة إرسال الصرة الهمايونية للحرمين الشريفين، وما تحويه هذه الصرر من هدايا وهبات ثمينة ترسل مع الصرة كل عام، وتحدث الكتاب بإسهاب عن الطريق الذي تسلكه قافلة الصرة، والإجراءات المتخذة لتأمينه، ثم ناقش الكتاب بإيضاح واف وظائف العاملين في الصرة، والمصطلحات الوظيفية وما في حكمها، والكتاب رسالة علمية اعتمدت في مجملها على الوثائق العثمانية غير المنشورة، وعلى المصادر المعاصرة.

٣ - أجار. أ. وهي: الحركة الوهابية في تاريخ الدولة العثمانية
Ecer, A. Vehbi: Osmanlı Tarihinde Vehhâbi Harekati.

وهي رسالة دكتوراه من جامعة أنقرة لم تنشر بعد، وهذه الأطروحة العلمية مؤلفة بالوثائق المنشورة وغير المنشورة وبالمصادر الأساسية.
وقد تحدثت عن قيام الدولة السعودية، والدعوة الإصلاحية التي نادى بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ورعتها الدولة السعودية.

٤ - كُلدن صاري يلديز: تشكيلات المحاجر الصحية في الحجاز ١٨٦٥

- ١٩١٤ م.

Gülden Sariyildiz: Hicaz Karantina Teskilti 1865 - 1914.

وهذا الكتاب عبارة عن رسالة دكتوراه طبعت عام ١٩٩٦ م من قبل مجمع التاريخ التركي في أنقرة، وقد اعتمدت الرسالة على وثائق عثمانية أصلية، ونُشِرت عدة نماذج منها. وقد قسمت الرسالة إلى مباحث عدة تحدثت عن انتشار مرض الكوليرا في الحجاز حينذاك، واللجان الصحية التي أرسلت إلى هناك، كما تحدثت عن المحاجر الصحية المقامة في مداخل الحرمين الشريفين والجهود التي بذلت في سبيلها، ومحاولة إصلاحها وتطويرها.

وقد اتضح مما سبق أن تاريخ الجزيرة العربية ليس منعزلاً عن سواها، فهو مختلط بمن حولها من الدول والمجتمعات، تؤثر فيه وتتأثر به، فمن باب أولى أن يكون تاريخ الجزيرة العربية، والدعوة السلفية الإصلاحية التي قامت على أرضها أكثر تأثراً وتأثيراً بالدولة العثمانية وتاريخها ومؤلفاتها العلمية التي كتبت حينذاك.

من هنا نقول إن الكتاب التركي العثماني يجب أن لا تُقَلَّلَ أهميته، وعلينا مهام كبيرة في الحصول عليه من مظانه، وبالتالي ترجمته وتحقيقه وتقديمه للباحثين والمتخصصين العرب، لتعم الفائدة، ويتم الأخذ منه والاعتماد عليه أو الرد عليه.

وإذا كانت أماكن هذه المصادر والكتب تنحصر بصورة كبيرة في المكتبات ودور المحفوظات في مدينة إستانبول في دولة تركيا الشقيقة مثل :

أ - المكتبة السليمانية وما فيها من مجموعات مختلفة.

ب - متحف طوب قبو سراي بمدينة إستانبول

ج - مكتبة جامعة إستانبول.

د - مكتبة كوريلي باستانبول.

هـ - مكتبة عاطف أفندي في إستانبول.

و - مكتبة راغب باشا في إستانبول .
فإن هناك ولا شك بعض المصادر والمراجع العثمانية المهمة والتي خرجت أو أُخرجت من إستانبول إلى دور العلم والمكتبات الغربية .
ونحن في هذه الدراسة نتمنى أن تتكاتف الجهود لجمع هذه المصادر والمراجع المهمة من أماكن وجودها ، سواء بطرق الشراء أو التصوير بالنسبة للمكتب المخطوطة ، وبالتالي وضعها في المكتبات الكبيرة والرائدة في المملكة العربية السعودية ، وذلك كي يتسنى للباحثين والمختصين ولطلبة الدراسات العليا بالجامعات السعودية الاستفادة منها والأخذ عنها من قرب ، أو الرد على ما فيها بمنهج علمي متزن وهو ما ينشده الباحثون ، ولا بد من الإشارة هنا إلى ما قامت به مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض من إنشاء قسم خاص ضمن مجموعاتها العامة ، يعرف بقاعة الكتب العثمانية والتركية ، حيث توفر فيها كثير من الكتب المتعلقة بالجزيرة العربية بشكل عام والمملكة العربية السعودية بشكل خاص . وهذه القاعة لاتفتأ تتابع كل جديد يصدر عن المملكة في المؤسسات الثقافية والعلمية بتركيا ، والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل .



الهوامش

- ١ - عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة - ص ٩ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د . ت . ن .
- ٢ - د . أحمد بدر : أصول البحث العلمي ومناهجه ، ص ١٩٢ ، ط ٣ ، ١٩٧٧ م . منشورات وكالة المطبوعات - الكويت .
- ٣ - د . محمد زيان عمر : البحث العلمي مناهجه وتقنياته ، ص ١٤٠ ، جدة ، ١٣٩٥ هـ ، مطبعة خالد الطرايشي .
- ٤ - د . محمد ماهر حمادة : المصادر العربية والمعرية ، ص ١١ ، ط ٢ ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م . مؤسسة الرسالة ، بيروت .
- ٥ - أبو الفضل جمال الدين محمد بن منظور الأفرقي المصري : لسان العرب ، حرف الراء ، فصل الصاد ، ج ٤ ، ص ٤٤٥ - ٤٥٠ ، دار صادر بيروت . د . ت . ن .
- ٦ - المعجم الوسيط : باب الصاد ، ج ١ ، ص ٥٠٩ - ٥١٠ ، ط ٢ ، دار الفكر ، (د . ت .) .
- ٧ - المنجد في اللغة : ص ٤١٥ ، ط ٢٧ ، ١٩٨٤ م منشورات دار المشرق ، بيروت .
- ٨ - أحمد بدر : المرجع السابق ، ص ٣٩ .
- ٩ - أحمد تيمور باشا : نواذر المخطوطات العربية وأماكن وجودها ، نشر د . صلاح الدين المنجد ، ص ١١ ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ط ١ ، سنة ١٩٨٠ م .
- ١٠ - أحمد زيني دحلان : الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية ، ج ٢ ، ص ١٤١ - ١٤٥ ، مؤسسة الحلبي للنشر ، القاهرة ، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٨ م .
- : د . عبد العزيز محمد الشناوي : الدولة العثمانية - دولة إسلامية مفترى عليها ، ج ١ ، ص ١٦ - ٢٣ ، ص ٤٤٥ - ٤٤٦ . مكتبة الأنجلو المصرية ،

القاهرة، ١٩٨٠ م.

١١ - محمد فريد بك المحامي : تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق د. إحسان حقي، ص ١٩٧، ط ٢، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م، دار النفائس، بيروت.
د. أحمد عبد الرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني، ص ٩٨-٩٩، ط ١، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م، دار الشروق، القاهرة.

١٢ - حجاز ولايتي سالنامه سي : حجاز ولايتي مطبعه سنده طبع أولنمشدر : مكتبة مركز أبحاث الحج بجامعة أم القرى - مكة المكرمة.

: أولياء جلبي، محمد ظلي بن درويش : سياحتنامه، المجلد التاسع، المكتبة السليمانية، إستانبول، مكتبة حاجي بشير أغا. رقم ١/٤٤٨ - ٢/٤٥٢.

١٣ - (ATALAR M)N)R ~ ١٣ (NDE OSMANLI - SURRE DEVLET) - (VE HUMAYUN) RRE . P. ALAYLARIS)RRE 118 - 152.

: د. عبد العزيز محمد الشناوي : المرجع السابق، ص ٦٤ - ٦٧.

١٤ - محمد أمين المكي : خلفاء عظام عثمانية حضراتك آثار مبرورة ومشكورة همايونلرندن باحث تاريخي برآثر در، سنة ١٣١٨ هـ،

"الآثار المبرورة والمشكورة لسلطان آل عثمان بالحرمين الشريفين"

: محمد بن عمر بن بايزيد طرايزوني عاشق : أخبار مكة وتاريخ المدينة المنورة، المكتبة السليمانية إستانبول، برقم ٦٧٢.

١٥ - د. نجاة عبد القادر القناعي : أهمية الوثائق العثمانية في دراسة تاريخ الخليج العربي وشبه جزيرة العرب الحديث، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، جامعة الكويت، العدد الثلاثون، السنة الثامنة، إبريل ١٩٨٢ م، جمادى الآخرة سنة ١٤٠٢ هـ، ص ١٤٣ - ١٤٥.

: د. عبد الفتاح حسن أبو عليه : دراسة في مصادر تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر، ص ١٨٥ - ٢١٩.

١٦ - د. محمد حرب : السالنامة العثمانية وأهميتها في بحوث الخليج والجزيرة

- العربية مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، جامعة الكويت، العدد ٣٣، ص ١٤٥ السنة التاسعة، يناير سنة ١٩٨٣ م، ربيع الأول سنة ١٤٠٣ هـ.
- ١٧- سالنامة الحجاز : أعداد السنوات ١٣٠١ هـ، ١٣٠٣ هـ، ١٣٠٥ هـ، ١٣٠٦ هـ، ١٣٠٩ هـ. مكتبة مركز أبحاث الحج بجامعة أم القرى - بمكة المكرمة.
- : د. محمد حرب : السالنامة العثمانية وأهميتها في بحوث الخليج والجزيرة العربية، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ... ، ص ١٤٥-١٧٥.
- ١٨- د. خليل ساحلي أوغلو : مخطوطات عن الجزيرة العربية في مكتبة جامعة إستانبول، مجلة دار الملك عبد العزيز، عدد ٣، السنة ٣، ص ١٣٤.
- ١٩ - يوجد نسخة من الكتاب في مكتبة مركز أبحاث الحج بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.
- ٢٠ - د. محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة الإصلاح العثماني في عصر السلطان محمود الثاني ١٨٠٨-١٨٣٩ م ص ٢٨٥، ط ١، ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨ م، دار التراث، القاهرة.
- ٢١- د. خليل ساحلي أوغلو : مخطوطات عن الجزيرة العربية في مكتبة جامعة إستانبول، مجلة الدارة، العدد الثالث، السنة الثالثة، شوال ١٣٩٧ هـ/ سبتمبر ١٩٧٧ م، ص ١٣٧.
- ٢٢- د. عبد الفتاح حسن أبو عليه : دراسة في مصادر تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر، ص ٣٧٣.
- ٢٣- د. خليل ساحلي أوغلو : المرجع السابق، ص ١٢٨.
- ٢٤ - يوجد نسخة مصورة من الكتاب باللغة التركية العثمانية ذات الأحرف العربية بمرکز أبحاث الحج بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.
- وقد ترجمه إلى اللغة العربية الباحث بالمركز الدكتور سعد الدين بن عثمان أونال، ولا تزال الترجمة محفوظة بالآلة الكاتبة لدى المترجم.

النقوش والرسوم الصخرية بالجواء في منطقة القصيم

د. عبدالله بن إبراهيم العمير

جامعة الملك سعود - كلية الآداب - قسم الآثار والمتاحف

د. سليمان بن عبدالرحمن الذيب

جامعة الملك سعود - كلية الآداب - قسم التاريخ

ملخص البحث

يتناول البحث دراسة النقوش والمخريشات الصخرية القديمة في الجواء بمنطقة القصيم ، وقد تم تسجيل تسعة مواقع تحتوي في مجملها على العديد من الكتابات الشمودية والنبطية ، كما تحتوي على رسوم حيوانية متنوعة من الجمال والوعول والغزلان ، بالإضافة إلى عدد قليل من الأشكال الأدمية . كذلك شملت الدراسة ماتم حصره في جبال هذه المنطقة من الوسوم ، والتي ظهرت إما مصاحبة لتلك الكتابات والرسوم الحيوانية أو منعزلة عنها .

المقدمة :

عندما عزمنا على دراسة نقوش الجواء ووسومه ورسومه الحيوانية، كان لزاماً علينا اتباع منهجية معينة تضمن لنا التعرف على أكبر قدر ممكن من المواقع ذات النقوش والمخربشات بأسلوب علمي منظم. فكانت الخطوة الأولى عمل مسح واستقراء لكل ما أمكن الاطلاع عليه من المصادر والمراجع والدراسات المعاصرة العربية والأجنبية التي أشارت إلى هذه المنطقة مع التركيز على تلك الكتابات التي تتناول موضوع دراستنا بشكل مباشر وهي النقوش والمخربشات أو بشكل غير مباشر وهي المادة التي كتبت عليها ونعني بها الجبال والأكمات الصخرية والصخور ونحو ذلك. ولقد ألقينا بثقلنا في التنقيب عن هذه المواقع من خلال مصدر ومرجع رئيسين في هذه المنطقة وفي هذا المجال، فأما المصدر فهو «معجم البلدان» لياقوت الحموي (١)، أما المرجع فهو «معجم بلاد القصيم» لمحمد بن ناصر العبودي (٢). وبما دفعنا إلى ذلك هو كون معجم البلدان وكذا معجم بلاد القصيم كتابين موسوعيين يمكن للمرء أن يستند عليهما لحصر المواقع بكل ثقة وإطمئنان. هذا عدا كون المصدر الأول يورد الكثير من الأخبار والتصوص والأشعار القديمة التي تنطبق على الكثير من المواقع المعروفة اليوم في منطقة الجواء وتدخل في نطاق دراستنا. أما العبودي فيتميز عند دراسته وتحقيقه للمواقع بالاعتماد على غالبية المصادر القديمة مع الوقوف على المواقع والتثبت منها بنفسه.

أما الخطوة الثانية التي اعتمدناها للبحث عن النقوش والمخربشات للتعرف عليها، فهي عمل زيارات ميدانية متتالية للمواقع والجبال التي حصرناها مسبقاً وكنا نتوقع وجود بغيتها فيها، وذلك إما لشهرتها القديمة أو الحالية أو لكونها تقع على طريق حج أو تجارة أو قرب بلدة عتيقة، أو لمجرد كونها ذات واجهات صالحة للكتابة. وإلى جانب هذه الخطوة عمدنا إلى زيارة كثير من مدارس ومراكز المنطقة للباحث مع المسؤولين فيها عما يهمنا في هذا الموضوع. ولقد كانت الزيارات

الميدانية خير سبيل للتعرف على نقوش ومخريشات ورسوم هذه المنطقة، فمن خلالها عثرنا على نصوص مهمة في مواقع لم نتوقع العثور عليها كنص صلاصل (نق: ١١)، وعلى العكس من ذلك كنا نتوقع العثور على نقوش في مواقع مهمة ومشهورة لكنها كانت خلواً منها كجبل ساق الجواء المشهور. ولقد كان الهدف من هذه الدراسة هو محاولة حصر ما بها من نقوش قديمة تشمل الكتابات والرسوم الحيوانية والوسوم، ثم التعرف على هذه العناصر وتحليلها ومقارنتها. حيث إن هذه المنطقة مازالت بكرّاً لم تصلها يد الباحث المتخصص في هذا المجال. هي حسب اعتقادنا مازالت خصبة وبحاجة ماسة إلى دراسة شاملة تغطي آثارها ومواقعها المنتشرة هنا وهناك. ولعل أهمية هذه الدراسة الحالية تكمن في إمكانية إبراز نتائج ماتم حصره من نقوش وكذا فتح آفاق جديدة للمختصين في هذا المجال سواء كان هذا في منطقة الدراسة أو في مناطق أخرى مشابهة عُقل عنها واستُهِين بها.

الجِواء : موقعه وأهميته :

تنطق الجِواء بالكسر، والتخفيف ثم المد (٣)، وهناك من ينطقها بإسكان الجيم بعد «أل» ثم «او» مفتوحة فالف مقصورة أصلها في الفصحى بمدودة (٤). وكلمة الجِواء - بكسر الجيم والوقوف على الهمزة - وكذا الجِواء بإسكان الجيم والوقوف على ألف بمدودة لاتزالان تستخدمان بنفس الصيغة إلى يومنا الحالي. والجِواء جمع «جو» وهو في أصل اللغة الواسع من الأودية، والجِواء الفرجة التي بين محل القوم في وسط البيوت (٥)، والجِواء بالهمزة البطن من الأرض وقيل البارز المطمئن منها (٦) وقيل البطن من الأرض الواسع في انخفاض (٧)، وقيل الجِواء : واد في ديار عيس وأسد (٨). وسكان المنطقة يجمعون «جو» على «جيان» بكسر الجيم وتشديد الياء، ويعنون به الماء الذي يقطنه العرب في البادية (٩).

والجِواء تطلق على ناحية مهمة من نواحي القصيم (خريطة ١)، تقع في الشمال الغربي منه، أذناه على بعد ٣٠ كيلاً من مدينة بريدة، وهي بلدة القرعاء، إذ

تبتدئ حدود الجواء التقريبية بخط أوله من الجنوب نقطة بين القرعاء والشقة ثم تذهب إلى الشرق فتمر بأبلىق ثم حدود «البطين» الغربية ثم ينعطف الخط إلى الغرب تاركاً بلدة قصيباء إلى الشمال حتى إذا انتهى من الغرب إلى «صلاصل» انعطف جنوباً تاركاً جبلي «ساق» و «صار» إلى الشرق منه حتى يصل الشبيحية (١٠). ويتبع الجواء عدد من البلدان هي «ضارج (ضاري)، الشقة العليا، أبلق، جهة البطين الغربية، قصيباء، القوارة، كبذ، الطراق، المخرم، يكلب، موارد ومياه جبال صاره والموشم (القنان)، الفويلق، روض الجواء، غاف الجواء، عيون الجواء، أوثال، الهدية، القرعاء، غضي، الضلفة، الشبيحية (١١).

وتعد محافظة عيون الجواء، التي تبعد عن مدينة بريدة حوالي ٤٥ كم، أكبر هذه البلدان وهي قاعدة هذه الناحية، ويتبعها في التقسيم الإداري الحالي الكثير من البلدان وإن كانت لا تدخل ضمن جغرافية الجواء التاريخي الذي أشرنا إليه أعلاه. أما أشهر جبال الجواء فهي: صارات، وصارة، وساق، والأصابع، والموشم، وهناك الكثير من الجبال والأكمات الصخرية المتناثرة في بلدان الجواء، ومعظم أسمائها التي كانت لها في الجاهلية باقية إلى يومنا هذا (١٢).

جدير بالإشارة أن تعريف الجواء الذي أوردته الكثير من المصادر ينطبق تماماً على غالبية المنخفضات الأرضية الواقعة في هذه الناحية، إذ هي عبارة عن بطون أرضية منخفضة واسعة، منها ماهي واقعة في مصب وادي كبير، كبلدات عيون الجواء وغاف الجواء وروض الجواء الواقعة في مصب وادي أو شعيب الباطن أحد فروع وادي الرمة، ومنها ماهي واقعة في منخفض طبيعي تتجمع فيه مياه الشعاب المحيطة، كأوثال والقرعاء وقصيباء والقوارة، وهي بشكل عام ذات مياه سطحية قريبة المنال، يسهل الحصول على الماء فيها بحفر الآبار والركايا والأحسية والثمايل. ولقد كان لهذه الناحية الواقعة في الشمال الغربي من منطقة القصيم أهمية تاريخية بارزة في القديم، وذلك يعود لجملة أسباب من أهمها: اتساع رقعة المساحات الرعوية الصالحة لرعي الإبل والغنم، بالإضافة إلى كثرة ما يخرق أراضيها من

الأودية والشعاب ؛ كذلك كثرة الجبال والأكمات الصخرية والكتبان الرملية التي توفر قدراً كبيراً من التحصين الطبيعي ضد الأعداء وضد المؤثرات المناخية المختلفة . هذا بالإضافة إلى ما يمر عبرها من الطرق التجارية القديمة (١٣) . ولعله لهذه الأسباب كانت هذه المنطقة مرتعاً خصباً لكثير من القبائل العربية القديمة التي استوطنت فيها أو عبرت خلالها كبنو أسد وبني عبس وذبيان . لذلك نجد أن جل فحول شعراء العرب أشار إلى اسم «الجواء» بشكل مباشر أو ذكر بعض المواقع أو الأحداث داخل حدوده الجغرافية ، فهذا امرئ القيس يقول :

كأن مكاهي «الجواء» عذبة

صحنى سلفاً من رحيق مسفلل (١٤)

وهذا عترة بن شداد العبسي ينشد :

بادار عيلة «الجواء» تكلمي

وعمي صباحاً دار عيلة واسلمي (١٥)

أما النابغة الجعدي فيقول :

أقامت بها البردين ثم تذكرت

منازلها بين «الجواء» فجرثم (١٦)

ولقد كانت الجواء مسرحاً للكثير من المعارك بين القبائل في الجاهلية والإسلام مثل داحس والغبراء التي وقعت بين قبيلتي عبس وذبيان ، والتي كان من أيامها يوم (المريقب) وهو موقع مازال يعرف قرب بلدة غاف الجواء وهو الذي قال فيه عترة :

فالتعلمن إذا التقت فرساننا

يوم (المريقب) إن ظنك أحقق (١٧)

وهو الذي ذكر (ذات الرمت) المعروفة اليوم بـ (نقيرة الرمت) بين عيون الجواء وأوثال عندما قال :

وبني صباح قد تركنا منهم

جزراً (بذات الرمت) فوق أثال (١٨)

أما في صدر الإسلام فقد حدثت في الجواء معركة بين المسلمين وأهل الردة من غطفان وهوازن أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه حيث قتلهم خالد بن الوليد رضي الله عنه شرقتة (١٩) .

ولاشك أن مثل هذه الأحداث التي حصلت في الجواء للدليل واضح على أهمية الدور الذي لعبته المنطقة في تاريخ منطقة القصيم ونجد بشكل خاص والجزيرة العربية بشكل عام .

أولاً : الرسوم الحية (الحيوانية والآدمية) والوسوم :

خلال عملية المسح التي أجريناها في منطقة الجواء للتعرف على نقوشها ومخربشاتها، عثرنا على عدد لا بأس به من الرسوم الحيوانية المتنوعة كالجمال والوعول، وذلك إما في نفس المواقع الجبلية أو الصخرية التي توجد بها النقوش الكتابية، أو في مواقع ظهرت فيها الرسوم منفردة دون كتابة . بعض هذه الرسوم الحيوانية يبدو أنها مرتبطة بالكتابات المرافقة لها حيث إن النص يشير أحياناً إلى الحيوان أو الحيوانات المنقوشة بجواره، كما أن أسلوب تنفيذ الكتابة والنقش لا يختلف من عنصر لآخر وذلك من حيث العمق والاتجاه والجودة، كنقش العمانية (نق : ٤) . وهناك رسوم حيوانية أخرى في نفس مواقع النقوش الكتابية، لكن هناك دلائل تشير إلى عدم العلاقة بينها، حيث التباين الواضح في أسلوب التنفيذ بين العنصرين الكتابي والحيواني، كما هو الحال في موقع الضلع المتكسر بأوثال (نق : ١٢) . وبما يلاحظ أن الرسوم الحيوانية بشكل عام تبدو بأوضاع متعددة مستوحاة من أوضاعها الطبيعية التي تظهر عليها في حياتها اليومية .

كذلك عثرنا في المواقع التي قمنا بمسحها على مجموعة من الرسوم بعضها ظهر في نفس الأماكن التي ظهرت فيها الكتابات والرسوم الحيوانية، وبعضها الآخر ظهر منفرداً عنها تماماً . وما نعنيه بالوسوم في هذه الدراسة وفي هذه المنطقة الجغرافية المحدودة، هي تلك المخربشات أو الرموز التي تأخذ هيئة منتظمة على شاكلة

الأحرف المفردة أو المزدوجة ولا تمثل جزءاً من كلمة، أو على هيئة الرسوم التشكيلية متمعدلة التنفيذ. ولقد تم حصر مجموعة من الوسوم التي تشير لدلائها على أنها تعود لفترات قديمة، كأسلوب نقش الوسم على الواجهة الصخرية، ولون النقش بالنسبة للواجهة، بالإضافة إلى مقارنة الملامح العامة للرسم مع النقوش الكتابية القديمة المجاورة إن وجدت.

جدير بالإشارة أن معظم المواقع التي تحتوي على كتابات أو رسوم حيوانية، تظهر عليها وسوم حديثة النقش ولا تزال تعرف وتستخدم في المنطقة بأسماء خاصة بها، وذلك من قبيل الأهله والأعمدة والمطارق والحلق وشواهدا (٢٠)، ولا يستبعد أن تكون هذه الوسوم ذات أصول موهلة في القدم، وأن بعضها استمر استخدامه منذ ذلك الحين حتى وقتنا الحالي.

ونظراً لتعدد أشكال الرسوم الحيوانية والوسوم واختلاف هيئاتها وتباين أساليب تنفيذها، وكذا اختلاف طبيعة المواقع التي نُقِدت عليها، وتفادياً للتكرار واللبس، فإننا سنورد ماتم حصره منها بعد وصف الموقع الموجودة فيه مبتدئين بالرسوم الحيوانية ثم الوسوم، وذلك على النحو التالي :

١ - حصاة الطَّلحة (غاف الجواء) :

عبارة عن كتلة صخرية مستطيلة الشكل يصل طولها إلى ٢م وعرضها ٨٠سم وارتفاعها ٧٠سم، وهي ذات لون أصفر وطبيعة غير قاسية. تقع في الجهة الشمالية الغربية من بلدة غاف الجواء (٢١) على بعد حوالي ١٠ كم، وترى الحصاة ضمن مرتفعات صخرية وأحجار متناثرة على حزم فسيح تحيط به قيعان وشعاب صالحة للرعي. وما يشد الانتباه كون هذه الصخرة الصغيرة في موقع غير بارز أو مميز، كي تختار لكتابة نص تذكاري عليها، ولعل طبيعة الحصاة المستوية، بالإضافة إلى إمكانية الجلوس أو الاسترخاء بجانبها أو الاحتماء بها هي التي جذبت صاحب النص للكتابة عليها (لوحه ١).

١ : أ - الوسوم :

١- خطان متقاطعان بزوايا قائمة على هيئة علامة الجمع (+) أو ما يعرف بالعرقان وفي الزاوية اليمنى العلوية حفرة متطاوله هي شاهد الوسوم ، الذي يشبه في مظهره شكل حرف التاء بالخط المسند (شكل ١ : ١) .

٢- خطان أو مطرقان أفقيان متوازيان على هيئة علامة المساواة (=) ويقطعهما من منتصفهما مطرق عمودي (شكل ١ : ٢) .

٣- مثلث يكاد يكون متساوي الساقين ، في زاويته العليا من الخارج خطاف حنيته نحو اليمين ، أسفل المثلث خط أفقي على قدر ضلعه السفلي وتصل بينهما زائدتان صغيرتان . ويعرف هذا الوسوم حالياً بالفاحج أو الباب (شكل ١ : ٣) .

٤- مطرق رأسي تتوجه حلقة دائرية ، ويقطع طرفه السفلي خط أفقي قصير ، لعله بمثابة شاهد الوسوم (شكل ١ : ٤) .

٥- مطرق رأسي ينتهي طرفه العلوي بزائدتين متوازيتين نحو اليمين ، أما طرفه السفلي فيستند على حنية صغيرة ، وشكله العام يذكر بهيئة المفتاح الحديدي ذي الأسنان (شكل ١ : ٥) .

٦- هلال متطاول فتحته نحو اليمين وأطرافه منحنية نحو الداخل قليلاً ، ويرتكز الهلال على زائدة رأسية صغيرة (شكل ١ : ٦) .

٢- حصاة النصلة (غاف الجواء) :

أكمة صخرية حمراء من كتلة ضخمة واحدة رسوبية التكوين ، منعزلة عن سلسلة الجبال التي تحيط ببلدة غاف الجواء من الجهتين الشرقية والشمالية ، وهي على مشارف البلدة جهة الشمال الغربي . وتسمى هذه الأكمة الصخرية بـ «الحصاة» أحياناً وبـ «حصاة النصلة» أحياناً أخرى ، وتعود هذه التسمية الأخيرة إلى الاعتقاد السائد - غير الصحيح - بأنها قد نصلت ، أي انفردت عن الجبل الذي يحدها من

الجهة الشرقية (٢٢) . كما شاعت تسميتها في العقود الأخيرة بـ «حصاة عترة» نسبة إلى عترة بن شداد العبسي، حيث كانت داخلية في مضارب قبيلته (٢٣) .
جدير بالذكر أن أحد الطرق (الجواد) الرئيسة الماثورة التي كان يسلكها الذاهبون والقادمون من وإلى الجواء، بل القصيم بشكل عام، شمالاً وجنوباً، كانت تمر بجوار «الحصاة» تاركة إياها ناحية اليسار عند التوجه شمالاً. فكان تجار العقيلات النجديون - بشكل عام وتجار القصيم والجواء بشكل خاص - يسلكون هذا الطريق عندما يتجهون شمالاً (٢٤)، كما كان من أشهر الطرق التي يسلكها البدو شمالاً وجنوباً في مواسم نزوحهم صيفاً وشتاءً. أما موقع النقوش في هذه الصخرة فبعضها في الجهة الشمالية الشرقية منها، وذلك على واجهة مستطيلة ملساء قريبة المنال للراكب والراجل؛ وبعضها الآخر في الجهة الجنوبية من الصخرة منها ماهو بارز قامة الرجل ومنها ما يتطلب تنفيذه الاستعانة برحلة أو سلم للصعود (لوحة ٢ أسفل).

٢ : أ - الرسوم الحيوانية :

١- يظهر في الجهة الجنوبية من هذه الصخرة رسم لجمل تجريدي نقش حواف بدنه الخارجية نقشاً غائراً في حين ترك بدنه وبقية أعضائه ملساء دون نقش (٢٥) .
وينفرد هذا الجمل الوحيد بميزة لم تتكرر في رسومات جمال المنطقة، ولا في الرسومات التي تم الاطلاع عليها للمقارنة من مناطق أخرى، تلك هي ظهوره برقبتين طويلتين متمثلتين، إحداهما ذات وضع أفقي تشير إلى وضع الجمل في حالة الرعي، أما الأخرى فتبرز من منبتها نحو الأعلى، وكأن الجمل في حالة وقوف أو سير. ولعل منفذ الرسم بهذه الهيئة يريد أن ينقل صورة حية لكيفية رعي الجمل من نبات الأرض، بحيث يصور حركاته وهو يطأطيء رأسه ثم يرفعه وهو في بحث مستمر عن الكلأ. أو لعله أراد أن يصور جملين في حالة رعي في آن واحد، أولهما ظاهر بشكل كامل ويرعى من الأرض، والآخر بدنه

متق بیدن الأول، ولا يظهر منه سوى رقبته المرفوعة (شكل ٥ : ١). جدير بالإشارة أن استقامة وطول رقبة الحيوان بالنسبة لبدنه وكذا شكل الرأس والآذان والذيل توحى بأن شكل هذا الحيوان ربما يكون لزرافة، لكن هيئة الظهر تدل أنها سنم بعير.

٢- في الواجهة الجنوبية لهذه الصخرة تظهر رسمة لوعل (تيس جبلي) منفرد، نفذ بشكل جيد بأسلوب النقر الغائر لإظهار حواف جسم الحيوان فقط دون النقش على وسطه (٢٦). وتبدو تفاصيل الوعل ذات نسب تشريحية قريبة من الطبيعة، حيث القدمين القصيرين بالنسبة للرجلين والذيل القصير البارز نحو الأعلى، وكذا الرأس المثلث الذي يرتفع منه قرن مدبب ومعكوف نحو الخلف (شكل ٥ : ٢). وبما يمكن الإشارة إليه في هذا المقام أن الوعل كان يُعد من أقدم الرموز الحيوانية المربوط بإله القمر عند السبئيين المقه (٢٧) فقد كانت استخداماته طبيعية، وذلك بالاستفادة من لحمه وبقاياها. جدير بالملاحظة أنه يوجد أسفل هذا الوعل نقش كتابي مضمحل جداً بفعل عوامل التعرية، والعبث الأدمي لذا فإنه يصعب قراءته، وإن كانت بعض أحرفه تدل على أنه خط ثمودي.

٣- على الواجهة الشرقية من هذه الصخرة هناك رسم تخطيطي (تجريدي) لحيوان نفذ بأسلوب النقر المتتابع الغائر، ويبدو من ملامحه أنه إما لحمار أو بغل أو حصان في حالة سير متأنية. وقد استخدم منفذ هذا الشكل الحيواني طريقة سهلة ومعبرة عند رسمه له، وذلك بعمل خط أفقي متطاول مائل جهة مؤخرته، ويمثل هذا الخط رقبة وظهر وذيل الحيوان المنعكف نحو الأسفل ويكاد يساوي طول الأقدام. هذه الأخيرة عبارة عن خطين متوازيين يمثلان الأرجل ومثلهما في المقدمة يمثلان الأيدي. ومن منتصف ظهر الحيوان يبرز شكل مخربش صغير، يصعب الجزم بأنه يمثل الشخص الركاب، حيث إن هناك الكثير من مظاهر العبث التي أفسدت ملامح الرسوم والنقوش بشكل عام

(شكل ٥ : ٣).

٤ - على نفس الواجهة التي ظهر فيها الشكل الحيواني الأنف الذكر وقريباً منه، هناك رسم لشكل حيواني آخر نقشت حوافه الخارجية فقط في حين بقي وسطه باللون الأصلي لواجهة الجبل. وقد نفذ بشكل تخطيطي متواضع، وتوحي أبرز ملامحه أنه يمثل جمللاً في حالة سير. وقد رسم على هيئة مثلث بحيث يمثل رأسه العلوي سنام الجمل، في حين تمثل زاويتاه اليمنى واليسرى مقدمة ومؤخرة الجمل، حيث تبرز منهما ندبات صغيرة يصعب من خلالها التمييز بين شكل الرقبة والذيل. أما أقدام الحيوان فيمثلها خطان في المقدمة ومثلها في المؤخرة. ويلاحظ خط يقسم المثلث، أي بدن الحيوان، رأسياً ويتجاوزه نحو الأعلى لينتهي بدائرة صغيرة، وفي الأسفل بزائدة قصيرة؛ ولعل هذا الخط العمودي يمثل راكب الجمل الممثل بشكل تخطيطي بسيط جداً وما تجدر الإشارة إليه أن الجمل قد لعب دوراً مهماً في حياة القبائل العربية القديمة فهو يُعد أشهر الحيوانات المستأنسة، وأواخر الألف الثاني قبل الميلاد تقريباً (٢٨)، فقد رافق الجمل رفيقه العربي في العديد من الظروف، ولذلك تعددت أغراض استعماله لدى أصحاب هذا القلم الثموديين مثل السباق والنقل وغيرها. وحري بنا أن نورد على سبيل المقارنة ما استنسخه هوبر واويتنج لقطيع من الجمال وهي ترى بسلام وتأكل العشب (٢٩). (شكل ٥ : ٤).

٢ : ب - الوسوم :

- ١- ثلاثة أعمدة أو مطارق رأسية (٣٠) على هيئة العدد مائة وأحد عشر (١١١) أسفل كل من الرقمين الثاني والثالث حفرة صغيرة (شكل ١ : ٧).
- ٢- دائرتان أو حلقتان بينهما خط أو مطرق أفقي (شكل ١ : ٨).
- ٣- هلالان متقابلان بينهما خط أو مطرق عمودي (شكل ١ : ٩).
- ٤- خطان متقاطعان بزوايا قائمة على هيئة علامة الجمع (+) وفي الزاوية السفلى

اليمنى حفرة صغيرة، ويعرف هذا الوسم في الاستخدام الحالي بالعرقا (شكل ١ : ١٠).

٥- عمود رأسي رأسه معكوف نحو اليسار أما طرفه السفلي فيتهي بزائدة أفقية قصيرة (شكل ١ : ١١).

٦- خمسة أعمدة رأسية متجاورة، بدون أي إضافات (شكل ١ : ١١).

٧- هلال على شكل قوس نصف دائري فتحته نحو الأسفل، ويجواره من اليسار عمود رأسي (شكل ١ : ١٣).

٨- حلقة دائرية خالية من أية إضافات، ويشبه هذا الوسم حرف العين في الخط المسند (شكل ١ : ١٤).

٩- هلال على شكل قوس نصف دائري، فتحته نحو الأسفل وفوق حنيته حفرة دائرية (شكل ١ : ١٥).

١٠- عمودان رأسيان متجاوران يخرج من منتصف الأول زيادة أفقية نحو اليمين، أما الأيسر فجواره حلقة دائرية صغيرة (شكل ١ : ١٦).

١١- عمودان رأسيان متجاوران يخرج من منتصف أيسرهما زيادة أفقية نحو اليسار، أي على عكس الوسم السابق (شكل ١ : ١٧).

٣- الحنادر (عيون الجواء) :

تقع الحنادر إلى الغرب من محافظة عيون الجواء، وتبعد عنها حوالي ١٥ كم. وهما أكتان جبليتان حمراوان رابضتان على رأس جبال مشرف، لذلك تريان من مسافات بعيدة من عدة نواح من الجواء. وإسم الحنادر «مشتق من وصفها إذ الحندورة في الفصحى معناها : حدقة العين، وهذا ما ينطبع في ذهن من ينظر إليها من جهة الجنوب، إذ الجبال المشرف الذي تركبانه كأنه الجبهة وهما فيه كالعينين البارزتين» (٣١). ولقد ربط الكميت الأسدي اسم العيون (عيون الجواء) بالحنادر حينما قال :

لما رآه الكاشف

من العيون علي الحنادر (٣٢)

ويوجد في الحندورة (الجليل) اليمنى - بالنسبة للناظر إليهما من ناحية عيون الجواء - وذلك على جلمود صخري نقش كتب من الأعلى إلى الأسفل وقد نقشه شخص في حالة وقوف على قدميه.

٣ : أ - الرسوم الحيوانية :

١- رسم لجمال كبير الحجم نسبياً، نقش على واجهة صخرية مستوية لكنها مليئة بثقوب وشقوق كثيرة سببتها عوامل التعرية، ويبدو أن الشخص الذي نفذ الرسم قصد استغلال بعض تلك الثقوب للمساعدة في تشكيل الرسم، حتى أصبح الجمل وكأنه جزء منها، أو كأنها خلفية له. ويبدو الجمل ذو سنام ضخم ورقبة ممدودة نحو الأمام وأقدامه متفرقة، كما أن ذيله مرفوع نحو الأعلى (٣٣) وكل هذه الأعضاء قد توحى بأن الجمل في حالة سير وقد توحى بأنه في حالة وقوف (شكل ٦ : ١).

٢- رسم جمل نفذ بأسلوب النقر على واجهة صخرية ملساء، ويبدو النقر على كامل البدن. ويتميز هذا الجمل بأن نسبة التشريح دقيقة متناسقة وذات هيئة طبيعية، وتدل أقدامه الثابتة وذيله المنسدل وكذا رقبته المرفوعة على أنه في حالة وقوف (شكل ٦ : ٢).

٣- رسم لحيوان من ذوات الأربع نقر على نفس واجهة الجمل السابق ويبدو أنه أحدث منه حيث يبدو ذلك في اختلاف لون المساحات المنقوشة . ويظهر الشكل الحيواني واضح التفاصيل لكنه متواضع الهيئة، وتدل ملامحه على أنه لحمار، ويتجلى ذلك في شكل أقدامه وأذنيه، لكن ذيله طويل نسبياً وينتهي بشعر كثيف، ولعل هذا هو العضو الوحيد الذي ربما يوحي بأنه لخصان في حالة سير . ويظهر على منتصف ظهر الحيوان شكل آدمي تخطيطي غير متقن الملامح

تمثل بخط متعامد على الظهر دون أن تنزل قدماء نحو الأسفل، ومن الجزء العلوي للشكل الآدمي يبرز خط أفقي نحو الأمام ليمثل يديه (شكل ٦ : ٣).

٤ - منظر صيد جميل نقش على واجهة صخرية ملساء ؛ ويمثل هذا المنظر الطبيعي شكل آدمي وآخر لوعل وثالث لكلب صيد : الشكل الآدمي ذو تفاصيل واضحة وطبيعية، ويبدو بلباس يغطي كامل بدنه إلى الركبتين، وربما يكون الرأس مجللاً بشيء ما. ويظهر في يده اليسرى قوس كبير جداً لكنه غير مشدود ومعد للإطلاق، بينما في اليد اليمنى سهم مثبت في منتصف القوس مصوب نحو وعل أمامه. هذا الحيوان الأخير يبدو متجه نحو الصيد وفي حركة طبيعية لا تظهر عليها ملامح غير اعتيادية كالهرب من الصيد أو الاحتراز منه، حيث يبدو في حالة وقوف، وهذا ما يظهر على أقدامه الثابتة ورأسه المستقيم المتوج بقرنين مرتفعين معكوفين نحو الوراء. خلف الوعل وعلى مسافة قصيرة منه يظهر كلب الصيد ويبدو ذو نسب تشريحية طبيعية وفي حالة شبه تأهب، حيث يبدو في حال توقف مع أن ذيله الكثيف مرفوع إلى الأعلى (٣٤). ولعل منفذ هذا المنظر أراد أن يعبر عن حالة الصيد باستخدام القوس والسهم وبمساعدة كلب الصيد، الذي يكون له دور فاعل في عملية طرد الفريسة واصطيادها (شكل ٧ : ١).

٥ - منظر صيد معبر نفذ على واجهة صخرية داكنة ملساء بحيث ظهرت النقوش واضحة المعالم. ويمثل هذا المنظر الطبيعي صياداً معه قوسه، وثلاثة أشكال حيوانية منها وعلان واضحا الملامح، أما الثالث فليس من المؤكد أنه لوعل حيث إنه غير مكتمل النقش، وإن كان شكل بدنه وأقدامه وذيله قريبة من ملامح الوعلين المجاورين. الشكل الآدمي يبدو وكأنه بلباس إلى فوق الركبة، ويمسك بيديه قوساً مجهزاً بسهم، ويبدو القوس في حالة جذب أو شد قوية، والسهم يخترق منتصفه ومصوب نحو الوعل الأوسط. هذا الأخير يبدو في حالة قفز وكأنه يقف على رجليه ومؤخرته، ولعل ذلك تعبير عن دفاعه عن

نفسه أو عن إطلاق السهام عليه من قبل الصياد واصطياده . أمام هذا الوعل شكل حيواني صغير الحجم وغير واضح المعالم وربما يكون لوعل في حالة وقوف أو ربما يكون في حالة صراع مع الوعل الأكبر منه . الوعل الثالث الخلفي ذو نسب تشريحية طبيعية ويبدو وهو متوقف تماماً ، ولعله في حالة ذهول من المنظر أمامه (شكل ٧ : ٢) .

٣ : ب - الوسم :

١ - مطرق رأسي بأسفله زائدتان متساويتان نحو اليمين ، أما أعلاه فينعكف يساراً على هيئة خط أفقي طويل ، وهو بهذه الهيئة يشبه المفتاح الحديدي ذا الأسنان (شكل ٢ : ١) .

٢ - عمود رأسي يتركز على حلقة دائرية ، وعن يساره عمود قائم أرفع منه (شكل ٢ : ٢) .

٣ - دائرة مفرغة يخرج من محيطها الخارجي خمسة خطوط مستقيمة غير منتظمة : العلوي والسفلي منها ذوا استقامة واحدة ، وكذا الحال في الأيسر والأيمن السفلي ، أما الخط الخامس والأقصر فيبرز بيمول نحو اليمين ونظراً لظهور هذا الرمز بجانب أحد النصوص الثمودية (شكل ١٧ / نق : ٦) ، فإن احتمالية كونه وسمّاً على شاكلة حرف الشين الثمودي مع تمثيله أحد الآلهة عند الثموديين في ذلك الوقت غير مستبعدة (شكل ٢ : ٣) .

٤ - مطرقان متعامدان ليشكلا صليبيّاً منتظماً (عرقاة) ، يظهر في الزاوية اليمنى السفلية خطان عموديان غائران بمثابة شاهد للوسم ، ويبدو أن هذا الشاهد والمطرق العمودي في الوسم قد جددا بالحك عليهما في فترات متأخرة (شكل ٢ : ٤) .

٥ - مطرقان متعامدان على شاكلة الوسم السابق ، إلا أن شاهد هذا الوسم عبارة عن حفرة صغيرة تظهر في الزاوية اليمنى العلوية (شكل ٢ : ٥) .

٦ - مطر قان متعامدان على هيئة العرقاة المعروفة ، إلا أن الطرف الأيمن في الخط الأفقي ينتهي بعكفة سفلية تعرف بالكورة (شكل ٢ : ٦).

٤ - صلاصل (القوارة) :

صلاصل بالفتح ، وهو جمع الصلصال مخففاً ، لأنه كان ينبغي أن يكون صلاصل (٣٥) . وهو جو فسيح منخفض عن سطح الأرض ، يقع إلى الشمال الغربي من بلدة غاف الجواء ويبعد عنها بحوالي ٣٠ كم ، كما يبعد عن بلدة القوارة (بالقاف) حوالي ١٣ كم جنوباً (٣٦) . وهي عبارة عن فيضة (روضة) ذات طبغرافية متباينة ففيها سهول ورمال وشعاب تنبت العشب وتصلح للرعي طوال أيام السنة ، وفيها قيعان شاسعة تمسك الماء لفترات طويلة وتنبت فيها أشجار الطرفا ، وفيها براق تنبت الغضا الكثيف (٣٧) .

وصلاصل محاطة بجمال مرتفع من جميع جهاتها حتى أنه يصعب الدخول إليها إلا من مداخل معينة . وفي مدخل صلاصل الجنوبي الشرقي هناك جبل صخري أحمر يستظل أسفله فيما قبل الزوال ، وعند قدم هذا الجبل توجد كتلة صخرية كبيرة تحمل النقش الكتابي وقد كتبه شخص جالس على الأرض وقت الكتابة .

ولقد أورد ياقوت فيما أورده عن صلاصل أنها «ماء لبني أسمر من بني عمرو ابن حنظلة» (٣٨) . وقال لبيد بن ربيعة يذكر حماراً وحشياً رافق أتاناً وحشية ويحthan عن مسقط الغيث ومصادر الماء والتي منها صلاصل :

فلما اعتفاه الصيف ماء ثمادة

وقد زایل البهمي سفا العرب ناصلا

ولم يتذكر من بقية عهده

من الحوض والسويان إلا صلاصلا (٣٩)

٥ - الضلع المتكسر (أوثال) :

يقع هذا الجبل في الجبال الشرقي لبلدة أوثال (٤٠) الذي يكتنفها من جهاتها الجنوبية والشرقية والشمالية. والضلع المتكسر عبارة عن جبل صخري رسوبي التكوين لونه يميل إلى الحمرة، ارتفاعه جهة البلدة أي نحو الجهة الغربية ظاهر جداً، أما من الجهة الشرقية المقابلة فإنه يكاد يكون مساوٍ لسطح الأرض المرتفع عن جو أوثال بشكل ملحوظ.

ولعل تسمية هذا الجبل بـ «الضلع المتكسر» تعود إلى تهشم كتل صخرية ضخمة منه متناثرة أسفله، وذلك ربما بفعل بعض العوامل الجغرافية من قبيل الهزات الأرضية أو الصواعق التي تتسبب في سلخ تلك الكتل فتتكون مساحات كبيرة ملساء صالحة للكتابة سواء على الجبل الثابت (الأصل) أو على الكتل المتكسرة منه (لوحة ٥).

وتظهر النقوش والرسوم الحيوانية والوسوم في جهتيه الجنوبية والغربية أي في ظل ما قبل الزوال ؛ وهي متناثرة على عدة صخور، منها ماهو بارتفاع قامه الرجل أي أنها معمولة من قبل شخص واقف على قدميه، ومنها ماهو على صخور أرضية منخفضة، أي أنها منفذة من قبل شخص جالس على تلك الصخور (٤١).

٥ : أ - الرسوم الحيوانية :

١ - قطيع من الجمال مجموعها أحد عشر جملاً رسمت على واجهة صخرية ملساء، وقد نفذ بعضها بطريقة النقر وبعضها الآخر بالحك على الصخرة (٤٢). ويبدو من تشابه ملامحها العامة أنها نفذت من قبل شخص واحد ؛ فهي بمجملها ماعداً واحداً منها، في حالة سير ومتجهة نحو اليسار، أما هذا المنفرد فمتجه نحو اليمين ويبدو في حالة رعي. منها خمسة رسمت بنقر حوافها فقط، أما الستة الأخرى فقد نقرت كامل أبدانها. وتظهر عشرة من هذه الجمال حاملة ما يشبه الهودج أو الباصور فوق ظهورها، أما ذلك الذي لا يحمل

شيئاً على ظهره فيبدو الوحيد المزود برسن مشدود من رأسه نحو سنامه. ولعل هذا المنظر يجسد منظرًا طبيعياً لقوافل الجمال التي تمر بهذه المنطقة الحيوية (شكل ٨ : ١).

٢ - مجموعة جمال تظهر على شكل قافلة متتابعة نفذت بالنقر على حوافها في حين تركت أبدانها ملساء. ملامح الجمل الأول والثاني واضحة التفاصيل، أما الجمال الخلفية فقد امتدت إليها يد العبث فشوهت تفاصيلها. الجمالان الأول والثاني يبدوان في حالة توقف أو سير، حيث إن عنقيهما مرفوعان، وأقدامهما مضمومة وليست متفرقة. ويظهر على خلفية هذا المنظر وكذا على نفس الرسوم نقوش ومخربشات مختلفة يصعب تحديد ما إذا كان بعضها تابع لهذه الجمال من الأصل أم لا (شكل ٨ : ٢).

٣ - جمل منفرد نقش بأسلوب النقر على واجهة صخرية حمراء اللون وذلك لتوضيح حوافه دون وسطه (٤٣) ويبدو الجمل واضح التفاصيل وذات نسب تشريحية طبيعية، حيث يلاحظ من وضع أقدامه المتباعدة عن بعضها البعض وذيله المرفوع وكذا عنقه المرفوع نحو الأعلى والمشدود بحبل (رسن) إلى سنامه، أن الجمل في حالة تصور حركة سيره الطبيعية (شكل ٨ : ٣).

٤ - مجموعة رسوم لجمال نفذت بأسلوب النقر على واجهة صخرية ملساء، بالإضافة إلى رسم آدمي منفرد ومجموعة نقوش كتابية (٤٤). بعض هذه الرسوم نقرت حوافه فقط وبعضها الآخر نقش بشكل كامل على هياكل مختلفة، وهي وإن كانت رسوم تخطيطية بسيطة إلا أن حركاتها مأخوذة عن الطبيعة. فمنها ما هو في حالة وقوف ينظر إلى خلفه ومنها ما هو في حالة سير ومنها ما يظهر في حالة فريدة وذلك حينما يظهر أحد الجمال فوق جمل أو ناقة ولكنها في حالة وقوف، ولعل ذلك يبين حالة تزاوج (ضراب) بينهما، وهي حالة غير معهودة في تزاوج الإبل. خلف هذا المنظر الأخير تظهر صورة تجريدية لرجل يده مرفوعتان نحو الأعلى وكأنه في حالة معاينة للمنظر أمامه

(شكل ٩ : ١).

٥ - رسم تجريدي لحيوان من ذوات الأربع ، نقش بأسلوب النقر المتتابع على واجهة صخرية ملساء . ويبدو من ملامحه أنه يمثل كلب الصيد المعروف بـ (السلوقي) ، حيث البدن المشقوق والبطن النحيف والأقدام المتباعدة المتأهبة للانطلاق (شكل ٩ : ٢).

٦ - رسم لطائر فريد من نوعه في المنطقة التي تشملها الدراسة ، نقش بطريقة النقر على واجهة كبيرة ملساء ، ويبدو من ملامحه أنه لنعام في حالة وقوف أو مشي ، إذ تبدو قدمها بأصابع مبسوطة ومتفصلة عن بعضها البعض ، كما يبدو بدنهما ملمومة عليه أجنحتها ، أما ذيلها فمرفوع نحو الأعلى ، وأما رقبته ورأسها فشاخصة نحو الأمام (شكل ٩ : ٣).

٥ : ب - الرسوم :

١ - أربعة خطوط أو مطارق أفقية ، يستند على أطرافها العلوية خط أفقي (شكل ٢ : ٧).

٢ - مطرقان متعامدان يشكلان فيما بينهما عرقاة ينتهي طرفها العلوي بعكفة يميني تشبه الباكورة (شكل ٢ : ٨).

٣ - مطرق قائم مع ميول طفيف نحو اليمين ويستند على عمود مائل نحوه ومتصل به (شكل ٢ : ٩).

٤ - مطرق عمودي يفصل بين دائرتين (حلقتين) صغيرتين (شكل ٢ : ١٠).

٥ - مطرقان متعامدان يشكلان صليبيًا (عرقاة) ينتهي كل من أطرافه الأربعة بعكفة نحو اتجاه دوران الساعة (شكل ٢ : ١١).

٦ - هلالان متجاوران فتحتهما نحو الأسفل ، ويجوار الأيسر منهما مطرق قائم له زائدة تخرج من منتصفه نحو اليسار (شكل ٢ : ١٢).

٧ - هلالان مشابهان للهِلالين السابقين ، إلا أن المطرق القائم (الشاهد) في هذه

الحالة نحو اليمين (شكل ٢ : ١٣).

- ٨ - حلقة شبه دائرية يخرج من محيطها نحو الأعلى عمود قصير ينتهي بطاقية صغيرة، ويقابل العمود في الأسفل خطاف حنيته نحو اليمين (شكل ٢ : ١٤).
- ٩ - هذا الوسم غير واضح التركيب، ويبدو أنه يمثل هلالاً فتحتته نحو الأسفل ويقسمه مطرق رأسي له زيادة عمودية على منتصف حنيته العلوية، ويأخذ بهذا الشكل هيئة الشوكة المقلوبة كما أنه يماثل إلى حد ما حرف الحاء بالخط المسند (شكل ٢ : ١٥).

٦ - عُريجين متصور (غاف الجواء) :

أكمة صخرية صغيرة مرتفعة عما يحيط بها من الكثبان الصخرية، تقف على قاعدة أو رتبة صغيرة بالنسبة لجزئها العلوي. وتبدو عن بعد كـ «المائدة المستديرة المنصوبة» (٤٥). ولعل شبهها الكبير بالعرجون هو الذي دفع إلى تسميتها باسمها الحالي، إذ كانت تعرف قديماً بـ «الزرير» (٤٦) - صيغة تصغير الزرار - . وتبعد حوالي ٤١٠ م شمال حصاة النصلة الأنفة الذكر، أي إلى الشمال الغربي من بلدة غاف الجواء. وتقع كذلك بمحاذاة الجادة التي تمر بالحصاة وتجه شمالاً، وما زالت إلى عهد قريب ترى آثار الطريق محفورة على أرض صخرية صلبة (٤٧)، ولعل هذا دليل قوي على أن هذا الطريق كان يسلك منذ عهود طويلة. نقوش هذه الصخرة مكتوبة على حيز أملس في جهتها الشرقية أي في ظل مابعد الزوال، ومنها ماهو مكتوب في جهتها الجنوبية وذلك على واجهة مرتفعة يصعب منالها إلا بالإستعانة بشيء يصعد عليه (لوحة ٢ أعلى).

٦ : أ - الرسوم الحيوانية :

- ١ - تظهر على الواجهة الشرقية لهذا الجبل رسوم لمجموعة من الوعول أو التيوس الجبلية نقشت على واجهة ملساء داكنة، فظهرت أشكال الحيوانات واضحة

جداً، وقد نفذت الرسوم بأسلوب النقر الغائر، وبعضها بالكشط والحك، ويتكون بدن الحيوان من خط أفقي يمثل ظهره ورقبته ورأسه، بحيث يبرز وجهه نحو الأسفل، أما نحو الأعلى فيبرز قرنان طويلان معكوفان نحو الخلف، وعلى حافتها الخارجية ندبات صغيرة تشبه أسنان المنجل، وينتهي القرنان بشكل متواز دون أن يلتقيا عند طرفيهما. ومن مؤخرة الوعل يبرز خط صغير معكوف نحو الخلف على هيئة الخطاف ليمثل ذيل الوعل. أما أقدام الحيوان فتتمثل بزوج من الخطوط العمودية في المقدمة ومثلها كذلك في المؤخرة (شكل ١٠ : ١). جدير بالإشارة أن أشكال بعض هذه الوعول توحي لأول وهلة أنها تمثل مجموعة عقارب كبيرة الحجم، وذلك إذا تصورنا أن تلك القرون الكبيرة نسبياً هي بمثابة ذيول لتلك العقارب، في حين تمثل ذيول الوعول رؤوس العقارب.

٢ - الواجهة الجنوبية من هذا الجبل يظهر عليها رسم لوعل منفرد نفذ بأسلوب النقر بشكل جيد لتوضيح حواف الحيوان دون النقر على بدنه. وقد مثل بدن ورقبة ورأس الوعل بشكل مستطيل، بحيث يبرز من رأسه نحو الأعلى قرنان معكوفان نحو الخلف حتى تكاد تلامس مؤخرته؛ هذه الأخيرة يبرز منها ذيل صغير نحو الأعلى. أما أقدام الوعل فهي عبارة عن خطين رأسيين في مؤخرة البدن ومثلهما في مقدمته (شكل ١٠ : ٢). جدير بالملاحظة أنه على الواجهة نفسها التي يظهر عليها هذا الوعل وأعلى منه بمسافة قصيرة ثمة نقش ثمودي (نق : ١) ولا يستبعد أن يكون هناك علاقة بين الكتابة والوعل، وأنهما يعودان لنفس الفترة الزمنية.

٣ - منظر لجملين متتاليين نقرا في الجزء السفلي من الواجهة الجنوبية الآفة الذكر. يمثل بدن الجمل مثلث رأسه نحو الآلة وينحدر من كل من زاويتي اليمين واليسرى خطان يمثلان الأقدام الخلفية والأمامية، أما الرقبة فتبرز من جهته اليسرى نحو الأعلى. ويبدو الجمelan في حالة سير حثيث، ويتضح ذلك في

تباعداً للأقدام عن بعضها البعض وفي شكل الرقبة الممدودة (شكل ١٠ : ٣).

٦ : ب - الوسوم :

١ - مطرق (خط) عمودي متوج بحفرة دائرية صغيرة، أسفل هذه الحفرة مباشرة شكل بيضاوي مفرغ، أما الجزء السفلي من العمود فخلو من أية عناصر إضافية (شكل ٣ : ١). جدير بالإشارة أن هذا الشكل يظهر في بعض الحالات منفرداً وفي حالات أخرى يظهر مزدوجاً وفي حالات ثالثة يظهر بشكل أفقي وليس عمودياً، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لا يستبعد وجود وسوم أخرى على هذه الصخرة غير هذا الوسوم، لكن كثرة الكتابات والمخربشات المتأخرة حالت دون التعرف عليها.

٧ - العَمَانِيَّة (غاف الجواء) :

تنطق هذه الكلمة بإسكان العين وليس بضمها، ولعل الأصل هو الضم. وهي أساساً لا تطلق على الموقع الذي يضم النقش بل على النقش نفسه أو جزء منه، حيث تظهر فيه رسوم لجمال أو نوق يقال بأنها عمانيّة (٤٨). ويعرف عن الإبل العمانيّة أنها أحد أهم سلالتين في الجزيرة العربيّة هما : السلالة النجدية والسلالة العمانيّة والتي تنحدر منها أنواع متعددة من الإبل. وتعد الإبل العمانيّة أسرع أنواع الإبل، وهي إبل رشيقة ذات عنق صغير طويل وأرجل طويلة، وينحدر من هذه السلالة أنواع منها المهر والباطنية ؛ وأما العَمَانِيَّة - الموقع - فهو عبارة عن جبال صخري أحمر مرتفع يحيط بجو أو نقرة منخفضة صالحة للرعي والزراعة تعرف «بالحقباء» (٤٩)؛ وعلى امتداد أبحال الصخري جهة الشمال الغربي هناك كتبان صخرية تكوينها من النوع المعروف جيولوجياً بـ «الكتل أو الكتان»، وهي المادة الخام التي تشوى فتتحول إلى مادة جبسية جيدة يستغلها السكان لتبييض مساجدهم ومنازلهم.

جدير بالإشارة أن ذلك الطريق القديم (الجاده) الذي يمر بمحاذاة كل من حصاة النصلة وعرجون منصور ويتجه شمالاً وجنوباً يمر بالقرب من العمانيّة تاركاً إياها على اليد اليسرى للمتجه شمالاً. أما نقش هذا الجبل فينفرد على واجهة كبيرة ملساء، وليس بجواره أية نقوش أو مخريشات أخرى، ولعل كون موقع النقش معزولاً بعض الشيء عن المارة أسهم في الحفاظ عليه على حالته الطبيعية الأولى (لوحة ٦).

٧ : أ - الرسوم الحيوانية :

١ - يظهر على نفس الواجهة الصخرية التي ظهر فيها (نق ٤) وعلى استقامة واحدة رسم لأربعة جمال جانبية في حالة سير متتابعة الواحد تلو الآخر، وهو لاشك منظر يحاكي منظر الجمال في غدوها ورواحها. وهي مرسومة بطريقة النقر العميق على كامل البدن وأسلوب تنفيذها جيد جداً، إذ تبدو النسب التشريحية منها متماثلة وطبيعية إلى حد ما، ولا يبدو من ملامح الرسوم ما إذا كانت نوفاً أم جمالاً. ويظهر في هذا المنظر، رسم تخطيطي غير متقن لوعلي بين الجملين الأول والثاني (شكل ١١ : ١).

٨ - القلاع (كبد) :

يشكل موقع القلاع تلك المرتفعات الجبلية التي تمتد شمال وشرق بلدة كبد (٥٠) ابتداءً من «قارة كبد»، لتكون جالاً يكتنف البلدة من هاتين الجهتين. والموقع عبارة عن سلسلة من الأكمام الصخرية الحمراء الداكنة، تجلس على كثبان رمالية (جعرة) غير قاسية، وذلك يتسبب في سرعة تحطم الأكمام الصخرية، فتتشكل على هيئة جلاميد صخرية صالحة للكتابة عليها. لذلك تكثر عليها النقوش الكتابية والوسوم والرسوم الحيوانية وبالذات على واجهاتها الشرقية والغربية، وإن كان معظم هذه العناصر قد فقدت أهميتها وذلك إما بسبب عوامل التعرية الطبيعية،

أو بفعل العبث الأدمي الذي حدث لها في الفترات المتأخرة.
جدير بالإشارة أن موقع القلاع بكبد تحيط به الكثير من الفياض والجيان والشعاب والمراع الصالحة لرعي المواشي ، سواء كان ذلك من قبل القبائل المستوطنة في هذه المناطق أو المارة بها ، أو حتى من قبل القوافل التي تعبر المنطقة إلى جهات شتى . ولعل كثرة الصخور المناسبة للكتابة في هذا الموقع وكذا الأكمات الصخرية القريبة منه ، والتي لاشك أنها مناسبة للاحتماء بها ، تدفع بالكثير من الذين يرتادون هذا المكان لتسجيل شيء من ذكرياتهم وخواطرهم عليها (٥١) .

٨ : أ - الرسوم الحيوانية :

١ - يوجد على إحدى الأكمات الصخرية في القلاع رسم لوعل منفذ بأسلوب النقر المبقع على كامل بدنه وأعضائه ؛ بدنه عبارة عن مستطيل ينتهي في المقدمة برأس دائري يبرز منه قرنان معكوفان نحو الخلف ، أما مؤخرة البدن فذات ذيل قصير معكوف نحو الأسفل . أقدامه الأمامية وكذا الخلفية مضمومة إلى بعضها ، وكأنها تعبر عن حالة وقوف مستقر للوعل (شكل ١١ : ٢) .

٢ - رسم آخر لوعل يختلف عن سابقه من حيث أسلوب التنفيذ وحالة الحركة ؛ حيث نفذ بطريقة الحك والنقر على حواف الشكل الحيواني فقط ، كما أن أقدامه الأمامية والخلفية مفصولة عن بعضها البعض ، أما الرأس فمرفوع بعض الشيء ، كما أن ذيله معكوف نحو الأعلى ، وكل هذه المظاهر تدل على حالة سير الحيوان (شكل ١١ : ٣) .

٣ - رسم لوعل صغير مفرد ، نقر على واجهة صخرية داكنة ، ويظهر الوعل أو (التيس الجبلي) في حالة مشي ، حيث تبدو أقدامه منفصلة عن بعضها البعض وذيله مرفوع نحو الأعلى ، كما أن رأسه المتوج بقرنين طويلين مقوسين نحو الخلف مرفوع وفي حالة توجهه نحو الأمام . ومما يلفت الانتباه أن هذا الوعل الصغير يظهر متكرراً بنفس الهيئة والحجم على أكثر من واجهة صخرية في هذا

الموقع (شكل ١١ : ٤).

٤ - رسم لوعل منفرد منقوش على واجهة صخرية داكنة ملساء، شكله يشبه إلى حد كبير الوعل السابق، إلا أن أقدامه تبدو قصيرة نسبياً، كما أن مؤخرة بدنه تبدو أضخم من مقدمته، بالإضافة إلى أن قروونه معكوفة وليست مقوسة، وهذه المفارقات تقودنا إلى تشبيه هذا الحيوان بالماعرز أكثر منه بالوعل (شكل ١١ : ٥).

٥ - رسم لحيوان نقرت حوافه دون وسطه، ويبدو الحيوان في حالة مشي، وذلك واضح على حركة أقدامه المتباعدة وذيله المستقيم وكذلك رأسه الممدود؛ هذا العضو الأخير متوج بقرنين قصيرين نسبياً. وتشير الملامح العامة لهذا الحيوان كحجم بدنه بالنسبة لأعضائه وكذلك رقبته الشخينة، وقصر قروونه التي لم نعهدها من قبل، أن هذا الشكل ليس لوعل بل ربما لماعرز أو جاموس (شكل ١٢ : ١).

٦ - نقش لجمل كبير الحجم متداخل مع نقوش أخرى قديمة وحديثة وقد نقرت حوافه دون الأجزاء الداخلية لأعضائه. ويبدو في حالة مشي سريعة، حيث تظهر أقدامه متباعدة، ورقبته مرتفعة نحو الأعلى. ومما يلفت الانتباه في نقش هذا الجمل هو دقة تفاصيل أعضائه حيث تميل إلى الطبيعة أكثر منها إلى التجريد، وذلك يتجلى في شكل سنامه وقدميه الخلفيتين وكذلك في تفاصيل رأسه التي تبين أن الجمل في حالة هياج شديدة وذلك واضح على شفته السفلية المتدلّية (شكل ١٢ : ٢).

٧ - جمل يشبه سابقه من حيث دقة التفاصيل وأسلوب النقش، وكذا حالة حركة الأقدام، إلا أن رقبته المتطاولة في هذه الحالة تبدو مستقيمة ومتجهة نحو اليمين وكأنها تنم عن أن الجمل في حالة رعي (شكل ١٢ : ٣).

٨ - جمل في حالة وقوف نقش بشكل تجريدي متواضع، ويتجلى ذلك في هيئة سنامه ورأسه وذيله. خلفية هذا الجمل تحتوي على عناصر متعددة من

المخربشات القديمة والمتأخرة المتداخلة مع النقش، والتي ربما يكون لبعضها علاقة بهذا الجمل. ولعل أوضح هذه المخربشات هو رسم لشكل آدمي تجريدي الملامح ويبدو الشكل الآدمي على هيئة خط عمودي طرفه العلوي متوج بدائرة محفورة تمثل الرأس، في حين أن طرفه السفلي يتشعب إلى خطين متفرقين لتمثل الأرجل فتتقاطع مع سنام الجمل من الأمام، وليس من الواضح ما إذا كان هذا الرجل قد رسم بعد أو قبل الجمل، أم أنه يعد الراكب الحقيقي للجمل وإن كان في حالة وقوف. أما الأيدي فتظهر نحو جهة واحدة لعلها الخلفية، وتبدو اليسرى ممسكة بأداة دائرية أقرب ما تكون إلى الدف، يؤيد ذلك هيئة الرجل الحركية الراقصة (شكل ١٣ : ١).

٩ - جمل في حالة رعي نقر على واجهة صخرية سوداء، ويبدو الرسم تجريدي بسيط الهيئة، إذ يمثل البدن خطان أفقيان بينهما مسافة قصيرة، أما السنام أو لعله الهودج فضخم جداً. أقدامه الخلفية تنحدر من خطوط بدنه بشكل رأسي، أما الأمامية فمائلة نحو الأمام وكأنها رقبة الجمل، ولعل ذلك هو الصحيح، حيث يظهر أن منفذ الرسم قد نسي وضع الأقدام الأمامية، إلا إذا كان ذلك الخط الرفيع الذي يبرز من سنامه نحو الأعلى يمثل الرقبة (شكل ١٣ : ٢).

١٠ - رسم لجمل تجريدي وإن كانت أعضاؤه واضحة المعالم، ويتضح ذلك في تفاصيل الأقدام الأمامية والخلفية وكذلك الرقبة والذيل، وهذان العضوان الأخيرين يبرزان جهة الأمام والخلف من سنام الجمل وليس على سمت البدن. منفذ الرسم عمله بأسلوب سهل التنفيذ وذلك بعمل قوس مزدوج متطاول أضاف إليه إضافات بسيطة كأعضاء مكملة للحيوان (شكل ١٣ : ٣).

١١ - رسم لجمل صغير الحجم نفذ بأسلوب النقر لكامل الشكل، ويبدو في حالة مشي، حيث تظهر أقدامه متباعدة ورأسه مرفوع، بالإضافة إلى أن عليه راكباً متأهباً. وتبدو البساطة على تفاصيل هذا الشكل الحيواني، إذ يلاحظ أن رأسه يشبه رأس الطائر، كما يبدو مستقيم الظهر دون سنام، وهذا يوحي بأن الشكل

ربما يكون لحمار، وإن كان موقع انطلاق الرقبة من البدن وانحنائها لا يؤيد هذا الاحتمال (شكل ١٣ : ٤).

١٢ - رسم تجريدي صغير الحجم لحيوان من ذوات الأربع، لعله حمار أو حصان، نقر على واجهة صخرية داكنة؛ ظهره يمثل خط أفقي ينتهي في المقدمة برأس صغير وفي المؤخرة بذيل متطاوّل يشبه ذيل الحصان، أما أقدامه فتمثلها خطوط عمودية في حالة سير. ويبدو على ظهر الحيوان راكب ممثل بخط عمودي على منتصف ظهره وتتدلى قدماء بين أقدام الحيوان، ويظهر بيد الراكب حبل أو رمن متصل برأس الحيوان (شكل ١٣ : ٥).

١٣ - منظر لثلاثة حمير في طابور يبدو أنها في حالة سير متأنية، وقد نقرت على واجهة صخرية حمراء بنفس الهيئة والحجم تقريباً. ويتكون كل شكل من خط أفقي متطاوّل يمثل جزءاً من الرأس والرقبة والبدن وجزءاً من الذيل. أقدامه عبارة عن خطوط رأسية متباعدة، ويكاد يشابهها الذيل في الحمارين الخلفيين، أما ذيل الحمار الأمامي فممتد نحو الخلف. أذان هذه الحيوانات طويلة وبارزة نحو الأعلى (مطموسة في الحمارين الخلفيين)، ويبدو من هيئتها المواجهة أن الحمار ينظر نحو الجهة اليمنى (شكل ١٤ : ١).

١٤ - نقش لشكل آدمي تجريدي الملامح يتمثل بخط عمودي طرفه العلوي ينتهي بدائرة منقورة تمثل الرأس، أسفله يذنان مرفوعتان نحو الأعلى، أما القدمان فيمثلهما قوس فتحته متجهة نحو الأسفل وهو منطلق من نهاية الخط الذي يمثل البدن. من منتصف خط البدن العمودي يبرز نحو الجهة اليسرى خط مائل نحو الأسفل قليلاً، لعله كان يمثل أحد القدمين (شكل ١٤ : ٢).

١٥ - مجموعة رسوم آدمية نقشت بنفس أسلوب الرسم السابق وعلى نفس الواجهة الصخرية؛ ويتمثل الشكل الآدمي بخط عمودي طرفه العلوي متوج بدائرة تمثل الرأس، أسفل الرأس قوس يمثل الأيدي وتكون في بعض الحالات مرفوعة نحو الأعلى (شكل ١٤ : ٣). وفي حالات أخرى نحو الأسفل

(شكل ١٤ : ٤). أما الأرجل فتتمثل بقوس آخر عند نهاية خط البدن وتكون فتحة القوس متجهة دائماً نحو الأسفل (٥٣).

٨ : ب - الـوسـم :

١ - ثلاثة أعمدة رأسية (مطارق) متجاورة، تحصرها حفرتان دائريتان عن اليمين والشمال، ولعلهما بمثابة شاهد الـوسـم (شكل ٣ : ٢).

٢ - مثلث متساوي الساقين، أسفله خط أفقي مواز لضلعه السفلي. ويعرف هذا الـوسـم حالياً بالفاحج (شكل ٣ : ٣).

٣ - خمسة مطارق رأسية متجاورة خالية من أية إضافات (شكل ٣ : ٤).

٤ - خطان أفقيان (مطرقان) متوازيان يصل بين منتصفهما عمود رأسي تتجاوز أطرافه الخطين الأفقيين، وهو بهيئته الحالية يشبه حرف الزاء بالخط المسند (شكل ٣ : ٥).

٥ - قوس أو هلال فتحته نحو الأسفل يقسمه مطرق رأسي يتجاوز رأسه حنية القوس ويشبه بذلك حرف الحاء بالخط المسند (شكل ٣ : ٦).

٦ - ثلاثة خطوط (مطارق) أفقية متوازية، يقسمها مع منتصفها مطرق رأسي، طرفه العلوي ينعطف نحو اليسار، أما السفلي فينتهي بحلقة تبرز منها زيادة نحو اليمين (شكل ٣ : ٧).

٧ - عمودان رأسيان حول منتصفهما من اليمين والشمال حفرة صغيرة (شكل ٨ : ٣).

٨ - حلقة شبه بيضاوية عن يمينها حفرة صغيرة واطية، ويشبه هذا الـوسـم شكل الرقم خمسين (٥٠) (شكل ٣ : ٩).

٩ - خطان متقاطعان بزوايا قائمة (عرقاة)، مع مطرق رأسي في الزاوية اليسرى السفلية، وهو بمثابة شاهد الـوسـم (شكل ٣ : ١٠).

١٠ - خطان متقاطعان على شكل عرقاة، مع دائرة مفرغة في الزاوية اليمنى السفلية

(شكل ٣ : ١١).

١١ - ثلاث حلقات دائرية مائلة، أسفلها مطرق متطاوّل مائل (شكل ٣ : ١٢).
١٢ - مطرق رأسي طرفه العلوي معكوف نحو اليسار، أما السفلي فذو زيادة أو ندبة أفقية (شكل ٣ : ١٣).

١٣ - حلقتان دائريتان متجاورتان بشكل أفقي بينهما مطرق رأسي (شكل ٣ : ١٤).

١٤ - قوس فتحته نحو الأسفل وأطرافه متطاولة نسبياً (شكل ٣ : ١٥).
١٥ - قوس أو هلال ذو زوايا ركنية وفتحته نحو الأسفل، وعن يمينه مطرق رأسي (شكل ٣ : ١٦).

١٦ - خطان متقاطعان (عرقاة)، الأفقي منهما ينتهي طرفه الأيسر بخطاف سفلي، أما الرأسي فينتهي طرفه السفلي بما يشبه رأس السهم أو الحربة، أما العلوي فمعكوف نحو اليسار (شكل ٣ : ١٧).

١٧ - قوس ذو زوايا مضلعة فتحته نحو الأعلى تنزل من جانبه الأيسر زائدة قصيرة تتصل بقوس آخر مضلع بسيط التركيب (شكل ٣ : ١٨).

١٨ - حلقة بيضاوية الشكل تخرج منها أفقياً زائدتان قصيرتان نحو اليمين والشمال، وترتكز الحلقة على شكل شبه مستطيل، ويأخذ الوسم هيئة الكأس إلى حد ما (شكل ٣ : ١٩).

٩ - ثُقْرَةُ الضَّبَاع (غاف الجواء) :

يبعد هذا الموقع عن بلدة غاف الجواء حوالي ١٣ كم جهة الشمال الغربي، كما يبعد عن حصاة الطلمحة نحو ٢ كم غرباً. وهو عبارة عن مجموعة من الكتل الصخرية الرسوبية الصفراء اللون، جاثمة على أرض صخرية منخفضة عما يحيط بها من المرتفعات الجبلية (لوحة ٧). ويحيط بهذا الموقع المنخفض منخفضات صخرية أخرى وشعاب وقيعان صالحة للرعي. وعلى الرغم من كثرة الرسوم

الحيوانية والمخربشات على واجهات هذه الكتل الصخرية الصالحة للجلوس تحنها والاحتماء بها، إلا أن هذا لا ينطبق على ما يحيط بها من واجهات صخرية كثيرة صالحة للكتابة، لكنها غير مناسبة للجلوس أسفلها.

وتظهر على واجهات هذه الكتل الصخرية وسوم ورسوم حيوانية ومخربشات كثيرة ومتداخلة بعضها ببعض، ومعظم هذه العناصر تعود لفترات تاريخية متفاوتة، إلا أن النقش عليها في فترات متأخرة بالإضافة إلى عوامل التعرية قد أفقدتها الكثير من وضوحها وأهميتها.

٩ : أ - الرسوم الحيوانية :

١ - رسم منقوش على واجهة صخرية مستوية لثلاثة إبل متتابعة في صف واحد يقتفي أثرها شكل آدمي . الشكل الأمامي عبارة عن ناقة نقرت حوافها الخارجية فقط في حين بقي منتصفها أملس خالياً من النقش . وقد مثل بدن وسانم الناقة بمثلث كبير يمتد ضلعه الأيمن نحو الأسفل ليكون مع امتداد خط البدن رقبة طويلة متدلية نحو الأرض لتعبر عن حالة رعي الناقة. في هذه الصورة . أقدام الناقة منفصلة عن بعضها البعض وتدل على وضع الناقة المتوقفة للرعي . أما بالنسبة للناقة الثانية فتبدو ذات ملامح طبيعية وقد نفذت بأسلوب النقر على كامل بدننها وتبدو في حالة وقوف أو سير ، حيث الرقبة المرفوعة والأرجل العمودية ، والذيل المرفوع . جدير بالإشارة أن هاتين الناقتين تشتركان في ميزة واحدة لم تتكرر في أي من رسوم الإبل في هذه المنطقة ، هذه الميزة هي توضيح ضرعي الناقتين (الخلفتين) على هيئة مربعة في الجزء المحصور عند نقطة التقاء بطن الناقة بالأجزاء العلوية من الأرجل . الشكل الحيواني الخلفي ذو هيئة بسيطة التركيب وإن كانت ملامحه العامة كالرقبة والذيل والأقدام توحى بأنها خاصة بجمل . ولعل منفذ هذا المنظر قد تعمد رسم الجمل خلف الناقتين ، حيث إن هذه ظاهرة معروفة عند الإبل في الطبيعة . الشكل الآدمي الذي يتبع

هذه الإبل ذو ملامح متواضعة، فقد مثل بدنه بخط قائم يبرز منه في الأعلى خطان مرتفعان تمثل الأيدي، في حين تتحلل الأقدام نحو الأسفل (شكل ١٥ : ١). جدير بالذكر أن منفذ هذه الأشكال قد اقتبسها عن الطبيعة بصورتها الحقيقية، فهو يصور منظراً طبيعياً فيه كيفية تتابع الإبل في صف واحد على شكل قافلة وذلك عند مسيرها للبحث عن الكلأ وخلفها الراعي الذي يتولى شؤونها.

٢- منظر لحيوانين من ذوات الأربع نفذاً بأسلوب النقر على نفس الواجهة الأنفة الذكر، وقد رسماً بحجم صغير؛ الخلفي منهما ذو ملامح طبيعية قريبة الشبه من ملامح الماعز أو التيس حيث تبدو أقدامه الأمامية أقصر من الخلفية. وذيله قصير ومرفوع نحو الأعلى، أما قروونه فبارزة نحو الأعلى وتنتهي بانحناء صغيرة تذكر بقرون الوعول المنتشرة في نقوش هذه المنطقة. ويبرز من أسفل الحنك السفلي لهذا الحيوان خط عمودي طويل نسبياً، لعله يقصد به خصلة الشعر التي تمثل لحية التيس المعروفة في هذا الجزء من بدن الحيوان. الحيوان الأمامي ذو ملامح تجريدية أكثر منها طبيعية، وتبدو مؤخرته أسفل مقدمة رأس الحيوان الخلفي، أما بدنه فيمثل خط أفقي ينتهي بقدمين قصيرين وتبدو رقبة هذا الشكل الحيواني طويلة بعض الشيء وتنتهي برأس صغير يبرز منه قرنان معكوفان حتى مؤخرته. جدير بالإشارة أن قرب الحيوان الخلفي من مؤخرة الأمامي ورفع رقبة الأمامي بهذه الهيئة قد تعبر عن بدء عملية تزاوج بين الحيوانين (شكل ١٥ : ٢).

٣- شكلان لحيوانين نقشت حواف بدنيهما دون وسطيهما، يظهر الرسمان بلامح طبيعية وكأنهما في حالة مشي أحدهما يتلو الآخر؛ الحيوان الأمامي توحى ملامح بدنه ورقبته وذيله أنه ماعز، لكن قروونه الطويلة المعكوفة ذات الندبات الخارجية قد توحى بأنها خاصة بوعل وليس بماعز. أما الحيوان الخلفي فإن كامل ملامحه تشير إلى أنها خاصة بوعل أو لتيس جبلي. ومما يلفت الانتباه في شكل

هذا الحيوان الأخير أن مقدمة وجهه تحتوي على زائدة كبيرة تشبه الخرطوم، ولعلها عملت خطأ وقت تنفيذ الرسم (شكل ١٦ : ١).

٤ - منظر لمجموعة مكونة من ثلاثة عشر حيواناً نفذت بأسلوب النقر على واجهة صخرية هشة غير مستوية، ويظهر النقر على كامل أبدان الحيوانات ونفذ بطريقة جيدة، وينسب تشريحية قريبة من الطبيعة. وتبدو الحيوانات في صفين أحدهما فوق الآخر. الصف العلوي تظهر فيه مجموعة مكونة من ثلاثة كلاب وثلاثة رؤوس من البقر أو الوعول ومتعاقبة ومتجهة نحو اليسار تقابلها ثلاث ضباع متجهة نحو اليمين. وتبدو البقر أو الوعول متشابهة التفاصيل، حيث الأبدان المكتنزة والأقدام الخلفية المثلثة الشكل والذيل المقوسة نحو الأسفل وكذلك الرؤوس (الوجوه) المتجهة نحو الأسفل. ثم تلك القرون الفريدة من نوعها في هذه المنطقة، حيث ترتفع نحو الأعلى بشكل رأسي ثم تميل منكسرة نحو الخلف ثم ترتفع نحو الأعلى. ولعل هيئة بعض أعضاء هذه الحيوانات وبالأخص البدن والأقدام يقودنا إلى التفكير بأنها خاصة ببقر وليس بوعول. أما الكلاب التي تبدو بين الأشكال السابقة فهي أيضاً متشابهة الأشكال وتبدو في حالة مشي، حيث الأقدام المتباعدة والذيل المرفوعة والرقاب الممدودة. وتواجه كلاً من البقر والكلاب ثلاث ضباع متتابعة ذات ملامح طبيعية، يتجلى ذلك في أعناقها القصيرة وأبدانها المنتفخة الإنسيابية وذيلها المنسدلة نحو الأسفل.

أما الصف السفلي فتظهر فيه ثلاث ضباع يتقدمها ما يشبه الوعل الصغير، وكلها متجهة نحو اليمين. الضباع الثلاث تشبه من حيث الشكل والحجم الضباع العلوية، أما الوعل فيبدو في حالة سير متحفزة وكأنه يتأهب للهروب من الضباع (شكل ١٦ : ٢). ولا شك أن هذا المنظر يمثل عملية هجوم الضباع على البقر أو الوعول، ولعل منفذ المنظر قصد من وضع الضباع في صفين توضيح كيفية انقضاضها على فريستها، حيث جرت العادة عند الحيوانات المفترسة أن تحيط بفريستها من جوانب مختلفة لتتمكن من القضاء عليها.

٩ : ب - الرسوم :

١ - مطرق عمودي متطاول يلامس عند طرفه العلوي جهة اليسار دائرة شبه منتظمة، فيأخذ الوسم بذلك هيئة الرقم (تسعة) أو حرف الدال بالخط المسند (شكل ٤ : ١).

٢ - مطرقان متوازيان بشكل عمودي (شكل ٤ : ٢).

٣ - مطرقان متطاولان بشكل عمودي أطرافهما متصلة بالأعلى والأسفل (شكل ٤ : ٣).

٤ - مطرق عمودي ينتهي طرفه العلوي بخط أفقي قصير، أسفله خط أفقي آخر أطول منه، ويعرف مايشبه هذا الوسم حالياً بالمغزل (شكل ٤ : ٤).

٥ - مطرق عمودي ينتهي طرفه العلوي بنذبة دائرية صغيرة أسفلها خط أفقي متطاول غير مستقيم، أما طرف المطرق السفلي فيقف على خط أفقي قصير (شكل ٤ : ٥).

٦ - هلال يشبه حرف النون المقلوب أي أن فتحة الهلال نحو الأسفل وبداخله حفرة صغيرة (شكل ٤ : ٦).

٧ - هلال فتحته نحو الأسفل، ويبرز من منتصف انحنائه العلوية مطرق عمودي، وهو بذلك يشبه بعض أوضاع حرف السين بالخط المسند (شكل ٤ : ٧).

٨ - رسم ذو هيئة تشكيلية يمثل مطرق عمودي انعكس طرفه العلوي نحو اليمين بزاوية قائمة، ثم يرتفع نحو الأعلى وينتهي طرفه بانحنائه نحو الأسفل (شكل ٤ : ٨).

٩ - دائرة منتظمة يقسمها أفقياً خط واحد بمثابة نصف القطر، وتعتمد عليه ثلاثة خطوط تلامس محيط الدائرة من الداخل في الأعلى والأسفل (شكل ٤ : ٩).

ثانياً - النقوش :

حوت منطقة الجواء ما مجموعه ستة عشر نصاً عربياً قديماً، منها ثلاثة نصوص

كتبت بالقلم النبطي، والبقية كتبت بالقلم المعروف بالشمودي منها اثنان مضمحلان، الأول نق ١، مضمحل الجزء الأول، والثاني نق ٢ مضمحل الجزء الأخير. وجميع النصوص الشمودية كتبت على شكل خط عمودي أو أفقي فيما عدا نقش رقم ٥ المكتوب على شكل خط مائل. ومن دراسة هذه النصوص تبين أن النقوش النبطية حوت ثلاثة أسماء أعلام شخصية، واحدة منها ش ق ل ت يظهر لأول مرة في النقوش النبطية. بينما النقوش الشمودية أظهرت اثني عشر اسم علم تُعرف للمرة الأولى في النصوص الشمودية من تسعة عشر اسم علم جاءت في هذه المجموعة وهي ت ه د (نق ٣)، د ش م (نق ٤)، ر م ل (نق ٥، ١٠)، ض و (نق ٦)، س ح ج ت (نق ٧)، ح ط م (نق ٧)، ع ظ (نق ٨)، ت س ك ف ؟ (نق ٩)، م ر ا ل ق س (انظر نق ١١)، س و ح (نق ١٢)، ر ف ش (نق ١٢)، و ج ع (نق ١٦). وقد خلت النصوص النبطية الثلاثة من مفردات فيما عدا اسم البنية ر ب (نق ٢). بينما حوت النقوش الشمودية ثلاثة عشر مفردة منها مفردتين تظهران للمرة الأولى في هذه النوعية، ن ح ك : أي «البعير، الجمل» (نق ١٠)، م ر، أي «المارية أو الجمل» (نق ١٤). وبدراسة الأعلام الواردة في هذه المجموعة تبين أنها انقسمت من حيث دلالاتها اللغوية إلى عدة أقسام، فاثنتان منها جاءا بصيغة اسم العلم المركب وهي ت م ل ت، «خادم اللات» (نق ١١)، م ر ا ل ق س «رجل القيس» (نق ١١)، وواحد منها جاء بصيغة اسم علم من جملة اسمية، ح م د ص ع ب «الشكر، الحمد (ل)، ص ع ب» (نق ١٣)، وكذلك إسم علم واحد جاء بصيغة اسم علم مختصر وهو و ا ل و «الملتجأ إلى + اسم الإله» (نق ٢ النبطي) أما بقية أسماء الأعلام فقد جاءت بصيغة العلم البسيط ولكن بأوزان مختلفة مثل ش ق ل ت، (نق ٣ النبطي)، س ح ج ت (نق ٧) جاءا على وزن فعلة، والاسم ت ه د (نق ٣) على وزن تفعل أو على وزن فعال مثل س و ح (نق ١٢)، أو على وزن أفعل مثل ا ح ب (نق ٩، ١٠)، أما البقية فجاءت على وزن فعل مثل د ش م (نق ٤) و ض و (نق ٦). ومن حيث الدلالات الاجتماعية فقد انقسمت أيضاً إلى عدة أقسام

فهناك بعض الاسماء المشتقة والمأخوذة من مناسبة أو حدث مثل رم ل ، «المولود أثناء المطر الضعيف» (نق ٥ ، ١٠) ، أما بقية الأسماء فهي تحمل صيغة التمني والرجاء والدعاء للمولود بحياة أكثر استقراراً مثل ض و ، «النور ، الإشراف» (نق ٦) ، ع ظ «الشدة ، القوة» (نق ٨) .

وتدل هذه المجموعة القليلة على الأهمية التي كانت تتمتع بها المنطقة فهي تبين أن الجواء خلال الفترة من القرنين الثاني قبل الميلاد إلى الأول أو الثاني الميلادي كانت ذات استيطان سكاني محدود فالتقوش النبطية العائدة من خلال أشكال علاماتها إلى القرن الأول قبل الميلاد والنقوش الثمودية الثلاث نق ٧ ، ٨ ، ١٢ العائدة إلى الفترة الثمودية المتوسطة تثبت أن المنطقة كانت ذات استيطان سكاني محلي أو منطقة عبور يتوقف عندها القادم والرائح من الشرق إلى الغرب والعكس أو من الشمال إلى الجنوب وكذا العكس وأبرز ما أظهرته هذه المجموعة ظهور المفردات ع ج ل (نقش ٥) ح ن ك (نق ١٠) ، م ر (نق ١٤) ، فالأولى توحى بارتباط مستخدمي القلم الثمودي بالأرض لأن العجل غالباً ما يكون في حوزة المستقر والمستوطن المتعامل مع الأراضي الزراعية ، والثانية توحى بتعدد الأسماء التي عُرف بها الجمل ، البعير لدى الثموديين .

وفيما يلي دراسة تحليلية لهذه النقوش :

أولاً - النقوش النبطية :

النقش رقم (١) : هريجين منصور (غاف الجواء) (شكل ١٧ ، لوحة ٨)

ش ب و

ش ب و

التعليق :

تكمُن أهمية هذه الكلمة في شكل علامتها الثانية ، الباء التي تعود إلى القرن الأول قبل الميلاد (٥٤) . مما يوحي بقدّم الأدلة التي تشير إلى التواجد النبطي في

هذه المنطقة ، التي يحتمل أنها تقع على أطراف الموطن الأصلي للأبباط (٥٥) . وقد جاء هذا الاسم بصيغته هذه في كل من النقوش النبطية (٥٦) والحضرية (٥٧) ، بينما جاء بصيغة ش ب ي في النقوش الصفوية (٥٨) . وفي كل من الآرامية القديمة (رغم اختلاف التفسير) (٥٩) والتدمرية (٦٠) عُرف بصيغة ش ب أ . ش ب اسم علم شابه ورد في كل من النقوش الثمودية (٦١) واللحيانية (٦٢) . وهو يحتمل قراءتين : الأولى بالشين ولذا فهو إما أن يكون على علاقة بالكلمة العربية شَبَّ وفي هذه الحالة يعني «الشاب» كما يرى ستارك (انظر هامش رقم : ٥٦) أو أن يكون على علاقة بالكلمة العربية شُبَّ إذا رُفِعَ وشَبَّ إذا هَلَبَّ (٦٣) ، ولذا فلا يستبعد أن يكون اسم علم مختصر يعني «المرفوع ، العالي + اسم الإله» . الثانية القراءة بالسین ، س ب و فيكون على علاقة بالكلمة العربية السَّبَّ : أي «الستر» (٦٤) .

النقش رقم (٢) : عريجين منصور (غاف الجواء) (شكل ١٧ ، لوحة ٨)
وال و ب ز ت س (ش) × (س) ش
واثل بن ت س (ش) × (س) ش

التعليق :

هذا النقش القصير المكتوب إلى الجهة اليسرى من النقش الأول ، ربما يكون اسم علم مركب رغم عدم ظهور - حسب معلوماتنا - اسم علم مركب جزئه الأول يبدأ باسم العلم وال و ، كما أن خلو عنصره الثاني ، غير المقروء بشكل مرض من أداة التعريف المعروفة في هذه النوعية من النقوش ، الألف حال دون اعتباره لفظة أو مفردة ، الدالة على مكانة أو وضعية واثل . ولذا فالنص يقرأ أيضاً وال و ب ز ت ش ، مما يعني أنه نقش يتكون من علمين الأول وال و ، المعروف بكثرة في نقوش عربية سامية عديدة (٦٥) والثاني يصعب إعطاء قراءة مقبولة له .

النقش رقم (٣) : عريجين منصور (غاف الجواء) (شكل ١٧ ، لوحة ٨)

ش ق ل ت

ش ق ل ت

التعليق :

كُتِبَ هذا النقش القصير أسفل النقشين السابقين . وهو أيضاً يتكون فقط من كلمة واحدة يصعب اعتبارها غير اسم علم مؤنث ، يظهر -حسب معلوماتنا - بهذه الصيغة للمرة الأولى في التقوش النبطية . فقد عُرف بصيغة ش ق ي ل ت مرتين وفسره الفرنسي كانتينو بأنه من عنصرين س ق ي المماثل للكلمة العربية سقى والثاني ل ت ، الإلهة اللات ، وبذا يكون معنى الاسم «سقي من اللات» (٦٦) . وربما يكون المراد والمقصود «نعم من الرية اللات» . وكان نجف قد اقترح احتمالية أخرى ، وذلك بإعادته إلى الكلمة العبرية hpv : أي «أخذ» (٦٧) . إلا أن أفضل تفسير له هو إعادته للكلمة العربية الشَّقْل ، وهو الاخذ وقيل الرِّزْن وشو قل الرجل إذا تَرَزَّنَ حلمأً ووقاراً (٦٨) . لذا فهو اسم علم بسيط يعني «الرزينة» . وهذا الاسم ورد بهذه الصيغة في التقوش الصفوية (٦٩) . على كل حملت ثلاث نساء من أشهر نساء الأنباط اسم العلم ش ق ي ل ت ، الأولى زوجة الحارثة الرابع (٩ ق.م - ٤٠م) الذي خلد زواجه بالتقد التذكاري المنقوش على أحد وجهيه شقيلة مع زوجها وقد اكتست بثوب متجعد وعلى غطاء رأسها زينة ، والثانية شقيلة ابنته (٧٠) . أما الثالثة فهي شقيلة حرم الملك النبطي مالك الثاني (٤٠ - ٧٠م) التي ظهرت على بعض النقود المضروبة في عهد زوجها (٧١) .

ثانياً - التقوش العربية الشمالية (التمودية) :

النقش رقم (١) : عريجين منصور (غاف الجواء) (شكل ١٧ ، لوحة ٩)

xxx بن س ع د

xxx ابن س ع د

التعليق :

إلى الأعلى من النقش النبطي رقم : ١ ، كُتِبَ هذا النص القصير المكون من علمين ، يفصل بينهما اسم البنوة بن . الأول لم يتمكن من الخروج بقراءة مقبولة له نظراً لاضمحلال علاماته العائد فيما يبدو إلى طبيعة الصخرة المكتوب عليها هذا النص ، أما الثاني فهو اسم العلم س ع د ، سَعَدَ المعروف بكثرة في هذه النوعية من النصوص والنصوص السامية الأخرى (٧٢) ، والنص من خلال علاماته مثل النون والباء (٧٣) وأسلوب كتابته في استخدام اسم البنوة بن يوحي بأنه أقرب إلى كونه نصاً ثمودياً يعود إلى الفترة الثمودية المتأخرة .

النقش رقم (٢) : عريجين منصور (غاف الجواء) (شكل ١٧ ، لوحة ١٠)

xxx (ب ن) س ع د

xxx بن سَعَدَ

التعليق :

يبدو أن صاحب هذا النقش هو نفسه صاحب النقش السابق ، المضمحل اسمه في كلا النقشين نظراً لطبيعة الصخرة . والنقش كُتِبَ إلى الأعلى من رسة متقنة لوعل . بالنسبة للاسم الثاني سَعَدَ (انظر نق : ١ ثمودي) .

النقش رقم (٣) : حصاة الطلحة (غاف الجواء) (شكل ١٧ ، لوحة ١١)

ل س ع د ف ت ش و ق ال ت ه د

بواسطة سَعَدَ (الذي) اشتاق إلى ت ه د

التعليق :

كُتِبَ هذا النقش القصير العائد إلى الفترة الثمودية المتأخرة ، بأسلوب لم يكن معهوداً في هذه النوعية من النقوش حيث خَطَّ صاحبه سَعَدَ (انظر نق ١ ثمودي) اسمه على شكل خط عمودي ثم كتب بقية النص على شكل خط أفقي (٧٤) ، المبدوء بالفعل المسبوق بالأداة الفاء (٧٥) ، ت ش و ق ، أي «اشتاق» المعروف في النصوص الثمودية (٧٦) . وأخيراً اسم العلم المقروء بتحفظ ت ه د ، الذي ربما

يكون على وزن تفعل من الهدّ (٧٧) . وقد عُرف اسم علم مشابه بصيغة ه د في الصفوية (٨٧) .

النقش رقم (٤) : العمانية (غاف الجواهر) (شكل ١٧ ، لوحة ١٢)

ل د ش م ب ق م ل

بواسطة د ش م بن قمل

التعليق :

كُتب هذا النص القصير إلى جانب رسومات متقنة لأربعة من الجمال ، رسمت على خط مستقيم مع رسمه صغيرة لوعل يقع بين الجملين الأول والثاني ، فيما يمكن اعتباره صك ملكية من صاحب هذا النقش د ش م لهذه الجمال الأربع . أو أنه هو الذي قام برسم هذه الرسومات . الاسم الأول المسبوق بالأداة اللام والمتبوع باسم البنية الباء ، تدل أشكال بعض علاماته مثل النون على كونه نصاً ثمودياً متوسطاً أو مبكراً ، ويحتمل أن يقرأ د ش م (٧٩) رغم صعوبة إعطاء تفسير مقبول له ، إلا أن ابن منظور يشير إلى أن الدُّشمة هو الرجل الذي لا خير فيه (٨٠) . أما اسم العلم البسيط ق م ل المعروف في النقوش الصفوية (٨١) فقد جاء في النقوش الثمودية بصيغة ق م ل ت (٨٢) ، وفي القتبانية بصيغة ق م ل م (٨٣) . ويبدو أن هذا الاسم ذو علاقة إما باللفظة العربية القَمَل وهي «الحشرة التي تعيش في الشعر» أو من قَمَل بطنه : «ضخم أو سمن» (٨٤) .

النقش رقم (٥) : الحناذر (عيون الجواهر) (شكل ١٧ ، لوحة ١٣)

ل ر م ل ه ع ج ل

(هذا) العَجَل ل ر م ل

التعليق :

كُتب هذا النص المقروء من الأسفل إلى الأعلى ، بطريقة الخط المائل المنحني ، وهو يتكون من كلمتين الأولى المسبوقة بالأداة اللام تقبّر أ ر م ل . وهو اسم علم بسيط كما يقول ابن منظور من الرمل عند تفسيره للاسم المؤنث الرَمَلَة وهي «واحدة

الرمل أو هي قطعة منه» (٨٥)، إلا أنه يجب أن لا نغفل احتمالية كون هذا الاسم جاء من الرَّمْل وهو المطر الضعيف (٨٦). وبذلك يكون المعنى «المطر» والمقصود به الخير والبركة أو المولود أثناء المطر. أو كونه اسم علم من جملة إسمية تتكون من عنصرين الأول رم والثاني الإله ال الذي سقطت ألفه كما هو مألوف في هذه النوعية من النصوص فالعنصر الأول عرف بالسريانية بصيغة **ܪܡܐ** : «علو، سماء، ارتفاع» (٧٨)، وما يؤكد هذه الاحتمالية ظهور الاسم رم أ ل في النقوش النبطية (٨٨)، والاسم جاء بهذه الصيغة في النقوش الصفوية (٨٩)، بينما جاء بصيغ مختلفة، إذا صحت القراءة الثانية في نقوش سامية أخرى مثل التدمرية بصيغة رم أ، وفي النقوش الحضرية بصيغة رم و (٩٠). يلي ذلك الاسم المفرد المذكور المسبوق بأداة التعريف المقروءة ع ج ل، المائل لعجل بالعربية وهو ولد البقرة الوارد في نقوش ثمودية أخرى (٩١). وكذلك في النقوش الصفوية (٩٢) ونقوش سامية أخرى (٩٣). ولا شك أن ظهور لفظة عجل في هذه النوعية من النقوش لتدل على أن مستخدميها كانوا يمارسون الزراعة، وهناك العديد من أسماء الأعلام الواردة في النقوش الثمودية ذات علاقة بالمنتجات النباتية مثل ع ن ب، ... الخ (٩٤).

النقش رقم (٦) : الحناذر (عيون الجواء) (شكل ١٧، لوحة ١٣)
ل ض و
بواسطة ض و
التعليق :

كُتب هذا النص القصير المتكون من كلمة واحدة بجانب رسم (رقم ٣ ب / ٣، شكل ٢ : ٣) وإذا صحت قراءتنا لهذا الاسم فهو يرد للمرة الأولى في هذه النوعية من النقوش وغيرها من الكتابات السامية الأخرى. وهذا الاسم البسيط الذي يعني «النور، الإشراف» جاء بصيغة ضو في الموروث العربي (٩٥).

النقش رقم (٧) : القلاع (كبد) (شكل ١٧ ، لوحة ١٤)

ل س ح ج ت (ب) ح ط م
بواسطة س ح ج ت بن ح ط م
التعليق :

كُتب على هذه الصخرة العديد من النقوش المعروفة بالثمودية، وكذا العلامات والأشكال التي يرجح أنها وسوم (٩٦)، بالإضافة إلى الرسوم الحيوانية والأدمية غير المتقنة، أحدها المرسوم أسفل النقش رقم : ٩ . ونقشنا هذا الذي أغفل كاتبه إضافة اسم البنوة كتب على شكل خط مائل، كالعديد من نصوص هذه النوعية . ولا يستبعد من خلال أشكال علاماته أن يكون نصاً ثمودياً يعود إلى المرحلة الثمودية المتوسطة . الاسم الأول المسبوق بالأداة اللام يقرأ س ح ج ت ، وهو يظهر للمرة الأولى بهذه الصيغة في النقوش الثمودية، والوارد بصيغة سَحُجُوج في الموروث العربي (٩٧) . ولا يستبعد أن يكون على علاقة بالكلمة العربية سَحَاج وهو الذي يسحج الأرض بخفه ينشرها فلا يلبث أن يحفى (٩٨) . أما اسم العلم البسيط الآخر، فإن أفضل القراءات له هي ح ط م (٩٩) . وهو من الأسماء المعروفة في النقوش الصفوية، والوارد بصيغة ح ط م ت / ح ط م هـ في النقوش الآرامية الدولية (١٠٠) .

النقش رقم (٨) : القلاع (كبد) (شكل ١٧ ، لوحة ١٤)

ل ح م (ب) ع ظ
بواسطة ح م بن ع ظ
التعليق :

يعود هذا النقش القصير المقروء من اليسار إلى اليمين من خلال أشكال علاماته وتحديداً حرف العين إلى الفترة الثمودية المتوسطة أو المبكرة . وكغالبية النقوش العائدة إلى هاتين الفترتين لم يستخدم كاتبه اسم البنوة . اسم العلم البسيط ح م ، عُرِف بهذه الصيغة في النقوش الثمودية والصفوية (١٠١) . يلي ذلك الاسم الأخير

المتبوع بالاسم المقروء ع ظ وهو من الأسماء المعروفة في النقوش الصفوية (١٠٢) ومشتق من العظ : أي «الشدّة في الحرب» (١٠٣) .

النقش رقم (٩) : القلاع (كبد) (شكل ١٧ ، لوحة ١٤)

ل ت س ك ف ب ن ا ح ب
بواسطة ت س ك ف بن أ ح ب
التعليق :

أدى أسلوب كتابة اسم العلم الأول في هذا النقش المكتوب بشكل أفقي من اليسار إلى اليمين، إلى عدم الخروج بنتيجة مرضية له . العلم الثاني، المكتوب بأسلوب يختلف قليلاً عن بقية علامات النص، المسبوق باسم البتوة بن، يقرأ بسهولة أ ح ب وهو على وزن أفعّل من حَبّ أي «الأحب الأكثر محبة» وقد جاء في عدد من النصوص الثمودية والصفوية (١٠٤) .

النقش رقم (١٠) : القلاع (كبد) (شكل ١٧ ، لوحة ١٤)

ل ر م ل (ب) ا ح ب ه ح ن ك
(هذا) الحنك (الجمل) ل ر م ل بن أ ح ب
التعليق :

يُعد هذا النص المكتوب على شكل خط أفقي مكتوب من اليسار إلى اليمين، أهم نصوص هذه المجموعة الثمودية، حيث ورد فيه إذا صحت قراءة لكلمته الأخيرة ه ح ن ك، التي يمكن أن تكون إحدى مسميات الجمل في العربية . ومن خلال أشكال علاماته يمكن اعتباره نقشاً يعود إلى الفترة الثمودية المتوسطة . أما بالنسبة للكلمة الأخيرة المتبوعة بشكل حرف القاف الذي لا علاقة له بهذا النص لسببين : الأول الاختلاف الواضح في أسلوب كتابته عن بقية علامات النص، الثاني في حالة التجاوز عن هذا الاختلاف في أسلوب الكتابة واعتبار هذا الحرف القاف الحرف الأخير لهذه الكلمة فإنها تقرأ ه ح ن ك ق التي لا تحمل معناً مقبولاً . لذا فإن القراءة الأكثر قبولاً لهذه الكلمة هي ه ح ن ك، وهو الاسم المفرد المذكور

المسبوق بأداة التعريف الهاء، ويعني «الجميل، البعير» استناداً إلى أن عبارة البعير أحثك الإبل مشتق من الحثك أي أشدها أكلاً (١٠٥). وإذا صح هذا التفسير، فإنه يكون الاسم الخامس للجميل، ضمن الأسماء التي وردت في النقوش الثمودية (١٠٦).

النقش رقم (١١) : صلاصل (القوارة) (شكل ١٨، لوحة ١٥)

ت م ل ت ب ن م ر ا ل ق س

تيم اللات بن مر القيس

التعليق :

كُتب هذا النقش القصير العائد من خلال أشكال علاماته، وبالذات الألف والنون إلى الفترة الثمودية المبكرة أو المتوسطة. وقد استخدم كاتبه خطوطاً عمودية للفصل بين كلمات هذا النقش. الاسم الأول المركب الذي يعني «خادم / عبْد اللات» جاء في العديد من نصوص هذه النوعية (١٠٧). أما الاسم الثاني المقروء م ر ا ل ق س فعلى الرغم أن أفضل تفسير له هو اعتباره من عنصرين الأول م ر المعادلة للفظه العربية امرؤ والثاني ال ق ي س وهو الإله ق ي س مع أداة التعريف الألف واللام، وهذا الإله وجد له معبد في مدائن صالح (١٠٨). أو كما يرى ابن دريد أنه يعني رجل قيس ثم أدخلت الألف واللام (١٠٩)، إلا أن هذا التفسير يوقعنا في إشكالية فهو مقبول لو أن هذا النقش نقش عربي مبكر أو نبطي القلم، لأن الألف واللام في العربية والنبطية هي أداة التعريف (١١٠) غير المعروفة أو المتداولة في النقوش الثمودية أو السبئية، حيث أن الاسم م ر ا ل ق س جاء في نقش سبئي (١١١) فأداة التعريف في الأول هي الهاء وفي الثاني النون (١١٢). لذا فالاسم يحتمل تفسيرين رئيسيين، الأول أنه اسم لم يكن متداولاً سوى في النقوش العربية المبكرة والنبطية، استقاه السبئيون والتموديون بصيغته هذه واستعملوه كاسم علم، مع علمهم بأن ق س هو الإله المعروف لدى الأنباط، إلا أن ما يقلل من هذه الاحتمالية كون النقشين العربي المبكر المكتوب بأحرف نبطية والسبئي يعودان إلى

فترة متأخرة بالنسبة لنصنا، الأول (النمارة) يعود إلى القرن الرابع الميلادي (١١٣) والثاني السبتي يعود إلى القرن الثالث الميلادي. أما نصنا هذا فيعود من خلال أشكال حروفه إلى الفترة الثمودية المتوسطة (القرنين الأولين السابقين للميلاد)، فكيف يأخذ الأقدم من الأحداث ؟. ولحل هذه الإشكالية، علينا افتراض أن الاسم م ر ا ل ق س كان متداولاً لدى الأنباط خلال القرون الثلاثة الأولى قبل الميلاد، رغم عدم العثور على دليل كتابي يؤكد هذا (١١٤).

النقش رقم (١٢): الضلع المتكسر (أوثال) (شكل ١٨، لوحة ١٦)

س و ح ب ر ف ش

س و ح ب ن ر ف ش

التعليق:

رُسم إلى جانب هذا النقش العائد من خلال أشكال علاماته إلى الفترة الثمودية المتوسطة عدد من الوسوم. ونظراً لاتجاه حرف الباء يبدو أنه يقرأ من الأعلى إلى الأسفل. وهذه القراءة هي أرجح القراءات. الاسم الأول يقرأ نظراً للتشابه في شكل حرفي الحاء والطاء في هذه النوعية من النصوص، إما س و ط (١١٥) أو س و ح. والقراءة الثانية هي الأقرب إلى القبول، نظراً لظهور أسماء أعلام مشابهة فمثلاً جاء بصيغة س ي ح في النقوش الثمودية (١١٦) وبصيغة 𐤌𐤏𐤕 في التوراة العبرية (١١٧). والسواح اسم علم لشخص لازال مستخدماً حتى يومنا الحاضر (١١٨). وهو من ساح في الأرض يسبح سياحة أي ذهب (١١٩). لذا فهو يعني «الجوال». أما الاسم الثاني فقد فضلنا قراءته ر ف ش، الذي رأى هاردنج عند شرحه لاسم علم مشابه جاء في السبئية بصيغة ر ف ش ن، أنه يحمل معنى صاحب الأذنين العريضتين فالأرقش هو العريض الأذن (١٢٠)، فلا يستبعد أيضاً أن يكون على علاقة بالرفش: أي الأكل والشرب في النعمة والزمن (١٢١). والمقصود الدعاء له بالأمن والغنى. وإذا جاز لنا مقارنته باسم العلم الوارد في النقوش الحضرية بصيغة ر ف ش أفإنه علم مشابه (١٢٢)، اسم العلم رفشان جاء في

الموروث العربي (١٢٣) .

النقش رقم (١٣) : الضلع المتكسر (أوثال) (شكل ١٨ ، لوحة ١٧)

ح م د ص ع ب ن ث ...

حَمَد الصعْب بن ث ...

التعليق :

لسبب غير واضح كرر الكاتب نصه ، المقروء من اليسار إلى اليمين مرتين على نفس الصخرة . يقرأ الاسم الأول ح م د ص ع ب ، وهو إما أن يكون من جملة اسمية يعني «الشكر أو الحمد (ل) ص ع ب» ، باعتبار أن العنصر الثاني هو صفة الإله الدالة على القوة والصلابة . أو أنه يعني «الصعب هو ح م د» ، حيث يمكن اعتبار العنصر الأول إما اسم علم يعادل الاسم المعروف حتى يومنا الحاضر حَمَد (١٢٤) . أو أن يكون الإله المعروف في النقوش العربية القديمة وهو الأقل احتمالية . يلي ذلك اسم البتوة ب ن ، ثم الحرف الأول من اسم العلم الثاني ، حرف الثاء الذي يبدو أن طبيعة الجهة اليسرى من هذه الواجهة الصخرية حالت دون إكمال الكاتب لنصه .

النقش رقم (١٤) : الضلع المتكسر (أوثال) (شكل ١٨ ، لوحة ١٨)

ف ر ن (ب) ج ل ب ن ه م ر و غ ل م ت

المارية والشابة ل ف ر ن بن ج ل ب ن

التعليق :

هذا النقش المكتوب بشكل أفقي ، المقروء من اليمين إلى اليسار ، رُسم بجانب ثلاثة رسومات لجمال أحدها غير متقن الرسم . ورغم وضوح معظم علاماته إلا أنه يصعب كثيراً إعطاء قراءة مؤكدة له ، وبالأدوات الجزئية الأولى منه . ومع هذا فالقراءة المعطاة أعلاه ، رغم اعتقادنا بوجود قراءات أخرى هي الأكثر ترجيحاً . فقد اعتبرنا الأحرف السبع الأولى ، للعلمين الأول صاحب النقش المقروء ف ر ن والثاني المكون من أربعة أحرف يقرأ إما م ل ب ن (١٢٥) أو ج ل ب ن . ونميل إلى القراءة

الثانية التي لم تُعرف من قبل في هذه النوعية من النصوص . إلا أنه عُرف بصيغة ج ل ب في النقوش الصفوية والفينيقية (١٢٦) بينما جاء بصيغة م ج ل ب في النقوش الأوجاريتية (١٢٧). وهو اسم علم بسيط على وزن فعلا ن من جَلَبٌ ، فالجَلَبُ والأجْلاب هم الذين يجلبون الإبل والغنم للبيع ، والجَلَب هو ما جُلِب من خَيْل وإبل ومَتَاع (١٢٨) ، ولذا فهو يعني «الجَلاب» (١٢٩) . وقد جاء الاسم في الموروث العربي بصيغة جُلْبَان (١٣٠) . أما اسم العلم الأول المقروء ف ر ن ، فقد عُرف بهذه الصيغة في النقوش الصفوية والأوجاريتية (١٣١) . وهو يحتمل أن يكون اسم علم بسيط على وزن فعلا ن من الجَنْزِف ر ر (١٣٢) . يلي ذلك ما اعتبرناه الاسم المفرد المذكور المسبوق بأداة التعريف الهاء ، م الذي يصعب تحديد معناه بشكل مرض ، حيث يقال ناقة مَوارة اليد ومَوارة أي سهلة السير سريعة (١٣٣) وسائر ، سائرة إذا كانت نشيطة في سيرها قَتلاء في عضدها (١٣٤) وكذا امرأة مارية : أي بيضاء براقه (١٣٥) . يلي ذلك الاسم المفرد المؤنث المسبوق بحرف العطف الواو ، غ ل م ت ، أي «غلامه ، شابه» ، المعروفة في العديد من النقوش السامية (١٣٦) . وهكذا فهذا النص يحتمل عدة قراءات منها ، «(الناقة) النشيطة والشابه ل ف ر ن بن ج ل ب ن» أو «(العَبْدَة) المارية والشابه ل ف ر ن بن ج ل ب ن» والقراءة الأخيرة هي الأقرب إلى الصحة نظراً لأن الكلمة الأخيرة غير المعرفة في حالة التأنيث .

النقش رقم (١٥) : الضلع المتكسر (أوثال) (شكل ١٨ ، لوحة ١٩)

و × ح م م و ل ا و ع ص ل ر ت و ن م (ب) × س ن ا ×

ونام في (ب) × س ن ا ×

التعليق :

كُتِب هذا النص المقروء من اليمين إلى اليسار ، أسفل رسمه متقنة لجمل ، إلا أننا للأسف الشديد لم نتمكن من إعطاء قراءة مرضية ، فيما عدا الجزء الأخير منه (بتحفظ) ، المكون من الفعل الماضي المسبوق بحرف العطف الواو ن م ، «نام ،

استراح^٥، المتبوع بحرف الجر الباء غير الواضح نظراً للبعث الذي حَصَلَ عليه من قبل أحد المواطنين المحليين مما أدى إلى ضياع معالنه . يلي ذلك إذا صحت قراءتنا، اسم المكان المضمحلة علاماته الأولى والأخيرة x ن x١ .

النقش رقم (١٦) : حصاة النصلة (غاف الجواء) (شكل ١٨ ، لوحة ٢٠)

القصيم تراث وحضارة، ص ٣٨

س ع د و د د و ج ع

سَعْد حَبَّ و ج ع

التعليق :

كُتِبَ هذا النقش المقروء من اليمين إلى اليسار، أسفل صخرة كُتِبَ فيها عدد من النقوش المعروفة بالشمودية، إلا أن التخريب والبعث الذي قام به الزائرون لهذا المكان حال دون قراءتها بالشكل المطلوب . الاسم الاول قُرِئ من محوري كتاب القصيم تراث وحضارة ب ع د (١٣٧) إلا أننا نفضل قراءة الحرف الأول سيناً ليقرأ كالتالي س ع د، سَعْد (انظر نق : ١ ثمودي)، المتبوع بالفعل الماضي و د د، أي حَبَّ المعروف بهذه الصيغة في العديد من النقوش المعروفة (١٣٨) بالشمودية . يلي ذلك اسم المحبوب المقروء إما و ع ج أو و ج ع، الأول يصعب كثيراً إعطاء تفسير مقبول له والثاني يمكن مقارنته باللفظة الرجوع، في إشارة إلى الأوجاع التي عانت منها والدته .

خاتمة البحث

بعد استعراض ودراسة النقوش الكتابية والصور الحيوانية والوسوم التي تم حصرها في بلدان الجواء في منطقة القصيم، توصلت الدراسة إلى نتائج عديدة نورد أبرزها على النحو التالي :

- ١ - أن المواقع التسعة التي اكتشفت فيها النقوش بالجواء هي مواقع لم تسبق دراستها، فيما عدا قراءة لأحد نصوصها (نق : ١٦) وهو الموجود في حصاة النصلة الواقعة في بلدة غاف الجواء، وأن العثور على هذا النص ونشره لم يكن بناءً على أهميته، وإنما لوضوحه وسهولة الوصول إليه.
- ٢ - أن النقوش الثمودية (ثلاثة عشر نقشاً) وكذا النبطية (ثلاثة نقوش) تبرز الأهمية التي يتمتع بها الجواء فيما بين القرنين الثاني قبل الميلاد والأول أو الثاني الميلادي، حيث إن بعض نقوشه تبين أنه كان منطقة استيطان سكاني محلي، كما كان منطقة عبور يتوقف عندها الرائع والقادم من الشرق إلى الغرب والعكس وكذا من الشمال إلى الجنوب والعكس. كما أن نقوش هذه المنطقة أظهرت بعض المفردات التي لم تُعرف من ذي قبل.
- ٣ - أن الحيوانات التي تم حصرها في هذه المنطقة كثيرة ومتنوعة من قبيل الإبل والبقر والخيول والحمير والماعز أو التيوس والضباع والوعول والكلاب، وأن بعض هذه الحيوانات كانت ذات علاقة وطيدة بالإنسان في حله وترحاله، وأن معظمها مازالت موجودة في منطقة الدراسة فيما عدا الوعول وربما الضباع التي اختفت منها قبل بضعة عقود. ومقابل ذلك لم يتم العثور إلا على طائر واحد هو النعام، ونعتقد أنه لن يكون الطائر الوحيد في هذه المنطقة، كما نجزم أن الدراسات اللاحقة ستكشف عن المزيد من أنواع الحيوانات والطيور.
- ٤ - أن الرسوم الأدمية شحيحة وأن أشكالها تخطيطية ولا ترقى إلى مستوى الرسوم الحيوانية والنقوش الكتابية وهي بمجملها مرسومة بالطريقة العودية.

٥ - أن للرسوم المسجلة في هذه المنطقة والبالغ عددها ستين وسمّاً، دلالات دينية واجتماعية وأسطورية متباينة ، بعضها عبارة عن حروف ثمودية تدل على مغزى معين عند مستخدميها وبعضها الآخر ربما تكون مجرد رموز خاصة بأصحابها ، منها ما يمكن تفسيره ومنها ما يصعب تفسيره . كما لا يستبعد كون بعضها مجرد حروف مفردة ليس لها علاقة بالرسوم .

قائمة بأسماء الأعلام والمفردات

أولاً - النقوش النبطية :

بر :	اسم البتوة	نق ٢
ش ب و :	اسم علم	نق ١
ش ق ل ت :	اسم علم	نق ٣
وال و :	اسم علم	نق ٢

ثانياً - النقوش الثمودية

اح ب :	اسم علم	نق ٩، ١٠
ال :	حرف الجر «إلى»	نق ٣
ب :	اسم البتوة «بن»	نق ٤، ١٢
ب :	حرف الجر الباء	نق ١٥
ب ن :	اسم البتوة «بن»	نق ٩، ١١، ١٣
ت س ك ف ؟ :	اسم علم	نق ٩
ت ش و ق :	«اشتاق»	نق ٣
ت م ل ت :	اسم علم	نق ١١
ت ه د :	اسم علم	نق ٣
ج ل ب ن :	اسم علم	نق ١٤
ح ط م :	اسم علم	نق ٧
ح م :	اسم علم	نق ٨

تق ١٣	اسم علم	ح م د ص ع ب :
تق ١٠	«الحنك، البعير»	ح ن ك :
تق ٤	اسم علم	د ش م / د ص م :
تق ١٢	اسم علم	ر ف ش :
تق ١٠، ٥	اسم علم	ر م ل :
تق ٧	اسم علم	س ح ج ت :
تق ٣، ٢، ١	اسم علم	س ع د :
تق ١٢	اسم علم	س و ح :
تق ٦	اسم علم	ض و :
تق ٥	اسم علم	ع ج ل : «عجل» :
تق ٨	اسم علم	ع ظ :
تق ١٤	«غلامه، شابه»	غ ل م ت :
تق ٣	أداة	ف :
تق ١٤، ١٣	اسم علم	ف ر ن :
تق ١٤	اسم علم	ق م ل :
تق ١٠، ٩، ٨، ٧، ٦، ٥، ٤، ٣	لام المكينة	ل :
تق ١٤	«مارية»	م ر :
تق ١٤، ١١	اسم علم	م ر ا ل ق س :
تق ١٤، ١٠، ٥	أداة التعريف	ه :
تق ١٥، ١٤	حرف العطف	و :
تق ١٥	«نام» ؟	ن م :
تق ١٦	اسم علم	و ج ع :
تق ١٦	حَبّ	و د د :

الاختصارات

نقش	نق :
حرف مضمحل أو مظموس	علامة الضرب (x) :
فوق الحرف المشكوك في قراءته	دائرة صغيرة (ˆ) :
مع النقوش إضافة من الباحثين	بين قوسين () :
كلمة غير مكتملة	ثلاث نقاط (...) :

الإحالات والهوامش

- ١ - الحموي، ياقوت، معجم البلدان، خمسة أجزاء، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ط، ١٣٩٩ هـ.
- ٢ - العبودي، محمد بن ناصر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية : بلاد القصيم، دار اليمامة، ط ١، الرياض، ١٣٩٩ هـ.
- ٣ - الحموي، المصدر السابق، باب الجيم والواو، ج ٢، ص ١٧٤.
- ٤ - العبودي، المرجع السابق، ج ٢، ص ٧٥٢.
- ٥ - الحموي، المصدر السابق، باب الجيم والواو، ج ٢، ص ١٧٤.
- ٦ - الزبيدي، محمد مرتضي، تاج العروس، دار صادر، بيروت، ج ١٠، ١٣٨٦ هـ، ص ٧٩.
- ٧ - المصدر السابق، ص ١٧٨.
- ٨ - المصدر السابق، ص ٧٩.
- ٩ - العبودي، المرجع السابق، ج ٢، ص ٧٥٣، ٧٥٤.
- ١٠ - نفس المرجع، ج ٢، ص ٧٥٣.
- ١١ - ابن بليهد، محمد بن عبدالله، صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار، ج ١، مطبعة السنة المحمدية، ١٣٧٠ هـ، ص ٢٦؛ وانظر الوشمي، صالح بن سليمان، الآثار الاجتماعية والاقتصادية لطريق الحج العراقي على منطقة القصيم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٥ هـ، ص ٢٤٤ - ٢٤٩. —
- ١٢ - ابن بليهد، المرجع السابق، ج ١، ص ٢٧.
- ١٣ - الجار الله، عبدالعزيز بن جار الله، الاستيطان والآثار الإسلامية في منطقة القصيم، مكتبة الملك فهد، الرياض، ١٤١٧ هـ، ص ٩٢، ٩٣.
- ١٤ - الأنباري، أبي بكر محمد بن القاسم، شرح القصائد السبع الطوال

- الجاهليات، تحقيق عبدالسلام هارون، دار المعارف بمصر، ط ٢، ١٩٦٩م، ص ١١٠.
- ١٥ - شلبي، عبدالمنعم، شرح ديوان عنترة بن شداد، شركة فن الطباعة، القاهرة (د.ت) ص ١٤٢ - ١٤٣.
- ١٦ - رياح، عبدالعزيز، شعر النابغة الجعدي، المكتب الإسلامي، دمشق، ط ١، ١٣٨٤هـ، ص ١٤٠.
- ١٧ - ابن عبدربه، أبي عمر أحمد بن محمد، العقد الفريد، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ج ٥، القاهرة، ١٣٦٥هـ، ص ١٥٤.
- ١٨ - شلبي، المرجع السابق، ص ١٣٠.
- ١٩ - الحموي، المصدر السابق، باب الجيم، ج ٢، ص ١٧٤.
- ٢٠ - هناك أنواع كثيرة من الوسوم التي يستخدمها سكان الجواء من الحاضرة والبادية على حد سواء، وما زالت القبائل والأسر تتخذ وسوماً مميزة وخاصة بها كالهلل والعرقاة والعمود وغيرها، وتتفرع منها وسوم أخرى تزود بعلامة (شاهد) خاص لكل فخذ أو عائلة. ويتباين الناس في وضع وسومهم على ماشيتهم فهناك من يضعها على الرقبة وهناك من يضعها على الفخذ وهناك من يضعها على اليد، كما أن هناك من الناس من يضع اسمه حتى على ممتلكاته الأخرى.
- ٢١ - تقع بلدة غاف الجواء إلى الشمال من محافظة عيون الجواء، وتبعد عنها حوالي ٥ كم، وتعد من أقدم بلدان الجواء وتشتهر بكثرة وطيب مياهها ومزارعها ومراعيها، كما تشتهر بقدم آبارها وعيونها والتي من أبرزها عين عيس المشهورة؛ انظر العبودي، المرجع السابق، ج ٥، ص ١٨٠٨.
- ٢٢ - العبودي، المرجع السابق، ج ٢، ص ٧٩٢ - ٧٩٣، ولقد تمكنا خلال زيارتنا للموقع من التأكد بأن هذه الصخرة لم تنفصل عن الجبال القريب منها، بل هي بارزة من الأرض بشكل طبيعي.

٢٣- الزبيدي، المرجع السابق، ج ١٠، ص ٧٩.

٢٤- روى لنا الشيخ عمير بن إبراهيم العمير - حفظه الله - وهو أحد رجال عقيلات الذين سلكوا عبر هذا الطريق في منتصف القرن الهجري الماضي إلى كل من العراق والشام ومصر، أنه كانت تعبر هذا الطريق قوافل العقيلات التي تتجه إلى خارج الجزيرة بالإضافة إلى الحدرات والأفراد الجماميل الذين يتاجرون ويتجولون داخل المملكة والجزيرة.

٢٥- ذكرت بعثة الآثار السعودية خلال موسم عام ١٤٠٦هـ المتضمن زيارة منطقة القصيم أن الجواء «تفتقر إلى النقوش الصخرية إلا أنه تم توثيق ثلاثة مواقع شمال شرق عيون الجواء حيث توجد أشكال تخطيطية تمثل الإبل والوعول والكلاب والنعام وأشكال بشرية مرسومة بالطريقة العودية إلى جانب نقوش كتابية ثمودية». ويلاحظ هنا أن أسماء المواقع المسوحة لم تذكر بالتحديد ولم يفصل ما يحمله كل منها من نقوش؛ انظر كبوي، عبدالرحمن، عبدالرحمن الزهراني، مجيد خان، عبدالرحمن المبارك، إبراهيم السبهان، أطلال، حولية الآثار العربية السعودية، العدد ١١، الرياض، ١٤٠٩هـ، ص ٧٦.

٢٦- تنتشر أشكال الوعول أو (تيوس الجبال) بشكل كبير ضمن الرسوم الصخرية في الجزيرة العربية، وهي ذات أنواع متعددة وتظهر على أشكال مختلفة، كما تظهر أحياناً بشكل منفرد وأحياناً أخرى تظهر على شكل قطعان متناثرة؛ ولمزيد من المعلومات والمقارنة انظر: خان، مجيد، الرسوم الصخرية لما قبل التاريخ في شمال المملكة العربية السعودية، الإدارة العامة للآثار والمتاحف، الرياض ١٤١٤هـ، ص ٩٨، ١٤١.

Hanssig, H. W., Götter und Mythen im Vorderen Orient, - ٢٧
Wörterbuch der Mythologie Band 1, Stuttgart: Ernst Klett Verlag
(1965), p. 536.

Robinson, A., "The Camel in Antiquity", Sudan Notes and Ro- ٢٨

وللمزيد من المعلومات عن الجمل انظر : cordes 19 (W. D) , p. 52 :
Bulliet , R., The Camel and the Wheel , New York : Columbia
University Press , (1990) .

un Voyage en Arabie , Paris : Imprime-صHuber , Ch., Journal d -٢٩
rie Nationale , (1891) , p. 287 ; Branden , Van den. , Histoire de
Thamoud , Beyrouth : Publications de L-صUniversité Libanaise
(1966) , p. 45 ; Jamme , A. , Miscellanées d-صancien Arabe , V ,
Washington D.C. (1974) , pl. 17A .

٣٠ - العمود أو المطرق هو عبارة عن خط عمودي يوسم على فخذ أو رقبة
الحيوان ، ويكون بمثابة الوسم الرئيس للقبيلة ، ثم يزود بإشارة (شاهد) عن يمينه
أو شماله للتمييز بين وسوم أفخاذ القبيلة .

٣١ - العبودي ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٨١٩ .

٣٢ - الأنباري ، المرجع السابق ، ص ٣٧٨ .

٣٣ - لمقارنة رسوم جمال هذه المنطقة برسوم جمال أخرى من المملكة ، انظر خان ،
مجيد ، المرجع السابق ، لوحة ٩ أ ، ب .

٣٤ - لمقارنة صيد الوعول في منطقة الجواء مع مناظر أخرى من المملكة ، انظر
المرجع السابق ، لوحة ٤٩ أ ، ب .

٣٥ - الحموي ، المصدر السابق ، (باب الصاد) ، ج ٣ ، ص ٤٢٠ .

٣٦ - تقع القوارة شمال غرب محافظة عيون الجواء وتبعد عنها حوالي ٣٥ كم ،
وهي بلدة واسعة النواحي وتعد من أكبر بلدان الجواء وذلك نظراً لتفرق منازلها
وتعدد أحيائها ، وقد سجلت في هذه البلدة أحداث تاريخية عديدة في العصور
القديم والحديثة ، انظر العبودي ، المرجع السابق ، ج ٥ ، ص ٢٠٩٢ .

٣٧ - العبودي ، المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ١٣٦٢ .

٣٨ - الحموي ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٤٢٠ .

٣٩ - نقلاً عن العبودي ، المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ١٣٦٣ - ١٣٦٤ .

٤٠ - أوثال هي البلدة المشهورة قديماً بـ «أثال» وهي جو فسيح غني بمياهه وزراعتة ومراعيه، وهو «منزل لأهل البصرة إلى المدينة بعد قو (قصياء) وقبل الناجية، وقيل أثال حصن ببلاد عيس بالقرب من بلاد بني أسد»، الحموي، المصدر السابق، (رسم الهمزة)، ج ١، ص ٨٩.

٤١ - يود الباحثان أن ينوها بجهود أبناء الشيخ المرحوم محمد العبدالله الرباح من أوثال، وذلك لما أبدوه من مساعدة فائقة في البحث عن نقوش هذه البلدة خلال الدراسة الميدانية، فلهم منا وافر الشكر والعرفان.

٤٢ - تظهر في خلفية هذا المنظر مخربشات كثيرة بعضها يبدو أنه يعود لفترات حديثة، كما لا يستبعد أن بعض رسوم الجمال كرر نقشه حديثاً.

٤٣ - أسفل هذا الجميل رسوم لجمال ونقوش أخرى نقشت بشكل سطحي، ونظراً لكون الصخرة سهلة التفتت فإنها بدأت تفقد الكثير من ملامحها.

٤٤ - نظراً لمناسبة هذه الواجهة الصخرية للكتابة والنقش، فقد استغلت كثيراً للنقش عليها في الفترات المتأخرة، وقد تسبب ذلك في طمس وتشويه الكثير من النقوش والمخربشات القديمة.

٤٥ - العبودي، المرجع السابق، ج ٣، ص ١١٠٩.

٤٦ - المرجع السابق، ص ١١٠٩، وقد كانت هذه الأكمة الصخرية تعرف في الماضي القريب بـ «عريجين منصور» أما في الوقت الراهن فتغلب عليها تسمية «عرجون منصور»، ولا أحد يعرف حالياً من هو منصور هذا ولا سبب التسمية، وإن كان الاسم من الأسماء المتداولة في هذه المنطقة. أما «الزير» الذي كانت تعرف به قديماً والذي أشار إليه الشيخ العبودي فقد اختفى بشكل نهائي.

٤٧ - كان لشق الطريق الأسفلتي الذي يتجه شمال منطقة الجواء دور كبير في إخفاء معالم تلك الجادة حيث أزال الجرافات والمعدات معظم الظواهر الطبيعية في ذلك المكان.

٤٨- محمود، محمد الجوهري، غنطور، أحمد محمد، الجمل العربي، دار عكاظ، جدة، ١٤٠٥هـ، ص ٢٤ - ٢٥.

٤٩- الحقباء في الوقت الراهن هي مزرعة للمواطنين عبدالرحمن وحمد محمد الربيعان ؛ ولقد لمسنا منهما كل الاهتمام والحرص على آثار هذه المنطقة وبالأخص إبان زيارتنا الميدانية لهذا الموقع، فلهم منا وافر الشكر والتقدير.

٥٠- تقع بلدة كبد إلى الشمال من القوارة (بالقاف) على مسافة ٣٠ كم. ولعلها كانت تسمى على قارة سحماء أسفلها برقة، وكان بها ماء قديم ترده البادية، وكان يسمى «مشاش كبد» لأنه وشل قليل ينقطع إذا تأخر سيله ؛ انظر العبودي، معجم بلاد القصيم، ج ٥، ص ٢١١٦.

٥١- لقد كان لأسرة التدريس في مدرسة كبد، وعلى رأسهم مدير المدرسة فالح ابن محمد بن حديد (يرحمه الله)، دور إيجابي في التعرف على كتابات ورسومات هذه البلدة، وذلك خلال زيارتنا الميدانية للموقع في الفصل الدراسي الأول ١٤١٧/١٤١٨هـ، فلجميع أجزل الشكر والتقدير.

٥٢- يظهر على هذه الواجهة الصخرية الداكنة مناظر لحيوانات مختلفة يصعب التمييز بينها وبين ما يحيط بها من نقوش ومخربشات قديمة ومتأخرة.

٥٣- لمقارنة الرسوم الأدمية التي ظهرت في هذه المنطقة برسوم أخرى في المملكة، انظر خان، مجيد، المرجع السابق، اللوحات ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥.

٥٤- Jones, R., Hammond, Ph., Johnson, D., Fiema, Z. " A Sec- ond Nabataean Inscription from Tell esh-Shuqafiya, Egypt ", Bulletin of the American Schools of Oriental Research, 269 (1988), p. 50 ; Klugkist, A., Midden - Aramese Schriften in Syrië, Mesopotamië , Perzië en Aangrenzende Gebieden , Rijksuniversiteit et Gröningen , (1982) , p. 222 .

٥٥- الذيب، سليمان عبدالرحمن، «الموطن الأصلي للأنباط»، الدارة، العدد الثاني، السنة الحادية والعشرون، محرم، صفر، ربيع الأول (١٤١٦هـ)، ص ٦٧ - ٨٠. لاحظ الخطأ غير المقصود من المؤلف، فقد أشار إلى أن

الحملتين العسكريتين قام بهما السلوقيون والصحيح هو انتيجونوس Antig،
(انظر نفس المرجع ص ٦٧).

Cantineau , J. Le Nabatéen , Osnabruck: Otto Zeller , (1978) ، -٥٦
p. 148 وكان كل من الخريشة انظر : - Die Personen-
namen in den nabatäischen Inschriften des Corpus Inscriptionum
Semiticarum , Dissertation) Marburg , (1986) ، p. 169 .

Negev , A., Personal Names in the Nabatean Realm , Jeru :
انظر : - The Hebrew University (1991) ، p. 61 . قد ذهب في قراءتهما
لهذا الاسم إلى قراءة جوسين وسافنيك وهي ش ب ي ، انظر :
A., Savignac , R., Mission archéologique en Arabie , Paris : Publi-
cations de la Société Française des Fouilles Archéologiques
(1959-1914) no : 33 : 1 .

إلا أن القراءة الأكثر قبولاً هي بالواو وليس بالياء ش ب و ، وقد أيد هيلي هذه
القراءة المعطاة من كانتينو ، انظر : Healey , J., The Nabataean Tomb
Inscriptions of Mada'in Salih , Oxford : Oxford University Press ,
(1993) ، no : 33 .

Abbadi , S. Die Personennamen der Inschriften aus Hatra , Hilde-
sheim : Texte und Studien zur Orientalistik , (1983) ، p. 166 .

Harding , G. , An Index and Concordance of Pre-Islamic Arabian
Names and Inscriptions , Toronto : University of Toronto Press ,
(1971) ، p. 340 .

Maraqten , M., Die Semitischen Personennamen in den alt-und
reichsaramäischen Inschriften aus Vorderasien , Hildesheim : Georg
Olms Verlag , (1988) ، p. 215 .

وكان مراقطن قد أعاد هذا الاسم ش ب أ إلى الجذر ش و ب أي «رَجَعَ» .

Stark , J., Personal Names in Palmyrene Inscriptions , Oxford :
The Clarendon Press , (1971) ، p. 113 .

Harding , G., Some Thamudic Inscriptions from the Hashimite -٦١

Kingdom of the Jordan , Leiden : E.J. Brill , (1952) , no : 31 .

Al- Ansary , A., A Critical and Comparative Study of Lihyanite - ٦٢
Personal Names , Unpublished ph.D. thesis , University of Leeds ,
(1966) , p. 89 .

وقد أشار الأنصاري إلى النقش الليحاني رقم ١٦ الوارد لدى جوسين وسافنيك ،
(انظر Jaussen , Savignac , Lih no : 16) اللذين وضعوا نقطاً مما يدل على
وجود علامات تسبق الشين لكن بالعودة إلى اللوحة المرفقة (pl. XXX) لم
نجد ما يشير إلى وجود علامات تسبق الشين . كما أشار إلى ذلك كاسكل ،
انظر : Arbeitsgemeinschaft und Lihyanisch Caskel , W., Lihyan
für Forschung des Landes Nordrhein Westfalen , Geisteswissenschaft-
ten , Haft 4) , Köln , (1952) , p. 152 .

لكن الاسم الوارد لدى كاسكل جاء بصيغة ش ب ب ، ويجدر بنا لفت الانتباه إلى
الخطأ الذي وقع فيه هاردنج إذ أشار إلى كون الاسم ش ب ب . جاء في النقش
الليحاني رقم ٢٥٠ لدى جوسين وسافنيك (انظر 3.p , Index) (Harding ,
إلا أنه بالعودة إلى هذا النقش تبين عدم ورود هذا الاسم .

٦٣- ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري،
لسان العرب، بيروت : دار صادر (١٩٥٥ - ١٩٥٦ م) ، مج ١ ، ص ٤٨٣ .
على كل حال يقال رجل مَشْبُوب إذا كان أبيض الوجه أسود الشعر ، أو رجل
مَشْبُوب وهو الجميل ، حسن الوجه (انظر ابن منظور ، لسان ، مج ١ ، ص ص
٤٨١ - ٤٨٢) .

٦٤- ابن منظور، لسان، مج ١ ، ص ٤٥٦ ، انظر أيضاً الدبيب ، سليمان
عبدالرحمن ، نصيف ، عبدالله آدم ، «نقوش عربية شمالية من موقع الهند
بمنطقة تبوك» ، تحت النشر نق : ٢١ .

٦٥- للمزيد من المقارنات والمصادر انظر سليمان عبدالرحمن الدبيب ؛ دراسة
تحليلية لنقوش نبطية قديمة من شمال غرب المملكة العربية السعودية ، الرياض

: مكتبة الملك فهد الوطنية (١٤١٥هـ / ١٩٩٥م) ص ٤١ هامش ٥، ٦، ٧،

٨، Al - Theeb., S., Aramaic and Nabataean Inscriptions from North-West Saudi Arabia, Riyadh : King Fahd National Library Publications , (1993) , p. 212 .

٦٦ - Cantineau , p. 153 .

٦٧ - Negev , p. 66 .

٦٨ - ابن منظور، لسان، مع ١١، ص ٣٥٦.

٦٩ - Harding , Index , p. 353 . وإذا قُرأ هذا الاسم بالسين وهو أمر مستبعد فإن اسماً مشابهاً جاء في النقوش السبئية بصيغة س ق ل ن (انظر Harding , Index, P.32

الذي أعاده إلى سَقَلْ والسَقَلْ لغة الصُقَلْ وهي الخاصرة والسَقَلْ في اليد كالصَدَقِ سَقَلْ سَقَلًا وهو أسَقَلْ (انظر ابن منظور، لسان، مع ١١، ص ٣٣٨).

٧٠ - إحسان عباس، تاريخ دولة الأنباط، بحوث في تاريخ بلاد الشام، عمان : دار الشروق للنشر والتوزيع، (١٩٨٧م) ص ٦١، ٦٦ - ٦٧. وبالنسبة لأحد النقوش الوارد فيها اسمي شقيلة الزوجة والإبنة انظر :

Khairy , N., with additional note by J. Milik. , " A New Dedicatory Nabataean Inscriptions from Wadi Musa " , Palestine Exploration Quarterly (1981), pp. 19 - 26 .

٧١ - للمزيد انظر هتون أجواد الفاسي، الحياة الاجتماعية في شمال غرب الجزيرة العربية : في الفترة ما بين القرن السادس قبل الميلاد والقرن الثاني الميلادي، الرياض، (١٤١٤هـ / ١٩٩٣م)، ص ١٧١، هامش رقم ٤٥.

٧٢ - سليمان عبدالرحمن الذيب «دراسة لنقوش صفوية جديدة، متحف قسم الآثار والمتاحف، جامعة الملك سعود»، رسالة المشرق، العددان الرابع من المجلد الثاني والأول من المجلد الثالث، (١٩٩٣م / ١٩٩٤م)، نق : ٩٠.

Al-Theeb, S., " New Safaitic Inscriptions from the North of Saudi Arabia ", Arabian Archaeology and Epigraphy 6 (1995), no : 1 A .

وللمزيد من المقارنات مع النقوش السامية الأخرى أنظر :

al - Ansary , p. 89 ; Abadi , p. 172 ; Al-Said , S., Die Personennamen in den Minäischen Inschriften , Wiesbaden Harrassowitz Verlag , (1995) , p. 118 .

٧٣- الذيب ، سليمان عبدالرحمن ، «نقوش عربية شمالية من تبحر شمال غرب المملكة العربية السعودية» ، دراسات ، الجامعة الأردنية ، مج ٢٤ ، عدد ٢ (١٩٩٧م) ، لوحة الأحرف .

٧٤- كنا قد اعتبرنا الكلمة الأولى المكتوبة على شكل خط أفقي في النص رقم ٢٢٧ ، المنشور من قبل جوسين وسافنيك ، لا علاقة لها بالنص المكتوب على شكل خط عمودي (انظر الذيب ، نصيف «نقوش عربية شمالية من منطقة حسمى بتبوك» ، تحت النشر) . لكن إذا صحت قراءة جوسين وسافنيك ، فهو يتحفظ نص ثمودي مكتوب بأسلوبي الخط الأفقي (الكلمة الأولى) والخط العمودي (لبقية النص) (انظر Jaussen , Savignac , pl. CXL).

٧٥- محمود ، محمد الروسان ، القبائل الثمودية والصفوية : دراسة مقارنة ، الرياض : عمادة شؤون المكتبات ، جامعة الملك سعود (١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م) ص ٧٥ . ، سليمان عبدالرحمن الذيب ، «نقوش صفوية جديدة من شمالي المملكة العربية السعودية» ، العصور ، المجلد السادس ، الجزء الأول (١٩٩١م) ، ص ٣٨ ، هامش رقم ٢٨ .

٧٦- سليمان عبدالرحمن الذيب ، «نقوش عربية شمالية من جبل أم سلمان بمحافظة حائل : المملكة العربية السعودية» ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الملك سعود ، مج ١١ ، العدد الأول (١٤١٩هـ / ١٩٩٩م) ، نق : ٢ ، الذيب ، سليمان عبدالرحمن ، «نقوش عربية شمالية من منطقة حائل : المملكة العربية السعودية» ، مجلة كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، العدد الثامن (١٩٩٧م) ، نق :

١١، ١٨، ٢٠. يوسف عبدالله، «الأثار في منطقة عرعر»، العرب، ج ١
٢ ص ٢٢، رجب، شعبان (١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م) ص ٦٧. وللمزيد من المراجع
والمقارنات انظر سليمان عبدالرحمن الذيب، «نقوش صفوية من متحف قسم
الأثار والمتاحف، جامعة الملك سعود (٣)»، مجلة كلية الآداب، جامعة الملك
سعود (١٤١٦هـ)، ق: ٩ وأيضاً هامش رقم ١١٢.

٧٧- ابن منظور، لسان، مج ٣، ص ص ٤٣٢ - ٤٣٣.

٧٨- Corpus Inscriptum Semiticarum Inscriptions Safaiticas Conti-
nentem, Paris : Academia Inscriptionum et Letterarum Humaniorum
Conditum Atque Digestum , nos : 923, 1252, 2382 ; Litmann
, E., Safaitic Inscriptions , (Publications of the Princeton University
Archaeological Expeditions to Syria in 1904 - 1905 and 1909,
Division IV, Semitic Inscriptions , Section C) , Leiden E. J. Brill ,
(1943) , nos : 811 , 1001 , 1184 ; Winnett , F., Harding , G. , In-
scriptions from Fifty Safaitic Cairns , Toronto : University of To-
ronto Press (1978) , nos : 2256 , 2897 .

٧٩- لا يستبعد أن يقرأ هذا الاسم أيضاً د ص م رغم صعوبة إعطاء تفسير مقبول
له، إلا إذا اعتبرنا الميم للتمييز فهو من الدَّصْدَصَة وهو «ضربك المنخل بيلك»
(انظر ابن منظور، لسان، مج ٧، ص ٣٥).

٨٠- ابن منظور، لسان، مج ١٢، ص ٢٠١. الفيروز أبادي، مجد الدين
محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، بيروت : مؤسسة الرسالة
(١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م) ص ١٤٣٠.

٨١- Winnett , Harding , 1404 , 1610 ; Winnett , F., Safaitic Inscript-
ions from Jordan , Toronto : University of Toronto Press , (1957) ,
352 , 570 .

يجدر بنا لفت الانتباه إلى أن هاردنج قد أشار إلى ظهور الاسم ق م ل، في
النقشين رقمي ٥٢٠، ٣٥٢ (انظر Harding , Index , p. 488) المنشوران من

قبل ونيت، وبالعودة إلى المرجع المذكور لم نعثر على ما يشير إلى ظهوره في النقش رقم ٥٢٠، المقروء أصلاً من نيت ل ب ذ ون، أنظر :
(Winnett , Safaitic , p. 76).

Littmann, E., Thamūd und Safā : Studien zur Altnordarabis- ٨٢
chen Inschriftenkunde , Leipzi Deutsche Morgenländische Gesells-
chaft (1940) , 48 .

٨٣- Harding , Index , p. 488 . ق م ل أ، اسم علم مشابه جاء في النقوش
التدمرية، وقد فسرته ستارك بمعنى القَمَل (انظر Stark, p. 110).

٨٤- ابن منظور، لسان، مج ١١، ص ٥٦٨. والجدير بالذكر أن لفظة قَمَل جاءت
في عدد من النقوش السامية مثل الأثيوبية بصيغة 𐩦𐩣𐩪 أنظر :

Leslau , W. , Comparative Dictionary of Geشعز (Classical Ethi-
opic) , with an index of the Semitic roots , Wiesbaden : Otto Harras-
owitz , (1987) , p. 432 .

وكذا في الآرامية القديمة أنظر :

Hoftijzer , J., Jongeling , K., Dictioary of the North-West Semitic
Inscriptions , Leiden : E. J. Brill , (1995) , p. 1013 .

وجاء بصيغة ق م ل ت ، «حشرة مؤذية» في النقوش العربية الجنوبية السبئية،
انظر : بيستون، ريكانز، جاك، الغول، محمد، مولر، والتر، المعجم
السبئي، بالإنجليزية والفرنسية والعربية، لوفان الجديدة ؛ دار نشرات بيترز،
بيروت : مكتبة لبنان، (١٩٨٢م) ص ١٠٥ .

٨٥- ابن منظور، لسان، مج ١١، ص ٢٢٨. وتبعه في هذا كل من الفيروز آبادي
(انظر المحيط، ص ١٣٠٢) وهزاع عيد الشمري، انظر : جمهرة أسماء
النساء وأعلامهن، الرياض : دار أمية للنشر والتوزيع (١٤١٠هـ) ص ٢٢٨.
والاسم المؤنث رمله عُرف أيضاً في مصادر عربية أخرى، أنظر : الأندلسي،
أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، جمهرة أنساب العرب، بيروت

: دار الكتب العلمية، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، ص ٤٢ .

٨٦- حيث يقال عام أرمَل : أي قليل المطر والنفع والخير، كما أن الرَّمْلَة هي الخط الأسود (أنظر ابن منظور، لسان، مج ١١، مج ٢٩٨).

Costaz, L., Dictionnaire Syriac-Français, Syriac-English Dictionary, Beyrouth : Imprimerie Catholique, (1963), p. 342 ;
Smith, J., A Compendious Syriac Dictionary, Oxford : The Clarendon Press, (1967), p.p 534 - 5 .

٨٨- Al-Khraysheh, p. 166 ; Negev, p. 60 .

٨٩- CIS nos : 444 , 463 ; Littmann, Safaitic, nos : 735 , 1087 , 1264 ;
Winnett and Harding , nos : 391 , 3812 .

٩٠- بالنسبة للتدمرية (انظر Stark , p. 112) وبالنسبة للنقوش الحضرية (انظر
Abbadi , p. 164 .)

-٩١

Branden Van den., Les Inscriptions Thamoudéennes, Louvain-
Heverlé : Bibliothèque du Muséon, vol : 25 , (1950) , (Hu 524) ,
p. 359 .

وكان فان دن براندن قد فسر في نقشين آخرين لفظة ع ج ل ، بمعنى جمل
وهو ما لا يغفل إليه أنظر chameau

Branden , Van den . , Les Texts Thamoudéens de Philby , Vol : II ,
Inscriptions du Nord , Louvain : Publication de Louvain , (1956) ,
(Ph 266 (0)) , p. 22 , (Ph 292) , p. 63 .

لاحظ الأخطاء المطبعية في قراءة النص الأول حيث كتبت علامة الألف بدلاً
من علامة العين .

٩٢- يوسف عبدالله، النقوش للصفوية في مجموعة جامعة الرياض عام ١٩٦٦ ،
بيروت : رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأمريكية (١٩٧٠م)، ق :
١٠٧ .

٩٣ - مثلاً في الأوجاريتية (انظر : Gordon , C., Ugaritic Textbook , Rome : Pontifical Biblical Institute, 35, (1965) , p. 453 .

وأيضاً في الفينيقية انظر : Tomback , R., A Comparative Semitic Lexicon : Languages , New York : Scholars of the Phoenician and Punic Press , (1978) p. 238 .

والآرامية القديمة (انظر : اسماعيل ، فاروق ، لغة نقوش الممالك الآرامية : دراسة مقارنة في ضوء اللغات السامية . ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة حلب ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، قسم اللغة العربية (١٩٨٤م / ١٤٠٥هـ) ، ص ٤٩ . وكذا في التوراة العبرية بصيغة **לְיָהוּ** انظر Brown , F., Driver , S. Briggs , Ch., Hebrew and English Lexicon of the Old Testament , Oxford : Clarendon Press (1906) p.722 والسريانية بصيغة **ܠܝܗܐ** ، انظر (Smith, p. 399) واللافت للنظر أن لفظة **عجل** ل ت ، جاءت في النقوش السبئية ، إلا أنها تركت من قبل بيستون ورفقائه دون تفسير فيما اقترحت بشى من التردد الباحثة بيلا المعنى المعروف لهذه اللفظة وهو **عجل** انظر :

Har-Biella , J., Dictionary of Old South Arabic : Sabaeen Dialect , vard: Harvard Semitic Studies (1982) , p. 351 .

أما في الأثيوبية فعرف بصيغة (Iahm) انظر (Leslau , p. 309) .

King, G. Early North Arabian Thamudic E, A preliminary description based on a new Corpus of Inscriptions from the 'isma desert of southern Jordan and published material , Unpublished ph.D thesis , School of Oriental and African Studies , (1990). pp. 531 .

٩٥- الشمري ، ص ٤٥٠ ، كما جاء بصيغتي ضواً ، (انظر : حسن إبراهيم الصباغ ، معجم روح الأسماء العربية ، دمشق : دار المعرفة ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م) ، ص ٢٣٤ وضوي ، (انظر : الخزرجي ، عبود أحمد ،

- اسماؤنا : اسرارها ومعانيها، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (١٩٨٨م)، ص ٤١٨). ضو اسم علم مازال متداولاً محلياً في لبنان.
- ٩٦- يوجد ما لا يقل عن ثلاثة نصوص حال أسلوب نقشها، إلى عدم الخروج بقراءة مرضية لها، مثل النقش المكتوب مباشرة أسفل النقش رقم ٧ الذي يمكن اعتباره استناداً إلى شكل حرف الذال نقشاً ثمودياً مبكراً والمقروء من اليمين إلى اليسار كالتالي :
- ز ن ل ط ذ ح س ج ، «هذا لط من قبيلة حسيج». اسم العلم لط عُرف في النقوش اللحيانية (انظر Harding , Index , p. 515) بينما اسم القبيلة يظهر حسب معلوماتنا للمرة الأولى في هذه النقوش الثمودية . والثاني النقش المكتوب إلى الأعلى من النقش رقم ٧ الذي ربما يقرأ من اليسار إلى اليمين كالتالي :
- ل ن ح ت ل ب ، «بواسطة ن ح ت ل بن . الثالث نقش قصير لا يتضح منه سوى الأربع العلامات الأخيرة منه والمقروء ب ل ل .
- ٩٧- ابن منظور، لسان، مج ٢، ص ٢٩٧ . الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص ٢٤٧ .
- ٩٨- ابن منظور، لسان، مج ٢، ص ٢٩٦ . الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص ٢٤٧ . الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق حسين نصار، الكويت : وزارة الإرشاد، مج ٦، ص ٣٠-٣١ .
- ٩٩- لا يمكن إغفال إمكانية قراءته أيضاً ط م ع ، نظراً للتشابه بين حرفي الطاء والحاء في هذه النوعية من النقوش انظر : Winnett , F., A Study of the University Lihyanite and Thamudic Inscriptions , Toronto : The of Toronto Press , (1937), pl. X (Alphabetical Table) .
- ١٠٠- بالنسبة للنقوش الصفوية (انظر : , 519 no : Winnett , Safaitic ,

والآرامية (انظر : p. 164 , Maraqtan). وللمزيد من المقارنات انظر سليمان عبد الرحمن الذيب، دراسة تحليلية للنقوش الآرامية القديمة في تيماء : المملكة العربية السعودية، الرياض : مكتبة الملك فهد الوطنية، (١٤١٤هـ / ١٩٩٤م) ص ص ٤٠ - ٤١. لاحظ الخطأ المطبعي الذي وقع فيه المؤلف حيث أشار في هامش رقم ٣، ص ٤١ إلى أن الاسم ح ط م جاء في الصفوية مشيراً إلى هاردنج ص ص ٣٧ - ٣٨ والصحيح هو هاردنج ص ١٩٣ لذا وجب التنويه.

١٠١ - Harding , Index , p. 199. وجاء بصيغة ح م م، في النقوش المعينية (انظر al-Said , p. 91). ولعرفة الآراء المختلفة حول معنى هذا الاسم

(انظر, A new Minaean inscription from North al-Theeb , S.,

Arabia ; Arch , arch , epig 1 (1990) , pp. 21 - 2 .)

١٠٢ - Harding , Index , p. 425 .

١٠٣ - ابن منظور، لسان، مج ٧، ص ٤٤٧.

١٠٤ - بالنسبة للشمودية (انظر Harding , Index , p. 24) وللصفوية (انظر CIS 3998 ; Winnett , Safaitic 996) وللمزيد من المقارنات (انظر الذيب، نقوش آرامية، ص ٣٩).

١٠٥ - ابن منظور، لسان، مج ١٠، ص ٤١٦، الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص ١٢١٠.

١٠٦ - أورد فان دن براندين (انظر Branden , Histoire , p. 44) خمسة أسماء هي : الجمل، البعير، رباح، إبل وعجل (الذي لا علاقة له بالجمل). وكان نجيب غزاوي في ترجمته الجيدة لكتاب فان دن براندين قد جانبه الصواب عندما قرأ عجل، ع ق ل (انظر، تاريخ ثمود ترجمة نجيب غزاوي، دمشق : أبجدية المعرفة رقم : ٢١ (١٩٩٦م)، ص ص ٥٤ - ٥٥).

١٠٧ - Branden , Thamoudéennes , (Hu 785) , p. 118 ; Harding ,

- وكذلك جاء الاسم في النقوش. Thamudic , ٢٨ , 482 ; king , p. 484 .
- التدمرية (انظر Stark , p. 117) واللحيانية (انظر al-Ansary , p. 114) والنبطية (انظر Negev , p. 69) وللمزيد من المقارنات انظر الذيب، مجلة كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٨ (١٩٩٧م) تق ١١ .
- ١٠٨- علي، جواد. ، الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت : دار العلم للملايين، بغداد : مكتبة النهضة، (١٩٧٨م)، مج ٦، ص ٢٨٨. وكان محمد سلطان العتيبي، قد أعد بحثاً بعنوان، المعبد في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام مفهومه وتطوره ووظيفته منذ القرن السادس قبل الميلاد حتى القرن السادس الميلادي، قدم لقسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود (١٤١٢هـ)، أشار فيه إلى معبد ديوان أبو زيد في الحجر موضحاً أن عمره الضيق برموزه الدينية للآلهة وأماكنه التعبدية الصغيرة تشابه مالدى الأنباط في السيق، مشيراً إلى أنه أخذ هذه المعلومة من بحث لعبد الرحمن الطيب الأنصاري بعنوان «بعض مدن القوافل القديمة في المملكة العربية السعودية»، ندوة البتراء وطرق القوافل، عمان، هيئة اليونسكو، إدارة الآثار الأردنية (١٩٨٥م)، ص ٥، الذي يذكر العتيبي أن الأنصاري أخذها من جواد علي، (انظر الفصل، مج ٣، ص ٥٦) (انظر العتيبي، ص ١٠٠، هامش رقم : ٥) لكن بالعودة إلى هذين المرجعين لم نجد ما أشار إليه الباحث .
- ١٠٩- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن .، الاشتقاق، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون، بيروت : دار الجليل (١٤١١هـ/ ١٩٩١م)، ص ٢١٧ وقد كرر هذا الرأي أيضاً حسن الصباغ (انظر الصباغ، ص ٣٠٩) .
- ١١٠- توجد العديد من الأمثلة خصوصاً مع أسماء الاعلام الشخصية التي وردت فيها الألف واللام كأداة تعريف (انظر : Cantineau , p. 61) وانظر أيضاً a l-Theeb , p. 250 .
- Harding , Index , p. 537 ; Jamme , A. , Sabaeen Inscriptions from - ١١١ Mahram Bilqis (Mârib) , Baltimore : The Johns Hopkins Press ,

١١٢ - بيستون، الفريد، «لغات النقوش اليمنية القديمة نحوها وتصريفها»،

مختارات من النقوش اليمنية القديمة، تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، (١٩٨٥م)، ص ٧٦. ، بيستون، الفرد، قواعد النقوش العربية الجنوبية: كتابات المسند، ترجمة رفعت هزيم، اريد: مؤسسة حمادة للخدمات الجامعية، (١٩٩٥م)، ص ٥١. وقد بذل المترجم في ترجمته لهذا الكتاب جهداً يشكر عليه. إلا أن ما عاب الكتاب هو استخدام المترجم القلم اللاتيني في كتابة الألفاظ والمفردات الواردة في النقوش السبئية.

١١٣ - وذلك في النقش المعروف بالنماره والعائد لسنة ٣٢٨ ميلادية الذي درس بشكل مكثف باللغتين العربية، انظر مثلاً بعلبكي، رمزي. ، الكتابة العربية والسامية دراسات في تاريخ الكتابة وأحوالها عند الساميين، بيروت: دار العلم للملايين (١٩٨١م) ص ص ١٢٤ - ١٤٣. والانجليزية انظر مثلاً،

Shahid, I., " Philological Observations on the Namara Inscription " Journal of Semitic Studies 24 (1979), pp. 33 - 42 ; Beeston, A., Al-Abhath 19 (Note on the Nemara Inscription ", " A Further 1981), pp. 3 - 5 .

وجاء بصيغة علم ر ا ل ق س في نقش عربي مبكر من منطقة الجوف انظر المعيقل، خليل إبراهيم. ، «نقشان عريبان مبكران من سكاكا». ، الدارة، العدد الثالث، السنة التاسعة عشرة (١٤١٤هـ) نق: ٢. ، انظر أيضاً المعيقل، خليل إبراهيم. ، النقيب، سليمان عبدالرحمن. ، الآثار والكتابات النبطية في منطقة الجوف، الرياض: مكتبة الخاليد، (١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م) ص ٢٣٦.

١١٤ - وقد جاء في النقوش النبطية اسم علم بصيغة م ر ا ل م ل ك و (انظر Ne-gev, p. 41) وأفضل تفسير له هو «رجل إل هو مالك أو مالك هو رجل إل»، وجاء العنصر الأول م ر، مع اسم علم عُرف في النقوش الثمودية بصيغة م ر ا ت و د انظر:

Branden , Van den . , Les Textes Thamoudéennes de Philby , vol :
Institut 1 , Inscriptions du Sud , Lauvain : Univesité de Louvain ,
p. 167 . (ph , 210 : ae , 3) , Orientaliste , (1956) ,

ولذا فإننا في هذه الحالة لانستبعد إمكانية أن الاسم م ر ا ل ق س يعني « قيس
رجل إل » .

١١٥ - جاء اسم علم مشابه بصيغة **٢١١٢** في التوراة العبرية (انظر : Brown
(and Others , p. 691.

١١٦ - 3 - 512 . King . رغم أن كنج اعدته إلى صاح ، يسوح أي سال .

١١٧ - . Brown and others , p. 691 .

١١٨ - معجم اسماء العرب ، موسوعة السلطان قابوس لاسماء العرب ،
بيروت : مكتبة لبنان ، مسقط : جامعة السلطان قابوس
(١٤١١هـ / ١٩٩١م) ، مج ١ ، ص ٨٥٧ .

١١٩ - ابن منظور ، لسان ، مج ٢ ، ص ٤٩٢ . ، الفيروز أباذي ، القاموس
المحيط ، ص ٢٨٨ . وتجدر الإشارة إلى أن **ههههه** : « اندفع ، تاق ، استقبل
بلطف » و **هههههه** بمعنى « فرح - شوق » عرفنا في الكتابات السريانية (انظر
(Costaz , p. 222 ,

١٢٠ - 284 - Hrding , Index . وانظر أيضاً ابن منظور ، لسان ، مج ٦ ، ص
٣٠٥ .

١٢١ - ابن منظور ، لسان ، مج ٦ ، ص ٣٠٥ . واللفظة **ووفوا** : أي « كتف » ،
عرفت في السريانية (انظر Costaz , p. 352 .

١٢٢ - 165 . Abbadi ، الذي فسره بمعنى Sams hat geheilt .

١٢٣ - Abdallah , Y. , Die Personennamen in al-Hamdani
und ihre Parallelen in den altsudarabischen Inschriften : ein Bei-
Dis- trag zur jemenitischen Namengebung , Tübingen : Inaugural
sertation (1975), p. 61.

- ١٢٤ - وقد جاء الاسم بهذه الصيغة في كل من النقوش الثمودية (انظر :
Winnett , F. , Reed , W., Ancient Records from North Arabia
Toronto : University of Toronto Press , (1970) , 45) .
- والصفوية (انظر Littmann , Safaitic , 493 ; Harding , Index , p. 200)
والسبئية (انظر Harding , Index , p. 200) .
- ١٢٥ - الذي لم يظهر بهذه الصيغة في أي من النقوش السامية الأخرى ، إلا أنه
عُرف بصيغة ل ب ن في النقوش الثمودية (انظر Harding , Index , p. 570)
والصفوية (انظر Littmann , Safaitic , p. 322) ، وكذا في الآرامية القديمة
(انظر Maraqtan , p. 176) . بينما الاسم لَبَّان ، اللَّبَّان وهو بائع اللبن أو صانع
الطوب مازال متداولاً بيننا حتى الآن (انظر معجم اسماء العرب ، مج ٢ ، ص
١٤٨٨) .
- ١٢٦ - بالنسبة للصفوية (انظر Harding , Index , p. 164) وبالنسبة للفينيقية
(انظر
Benz , F., Personal Names in the Phoenician and Punic Incriptions , Rome: Biblica Institute Press, (1972), p. 296 .
- ١٢٧ - Gröndahl , F., Die Personennamen der Texte aus Ugarit , Rome -
: Pöpstliches Bibelinstitut, Studia Pohl, no: 1, (1967) , p. 127;
Gordon , C. , Ugaritic Textbook , Roma : Pontificium Institutum
Biblicum , Piazza Pilotta 35 , (1965) , p. 430 .
- ١٢٨ - ابن منظور، لسان، مج ١ ، ص ٢٦٨ . الجدير أن **شَلْخَا** في السريانية
تعني «الخنجر» (انظر Costaz , p. 48) و galaba في الكلاسيكية الاثيوبية
تعني «تخفى ، صاد السمك ، الهارب» (انظر Leslau , p. 189) .
- ١٢٩ - وكان بنز قد أعاده إلى اللفظة **إِلْهَ** الواردة في التوراة العبرية بمعنى
«الحلاق» (انظر Brown , and others , p. 162) وفسره بمعنى الحلاق (انظر
Benz , p. 269) .

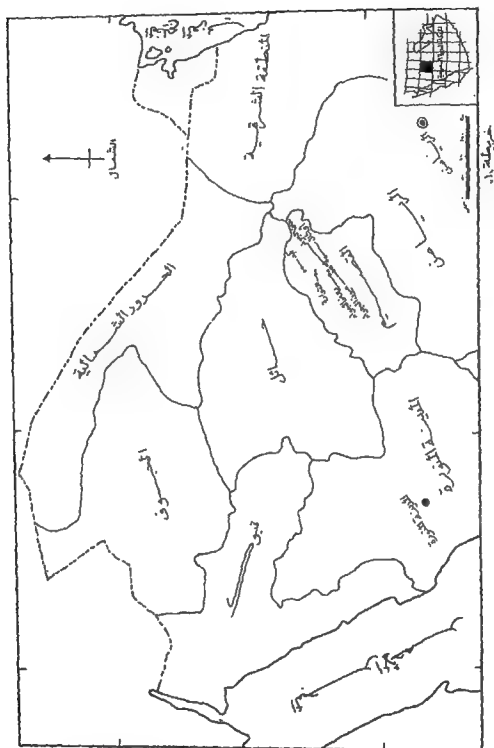
١٣٤ - ابن منظور، لسان، مج ٥، ص ١٨٦.

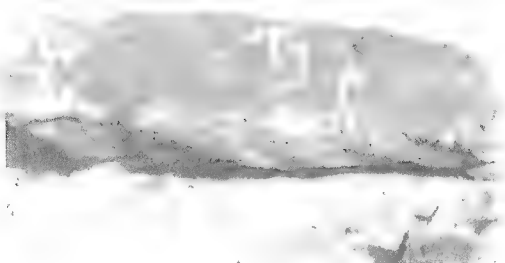
١٣٥ - ابن منظور، لسان، مج ٥، ص ١٨٧، الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص ٦١٥.

١٣٦ - مثلاً في النقوش الثمودية (انظر King , pp. 598 , 685) والسبئية (انظر Bi- ella , pp. 395 وكذا في النقوش اللحيانية (انظر القدرة، حسين محمد العايش) دراسة معجمية لألفاظ النقوش اللحيانية في إطار اللغات السامية الجنوبية، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت لمعهد الآثار والانثروبولوجيا، جامعة اليرموك، جامعة اربد (١٩٩٣م) ص ١٤٨.

١٣٧ - اسكوبي، خالد محمد، الجار الله، عبدالعزيز، النافع، عبدالله محمد، العضيبي، عثمان إبراهيم؛ القصيم تراث وحضارة، مراجعة سعد ابن عبدالعزيز الراشد، الرياض، وزارة المعارف، الوكالة المساعدة للآثار، (١٤١٧هـ / ١٩٩٧م)، ص ٣٨.

١٣٨ - للمزيد من المقارنات انظر الذيب، مجلة جامعة الملك سعود، الآداب، مجلد ١١، العدد الأول (١٤١٩هـ / ١٩٩٩م)، نق : ٦٢، الذيب، مجلة كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٨ (١٩٩٧م)، نق : ٢٨، ٣٨، ٤١. جدير بالذكر أن ج. لوريمر قد زار الجواء وأشار إلى أن «الصخور في مدخل منخفض العيون في طرفها الشمالي الغربي تحمل بعض النقوش الحميرية»، ولعله يقصد نقوش موقعي حصاة النصلة وعريجين منصور، وكل منهما لا يحمل نقوشاً حميرية، بل إنها في الأول ثمودية وفي الثاني نبطية وثمودية. دليل الخليج - القسم الجغرافي -، ترجمة المكتب الثقافي لحاكم قطر، دار العربية، بيروت، ج ١، ١٣٨٩هـ، ص ٢٦٠ - ٢٦١.

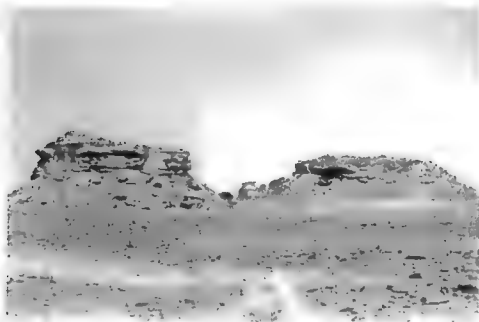




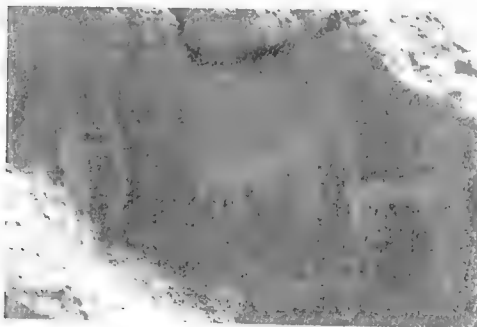
لوحة ١



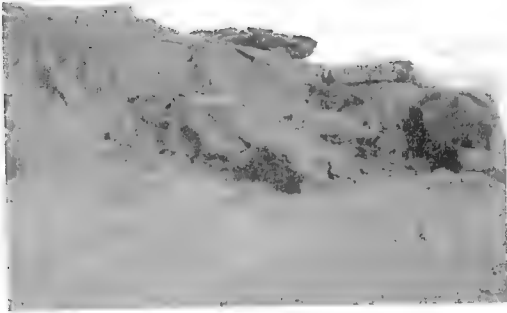
لوحة ٢



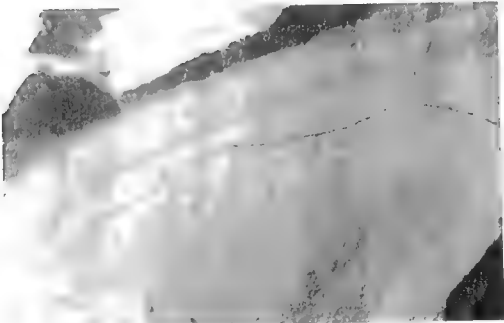
لوحة ٣



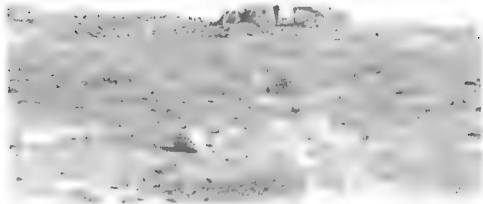
لوحة ٤



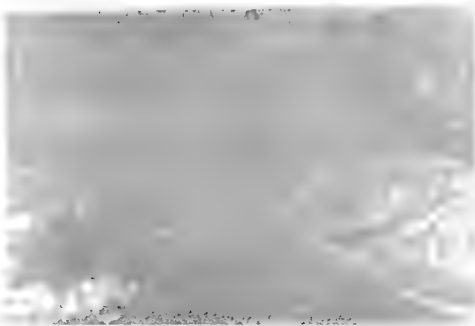
لوحه ٥



لوحه ٦



لوحة ٧



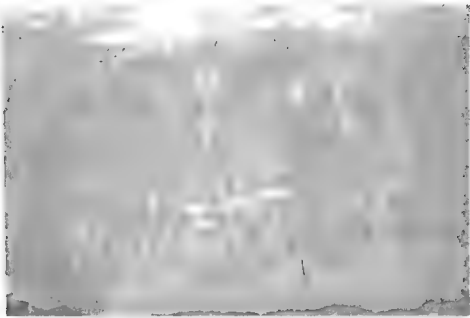
لوحة ٨ نق ١، ٢، ٣/ن



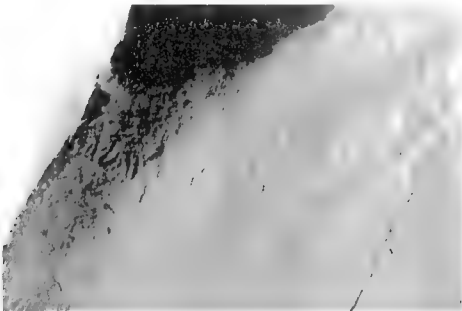
لوحة ٩ نق ١/ث



لوحة ١٠ نق ٢/ث



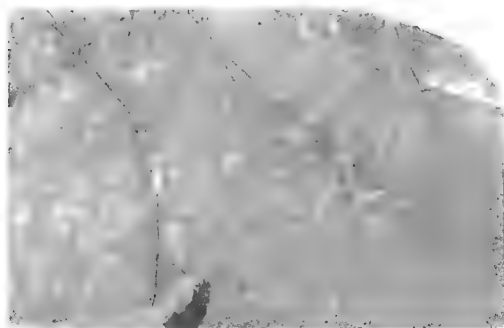
لوحة ١١ نق ٣/ث



لوحة ١٢ نق ٤/ث



لوحة ١٣ نق ٦٥/٦ ث



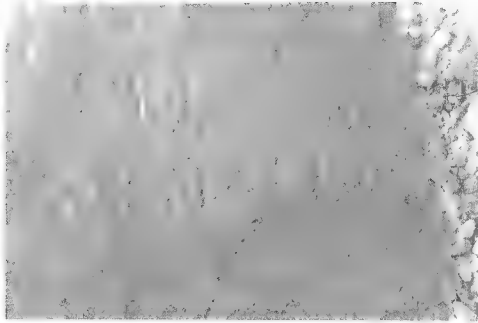
لوحة ١٤ نق ١٠، ٩، ٨، ٧/١٠ ث



لوحة ١٥ نق ١١/ث



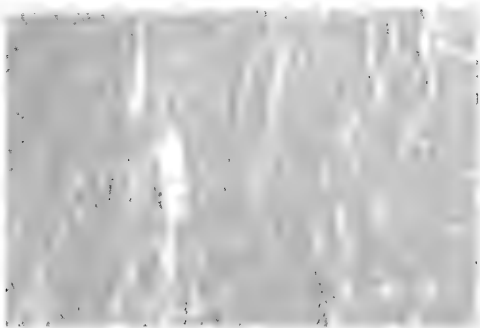
لوحة ١٦ نق ١٢/ث



لوحة ١٧ نق ١٣/ث



لوحة ١٨ نق ١٤/ث



لوحة ١٩ تق ١٥/ث



لوحة ٢٠ تق ١٦/ث



٢



٢



١



١



١



٤



١٠



٩



٨



٧



١٤



١٣



١٢



١١



١٧



١٦

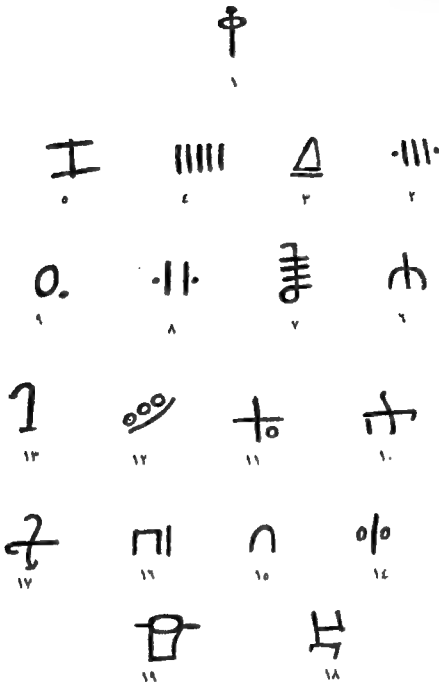


١٥

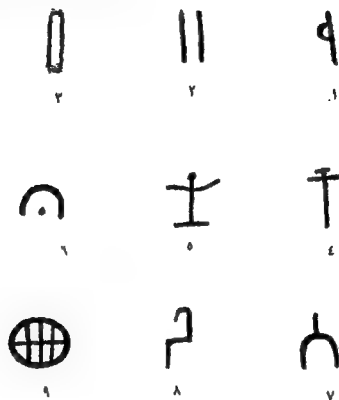
شكل ١



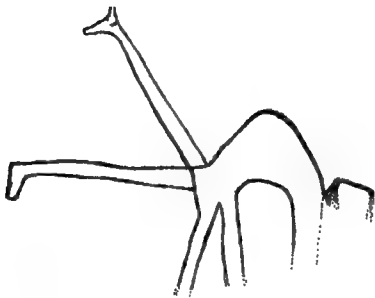
شكل ٢



شكل ٣



شكل ٤



١



٣

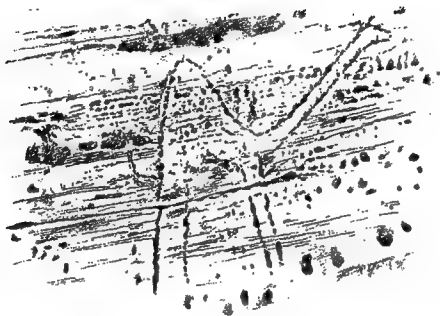


٢



٤

شكل ٥



١



٣



٢

شكل ٦



١



٢

شكل ٧



١



٣

٢

شكل ٨



١



٣



٢

شكل ٩



١



٢



٣

شكل ١٠



١



٢



٣

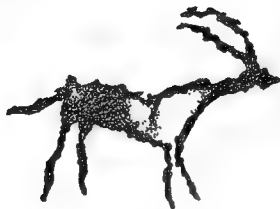


٤



٥

شكل ١١



١



٢



٣

شكل ١٢



شكل ١٣



١



٢



٤



٣

شكل ١٤

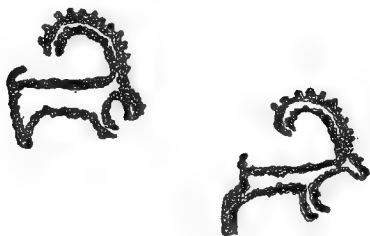


١



٢

شكل ١٥



١



٢

شكل ١٦

نق: ١/١
نق: ٢/٣
نق: ٣/٣

نق: ١/١
نق: ٢/٣

نق: ٢/٣
نق: ٤/٤

نق: ٥/٥
نق: ٦/٦
نق: ٧/٧

نق: ٨/٨
نق: ٩/٩
نق: ١٠/١٠

شكل ١٧

«جدة خلال الفترة
١٢٨٦ - ١٣٢٦هـ / ١٨٦٩ - ١٩٠٨م»
«دراسة تاريخية وحضارية في المصادر
المعاصرة»

تأليف / صابرة مؤمن إسماعيل

دراسة: أ. د. يوسف بن علي بن رابع النقي
رئيس قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية
بجامعة أم القرى .

يحتوي هذا الكتاب على مقدمة وخمسة فصول وخاتمة وملحقين، يتخللها جداول وخرائط وأشكال توضيحية، ثم في النهاية قائمة المصادر والمراجع .
واختص الفصل الأول منها بموضوع «الإدارة العثمانية في الحجاز» وفيه تحدث الباحث عن كيفية دخول الحجاز تحت الحكم العثماني، ثم علاقة حكام مكة بالولاة العثمانيين في جدة، وتوضيح صلاحياتهم وبيان بالقوات العسكرية التابعة لكل جهة ومسؤولياتها المنوطة بكل قوة منها .
أما الفصل الثاني المعنون بـ «مدينة جدة ومعالمها العمرانية» فقد ناقش الباحث فيه سبعة موضوعات هي : السكان، الأموار والتحصينات، الجوامع والزوايا،

المباني، الشوارع والحارات، الأسواق والخانات، المقاهي والمتزهات، وذلك في اثنين وعشرين صفحة، مما جعل معلوماته عنها مختصرة جداً.

وفي الفصل الثالث ركّز الباحث على الأوضاع الاقتصادية في جدة، وجعل التجارة المحور الرئيسي لهذا الفصل، فتحدث عن الواردات والصادرات من جدة إلى مختلف أنحاء العالم، وأشار إلى تأثير الحركة التجارية بمواسم الحج، وبمقدار ما يُنفقه الحجاج من الأموال، وكذلك بما تُحدثه قناة السويس من آثار إيجابية وسلبية بعد أن ربطت جدة بالغرب الأوروبي، وتحكّمت في فرض الضرائب والرسوم على البضائع المارة عن طريقها. أيضاً من العناصر التي تطرق إليها الباحث في هذا الفصل وارتبطت بطريقة أو بأخرى بالتجارة: تعدّد الحرف لدى سكان جدة، وتنوع الصناعات المحلية، وظاهرة البيع والشراء في أسواق جدة باستخدام العملات العثمانية وغيرها من العملات الأجنبية التي كانت رائجة خلال فترة البحث. وعالج الفصل الرابع موضوع «الموارد والنفقات المالية الحكومية في جدة» وفيه ألقى الباحث الضوء على إيرادات المدينة «جدة» من جراء الرسوم النقدية والعينية المفروضة على البضائع المستوردة، وكذلك الإيرادات من خلال الرسوم المفروضة على الحجاج وصيادي اللؤلؤ والصدف، وأصحاب الجمال والأغنام والأراضي الزراعية. أيضاً أشار الباحث إلى رسوم البرق والبريد وما تُحقّقه من إيرادات جيدة لصالح مدينة جدة. كما ألقى الباحث الضوء على النفقات المصروفة على الموظفين والعسكريين، وأوضحها في جداول مؤرخة بعام ١٢٧٩ هـ قبل فترة الدراسة بسبع سنوات.

والفصل الخامس والأخير عالج الباحث فيه: الأوضاع الاجتماعية والصحية والتعليمية بطريقة مستوفاة ومفصلة. فغن الوضع الاجتماعي تطرق الباحث إلى ذكر الزواج، واحتفالات الأعياد الدينية والرسمية، ثم تحدث عن عادات سكان جدة في اللباس والطعام، وأنواع وسائل النقل التي كانوا يستخدمونها. وعن الوضع الصحي تحدث الباحث عن المناخ، والمستنقعات، والمشاكل

الصحية، ودور الحكومة في الاهتمام بالخدمات الصحية، بما في ذلك إنشاء المستشفيات، وتوريد العلاج من الخارج، والحث على النظافة، وإجراء الكشف الطبي اللازم على الحجاج قبل وصولهم إلى الأماكن المقدسة، وتأمين مياه الشرب العذبة لهم.

أما الوضع التعليمي فقد ذكر الباحث ثلاثة أنواع من أنماط التعليم التي كانت سائدة في مدينة جدة خلال فترة الدراسة، وهي: الكتاتيب والمدارس الحكومية والمدارس الأهلية. إضافة إلى ذلك تطرق الباحث إلى نمط آخر من أنماط التعليم، وهو حلقات التدريس المجانية التي كان يعقدها العلماء في المدارس والمساجد والمنازل، كما تطرق الباحث إلى الرسوم الدراسية، وإلى افتقار مدينة جدة للمكتبات والمطابع والصحف مقارنة بغيرها من مدن الحجاز مثل مكة والمدينة.

وأكثر ما أجاد الباحث فيه استخدامه للجداول والخرائط والأشكال التوضيحية، والتي كانت خير شاهد على دقة وصحة المعلومات. كما لا يفوتني أن أشيد بقائمة المصادر والمراجع التي أعطت هذه الدراسة قوة وجعلت معلوماتها موثقة توثيقاً متميزاً.

ولكن على الرغم من الإجادة والإفادة التي تحققت في هذا المؤلف، إلا أن لي بعض الملاحظات الضرورية التي أرجو أن أكون قد أصبت في تدوينها وهي على النحو التالي:

- عنوان الكتاب: ذيل الباحث لعنوانه بـ «دراسة تاريخية وحضارية في المصادر المعاصرة»، والأفضل أن يكون التذييل: «دراسة تاريخية حضارية موثقة»، أو «دراسة تاريخية حضارية من واقع المصادر المعاصرة»، لأن استخدام حرف «في» يُغير المعنى، وكأن الباحث يقصد أن تكون الدراسة التاريخية والحضارية ليست عن جدة، وإنما في المصادر المعاصرة.

- بالنظر إلى أحداث الفترة للمعدة في الدراسة يتضح أن الفترة من عام ١٢٨٦هـ إلى ١٣٠٥هـ أحداثها قليلة جداً، حيث تحدث الباحث في الفصل الأول

عن أحداث سابقة لعام ١٢٨٦هـ، ثم ركز في بقية الفصول على الفترة ابتداءً من سنة ١٣٠٥هـ مما يجعل العشرين سنة السابقة لعام ١٣٠٥هـ قليلة المعلومات مقارنة بالفترة ما بعد عام ١٣٠٥هـ.

- على الرغم من جودة مصادر الدراسة إلا أن تدوين الهوامش لم يتبع الباحث فيها الأسلوب العلمي الأمثل، حيث كرر المصدر مرات ومرات في الصفحة الواحدة مثل ص ٢٥ / ٢٦ / ٤٨ / ٥٨ / ٦٢ / ٦٣ وغيرها الكثير، وكان من الأفضل تنويع المصادر إضافة إلى كتابة «المصدر السابق ج. . . ص. . .» بدلاً من تكرار اسم المصدر كاملاً.

- ص «هـ» ذكر الباحث في مقدمته أن هذه الرسالة تنقسم إلى ستة فصول بينما التقسيم الفعلي هو خمسة فصول، أيضاً استخدم اسم «رسالة» وفي آخر المقدمة ص «ح» استخدم اسم «كتاب»، والأفضل استخدام اسم واحد لدراسته إما رسالة أو كتاب.

- ص ٢٦ ذكر الباحث أن قوات البيشة كانوا في عام ١٣١٦هـ «٣٠٠» رجل، وقال بأنهم قوة نشطة ولكن غير منضبطة، كما لم يكونوا أهلاً للثقة. ومثل العبارة الأخيرة تحتاج إلى تحليل وتوضيح لماذا لم يكونوا أهلاً للثقة، وأرى أن تفسير ذلك من مسؤولية الباحث. وفي حالة أخرى مشابهة أورد الباحث في ص ٩٤ بعض الملاحظات على الجدول رقم ٤ وكان من بين ملاحظاته في الفقرة الثانية: «أن التدهور عائد إلى سوء الحالة المحلية» دون أن يفسر ما هي الحالة المحلية السيئة.

- ص ٧٤ / ٧٥ / ٧٦ أورد الباحث استخدام عملة «تيلر نمساوي» كقيمة للبضائع، ثم استخدم في ص ٧٢ / ٨٠ / ٨٣ الجنيه الاسترليني، والتساؤل هو لماذا لم يرد اسم عملة «التيلر النمساوي» ضمن أسماء العملات المستخدمة في الحجاز كما هو واضح في الجدولين (٧) (٨) ص ١١٣ ، ١١٤ ، طالما ورد ذكرها كعملة مستخدمة كما أشار.

- ص ٨٥ ذكر الباحث أن السفن الإنجليزية شحنت من لوز الطائف من جدة

إلى الهند خمسمائة ألف طن سنوياً، ويبدو أن هذا الرقم فيه خطأ فليس من المعقول في تلك الأزمنة أن تصل صادرات الطائف من اللوز ذلك الكم الهائل إلى جهة واحدة فما بالك بالجلهات الأخرى والاستهلاك الداخلي .

- ص ١١٩ ذكر الباحث عملة «الكيسة» ولم يعرفها، ثم ذكرها في ص ١٣١، وقام بتعريفها، والأولى أن يكون التعريف عندما تُذكر لأول مرة.

- ص ١٤٧ وفي العبارة الثانية قال الباحث: وأما الطبقة الشعبية فكان ثوبهم والأصح فكانت ثيابهم.

- ص ١٨١ ذيل الباحث دراسته بملحقين الأول عنوانه «السلك الأجنبي في جدة» ويتضمن معلومات عن علاقة جدة بالدول الأجنبية، واعتمد الباحث في معلوماته على عدة مصادر ومراجع، وأصبح الملحق بهذه الطريقة عبارة عن دراسة لجوانب يجب أن تأخذ فقرة مستقلة ضمن فقرات الفصول أو دمج ما يتناسب من معلومات مع معلومات العناوين المدرجة في فصول الدراسة.

والملحق الثاني الخاص بالسياحة في بلاد الحجاز لسويلمز أوغلو يتضمن سبع فقرات تتعلق بموقع جدة، وعدد السكان، ووصف الميناء، والمناخ، والسلع المستوردة، والسفن، وبناء جدة وملحقاتها، والحُجَّاج والزوار، ومثل هذه الموضوعات موجود في فصول الدراسة ما يتناسب معها وبالأخص في الفصل الثاني، ولا يجوز بحال من الأحوال أن تأخذ شكل ملحق .
والله وليّ التوفيق وهو الهادي إلى سواء السبيل .

مقالات ومؤلفات

تاريخ الطباعة ودخولها الى
بلادنا

عبد الكريم الخطيب
مجلة أحوال المعرفة
رجب ١٤١٨ هـ

من شعراء الملك عبد العزيز
الشيخ / عبد الله العجيري

د. محمد بن سعد بن حسين
مجلة الحرس الوطني شوال ١٤١٨ هـ

الرحلات الى الجزيرة
العربية

محمد بن عبد الله الحمدان
المجلة العربية
رمضان ١٤١٨ هـ

معالم الاغتراب الشعوري
في نماذج من الشعر
السعودي

د. مسعد بن عيد العطوي
مجلة الحرس الوطني شوال ١٤١٨ هـ

صبا نجد (الطبعة الثانية)

محمد بن عبد الله الحمدان

مما أغفله الدارسون لشعر
ابن العيون

محمد بن عبد الله الخشيان
مجلة الحرس الوطني شوال ١٤١٨ هـ

يوميات رحلة في الحجاز

تأليف/ غلام رسول مهر

نقد وتعليق/ علامة الجزيرة

حمد الجاسر

المجلة العربية رمضان ١٤١٨هـ

فكر القائد

جواهر بنت عبد العزيز بن جلوي

دار العقل للطباعة ١٤١٨هـ، الرياض

رسائل لها تاريخ

عبد الكريم الجهيمان

الطبعة الأولى ١٤١٨هـ

دراسات وحقائق في شمال

غرب المملكة العربية

السعودية

حسين بن أمين العلي

تبوك - ١٤١٨هـ

ظاهرة الزمن عند كتاب

السيرة الذاتية السعوديين .

عبد الله الحيدري

مجلة الفيصل رمضان ١٤١٨هـ

تاريخ هجر

عبد الرحمن بن عثمان الملا

الأهمية السياسية

والعسكرية لجزر البحر

الأحمر .

عبد الرحمن بن عبد الله الشهري

مجلة الحرس الوطني

شعبان ١٤١٨هـ

الصحراء العربية - الملاحق

الويس موسىل

ترجمة مؤسسة عبد الرحمن السديري

الخيرية ١٤١٨هـ

العلاقات الإجتماعية في القران

عبد الله الحمد الجلالى
دار السلام - الرياض

شاعر اليمامة

(مروان بن أبى حفصة)
إسماعيل بن إبراهيم السماعيل
مطابع جاد للأوفست - الرياض

العدالة الجنائية ومنبع الجريمة

د. محمد الأمين البشري
أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية -
الرياض

تاريخ الأفلاج وحضارتها

عبد الله عبد العزيز آل مفلح
مطبعة السفير - الرياض ١٤١٨هـ

من رواد التعليم المنهجى في الخليج العربى

(محمد بن عبد العزيز بن مانع)
عبد الله بن أحمد الشباط
المجلة العربية
شعبان ١٤١٨هـ

ينبع البحر

صالح مسعد التزاوى
المجلة العربية شعبان ١٤١٨هـ

غالية البقمية قاهرة الغزاة

فاطمة محمد البغدادي
المجلة العربية
رجب ١٤١٨هـ

محمد بن أحمد العقيلي

د. محمد الصادق عفيفي
نادي جازان الأدبي ١٤١٧هـ

التعليم في القصيم بين الماضي والحاضر

صالح بن سليمان العمري

تحقيق د. عمر بن صالح العمري
الرياض الطبعة الأولى ١٤١٨هـ

دراسة فنية لمصحف مبكر

تحقيق: عبد الله بن محمد المنيف

الطبعة الأولى ١٤١٨هـ

الجاره

● قسيمة اشتراك ●

أرفق شيكا مصدقا

باسم دائرة الملك عبدالعزيز بالرياض/ عن قيمة اشتراك لمدة سنة

واحدة على أن ترسل إلى العنوان الآتي:

الاسم:

العنوان:

الفاكس:

الهاتف:

الاشتراك السنوي: ٣٠ ريالاً داخل المملكة العربية السعودية

البلاد العربية ما يعادل ٣٠ ريالاً سعودياً

٦ دولارات خارج البلاد العربية.

مجلة فصلية محكمة تصدر عن
دائرة الملك عبدالعزيز



ص.ب ٢٩٤٥ الرياض ١١٤٦١

المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٤١٢٣١٦ - ٤٤١٢٣١٨

فاكس: ٤٤١٧٠٢٠

ADDARAH

Address: ADDARAH
King Abdulaziz Research Center
P.O.Box 2945 Riyadh 11461
Kingdom of Saudi Arabia
Tel: 4412316 - 4412318
Fax: 4417020

● Subscription Card ●

Please enter my subscription for ADDARAH

Check enclosed \$

Name

Address

City Country

Tel.: Fax:

Annual subscriptions

Saudi Arabia: **20** Riyals

Arab Countries: **20** Riyals

Abroad: **6** U.S. Dollars

**ALL CORRESPONDENCE SHOULD BE DIRECTED TO
EDITOR-IN-CHIEF**

P.O.Box 2945 Riyadh 11461 Saudi Arabia Tel. 441 2316 - 441 2318 Fax. 441 7020

PRICE PER ISSUE

Saudi Arabia: 5 Riyals - U.A.E.: 7 Dirhams - Qatar: 7 Riyals - Egypt: 70 Piasters
Morocco: 8 Dirhams - Tunisia: 700 Millimes - Non-Arab Countries: 1 U.S. \$

ANNUAL SUBSCRIPTIONS

Saudi Arabia: 20 Riyals - Arab Countries: The Equivalent of S.R. 20
Non-Arab Countries: 6 U.S. \$

**SUBSCRIPTIONS SHOULD BE MADE BY CERTIFIED
CHEQUE DIRECTED TO KING ABDUL AZIZ
RESEARCH CENTRE**

P.O.Box 2945 Riyadh 11461 Saudi Arabia

DISTRIBUTIONS

Saudi Arabia: Al Watanlah Co. For Distribution Advertising	Tel. 4782000
U.A.E.: Dar Al Hikma P.O.Box 3778 Dubai	Tel. 665394
Qatar: Dar Al Thaqafa P.O.Box 323 Doha	Tel. 413180
Bahrain: Al Hilal Distributing Est. P.O.Box 224, Manama	Tel. 262026
Egypt: Al Ahram Distributing Est. Al Giza'a St., Cairo	Tel. 5786100
Morocco: Al Sharifia Distributing Co. P.O.Box 683, Casablanca 05	Tel. 400223

GENERAL SUPERVISOR

H.E. PROF. KHALID BIN MOHAMMED AL-ANGARI

Minister of Higher Education, Vice Chairman of the Board of
Directors King Abdul Aziz Research Centre

GEN. DIRECTOR & EDITOR IN-CHIEF **Dr. FAHD ABDULLAH AL SEMMARI**

EDITORIAL BOARD

Dr. Mansour Ibrahim Al Hazmi

Abdullah Abdul Aziz bin Edris

Dr. Abdul Rahman al Tayyeb al Ansari

Dr. Abdullah Al Saleh al Uthaymeen

Dr. Mohammed bin Sulayman al Sudais

Dr. Yahia Mahmoud Saati

Dr. Mohammed Shawki Ibrahim Makki

SECRETARY OF EDITORIAL BOARD **Muqbil bin Turki Al Muqbil**



ADDARAH

A Periodic Quarterly Issued By King Abdul Aziz

Foundation for Research and Archives

Addarah No. (1) Has Been Issued in Rabie (1) 1395

March 1975

ISSUE NO. 2

YEAR 23

1998

النشر العلمي والمطابع ١٤١٩هـ





الملك عبدالعزيز أثناء زيارته للبحرين ومعه الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة سنة ١٣٥٨ هـ ومعهما خارجان
من قصر الرايا في القطيف



ADDARAH

A Periodic Quarterly Issued By King Abdul Aziz

Foundation for Research and Archives

Addarah No. (1) Has Been Issued in Rable (1) 1395

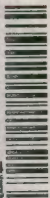
March 1975

ISSUE NO. 2

YEAR 23

1998

Bibliotheca Alexandrina



0532113